السِّلْسِلَة الرِّفَاعِيَّة (٧)

تراجم منمنمات

لِلْمُؤْمِنِ ضِمْنَهُنَّ أَمْنٌ وَإِيمَانٌ وَرَحَمَاتٌ

لأستاذ الطَّرِيقَة وَشَيْخِ أَهْلِ الحَقِيقَةِ العَالِمِ العَامِلِ
وَالقُطْبِ الوَاصِلِ مَحْبُوبِ آلِ وَاسِطٍ الإِمَامِ العَارِفِ بِاللهِ
السَّيِّدِ الشَّيْخِ عَبْدِ الحَكِيمِ بْن سَلِيمٍ عَبْدِ البَاسِطِ

قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ!
وُلِدَ سَنَة ١٣٣٠ هـ - وتُوُفِّيَ سَنَة ١٤١٥ هـ
رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً!

اعتنى بها وقدّم لها
شَرَفُ الدِّين
حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الحَكِيمِ عَبْدِ البَاسِطِ
عُفِيَ عَنهُ!

وقلتُ في محاضرةٍ إشراقية، في حضرة سُبُّوحِيَّة:

قُــلْ لِغِــزْلانٍ بِقِيعــانِ النَّقَــا ... أَجْهَــدُوا السَّيْــرَ وعَــزَّ المُلْتقــى
يــا ظِبَــاءَ الحيِّ قَــدْ طــالَ بِكُــمْ ... وَجْدُ قلبي فارْحَمُوا لي الأَرَقَا
أقلــقَ البعــدُ لَعَمْــري ســاكِنــي ... كيــفَ يُلْفِــي راحــةً مَــنْ قَلِقَــا ؟
خــاطــري شَتَّــتْ بــهِ أيــدي سَبَــا ... لِفَتَــــاةٍ مِنْكُــــمُ فــــاْنطَلَقَــــا
وقُيُــودِ الحُــبِّ فــي ديــنِ الهــوى ... والــذي يــومــاً بِحِــبٍّ عَلِقَــا
لِــيَ جَفْــنٌ مِــنْ دَوَاهــي هجــرِكــم ... طُــولَ ليلــي بــالكَــرَى مــا اْنطَبَقَــا
رَحْمَتَــــاهُ لِــــوَلُــــوهٍ كُلَّمــــا ... شَــرِبَ المــاءَ وُلُــوعــاً شَــرِقَــا
وعَــذُولــي لــم يَــزَلْ يَــزْوِي بِكُــمْ ... كَــذِبــاً يــا ليــتَ يــومــاً صَــدَقَــا!
عَجَبــاً مِــنْ جَفْــنِ عيــنٍ مَــاطِــرٍ ... وفُــؤادٍ مِــنْ جَفَــاكُــمْ حُــرِقَــا
كُلَّمــــا فَــــاهَ بِكُــــمْ مُنْشِــــدُنَــــا ... دَمْــعُ عينــي النُّطْــقَ مِنْــهُ سَبَقَــا
لــو تَقَطَّعْــتُ بِــوَجْــدِي إِرَبــاً ... قَــدَمــي عــن نهجِكُــمْ مــا زَلَقَــا
وذِرَاعــي لــو بِسَيْــفٍ قُطِعَــتْ ... كَفُّهــا بــابَ السِّــوَى مــا طَــرَقَــا
بِنَسيــمِ الصُّبْــحِ وافَــى نَشْــرُكُــمْ ... فَشَمَمْنَــــا مِــــنْ شَــــذَاهُ عَبَقَــــا
وَلَعَمْــري إنَّ غَلْغَــالَ الــدُّجَــى ... بِسَنَــــاكُــــمْ لِلْــــوجــــودِ اْنْغَلَقَــــا
نَظْــرَةً لِلْــوَالِــهِ العَــانِــي الــذي ... غــايــةَ السُّلَّــمِ فــي الحُــبِّ اْرْتَقَــى
واعْــذُرُوهُ كَــرَمــاً فــي حُبِّكُــمْ ... هكــذا فــي عِلْــمِ ربــي خُلِقَــا
واتــرُكُــوا لُطْفَــاً نِفَــارَاً ســاءَهُ ... وَصِلُــــوهُ يــــا ظُبَيَّــــاتِ النَّقَــــا

للإمام السيد الرَّوَّاس

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تراجم منمنمات

للمؤمن ضمنهن أمن وإيمان ورحمات

تشرف بإعداد هذه النسخة الالكترونية الفقير لعفو مولاه الكريم الجليل
أبو الهدى رفيق عقيل غفر الله له ولوالديه ولأشياخه والمسلمين

السلسلة الرفاعية (٧)

تراجم منتخبات

للمؤمن ضمنهن أمن وإيمان ورحمات

لأستاذ الطريقة وشيخ أهل الحقيقة العالم العامل
والقطب الواصل محبوب آل واسط الإمام العارف بالله
السيد الشيخ عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط
قدس الله سره!
وُلِد سنة ١٣٣٠ هـ - وتُوُفِّي سنة ١٤١٥ هـ
رحمه الله رحمة واسعة!

اعتنى بها وقدّم لها
شرف الدين
حسن بن عبد الحكيم عبد الباسط
عُفي عنه!

الناشر لتراث سادات واسط
شَرَفُ الدِّين
حسن بن عبد الحكيم عبد الباسط

حقوق الطبع محفوظة
للمُعتني بها

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَقْدِمَة :

الحمدُ والعظمةُ للذي له البقاء وحدَهُ، إلٰهٌ واحدٌ أحد، لا شريكَ ولا نِدَّ ولا ضِدَّ له، الحيُّ القيومُ الذي لا يَفْنىٰ ولا يَبِيْد، الخالقُ البارىءُ، المُصوِّرُ الذي خلقَ فسوَّىٰ، ربُّ العالمين، الذي أضحك وأبكىٰ، وأمات وأحيا، وإليه المرجعُ والمآبُ.

وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه، المسمىٰ بخيرِ الأسماء، أحمدَ، وطه، ويس، والماحي، والحاشر، والعاقبِ، آخر الأنبياء (ﷺ). ورضي الله عن أصحابِهِ، وخصوصاً أهلَ بيته أهلَ الكِساء(١)، رضي الله عنهم وعن التابعين والسَّلف الصالحِ أجمعين وعنَّا معهم وذرارينا ووالدينا ومشايخنا والمسلمين إلىٰ يومِ الدِّين، آمين.

أما بعدُ، فإني رأيتُ الإمامَ الوالدَ الماجدَ العارفَ باللهِ السيدَ الشيخَ عبدَ الحكيم عبد الباسط ـ رحمةُ الله عليه! ـ قد لخص وأَسْتَلَّ ما جاء في كتاب «قِلادة الجواهر» للسيد أبي الهدىٰ ـ رضي الله عنه! ـ، فجمع ذلكَ في صَعيد واحد مع بعض المنظومات التي تؤيِّد المقصودَ، وتأتي بالمبعود إلىٰ المعبود، وأتىٰ بالقليل من تراجم السادة الرفاعية الأعلام ـ أيضاً ـ من كتاب «العُقود الجوهرية» للشيخ العلامة أحمد عزت باشا العُمَري المَوْصِلي ـ رحمةُ الله عليه! ـ، فكان لجمع ذٰلكَ مأجوراً، ولنشره

---

(١) أهل الكِساء: السيدة فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)، وزوجها الإمام علي بن أبي طالب، وأبناهما السيدان الحسن والحسين، رضي الله عنهم أجمعين!.

وتجد حديث الكساء في «المسند» ٦: ٢٩٢، و«سنن الترمذي» باب تفسير سورة الأحزاب، من أبواب التفسير، وباب فضل فاطمة بنت محمد (ﷺ)، من أبواب المناقب، «عارضة الأحوذي» ٢: ٨٤، ٨٥، ١٣: ٢٤٨، ٢٤٩.

مشكوراً، كيف لا وقد عوَّدنا ذلكَ منذ بُزوغ فجر إحياء التُّراث الأحمدي الرفاعي ؟!.

وقد أدركه الأمرُ من قبلِ أن يكونَ الكتابُ بين الأيدي متداولاً! فقمتُ بخدمته والاعتناءِ به ليكون علىٰ مِنْوال ما قد سبق، ولا يكون من وراءِه شَبَقٌ من دنيا أو عَبَق، فقد رُبِّينا علىٰ ذلكَ، وشربنا من كأسه نَهْلَةَ الصدق والإخلاص، وماذا عسىٰ أن يقولَ القائلُ بعد قول السيد أبي الهدىٰ(١) ـ رحمةُ الله عليه! ـ:

هَوِّنْ عليكَ فإنَّ الفَضْلَ إرثُ أبي ... وٱلماءُ ماءُ أبي وٱلبئرُ بِئرُ أبي
لولا مآثِرُ آبائي ٱلذين خَلَوْا ... في ٱلشامِ لم يَنْجَذِبْ بيتٌ علىٰ طُنُبِ

* * *

وإنَّ هٰذا الكتاب ـ أي مبارك ـ لَهُو الترياقُ النافعُ لِسُمِّ النَّفْس وما يُوسوس لك الشيطانُ في سلوكك في هذه الطريقة العلية؛ لِتسيرَ علىٰ مِنْوال ما جاء في تراجم هؤلاء الكرام الأعلام؛ فإنك لستَ معذوراً إن فارقتَهم، ونهجتَ غيرَ نهجهم وهداهم، وٱتخذتَ لك مَسْلكاً ترضاه لِنَفْسك دون الرجوع إليهم والأخذ عنهم، قال سيدي وقرةُ عيني وإمامي المُحدِّثُ الفاضلُ السيدُ الرَّوَّاسُ ـ رضي الله عنه وعنَّا به! ـ(٢):

فأَعِمَ دهراً عن سواهُم ... ولهم ما عِشْتَ راقِبْ
وٱقْصِرِ الأمرَ عليهم ... فَبِهِمْ نَيْلُ ٱلمواهبْ
كُلُّ مَنْ لَم يَزوِ عَنْهُمْ ... هو في ٱلدَّارَيْنِ كاذِبْ

* * *

فالسادةُ الرِّفاعيةُ الأعلام: قومٌ صدقوا مع مولاهم وسيدِهم، ولفتوا عن الأغيار عَزْمَ قلوبهم، وتعلقت أرواحُهم بالواحد القهار، فقهر نفوسَهم

(١) في ديوانه «الدُّر المُنْتَظم» ص(٤٧).
(٢) في ديوانه المسمىٰ «مشكاة اليقين» ص(٣٧).

بتجلي قهّاريّته، وأظهر ضَعْفَهم بغَنِيِّ قُوَّتِه، فأشرقت له النُّفوس، وٱستنارتْ وأضاءتْ مَنْ حولَها، وبُوركتْ تلك الأرواحُ بإشراقاتِ المَلِكِ الفتّاح، وظهر لهم من أحوالهم وشريفِ مقاماتهم ما يقلب الشقيَّ سعيداً، والمُعْرِضَ صِدِّيقاً، والمعترضَ راضياً مرضياً، حتىٰ عكفتْ بذٰلكَ عليهم قلوبُ المحبين، وٱسترشد بهم أهلُ العِلْم واليقين، وصاروا محطَ كُلِّ صادر ووارد، في البوادي والحواضر والمساجد.

فجدير بكَ بعد هٰذا كُلِّه أن تعتَنِيَ بمطالعة تراجم أئمتك وأساتِذَتِكَ في الطريقة الأحمدية السعيدة، فلو لم تخرجْ من ذٰلكَ إلا بازدياد الهمةِ ونشاطِ العَزْمِ والعزيمة وازدراء النَّفْس والتَّطَلُّعِ إلىٰ ما هو أسمىٰ وأجدىٰ، لكفاك ذٰلكَ في مقام التهذيبِ والتصحيحِ والمجاهدةِ في زمنٍ الحرُّ فيه قليل.

هٰذا وأسألُ اللهَ في الختامِ أن يجزيَ عنا سيدَنا ووالدَنا وإمامَنا العارفَ بالله السيدَ الشيخَ عبدَ الحكيم عبد الباسط ـ عليه الرحمةُ والرضوان! ـ خيرَ الجزاءِ! وأن يجعلَ هٰذا العملَ في صحيفته مبروراً مأجوراً مشكوراً مقبولاً! وأن يجعلني وذريتي وأحبابي له متابعين في النهج الذي رسمَه لنا علىٰ حقيقة «المنهج الأبلج»! فذٰلكَ مَطْمَحُ نَفْسٍ أحمديةٍ رفاعيةٍ ما عرفت كللاً ولا مَللاً في هٰذه الطريقة المرضية.

نظامُ بيتٍ رفيعٍ كُلُّه عَمَلٌ   بَرٌّ تنزَّهَ إجمالاً عن ٱلكسَلِ[1]

دمشق الشام، ٢٠ محرم ١٤٢٠ هـ

وكتبَه

شرَفُ الدِّين

حسنُ بنُ عبد الحكيم عبد الباسط

خادمُ العِلْمِ الشريف والطريقةِ الأحمديةِ الرِّفاعية
عُفِي عنه وحَسُنَ ختامُه!

---

(١) المرجع السابق، ص(٢٥٧).

تراجم مُنَمْنَمَات

للمؤمن ضِمْنَهُنَّ، أَمْنٌ وإيمانٌ ورَحَمَات

دَعْ عنك مَطْمُوسَ الفؤادِ بليلِهِ العِلْمُ لم يُمْنَحْ لذوق الجاهلِ
وافتحْ به أَلْبابَ أهلِ بصيرة شتَّان بين أخي النُّهى والغافلِ!
واقرأْ لأرباب الفُهُومِ قَصائدي واذكرْ لأربابِ العُلومِ فضائلي
حَدِّثْ بنعمةِ خالقي عنّي وقُلْ قولي ونَمْنِمْ بالسُّطُورِ رَسَائلي

❊ ❊ ❊

﴿ترجمة بل تراجم، ولمعات من صِفات سيد ولد آدم وسيد جميع العوالم ﷺ﴾

﴿ونبذة من صِفات آلِه الأطهار الأبرار، والأئمة الأربعة الأقمار الأكارم﴾

﴿رضي الله عنهم وقَدَّس أسرارهم من رجال أعاظم﴾

عني بتأليفها ونشر أرجها العميم، خويدم من صغار خدم آل النبي الكريم
عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم
﴿أفقر الورى لمولاه، وأحقر من ترى بباب عَظَمة عُلاه﴾

عبدُ الحكيمِ بنُ سليم عبد الباسط

رجال الآل تدع الحسود والجلف الجافي والعلج المطرود الممقوت في ضيق صدرٍ وكرب دائم، فتباً للمُوالين لأعدائهم المستبعدين المستأجرين الجهلة البُلْهِ السُّذَّج المغترين بأعداء المكارم، المستنكفين عن لُبس العمائم، المعادين للأولياء، الموالين للأعداء أمثال الأنعام البهائم ﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

ترجمة مُنَمْنَمة

لا تحوم حَوْلها الحَمْحَمَة

فَمِمَّا يُترجمه السادةُ الأَجِلاَّءُ العظام، السيدُ الوارثُ المحمدي، أبو البهاء، المرشد الكامل

﴿القطب الغوث السيد محمد مهدي بهاء الدين الصيادي «الرِّفَاعِيُّ الثاني»﴾

﴿وخليفته الوارث مجمع الفضائل، الحُر الثابت المُناضل، حميد المزايا والخصائل﴾

السيد محمد أبو الهدى الصياديُّ الرِّفَاعِيُّ

ورجالٌ من سَلَفِهم، ومن جُلِّ خَلَفِهم، الناهلين من عَذْب مَعينهم

﴿رضي الله عنهم وقدس أسرارهم!﴾

فبهم يُهتدىٰ، وبُهداهم يُقتدىٰ

ورثوا السيادة كابراً عن كابرٍ ... وتَقَلَّدُوها والداً عن والِدِ
هم سادة السادات والشُّمُ الأُولى ... عَظُمُوا وجَلُّوا رَغْمَ أنف الجاحِدِ
ومن العجائب عند ذِكر كمالهم ... طَلْقٌ بِمِدْحَتِهِم لسان الحاسِدِ
شِيَمٌ لهم ومناقب مَوْرُوثة ... من ماجدٍ عن ماجدٍ عن ماجِدِ
ما بين مُنْطَلِقٍ لساحات العُلا ... وفتىً على بُسُط المواهب قاعِدِ
قل ما تشا في مدحهم فمقامهم ... أَعلَىٰ مَناراً من خيال الحامِدِ
قوم معاليهم وقمع نفوسهم ... لهمو لدى العَلياء أعدلُ شاهِدِ

❊ ❊ ❊

﴿فذلكة﴾

﴿فذلكة عظيمة الوَقع والإسراع، وقَّعَ عليها السادة الحضور بالإجماع﴾

قال شيخنا التقي الواسطي في «ترياقه»: نقل السيد بدر الدين بن أبي العشائر عن الشيخ الجليل، الشريف الأصيل، بركة الإسلام والمسلمين، السيد تاج الدين الرفاعي شيخ رُوَاق ﴿أُمّ عَبيدة﴾ ـ رضي الله تعالى عنه! ـ، أنه كان في مَحْفِلٍ ببغداد، وفيه العلماء والنجباء والأُمراء وآل الشيوخ، وصنوف قوم من ذوي الوجاهة، وفيه السيد بدر الدين المذكور، فقام كُلٌّ من الحاضرين يفتخر بسلفه وحالهم وما كانوا عليه، والسيد تاج الدين ساكت، كأنه في غير هذا المجلس!.

فقال بعض الجماعة له: سيدي! هَلاَّ ذكرت شيئاً من مآثر آبائك الطاهرين، وأسلافك الصالحين؟

فقال: إن حَسُنت مآثرهم عند الله فهي لهم، وكلٌّ مَجزي عن عمله؛ وإلاَّ فما الفائدة من ذِكرها.

فقال كُلٌّ من الحاضرين: إنَّ أسلافك من أعزِّ المقربين عند الله بشواهدَ كثيرةٍ من الكتاب والسُّنة، وقد ذَكر كلٌّ مِنَّا شيئاً، فلا بُدَّ أن تذكر شيئاً نتبرك به! قال السيد بدر الدين: فالتفت إليّ وقال: يا بن أبي العشائر! إنك منا وأهل البيت، كُلُّهم شجرة واحدة، وأنت أدرى بنا وبمآثر مَنْ مضى من أسلافنا، فاذكر لهم شيئاً واتّق الله!

فأخذني حال شَبَّ فِيَّ ما عرفت كيف اختطفني! فقمت وقلت: ها أنا أقول بلسان السيد تاج الدين عنه، فأَنصت القوم، فقلت مُرتجلاً هذه الأبيات:

لنا الرفرف المرفوع في سِدرة العُلا | بأُفقٍ به مِنّا الشموس الطوالِعُ
تدلّى بنا حتى دنا من حضيرةٍ | تقاصر عن مَجلى سناها المطامِعُ
فإن ذُكِرت في الأولياء صِفاتنا | لها كُلُّ ذرّات الوجود مَسامِعُ
أخذنا السُّرَىٰ لله من باب قُربه | فما صادفتنا في المسير القواطِعُ
لنا فوق هامات المعالي منابرُ | وفي كل أكناف البرايا جوامِعُ
وفي كلِّ بابٍ نقطةٌ مُستديرة | وفي كل قفرٍ موكب ومعامِعُ
بنا خِطة البطحاء طاولت السَّما | ونحن بمغناها البُدور اللوامِعُ
أبونا فتىٰ الهيجاء بُحْبُوحة الندى | فتىً جاز هام الانتها وهو خاشِعُ
أبو العَلَمين ابن الرفاعي من سَما | مَحَلاً لديه أشهب البَدر ضَالِعُ
غضنفر غابِ الغيب عَلاَّمة الحمىٰ | إمام الرجال السيد المتواضِعُ
وأسباطه آباؤنا الغُرُّ مَن لهم | على إثره سَيْر له الصِّيت شائِعُ
وآل أخيه المرتضى وابن عَمِّه | أُسود الوغىٰ والحرب بالسم ناقِعُ
وأجداده الزُّهر الميامين كُلُّهم | عصائبنا والدِّين فيهم يُدافِعُ
لهم نسب قام الحُسين بصدره | لواء له جسم المحجة راكِعُ
وجَدهم البَرُّ الشفيع الذي انطوت | بِشرعته لُبّ الكتاب الشَّرائعُ
جَرَزتَ أخا التمثيل ذَيلك مُعْجَباً | لَدَيَّ وترك العُجب نِعمَ الصنائِعُ
﴿أُولَئك آبائي فجئني بمثلهم | إذا جمعتنا يا جرير المجامع﴾

❋ ❋ ❋

قال السيد بدر الدين: فانحطَّ القوم عن مراتب عُجبهم، ونكَّسُوا رؤوسهم، وكلٌّ قال: والله ما قلتَ إلاَّ حقاً! وعَلِمْتُها أنا وكل مَن في المجلس أنَّها من كرامات السيد تاج الدِّين ـ رضي الله تعالى عنه! ـ، وانعطف القوم يُقَبِّلون يديه ورجليه، وهو يزداد تواضعاً لله تعالى وانكساراً.

وهذه ـ أيضاً ـ بعض صفات الآل عند الرجال

فمَنْ لم يُدْرِك ذواتهم فهذا تُراثهم ينوب عنهم بعد الانتقال

وزيارة أضرحتهم لا يقلّ ثوابها عن مُشاهدتهم مهما تقادم عهد الارتحال

عُجْ بالضوامر نحو ﴿أُمّ عَبيدة﴾ ... إن رُمْت تنظر مطلع الأقمارِ
وانزل رُواق الأحمدية إنه ... علناً محل تنزل الأسرارِ
والثم يمين الغوث أحمد وابتهج ... إن ساعدتك معونة الأقدارِ
وأَجِلْ رسول العين منه بطلعة ... نابت بنا عن جَدِّه المختارِ
وأَقم شعار الصدق إنّ رِحابه ... صعب المجال على ذوي الإنكارِ
لله كم من سَيِّد مُتوسِّد ... بين السواري منه تُرب الغارِ
كالصارم العضب الصقيل لغِمْده ... أو ضمن سلسلة كليث ضارِ
دهشته من شيخ الرواق جلالة ... طرحته مبهوتاً بِلا أفكارِ
شُمُّ الأُنوف بنو الرفاعيِّ ارتقوا ... سُدَدَ العُلا بجلائل الآثارِ
أشياخ أقطاب الوجود جميعهم ... وأئمة الغُيَّاب والحضَّارِ
لبسوا الخشوع دُرُوع عِزٍّ والتقى ... تَخِذُوه كنز غنى عن الدينارِ
وتوشَّحوا نصل التذلل صارماً ... والصدق مصحوباً عن الخطَّارِ
لَبِست صُدور الأولياء ببيتهم ... خِلع الصَّفا عنهم لعقبىٰ الدارِ
بيت النبي وأهل دولة إرثه ... بالفعل والأقوال والأطوارِ
أعيان أهل البيت سادات الحِمَىٰ ... حِصن النزيل ورُكن ظهر الجارِ
سُفُن النجاة حِمَىٰ العُفاة السادة الـ ... أطهار آل السادة الأطهارِ
هم عُدَّتي للنائبات وعُمدتي ... يوم القُدوم على العظيم الباري

❋ ❋ ❋

﴿ترجمة الناظم صاحب القصيدة التي تقدمت﴾

ذَكر الإمام السيد سراج الدين الرفاعي المخزومي في كتابه «صِحاح الأخبار»، ومثله ذَكر جَدّه الأعلى القطب الجواد السيد عِز الدين أحمد الصياد في كتابه «الوظائف الأحمدية»: بأن المشار إليه العارف بالله يعقوب ابن بدران الأنصاري، كثيراً ما كان يُنشد هذه الأبيات المتقدمة الذكر في مجالسه، وأغلب الظن أنها له. انتهى.

يقول السيد محمد مهدي الصيادي ﴿الرفاعي الثاني﴾ الشهير بـ «الرواس» ـ رضي الله عنه وقدس سِره! ـ:

وقلت مُتجرداً عن الأغيار، مُنتظماً بسلك الحبيب المختار ﷺ:

ليس إلاَّ الله يُرجى فَضله ... فتمسك منه بالحبل المتينِ
واترك الأغيار لا تعبأ بهم ... هذه قاعدة الدِّين المبينِ
وكذا خير الورى علَّمنا ... قد أتانا النَّص بالعلم اليقينِ
ليس للعبد إذا عمَّ العنا ... غير باريه تعالى من مُعينِ
وحِّد الله ولا تشركْ به ... إنَّ هذا النُّصح كالدُّر الثمينِ
وتمسَّك بجناب المصطفى ... عارياً من وصمة الزيغ المُشينِ
سيِّد قد أنزل الله له ... حُجة القرآن ذي الحُكمْ الرَّصينِ
حُجَّةٌ سبحانه أَوْدَعَها ... بالبلاغ الحق للروح الأمينِ
وبه قد ينظر الله لنا ... منه بالحُسنى وبالبرِّ الحسينِ
وهو في يوم غدٍ شافعنا ... الوجيه الوجه ذو العزم المكينِ
وِدُّه رُوحي ورُوحي وِدُّه ... وبحمد الله هذا الوِدُّ دِيني

* * *

وقلت معتزاً بالله، أُخاطب مَنْ دينُه هواه:

يا بني الدنيا استريحوا ... سَيْرنا عنكم إلى الله
نحن قوم أين سِرْنا ... ونَهْجُنا حسبنا الله

* * *

وقلت هادماً صوامع الأغيار، مُنْطبعاً بطَوْرِ سيد الأطهار، منتقياً أفلاذ أحواله الثمينة، مُتخلِّقاً بشرائف أخلاقه الكريمة الرصينة، والعون من الله، وحسبنا الله:

وَحِّدِ الله ولا تُشرك به ... إن تكن عبداً منيباً أحَدا
واترك الأغيار إن كنت فتى ... نَظَرُ الأغيار يا هذا سُدى
كم أُناس دينهم درهمهم ... عبدوا زوجتهم والولدا
وحّدوه بكلام ناشيءٍ ... عن فؤاد غافل طول المدى
من رأى الواحدَ ينسى غيرَه ... كيف لا ينسى السّوى من وحّدا!
أنا والسر الذي أخفيته ... وهو عهد المصطفى شمس الهدى
ما لَوَى الأغيارُ يوماً همتي ... حسبيَ الله تعالى أبدا
نحن قوم خُلَّص نعبده ... لن نرى من دونه ملتحدا
ما قَصَدْنا غيرَهُ في حاجة ... خاب من للغير قلباً قصدا
لم نَرَ التأثير للعبد بما ... يفعل العبدُ دنىً أو صَعِدا
إنما التأثير لله الذي ... عبدَه من عدم قد أوجدا
هذه في نهجنا سيرتنا ... عن رسول الله نروي السندا
وبحمد الله قد هذَّبنا ... مشرب القطب المعلَّى أحمدا
سيد الأقطاب يا أَكْرِمْ به ... لهمُ في كل عصر سيدا!
بحرهم قد أخذوا من موجه ... كلُّهم في كل فنٍّ موردا

أسد لكنْ إلهيُّ الوحا　عبدُه في الغاب يُردي الأسدا
صاحب اليدِّ فأعني مُذ دعا　جَدُّه جهراً له مَدَّ اليدا
كم قضى الله به حاجاتنا　وقضى الأعداء غيظاً حسداً
هاشميٌّ أَطْلَعَتْ هِمَّتُه　لأُولي الجُحْد شِهَاباً رصدا
الحسينيُّ الكبير المرتجى　إن دَهَى باغٍ وإن عادٍ عدا
ذو رِحاب يَفِدُ الأشقى له　وتراه بعد رَمْش سَعِدا
لم يخب عبد طوى نِيّته　مُخلصاً في حُبِّه مُعتقدا
أنت إن أصبحت من أتباعه　قل لأهل البغي: موتوا كمدا
إن تكن في البحر مِن هِمته　تَرَ بين الموج منها مددا
كم وكم ناداه عانٍ خائفٌ　وله جمر الغضا قد خَمَدا
كم وكم حاضره ذو لهفة　ردَّ عنه سرُّه كَرَّ العِدا
كم لديغ فار جمراً سَمُّه　ثم ناداه وحالاً بَرُدَا
أولياء الله هذا تاجهم　أترى كل وليٍ أحمدا ؟
كلنا خدّامه في ذيله　قد طُوِينا فغدونا سُعَدا
ملجأ العرجاء معقود اللوا　فارس الهيجاء كشاف الردى
عَلَم القوم إذا الخطب دَجا　عَلَويُّ الشأن فياض الندا
ذو شؤون لو ذكرناها له　لملأنا الأرض فيها عددا
غَيْرة يُبْرزها من قلبه　لو على البحر تَجَلَّت جَمدا
كل ركب لوليّ عارف　لِفَضا أعتابه قد وفدا
والذي نام على الحُب له　بأمان الله جهراً رَقَدا
نَشَرَت في حالة البُعد له　سِتْر قُرب أبداً ما بعُدا
الرفاعيُّ الرفيع المرتقى　شيخ أصحاب المعاني أبدا
نوره ما غاب عن أحبابه　جمره للضِّد دوماً وَقَدا

إن دهاك الدهر بالخطب فقف ... لائـذاً فـي بـابـه مُستنجـدا
قل: أبا العباس يا غوث الورى ... يـا مُجيبـاً بـإذْنِ ربـي للنـدا
وتـرى الأمـداد مـن قبتـه ... بحـرهـا بـالمـوج غـوثـاً أزبـدا
قـد أخـذنـاه مـلاذاً كـافـلاً ... واتّبعنـاه إمـامـاً مـرشـداً
وأنـا المهـديُّ مـن أبنـائـه ... لأمِـعٌ من نـوبتـي نـور الهـدى
وصـلاة الله مِنـي لـم تـزل ... للتّهـامِـيِّ تُحَيـيٌّ سـرمـدا
هـو بيـن المـرسليـن الملتجـا ... والـرفـاعـيُّ الـولـيُّ المُقْتَـدى
حَمْلَتي طول المدى في بابهم ... إنمـا الـوالـد يَحمـي الـولـدا

* * *

وقلت حاضراً غائباً، مذهولاً مراقباً، وسرُّ الجمع بيد مَنْ بيده الضر والنفع:

لمّا حضرت على بساط شهودي ... أدركتُ ذوقاً كيف غاب وجودي
وفهمت من طَوْر الحُضور تحقُّقِي ... فـي مشهـدي بعبـادة المعبـودِ
فهجـرت ذراتِ الـوجـودِ لأنهـا ... تَفْنَىٰ، وطبت بحضرة الموجودِ

* * *

وقلت مستفيضاً مَدَدَ الله، من ساحل بحر قلب رسول الله، عليه صلوات الله! بازّاً دُرَرَ الحِكَم الفرقانية، والمواعظ النبوية، بهذه القِلادة الجوهرية:

آمنـتُ بـالله الـوجـودُ كلُّـهُ ... سـواه يَفْنـى وهـو بـاقٍ لـم يـزلْ
فطهّـر القلـب لقـدسـه وكـن ... ممتثـلاً كتـابـه كمـا نـزلْ
وارض بنهـج الهـاشمـي منهجـاً ... فـإنـه المـأمـون مـن زيـغ الـزلـلْ
واعدل بحكم الشرع واعرف قدره ... ولا تصـاحـب يـا بُنـيَّ مـن عـدلْ

وقف على الباب ذليلاً خاشعاً ... قد عزَّ مَنْ لله بالإخلاص ذَلْ
ما لازم الإخلاص في أعماله ... مع التقى منقطع إلاَّ وصلْ
ولا ترَ القدرة في العبد وكن ... ذا عِبرة فالله يمضي ما فَعلْ
وما رميت إذ رميت إنه ... هو الذي رمى وبالنبل قتلْ
بالاضطراريّات معذور فكن ... بالاختياريّات زاكيَّ العملْ
وراقب الله إذا ما جئته ... لدى السؤال إذ عن الفعل سألْ
صحائفٌ حفيظةٌ شاملةٌ ... لكل ما زاد من الفعل وقلْ
واغنم بحسن الصُّنع أيّام الصِّبا ... فأيّ صُنع إن قَوي الحيلُ بطلْ
وخف من الله بقلب خاشع ... فإنما الخوف به يُنفى الكسلْ
وجانب الإهمال للذكر فمن ... أهمله يُكْتَبُ في صنف الهَمَلْ
وهِم بأهل الله واحفظ وِدّهم ... وخلِّ عنك رَبَّ زور قد عذلْ
وصر تقياً فالتقى لأهله ... كنز، وصاحب التقى هو البطلْ
والعقل في التقوى فمن جانبها ... مع الهوى إلى الضلال ما عقلْ
إيّاك والعصيان فهو نَزْغَة ... منها العذاب ولدى الناس الخجلْ
واستحكم الآداب شغلاً أبداً ... فخاسر بغيرها مَنِ اشتغلْ
ما تلك إلاّ شرع طَه المصطفى ... محمد سر الوجود المحتفلْ ﷺ
آدابه شريفة كريمة ... مضمونها على العنايات آشتملْ
من أحكم السير بها على هدىً ... ومن عداها ضل بالغيِّ وزَلْ
جامعة لكل خير بيِّن ... سوى طريقِها مُناط بالفَشَلْ
قد أسَّسَت للدِّين والدنيا معاً ... رصين حكم شامخ هو الجبلْ
مُنَزَّه في طَيِّه ونشره ... عن زعم ذي جُحد مُشاب بالعِللْ
يَقْصُر عن سرِّ عُلاه عقلُه ... ويفتري الزور سفيل ما وصلْ
قد يشهد العقل بأن شَرْعنا ... أشرفُ حكماً من شرائع المِللْ

على نماط الوِشع قام سرُّه مُنَزّه عن حَرَج وعن ثِقَلْ
لغاية الغايات شوطه انتهى ما ظَلّ للعقل به عسى وعَلْ
أسراره جلية أنوارها دولته بالعلم أعظم الدولْ
أحكمها الله تعالى شأنُه وإنه مُنَزَّهٌ عن المَثَلْ!
فطِبْ بها قلباً وخُذ ترياقها خَيْرَ دواء وشِفاء للعِلَلْ
فإنها للخير في تعريفها كالنوم ما مَسْكَنُه إلاّ المُقلْ
صلاة مولانا على صاحبها محمدٍ سِرِّ الورى كلِّ الأملْ
وآله وصحبه ساداتِنا أُولي الإغاثات إذا طَمَّ الْوَجَلْ
ما انبلج الصبح وما الليلُ دَجَا وما غمامُ الأُفْق بالسُّحْب هَطَلْ

* * *

وقلت وقت سهر، قُرْبَ سَحَر، أرقب الأثر، من حضرة القدر:

يا ربُّ قد سهر العيون تقرباً لك بالخشوع وقد أحاط بيَ الأمل
ولقد سألناك الهدى فامنن به فضلاً فإنك لا تخيِّب من سأل!

* * *

وقلت مُستميلاً أعلام القلوب، إلى رفارف الغيوب، آخذاً بالمطلوب، كافّاً عن سوى المحبوب:

طار قلب من ربه فتدلّت همة منه للجناب العظيم
وأناخت من بعد حطٍّ وشيل وعناءٍ مضنٍ بباب كريم
بشَّروه بعزة الوصل والسعـ ـد ونيل المطلوب والتكريم
هكذا الحادث الضعيف إذا ما طار بالصدق للقويِّ القديم

* * *

وقلت منقضاً من أُفق الحال إلى فيفاء المقام، أُمزّق بُردة الغيرية، وأنسج خِدْر صفاء النية، تقلُّباً بين الشروق المحمدي، والذوق الأحمدي، وإلى الله المصير:

هل العناية إلاّ أن ترى رجلاً ... ما فيه إلاّ إلى الخلاّق مقصودُ؟
العبد تعلو إلى المعبود همته ... وهل إلى العبد غيرُ الرب معبودُ؟
عبد الحوادث عبد في تَكَبُّله ... له مع البُعد إطلاق وتقييدُ
وعبد بارئه في ظل رأفته ... فظله بجناح العز ممدودُ
يبدي الشهود لأَهْلِيّهِ شموسَ هُدىً ... نَعَمْ وشاهد شمس الحُب مَشهودُ
يُفاض في قلبه نور يؤيّده ... فينجلي فيه وهو الدَّهْرَ مسعودُ
ومن دَهاه العمى عن نور مشهده ... فقلبه بظلام الصد مكمودُ
هذا بنور، وهذا الرَّد يَحْجُبُه ... وما سَوَاءً أخو نور ومردودُ
فقلِّد القوم يا هذا بسيرتهم ... فكم وكم جَرَّ للتحقيق تقليدُ
في القوم قوم كرام لا فُتور لهم ... ما الذكر عندهمُ في الوقت محدودُ
قضوا به جُهدَهم، ماتوا به ولهاً ... وما لهم غيرَ ذاك الجُهد مجهودُ
إذا رأوْا لمعة من طُور طالعه ... بها بغير عِنان نحوَها اقْتِيدوا
من كل قرم هِزَبْر خاشع وَلِهٍ ... له مع الليل ألحان وتغريدُ
شبّ الغرام به والشوق أقلقه ... إلى الحبيب وجيش الغَيِّ مطرودُ
يردّ وَهْم الأماني عن مطالعه ... إلاّ بمولاه نعم السعيُ محمودُ
يَرِنّ من قلبه أنٌّ يُزَحزحه ... عن الوجود ومنه القلب مفقودُ
يحاضر الحِبَّ لا يبغي به بدلاً ... فيه العجيبان: مفقود وموجودُ
له الليالي قد ابيضت لغارته ... أنعم بعبد قَدِ ابْيَضَّت له السُّودُ
يا عُرب وادي النقا! طال المطال بنا ... غِبْتم أطلتم حناناً رحمة عودوا!
بالجود أحيَيْتُموا الدنيا وضَرَّتَها ... فباللقاء علينا ساعة جودوا!

رَقَّ النظام لنا في مَدْحكم وحَلاَ … منه لدى الناس منظوم ومنشودُ
نظمي أنين وأشواق لطلعتكم … مطارحات بها نَوْح وتعديدُ
عُبَيْدُ أعتابكم منه الفؤاد على … أبوابكم منه قد تُلقى المقاليدُ
حديد قلبي بِلِيْن العشق ذاب بكم … فهل لواه نبي الله داوود ؟!
عهدي بكم ثابت يا قوم عهدكمُ … رفقاً فعهدي كما تدرون معهودُ
فكيف أصدر عن فيّاض زاخركم … وبحركم من صنوف الكون مَوْرودُ؟!
أَسْتَلْفِتُ البرق من أبراج دولتكم … كأنما فيه تقريع وتهديدُ
أما رأيتم إذا فرقانكم بفمي … تلوته فيه ترتيل وتجويدُ ؟
عواذلي حسدتني إذ وَلِعْتُ بكم … وكل ذي نعمة في الناس محسودُ
رأوا عليَّ شؤوناً من محبتكم … لها على لُبَّة الأشواق إقليدُ
فحاولوني بطيش يا لِخستهم … لواؤكم فوق أهل الحُب معقودُ
فَساعِدُوني برمش من مكارمكم … فبِرُّكم والنوال الجمّ مقصودُ
وبحركم ليس بالمعدود مائجه … وإنَّ قصديَ مقصود ومعدودُ
روحي تحاولني فيكم بلهفتها … لها انْحدار على ضعفي وتصعيدُ
رُدُّوا لها رَمقاً تحيى به لكمُ … ما تلك يا سادتي والله جُلْمُودُ!
سرٌّ لطيف وهذا الجسم ذاب به … فعنه باللطف سِراً سادتي ذودوا
مقام عاشقكم ذُلٌّ لكم أبداً … يا من مقامكمُ في الغيب محمودُ

* * *

ومنهم الشيخ الكبير، العارف الشهير، ولي الله، السيد تاج الدين أبو بكر الرفاعي ـ رضي الله عنه ! ـ

قال ابن حماد في كتابه «روضة الأعيان» عند ذِكره ما نصه: السيد تاج الدين أبو بكر، ابن السيد شمس الدين أحمد، بن السيد شمس الدين

محمد، بن السيد عبد الرحيم الرفاعي شيخ رواق «أُمّ عَبيدة»، الشافعي الشريف، الكبير الشَّأن، عَلاَّمة زمانه، ناهَزَ المئة ومات بأُم «عَبِيدة» سنة أربع وأربعين وسبع مئة.

قال شيخنا تقي الدين الواسطي في «ترياقه» حين ذَكر السيد تاج الدين: حَججت معه عام عشرين وسبع مئة، فلما تشرف بزيارة جَدِّه (ﷺ)، أنشد قصيدة، وكان الوقت وقت غروب، فلما أتمها، لمعت بارقة من حُجْرة النبي (ﷺ) كالشمس جَعلت الوقت كالنهار، وهذه هي القصيدة:

هذا الجناب الذي تُشفى به الكُرَبُ ... ويذهب البؤس والآلام والنصبُ
هـذا الجنـاب الـذي نشتـاقـه أبـداً ... هذا مُنى النفس هذا السؤل والطلبُ
فَعَفِّـر الخـدّ ذُلاً فـوق تـربتـه ... والثُم ثراه وخَلِّ الدمع ينسكبُ
وقَرَّ عيناً وطب نَفْساً وتِه فرحاً ... لقد بلغت الذي ترجو وترتقبُ
قد كنتَ صَبّاً بِه لا تستفيق جوىً ... يهزك الشوق من ذكراه والطربُ
إن هَبّت الريح من تلقاء كاظمة ... أو لاح برق الحمى تبكي وتنتحبُ
وإن تـرنَّـم حـادٍ رحـت ذا قلـق ... فالعقل مختبل والقلب مكتئبُ
ترعى نجوم الدُّجى وجداً وفرط أسىً ... والجفـن يهمـل والأحشـاء تلتهـبُ
هذا الحبيب الذي ترجو شفاعته ... فليهنك القرب! زال الهمّ والتعبُ
فاخلع على سائق الأظعان مُعتذراً ... حشاشة شفها التبريح والوصبُ
وهب له النفس شكراناً وما ملكت ... فذاك في حقه بعض الذي يجبُ
ها سلعُ ها نَجْدُ هاتيك القباب بدت ... هذا المحصّب هذا المنزل الخصبُ
منـازل كنـت تهـوى قُـربهـا أبـداً ... فالنوم شوقاً لها والصبرُ مُستَلَبُ
إنـزل هنيئاً مـريئاً خيـر منـزلـة ... علت فدون عُلاها السبعة الشُّهبُ
واقرأ سلاماً على المختار من مُضر ... من اهتدى بِهُداه العجم والعربُ

محمد خير خلق الله قاطبة المصطفى الطهر مَن زالت به الرِّيَبُ
أزكى النبيين أعلى الرسل منزلة من قد علت بمعالي قدره الرتبُ
طه البشير الذي تُرجى مواهبه ومَن زكى قوله والفعل والنسبُ
برّ رؤوف رحيم قد علا شرفاً من هاشم وبني عدنان مُنتَخبُ
وبشرت سائر الرسل الكرام به وأعربت عن معالي وصفه الكُتُبُ
له العُلا والنُّهى والفضل منتسب والعِلم والحلم والآلاء والأدبُ
إذا بدا فبدور التمّ كاسفة والبحر متصف بالنقص إذ يَهَبُ
بَنانه قصرت عن فيضها السُّحب وعنده عرف المعروف والحسبُ
أسرى به الله تشريفاً لرتبته وقال: سل فلك العلياء والأربُ
دنا وشاهد رب العرش وارتفعت من دونه حين ناجى ربه الحجبُ
وبالملائك صلى رِفعة وعُلى وهو الشفيع إذا اشتدت بنا النوبُ
أتى بمعجز قرآن غدا عجباً وكم له معجزات كلها عجبُ
تظله الشمس من حر النهار ولم تزل على رِفعة في ظله السُّحُبُ
وخمسة إذ تَشَكّى القوم من ظمأ غدت ومنها الزُّلال العذب ينسكبُ
وأطعم الجيش إذ باتوا على سغب نزر الطعام فزال الجهد والسغبُ
والبدر شُق له والوحش خاطبه والجود والبِرّ من علياه يُكتسبُ
وكان بالرعب والأملاك منتصراً ولم يزل لِعِداه الويل والحربُ
وانشق إيوان كِسرى عند مولده وأحرقت سارقي سمع السما الشُّهبُ
وأصبحت سائر الأصنام ناكسة من بعد عِزّ عَلاها الذُّل والعطبُ
في كفه سَبّحت صُم الحصى علناً والجذع حَنّ له إذ قام يختطبُ
نبيّ صِدق ورضوان ومغفرة لكل خير وإحسانٍ هو السبب
هو الذي جلّ أن تحصى فضائله حدّث عن البحر ماذا شئت لا عجبُ
هو الحبيب الذي سَحّت مكارمه هو الرسول الذي تعظيمه يَجبُ
هو الذي خلق الله الوجود له هو الذي فَضْله جاءت به الكُتُبُ

هو الذي طابت الدنيا بمولده ... هو النبيّ الذي عَزَّت به العربُ
هو الذي جاء بالبيضاء ساطعة ... هو النجي الصفي الفرد لا كذبُ
لـولاه لـم تكـن الأكـوان كـائنـة ... ولم يكن للورى نسك ولا قُربُ
شعاره الزهد والإجمال والرهب ... والذكر والفكر والإرشاد والرغبُ
صام النهار وقام الليل محتسباً ... ولـم يُشِـب جِدَّه لهـو ولا لعـبُ
تشرف الكون وانجابت حنادسه ... بِبَعْثـه وزهــت أبـوابـه القشــبُ
يا من يؤمّل أن يُحصي مدائحه ... لقد حكيت ولكن فاتك الشنبُ!
هــو الـذي نـزل القـرآن يمـدحـه ... فما عسى أن يقول الشاعر الدَّرِبُ؟!
إليكهــا يــا رســول الله زاهــرة ... من دونها لعُلاك الدُّرُّ والذهبُ
تجلو مناقبك الحسنى التي بهرت ... تثني القلوب وللألباب تختلبُ
وذو الـرجـاء أبـو بكـر منظمهـا ... عبد لبابك أَمْسَى وهو منتسبُ
فاشفع له كرماً يا خير ذي كرم ... ومَن فواضله في الكون تنسكبُ
وإن يبت منك يرجو العطف ممتدحاً ... فالصارم العضب بعد السل ينتدبُ
عبد بفضلك قد أمسى أخا ثقة ... علـى جميلـك بعـد الله يحتسـبُ
فكن له شافعاً فضلاً ومرحمة ... إذا جهنـم قـد جـاءت لهـا لهـبُ
ووالديه وجُد واشفع لهم كرماً ... فـإن فضلـك للـراجيـن مُقتـربُ
وأنت أرحم من لاذ المسيء به ... وخير من يُرتجى إن جلت الكُربُ
شوقي إليك شديد لا يفارقني ... حتى أُرى ساثراً والنعش لي قتبُ
صلى عليك إله العرش ما طلعت ... شمس وأصبح نجم وهو محتجبُ
ولاح بـرق أهـاج الشـوق لامعـه ... وهب نشر الصبا فاهتزت القُضُبُ
وآلك الغرّ والصحب الذين غدوْا ... هم السُّراة الكرام السادة النجبُ
أجلُّ آلٍ وصحبٍ فُضِّلوا شرفاً ... زكوا وطابوا فلا لغو ولا صخبُ
همُ نجوم الهدى والفائزون غداً ... مَن فَضلُهم والنهى يُملى ويُكتتبُ

* * *

وقد أرخه البرزالي والعسقلاني وأثنيا عليه، وذكره رجال عصره بالتعظيم.

يقول العارف بالله فضيلة الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني (رضي الله عنه!)، وهو تلميذ السيد محمد أبي الهُدى الصيادي الرفاعي (قدس سره ورضي الله عنه!):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هو الله لا نُحصي لآلائه شُكرا ... له الحمد في الأُولى له الحمد في الأُخرى[(١)]
وكيف نُؤدّيه بشكرٍ حقوقَه ... ونعمته بالشكر تستوجب الشكرا
وأشهد أنَّ الله لا ربَّ غيرُه ... وأنَّ له في خلقه النَّفْعَ والضرا
له كل ما قد كان أو هو كائن ... وما لسواه في الورى ذرة صغرى
ومهما يكن منهم ومهما يكن لهم ... فإن له في ذلك الخلق والأمرا[(٢)]
غنيٌّ على الإطلاق عن كل كائن ... وكل له بالفقر قد أحرز الفخرا
هم الكل مقهورون تحت قضائه ... ولن يقدروا أن يدفعوا عنهم القهرا[(٣)]
وكل فعال الفاعلين فعاله ... إذا فعلوا خيراً وإن فعلوا شرا
وليس لهم منهم سوى كسب فعلهم ... فنالوا به إثماً ونالوا به أجرا
لإحسانه كل الورى كلٌّ لمحة ... محاويج لولا لطفُه انعدموا فورا
وهم درجات يجتبي من يشاؤه ... فيمنحه قرباً ويمنحه بِرّا
ويختص من يختاره بشفاعة ... إذا شاء في الدنيا وإن شاء في الأخرى

---

(١) آلاؤه نعمه.

(٢) قال الراغب: يقال للإبداع أمر، نحو ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. ويختص ذلك بالله تعالى.

(٣) قال الراغب: القضاء من الله تعالى أخص من القدر، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع.

ومن يحجر الوهاب عن فيض فضله ... فلا رحم الرحمن من يزعم الحَجْرا(١)
وأشهد أن المصطفى خير رسله ... وأعظمهم فضلاً وأرفعهم قدرا
محمد المختار من مَعْدِنِ الورى ... كما اختار من بين الحصى الحاذقُ الدُّرا
عليه صلاة الله مقدار فضله ... صلاة تفوق العدَّ والحد والحصرا
وبعد فإني سقت نحو عُدَاتِهِ ... عساكر ترديهم وإن حُسِبَتْ شعرا(٢)
بإمداده أقسامها خمسةً أتت ... مُنَظَّمَةً قد أحرزت كُلُّها النصرا

❊ ❊ ❊

﴿القسم الأول في مدح الكتاب والسنة والأئمة الأربعة ومذهبهم رضي الله عنهم﴾

أتى المصطفى والناس في ليل غيِّهِم ... فأشرق في أفق الهدى بينهم بدرا(٣)
أتانا بدين فاق حكماً وحكمةً ... وقد قهر الأديان برهانه قهرا(٤)
أتى بكتاب الله للناس معجزاً ... وضمَّنَ كل العلم منه لنا سفرا(٥)
وكل علوم الخلق من كل عالم ... تُرى قطرة إن قابلت ذلك البحرا
وقد فَضَلَ القرآنُ كُلَّ مقالة ... كما فضل المولى خلائقه طرا
ولو قَصَدَتْ كل الخلائق فهمَه ... لما فهموا من عشر أسراره العشرا
بقدر التقى الله يُفْهِمُ سرَّه ... وما بسوى تقواه يفهمهم سراً

---

(١) رد على الوهابية المانعين الاستغاثة له تعالى بأصفيائه.
(٢) ترديهم: تهلكهم.
(٣) الغي: الضلال. والأفق: ناحية السماء.
(٤) الحكم: العلم والفقه والقضاء بالعدل. والحكمة: تطلق على المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس، وتستعمل الحكمة في أسباب تشريع الأحكام الشرعية وعللها. والبرهان: الدليل. والقهر: الغلبة.
(٥) السفر: الكتاب الكبير.

وسنته تِرْبٌ له وهي شرحه ... ومن جاء بالقرآن فهو به أدرى[(١)]
وما نطق المختار قط عن الهوى ... وما بسوى وحي له أعمل الفكرا
هما نَيِّرا أفق الهدى كلُّ مهتد ... يرى منهما الشمس المنيرة والبدرا[(٢)]
وما كلُّ معنىً منهما متعسرٌ ... لكل امرئ لكنَّ مع عسره يسرا
فما كان معلوماً من الدين ظاهراً ... فهمناه لا نحتاج تقليدنا حبرا[(٣)]
وما احتيج منه لاجتهاد فإننا ... بأحكامه نقفو أئمتنا الغرا[(٤)]
محمَّدٌ النعمانُ أحمدُ مالكٌ ... بحور علومٍ كم لنا قذفت دُرا[(٥)]
نجوم هدىً شمس النبي تمدهم ... بأنوارهم للناس ثَغْرُ الهدى أفْتَرا[(٦)]
لطاعة مولاهم وتقواه لازموا ... وصاموا وقاموا داوموا الفكر والذكرا
فَعَلَّمهم أحكامه من كتابه ... وأفهمهم من سنة المصطفى السِّرا
وأشهَدَهم ما لم يَرِدْ فيهما معاً ... بنورهما قاسوا على قدره قدرا
فأقوالهم منه وليس لهم سوى ... مظاهرِهم أجرى بها الله ما أجرى
وكل خلاف جاء عنهم فإنه ... لنا رحمة مع أنه قد أتى نزرا[(٧)]
فبعضٌ أتانا القول عنه مخفَّفاً ... وبعضٌ بقصد الأجر قد شدَّد الأمرا

---

(١) سنته (ﷺ) ما جاء عنه من الأحاديث. والتِّرب المساوي بالسن، والمراد هنا أن السنة النبوية هي مساوية للقرآن من حيث أخذ الأحكام الشرعية منهما.

(٢) النيّران: الشمس والقمر، وهما هنا الكتاب والسنة، الكتاب: هو الشمس، والسنة: هي القمر، فهي مستمدة من القرآن وشرحٌ له، كما أن القمر مستمدٌ نوره من الشمس.

(٣) الحبر: العالم.

(٤) نقفو: نتبع، والغر: جمع أغر وهو السيد.

(٥) قذفت الدر: أي رمت به إلينا.

(٦) الثغر: المبسم. وافتر: ابتسم.

(٧) النزر: القليل. وقد ورد في الحديث: اختلاف أمتي رحمة. نقله في «الجامع الصغير» عن عدة كتب معتمدة.

فكل على حق ومن قال بعضهم ... على خطأ قد قال إن له أجرا(١)
فما اختلفوا في الدين إلا لحكمة ... وما ابتدعوا في الدين نهياً ولا أمرا(٢)
أولئك أهل الذكر كانوا حياتَهم ... ومن بَعدِهم أبقى لهم ربهم ذكرا(٣)
وما القصد إلا علمهم وهو حاصل ... إذا خاطبونا أو قرأنا لهم سِفرا(٤)
بهم أمة المختار في دينها اقتدت ... مذاهبهم للحشر لا تَفْقِدُ النشرا(٥)
رواها بحسن الضبط عنهم أئمة ... وقد ملؤا الأقطار من نشرها عطرا(٦)
وما هي إلا من شريعة أحمدٍ ... جداولُ تجري كلُّ قوم لهم مجرى(٧)
وقد أشبه الإسلامُ بيتاً مربعاً ... عليها استوى قصراً وقام بها حصرا(٨)
مذاهبهم مثل المرايا صقيلة ... بها ارتسم القرآن والسنة الغرا(٩)

---

(١) رجح الإمام الشَّعْراني في «الميزان»: أن جميع الأئمة على حق. ورجح الأصوليون: أن المصيب واحد، والأجر ليس على الخطأ، وإنما هو على الإجتهاد الذي وقع فيه الخطأ، ولم يصادف الحق عند الله تعالى.

(٢) حكمة اختلافهم التخفيف من بعضهم والتشديد من البعض الآخر، فالتخفيف فيه التيسير، والتشديد فيه كثرة الأجر. وما ابتدعوا: أي ما اخترعوا من عند أنفسهم شيئاً.

(٣) قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ والذكر الحفظ، وهو القرآن، وأهله أهل حفظه، وأهل فهمه وهم الأئمة. والذكر الثاني في قافية البيّت معناه الصيت.

(٤) السفر: الكتاب الكبير. أي أننا يجوز لنا تقليدهم في حياتهم ومماتهم؛ لأن المقصود علمهم، وهو لم يمت معهم.

(٥) جميع الأمة المحمدية قد اقتدت في دينها بالأئمة الأربعة، ومن شذ عنهم من الفرق، فليسوا من أهل السنة.

(٦) النشر: فيه تورية؛ لأنه بمعنى الانتشار، وبمعنى الرائحة الطيبة.

(٧) الجداول: جمع جدول، وهو النهر الصغير.

(٨) استوى: قام، وقصرا: أي مقصوراً عليها، وفيه تورية بقصر البناء، وهو البيت المرتفع.

(٩) الغرّاء: البيضاء، أي الصافية من كل ما يشينها ويشوبها، والمذاهب الأربعة أحكامها كلها من الكتاب والسنة، إما صراحة، وإما دلالة؛ فإن القياس والإجماع لا يخرجان عنهما أيضاً في الحقيقة.

فأقوالهم آياته وحديثها ... بمعناهما لكن عباراتهم أخرى[١]
قد اقتبسوا من نور أحمد نورهم ... فبان لهم ما في شريعته أجرى[٢]
ومَنْ بَعْدَهُم جاؤا بمقدار بُعْدِهم ... عن المصطفى صار الظلام لهم سترا[٣]
بنسبة بُعْد الشمس يحصل نورُها ... لقوم غدا قُلاً لقوم غدا كثرا
وكل إمام جاء عنه وصية ... لأصحابه ما بينهم لم تزل تُقرا
﴿إذا صح قول المصطفى فهو مذهبي﴾ ... وما قلته من قبل فارموا به الجدرا[٤]
وما زالت الحفاظ من كل مذهب ... تحرِّرُه حتى غدا ذهباً نَضْرا[٥]
شريعة خير الخلق شمس منيرة ... وأنوارها قد عمت البر والبحرا
أضاءت بها الأكوان بعد ظلامها ... وكم ذا أمدَّتْ من أئمتنا بدرا
لقد أشرقت فيهم وفي كل مؤمن ... وأعطت لكلٍّ من أشعتها قدرا
ولكن بقدر القابلية نورها ... يكون قليلاً بالمقابل أو نزرا[٦]
وهل يستوي أن قابلت بشعاعها ... جواهرَهم أو أنها قابلت صخرا
وأجهل خلق الله من قال: إنها ... بإشراقها ساوت مع الحجر الدُّرا
وكم من إمام جاء في كلِّ مذهب ... كبير به قد أحرز المذهبُ الفخرا

(١) فأقوال الفقهاء: هي بمعنى الآيات والأحاديث من حيث الأحكام وإن اختلفت العبارات.

(٢) اقتبسوا: أخذوا أنوارهم من نوره (ﷺ) بالإرث المحمدي، فبان لهم بذلك النور ما أجراه في شريعته، وفي أجرى وشريعته. تورية.

(٣) قرب الأئمة منه (ﷺ) رجحهم على من بعدهم.

(٤) قد ثبت عن الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ! ـ أنه قال: إذا صح الحديث، فهو مذهبي، واضربوا بقولي عُرْضَ الحائط. وروي مثل ذلك عن جميع الأئمة رضي الله عنهم أجمعين!.

(٥) الذهب النضر: الخالص.

(٦) النزر: القليل.

وما منهمُ فرد بدعوى اجتهاده سمعنا له في غير مذهبه مسرى
بلى من طريق للولاية واضح يجوز بقاء الإجتهاد ولا حَجْرا(١)
وأما طريق الدرس بالنفس والهوى فكم أوصلت للسالكين بها شرا
قد اجتهدوا فيها بحكم نفوسهم فنالوا بها منها الكبائر والكِبْرا
نعم كل قرن يبعث الله فيه مَنْ يجدد أمر الدين ينصره نصرا(٢)
وذلك إمّا واحد أو جماعة بكثرة عِلم أو بِمَنْقَبَةٍ أُخرى
على الكل من مولاه هتان رحمة تُمازجُ منه الرُّوح والجسم والقبرا(٣)

* * *

وقال صاحب الفضيلة العلامة العارف بالله الشيخ عبد القادر القصاب وهو من خُلفاء السيد أبي الهدى ـ رضي الله عنهما! ـ في مدح الأئمة الأربعة والحث على الاقتداء بهم، والحض على طلب العلم والتماس رفقة الصالحين لمدارستهم فيه:

عِلم الإمام الأَنْفَسِ فيه حياة الأَنْفُسِ
إمامنا المقتَبَسِ من نور طه الأَقْدسِ

* * *

إمامُنا المطَّلِبي كريم أمٍّ وأبِ
له نفيس المذهب فاحفظ له ودَرِّسِ

* * *

(١) لا حَجْر: أي لا منع من بقاء الاجتهاد في أولياء الله تعالى.
(٢) القرن: هنا مئة سنة، وقد ورد: إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها. وقد ذكروا من المجددين بعض فقهاء المذاهب الأربعة ممن لم يدعوا الاجتهاد.
(٣) المولى: الرب، وهَتَن السحاب: انصب.

ومثلــــه بــــلا خَلَــلْ أبــو حنيفــة الأجَــلْ
كــذاك أحمــد البطــلْ ومــالــكُ بــنُ أَنَــسِ

. . . .

فكلهــم مــع صحبهــم علــى هــدى مــن ربهــم
فــاتبعْ لهــم وثــق بهــم واجــزم ولا تُــوَسْــوِسِ

❋ ❋ ❋

مــن كــان مــن أتباعهــم وكَــالَ فــي اتِّبــاعهــم
بِمُــدِّهــم وصــاعِهــم مُــوَفِّيــاً لــم يَبْخَــسِ

❋ ❋ ❋

فهــو الفتــى أخــو الهــدى وذو النَّــدى لــدى النــدى
والمقتــدي والمقتَــدَى والمــرتــدي والمكتســي

. . . .

يــا مــن لعلــم يــدعــي دع مــا تقــول وتــدَّعــي
واتبــــع ولا تبتــــدع وابــنِ ولا تُــؤَسِّــسِ

❋ ❋ ❋

فــالفضــل حقــاً والشــرف فــي الاقتــدا بمــن سلــف
والشــرُّ ينمــو والســرف فــي الابتــداع النَّجِــسِ

❋ ❋ ❋

يــا فــوز عبــد قــد غــرف وبفضــل غيــره اعتــرف
ومــا تعــدى وانحــرف عــن حــده المــؤسَّــسِ

❋ ❋ ❋

ومــن تعــدى وانحــرف عن باب مولانا انصرف
يظــن حقــاً مــا اقتــرف لــرأيــه المنتكــسِ

. . . .

والعلـــم لا يلمُّـــه كَـــلاً ولا يَشُمُّـــه
مَـــن فِكْـــرُه وهَمُّـــه فـــي مطعـــم أو مَلبـــسِ

* * *

العلـــم أعلـــى منفعـــهْ وخيـــر ذُخـــر أَوْدَعَـــهْ
ولا يُنـــال بـــالـــدَّعَـــة والنـــوم وقـــت الغَلَـــسِ

* * *

العلـــم عِـــزٌّ وشَـــرَف يُعْلي الفتى أَعلى الغُرَف
ولا يُنـــال بـــالتَّـــرف وفُـرُشِ خُضـرِ السُّنْدُسِ

* * *

بـــل بـــافتـــراش المـــدر وبـــاستنـــاد الحجـــر
وفتـــح بـــاب السهـــر وغَلْـــق بـــاب النَّعَـــسِ

* * *

وبـــركـــوب الخَطَـــرِ وَرَدِّ أَمـــر الضَّجـــر
وبـــاصطحـــاب السَّفَـــر للصيـــن أو أَنـــدَلُـــسِ

* * *

لا فـــي المنـــام يحـــدث ولا بِصِنْـــدِ يُحـــرث
وعـــن أبٍ لا يُـــوَرث ولا يُصـــاد بـــالقِسِـــي

* * *

شَـــرَكُـــهُ المشـــاركـــة وكثـــرة المـــداركـــة
مـــع رفقـــة مُبـــاركـــة لهـــم طـــويـــل النَّفَـــسِ

* * *

نســـأل مـــولانـــا الـــرضـــا واللطـــف فيمـــا قـــد قضـــى
والعفـــو عمـــا قـــد مضـــى والطُهـــر بعـــد الـــدَّنَـــسِ!

* * *

يـا مـن بـرانـا وذرا وعـزَّ مجـداً وذُرا
صلِّ على خير الـورى طـه الـرسـول الأَقْدسِ!

* * *

وآلِـهِ الأطـاهِـرِ وصحبـه الأكـابـر
مـا قـال عبـد القـادر : عِلـم الإمـام الأَنْفَسِ

* * *

وقال قدس سره:

إن الإمـام القُـرشـي الشـافعـي أرجـو غـداً بـأن يكـون شـافعـي
وسَيِّـدَان حَـرَّرَا مـذهبـه همـا الإمـام النـووي والـرافعـي

* * *

يقول السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي ﴿قدس سره، ورضي الله عنه!﴾:

قلت مشيراً لحصول الرِّفد، من أُولي النور في القرب والبُعد:

إن الكـرام بـريشهـم لعبيـدهـم يسمـو لأكنـاف السِّمـاك جنـاحُ
أجسامهم تُطوى ولكن لم تزل تقضـي وتمضـي بعـدهـا الأرواحُ
الله أيَّـدهـا بحكمـة أمـره يُعطـي ويَمنـع والنُّقـول صِحـاحُ

* * *

وقلت أشرح مُتون آيات امتنّ بها الكريم الوهاب، على ساداتنا الأربعة أصحاب النبي الأوّاب، الذين هم رجال دولته (ﷺ)، والخُلاصة بعده في العالَم:

يا جاهلاً حِكمة المطويّ في القَدَر وسِرَّ ما ناله موسى مع الخَضِر
إِحفظ فؤادك واحضر واغتنم أدباً من سر ما أودع الفرقان في السُّوَرِ

ولا تكن ذاهلاً عن نور شارقة | أقامها النص في برج من الخِيَرِ
واذكر شؤون أسارى بدر إذ وقعت | معنى الفناء لتمحو ظلمة الغِيَرِ
واذكر يداً بايعت عن غائب حشم | بهـذه يـد ذاك السيـد الـوقـرِ
واذكر مؤاخاة أقوام وكن بَصِراً | فذي المؤاخاة فيها عِبرة البَصِرِ
واذكر إذ استسقى فاروق الرجال بمن | أجلَّـه ووفـود السُّحـب بـالمطـرِ
واذكر شرائف أوقات مجالسها | بطرفة قد تساوي طائل العُمُرِ
قد أحكموها مع المختار خالية | بالقلب والأُذن يا ذا العين والنظرِ
القلـب منهـم روى عنـه حقـائقـه | والأُذن تنقل ما قد نص من خبرِ
والعيـن تشهـد نـوراً منـه مُنبلجـاً | لـولاه لـم تبهـج الأبـراج بـالقمـرِ
أصحـاب دولتـه أسيـاف بَعْثَتِـه | أرباب نوبته في البدوِ والحَضرِ
أئمـة شـرَّف الله الـوجـود بهـم | فعطَّـروا صُحُف الأكـوان بـالسِّيَرِ
روح الشريعة مضمار الحقيقة في | طور الطريقة والمجلى لكل سَري
أبـواب علـم رسـول الله مشهـده | ونـور طلعتـه البـادي لمعتبـرِ

. . . .

فصدقه قام في الصديق رونقه | وعدله قد بدا في المحضر العُمري
حيـاؤه سـار فـي عثمـان بـارقـه | وعـزمـه بـالعلّـي الأنـزع الحَـدِرِ

. . . .

شموس معراج قلب في رفارفه | مطالع العِلم قد سحّت على البشرِ
مـن كـان حـال رسـول الله رونقـه | فأين فيه مجال النُّطق والفِكَرِ؟
طوى بهم همة لو لامست حجراً | لفاض ماء الهدى من ذلك الحجرِ
ولـو تجلّـت معـانيهـا علـى وتَـرٍ | لغالَب الرعد طوراً نغمة الوَتَرِ
ولو بدت لصغير ضمن عقدته | لـرد حُجـة أهـل العِلـم والكِبَـرِ
ولـو أُقيمـت بمـاء لا نُبـرى علنـاً | وأجَّ من موجـه مقباسـة الشَّـررِ

ولـو أفيـض لفـردٍ عـاجـز لجرى ... ليثاً مُريعاً صفوف العسكر الخَطِرِ
مناقب جُمعت في أربع عظُمت ... آيـاتهـم فـوق الاستـدلال والنظـرِ
فـي حُكـم نقطـةٍ مطـويٍّ مُنسّقـة ... أســرارهــا بنمــاط أيّ منتشــرِ
محمـدٌ عِلَّـة الأكـوان أيّـدهـم ... بعـزمـه فَعَلَـوْا بـالسـر والصُّـوَرِ
له قد اختارهم في الغيب خالقهم ... فهم أتوْا بعده سعياً على الأثرِ
لما انجلت من ضمير الكون صورته ... هم انجلوا كانجلاء الأنجم الزُّهرِ
هل قبلهم كان أو من بعدهم رؤيت ... أشباههم فانظرِ التاريخ واعتبرِ ؟
جــلاهمــوا الله أقمــاراً لسيِّــدهــم ... شمس الهدى المصطفى الممدوح بالسُّوَرِ
حكم التطابق من شمس إلى قمر ... أتـى بسـرٍّ ببطـن الغيـب مُستتـرِ
فهـم لمظهـره الطيّـار أجنحـة ... بحبهم أنت للمولى الكريم طِرِ
عليهـمُ أبـداً فـي كـل آونـة ... أزكى التحايا بنشر طيّب عَطِرِ
ما طاب محضرهم قِدماً ومخبرهم ... وما روى الكون عنهم طيِّب الخبرِ

* * *

وممَّن وَشَّى بمديحه برودَ الطروس، وأهدى من لطيف نظمه للقلوب ما تشتهي إليه النفوس، جناب مولانا صاحب السيادة والسماحة **﴿السيد محمد أبو الهدى أفندي الصيادي الرفاعي﴾**، لا زال بهذه الفرائد جميل المساعي! حيث قال:

كيـف لا تـزدهـي بنـا العليـاء ... ولنـــا المجـــد طينـــةٌ ورداءُ
أمّـة خيـر أمّـة أخـرجـت للنـ ... ـــاس والنـاس بعـدهـا أكفـاءُ
قام منها في الأعصر السود أقما ... رُ رجـال لهـا الشمـوس حـذاءُ
كـأسـود الشرى كنوز عقـول ... طُـويـت فـي منشـورهـا الآلاءُ
خُلَّصٌ من جحاجح الشوس غُرٌّ ... علمـــاء أئمـــة حُكمـــاءُ
كـم تَـردّوا مـن العجـاج ثيابـاً ... أبطنتهـــا ديبـــاجـــة حمـــراءُ

وتَغَشَّوا بالبيض والسُّمر في سا حة نقع غِشاؤها الأمعاءُ
أرهبوا الأرض حين صالوا وظَلَّت تشكر الأرض فعلهم والسماءُ
ولكم حين ما رحى الحرب دارت سجدت حال أرعدوا الهيجاءُ
وتساوى لطاعة الأمر منهم في الورى الأقرباء والبُعداءُ
وإذا هدَّدُوا فخشية مَسن في دارهم والبلاد طراً سواءُ
فتحوا مغلق النواحي وصانوا أهلهم أن تمسهم بأساءُ
وقضوا في الأنام عدلاً فنعم الـ قوم أهل القضاء ونعم القضاءُ
ومحوا سنة الجهالة بالعلـ م وخَلَّت سفسافها السفهاءُ
قوّموا بالسيوف عوج قلوب وبهذا تُقَوَّم العوجاءُ
وبعدل كالشمس شَقوا رداء الظ لم والظلم ظلمة سوداءُ
كلهم في الحروب لله والمحـ راب نار وروضة غناءُ
قلبوا عين عُصبة الجحد إيما ناً متيناً وهكذا الكيمياءُ
نصروا شِرعة الإلّه ونابوا عن نبي عَزَّت به الأنبياءُ

. . . .

الحبيب الذي تألق بدراً في سما الغيب والوجود هباءُ
والذي عز بالنبوة إذ آ دم قبل البروز طين وماءُ
شرف المرسلين معنى نصوص لاح منها المحجة البيضاءُ
باسم الثغر حين تُبْكي الكُمَاةَ الـ ـهُصُرَ المدلهمةُ الدهماءُ
نسخة الختم منتقى وسط المجـ ـد الذي فيه أبدع الإبداءُ
نكتة الأصل روح جسم فروع الـ ـكون نور بهديه يستضاءُ
طلسم العلم في ضمير جناب أحرزت علمها به العلماءُ
كان كل الأنام بالجهل أموا تاً فوافى وهاهمُ أحياءُ
فبأخذ العلوم عنه عليه اللـ ـهُ صلى كل الورى شركاءُ
أذعن العالمون طراً فما ضـ ـر لجهل لو كابر الأغبياءُ

هو سيف للحق أصلته اللـ ـهُ به صين أنفس ودماءُ
هو حصن قوامه الحق والعد ل رصين لاذت به الضعفاءُ
هو للاعتصام حبل وللا جيءِ ذخر وللقلوب شفاءُ
في مقام الإحسان نال مقاماً طال مالابتدا سناه انتهاءُ
ثم لما دنا به فتدلى وتدلت عن شأوه النظراءُ
وله انحط كل ركن عظيم من عُلاهم وكلهم عظماءُ

. . . .

ماثل الأنبياء من تابعيه الـ ـعلماء الأفاضل الصلحاءُ
مظهر باهر درته صنوف الـ ـناس بل والحجارة الصماءُ
وأنينُ الجذع الذي حينما أ نَّ بكى القوم آية زهراءُ
وبكفيه هلل الماء لما هلَّ منها وسَبَّح الحصباءُ
وقد انشق في العُلا القمر الطا لع والناس كلهم شهداءُ
وتجلت من نطقه كلمات خرست عن تنظيرها البُلغاءُ
هي آيات حكمة بينات سهمُ مَنْ رام نِدَّها الإعياءُ
أتُرى أن يكون مثل نزيح الـ ـجُب زخّار سيلها الدأماءُ ؟
كم تلاها تال فأزعجت الحـ ـساد هزأً لطولها الرُّحَضَاءُ
يا له سيدٍ لدى قاب قوسيـ ـن لِأَنْعَالِهِ البساطُ وطاءُ
دينه رحمة وفقه وصدق وكمال وحشمة وحياءُ
وجلال وسيرة كلها عد ل وعقل وعزة ووفاءُ
ترتع الشاة لم تخف لاسمه الذئـ ـبَ وضَمَّتْ كليهما الصحراءُ

. . . .

لا نبالي تغيّر الدهرِ إنّا قام فينا بأمره الخلفاءُ
قادة الناس كلها الراشدون الـ ـحكماء الأعاظم الأتقياءُ
شيخ كُبارهم أبو بكر الصـ ـديق من طاب مدحه والثناءُ

عَلَم المسلمين من وافق الأقـ ـــدار في رفع قدره الآراءُ
والذي أجج الفَضَا لذوي الر دَة حربـاً وهابه الأعداءُ
وحمى بَيْضَة الحنيفية السمـ ـحاء فاعتز باسْمه السمحاءُ
خالد بن الوليد كان أميرَ الـ ـحرب عنه وهكذا الأمراءُ
قاد للدين مُرغِماً كل صعب قام في نفسه الجفا والإباءُ
وبصدق الصديق أيده الله فكانت طوعاً له الأشياءُ
إنَّ هذا العتيق لا زال مرضـ ـياً إمامٌ أطفاله الكبراءُ

. . . .

ناب من بعده أبو حفص الفا روق فالدين زانه إعلاءُ
أحكم الحُكْم والشريعة والعد ل وعاشت بِرِفْدِهِ الأنحاءُ
مَهَّد المُلك والبلاد وزالت بمعالي أحكامِه الحوباءُ
هو صمصام دولة شُيِّد الديـ ـن بماضيه واستقام البناءُ
أيُّ قطر ما فيه غرباً وشرقاً من فتوحاته يد بيضاءُ ؟

. . . .

والإمام الجليل عثمان ذو النو رَيْن رب المكارم المعطاءُ
صهر خير الورى ولا بدع أصها ر نبي الهدى هم الفضلاءُ
صاحب الفضل والحيا والمعالي والذي حَفَّه السَّنَا والسناءُ
صابر القوم راضياً قدر الله ليُعطى ما أُعطي الشهداءُ
يا لطود من التقى زَيَّنَتْه شيم ما لعدها استقصاءُ

. . . .

وعليٌّ الكرار مَن باسْمه السر وفي الغيب تُذكر الأسماءُ
هو زوج الزهرا البتول ولا شـ ـك عَليٌّ من زَوْجه الزهراءُ
زوجه فاطم وأبناؤه الزُّهـ ـر الفحول الأئمة الأوصياءُ
كم بحطم الصفوف في يوم صِفيـ ـن استغاثت من ضربه الرقباءُ

ولدى النَّهْرَوانِ أثنت على صمـ ـصامه من طيورها الخمصاء
وبيوم الغدير أثنى عليه الـ ـمصطفى والثنا هناك دعاءُ
هو في شأنه له مكرمات ذكرتها الآيات والأنباءُ
أي فضل يُحكى لَعَمْرُكَ عنه وهو للفضل مَرجع وَوِقاءُ ؟
سهم فتك أبو الحسين وكم ضا ق بأعدائه المدا والفضاءُ
أسد الله صاحب الفتق والرتـ ـق ومَن خُرس بابه الفصحاءُ
والذي تَبْهَتُ العقولُ إذا ما قام يحكي وتذهل الخطباءُ

. . . .

وبنوه الأئمة السادة الأعـ ـيان أقمار ديننا الأصفياءُ
أخذوا مشرب الحقيقة عنه فهم العارفون والنجباءُ
هم إلى الحق سُلّم الخلق للقر ب وهم عند ربنا شفعاءُ
كلهم مرشد جليل وشيخ موصل ما أصابه شنعاءُ
ما انطوى عارف لَعَمْرِك إلا منهمُ جاء بعده عرفاءُ
عصبة بعضها كبعض إذ الآ باء تأتي كحالها الأبناءُ

. . . .

هذه سيرة الإمام الرفاعي سُنَّة لو دَرَيْتَها غرّاءُ
ناب عن جدّه عليٍّ وعن خيـ ـر البرايا وطبعه الإقتفاءُ
كم له من كلامه خارقات حار في نسج سبكها العقلاءُ
والنبي الكريم أكرم مثوا هُ ومُدَّت له اليد السمحاءُ
غبطته الأملاك في الملأ الأعـ ـلى وأهل المعارج الأولياءُ
فامتطى تابعوه ذُرْوَةَ عِرفا ن وباهت بمجده الشُّرفاءُ
وتَلقَّى عنه المعالي رجال فقراء لربهم أغنياءُ
خدموا منهج النبي فسادوا في البرايا فكلهم أمراءُ

. . . .

رب إني باسم الرسول أناجيـ ـك وما خاب بالرسول الرجاءُ
وبأصحابه وآلٍ وأتبا ع بهم طاول السما الغبراءُ
لا تدعني أسير ذنبي وهل للـ ـعبد عزم إذا ثناهُ القضاءُ ؟
وتدارك باللطف يا من بطرف الـ ـعين إن شاء تُكشف الجُلاءُ
وأغثني بنفحة تصلح الشأ ن فقد بَرَّحَتْ بيَ الأدواءُ
أنت بالفضل تجبر الكسر والدا ءُ له من ندى رضاك دواءُ
يا إلهي إني ضعيف وماذ لَّ بناديَ إحسانك الضعفاءُ
حَيِّني بالقَبُول فضلاً وإلاّ طحنتني من البَلا الأرحاءُ
يا نصير اللاجين يا عمدة الرا جين يا من يُمضي كما قد يشاءُ
يا حكيماً بأمره تتدلى للبرايا الضراء والسراءُ
صَفِّ سِرّي بنظرة الفتح إني نازعتني بجيشها الأهواءُ
واكفني وصمة الذنوب فمنها عينُ قلبي مطموسة عمياءُ
أنت نعمَ الكريم! حاشاك يُخزى من له من نوالك استجداءُ
قد دعوناك يا غني وإنا لك يا منتهى الرجا فقراءُ
نَفِّس الكرب يسر الأمر يا من هو باقٍ والحادثات فناءُ

. . . .

وعلى الهاشمي صَلِّ وسلم ما أدلَهَمَّ الدُّجا ولاح الضياءُ
وعلى الآل والصحابة ماهـ ـبَّت على الكون نسمة خضراءُ
وانطوى بارز وقام كمين وتوارى من الظهور الخفاءُ

* * *

وقال جناب صاحب السماحة الشيخ الأفضل، السيد محمد أبو الهدى أفندي المبجل، مادحاً حضرة جده السيد أحمد الكبير الرفاعي، وحضرات إخوانه الثلاث أصحاب الأخلاق الدماث ـ رضي الله عنهم ! ـ:

نزه جنابك عن مقال القاصر واسلك طريق القوم غير مكابرِ

واحفظ مقادير الشيوخ فإنهم ... فازوا بمعرفة الكريم الغافرِ
سلكوا طريق الهاشمي محمد ... وتشبثوا قلباً بذَيل الظاهرِ
وتسلقوا بعد الصحابة ذِرْوَةَ الـ ... ـعليا وطالوها بعزم باهرِ
وتسلسلوا حتى لعهد الأربع الـ ... أقطاب قادات الطريق الطاهرِ
أعني الرفاعي الذي آثاره ... ظهرت لباد في الأنام وحاضرِ
علم الشيوخ هزبر غابات الهدى ... غوث الوجود بكل خطب قاهرِ
سلطان كبكبة الأكابر تاجهم ... فحل الرجال بسيرة ومآثرِ
خضعت لهيبته الأُسود ورد حـ ... ـدّ السيف مقلوب النصال الباترِ
والنار تخمد والسموم كأنها الـ ... ـماء الزُّلال لوارد أو صادرِ
وسما بلثم يمين خير الأنبيا ... رُتباً عَلَت هام الهلال الزاهرِ
وأتى بأخلاق تَوَرَّثَها عن الـ ... ـمختار والسلف الشريف الفاخرِ
وروى عن الطهر البتول نيابة ... وعن الحسين وشبله والباقرِ
أخذ التواضع والخضوع طريقة ... قامت حقيقتها بركن عامرِ
هو أوّل الأقطاب منزلة إذا ... حُدَّت منازلهم بغير تفاخرِ

. . . .

واذكر أخاه الباز سلطان الحمى ... عين الرجال الغوث عبد القادرِ
شيخ تطيلس ظاهراً بمفاخر ... دلت على حال الغَنيِّ الشاكرِ
وافى لها بعد السلوك بحالة ... قد حملت عبء الفقير الصابرِ
وبها انجلى مثل العروس بحُلَّة ... حسنية قد رُصِّعت بجواهرِ
سارت مآثره مسير الشمس في الـ ... أقطار ظاهرة لعين الناظرِ
هو غوثها المندوب يوم مُلمَّة ... ولكسر مُضنى الكرب أكرم جابرِ
كم من عنايات له ومكارم ... وعوارف وأشائر وبشائرِ
شهدت له كل الرجال بأنه ... غوث الضعيف على الزمان الجائرِ

شيم عن الكرار والحسن ابنه   وصلت له من كابر عن كابرِ
أحواله في الأولياء شهيرة   وجميله أمواج بحر زاخرِ

. . . .

واذكر أخاه السيد البدويّ مَن   تُروى غرائب سره بتواترِ
غوث البرية أحمد المولى أبو الـ   ـفتيان ذو الشرف العظيم الظاهرِ
هو ملجأ العاني الأسير وموئل الـ   ـلاجي الكسير ورُكن ظهر الحائرِ
ما أمَّ مشهده الكريم عُوَيْجِزٌ   إلا وقابله بعزم ناصرِ
أمضى السلوك على السطوح بغيبة   تركته للأُخرى بحال الحاضرِ
شأن وأحوال لصولته سرت   في الخافقين على جناح الطائرِ
موروثة عن جدّه المولى الحسيـ   ـن وأُفرغت فيه بفيض وافرِ
رفعت له بين الأكابر راية   تسمو على فلك الأثير الدائرِ
لله من سلطان برهان علت   أحكام دولته بغير عساكرِ
تبعته قادات الشيوخ تمسكاً   بجنابه والقوم أهل بصائرِ

. . . .

واذكر أخاه السيد الغوث الدسو   قي الحسيني الحمى للعاثرِ
ذو الفتق والرتق الذي ساد الأولى   وعلا بصيت في البرية سائرِ
دانت له أهل الكمال وأصبحت   تثني عليه صدروها بمحاضرِ
وبشوكة التصريف ضربة عزمه   كم مرة قطعت حبال الفاجرِ
هو قطبها المخطوب للخَطب الذي   يلوي الرقاب قراع بأس غادرِ
مولى من السادات أهل البيت أعـ   ـيان الوجود بباطن وبظاهرِ
قطب تسلسل في البرية مجده   من طاهر عن طاهر عن طاهرِ
تُجلى به الكُرب الثقيلة والرضا   برحابه سهم الفقير الزائرِ
مولاي إبراهيم غوثُ زمانه   بحبوحة الإحسان وَبْل الماطرِ

هو رابع الأقطاب مَن أبوابهم ملجا العُفاة بكل هول صادرِ
وهمُ لدى أهل الحقيقة واحد والكل من بيت النبي العامرِ
صلى عليه الله ما لمع الضحى وبَدَت كواكب آله للباصرِ

❊ ❊ ❊

﴿ترجمة جناب الناظم﴾
﴿السيد محمد أبي الهدى الصيادي﴾

رجل تدفق فضلاً وعلماً، وتجسم فهماً وحزماً، قد أعارت الصَّبَا والشَّمْأَلُ لُطْفَ نسيمها إلى شمائله وطباعه، وحسن أوضاعه، ودَرَّت عليه ـ وهو في مهد النجابة ـ أفاويق ثدي العواتك لارتضاعه، وأعار البرق إلى وَقَّادِ فِكره سُرْعةَ وميضه، وأهداه زخار بحر العلوم، وتيار المنثور والمنظوم، بسيط طويله وعريضه، يتوقد ذكاء، ويتردى بالسنا والسناء، يلوح على أساريره نور النجابة الهاشمية، ويفوح من تقاريره مسك الطريقة الرفاعية، وعبير المحجة الأحمدية:

نور النبوّة في أسِرَّة وجهه يغني اللبيب عن الطراز الأخضرِ
تلقاه في ثوب السيادة صَدره بحر ويقذف من صحاح الجوهر

❊ ❊ ❊

عاشرته فرأيته جامعاً لأشتات المعالي، وناظماً لمنثور سلك اللآلي، قد أتقن المعقول والمنقول، وحوى من كل باب سائر الفصول، فلله دَرُّه من رجل قد أحاط بعلم الباطن والظاهر، فكانت صدور فهمه لتلك العلوم نعم المصادر!، لكل وارد وصادر، فَحَرِيٌّ بأن يُسمَّى: بذي الجناحين. طائراً تحت راية أبي العلمين.

فهو المشار إليه بالبنان، من كل إنسان، حيث قد تفتحت أكمام أخلاقه

عن الأزهار الأدبية، وتأرجت جونة سجاياه بالنوافج المسكية، قد بلغ من العلوم منتهاها، ومن المراتب العلمية أقصاها وأعلاها، أقلامه إن حَبَّرت حَيَّرت، أو بسطت سطت، وهمته إن عاونت ماوَنَتْ، أو وَصَلَتْ ماصَلَتْ، أونَوَّهت ماوَهَتْ.

ليـــس علـــى الله بمستنكَـــرٍ أن يجمـع العَـالَـمَ فـي واحـد

* * *

وبالجملة فإنَّ هذا الذات، الكامل الصفات، قد انطوت فيه محاسن الكمالات، واتسم بأحسن السمات، قد دَوَّنت خلفاؤه مُفَصَّل حاله، من حله وترحاله، خصوصاً ما أَلَّفه الفاضل الأديب السيد محمد أفندي ابن السيد عمر أفندي الحريري، شيخ السجادة الرفاعية بحماة الشام المحمية، من ترجمة جناب المولى المشار إليه، وسماها: «الذيل الجميل». لكتابه «قلائد الزبرجد»، وها نحن نذكر منه مختصر ما حرره الحريري، ناسجين من بروده ما لا بد من العلم به، ومطرزين من سندس منقولاته، ولطف مقولاته، مالا ينبغي الاستغناء عنه، بل يلزم الوقوف عليه؛ وإلا فهو أظهر من نار على عَلَم، وأشهر من تَذَكُّر جيران بذي سَلَم.

أســاميــا لــم تــنــزده معــرفــة وإنمـــا لـــذةً ذكـــرنـــاهـــا

* * *

فهو السيد الشيخ أبو الهدى، محمد أفندي الصيْادي، ابن السيد الشيخ حسن وادي أفندي، شيخ الرواق العالي الصيادي، ومقتدى الرفاعية، بالديار الحلبية، ابن السيد علي، بن السيد خُزَام، بن السيد الشيخ علي الخُزَام، دفين «حيش»، ابن السيد الشيخ العارف حسين برهان الدين، بن السيد عبد العلام، بن السيد عبد الله شهاب الدين الزبيدي البصري، ابن السيد محمود الصوفي، ابن السيد محمد برهان، بن السيد حسن أبي محمد الغواص دفين «الشام»، ابن السيد الحاج محمد شاه، ابن السيد

محمد خُزَام دفين «الموصل»، ابن السيد نور الدين، بن السيد عبد الواحد، ابن السيد محمود الأسمر، ابن السيد حسين العراقي، بن السيد إبراهيم العربي، بن السيد محمود، بن السيد عبد الرحمن شمس الدين، ابن السيد عبد الله قاسم نجم الدين، بن السيد محمد خُزَام السليم، بن السيد شمس الدين عبد الكريم، بن السيد صالح عبد الرزاق، بن السيد شمس الدين محمد، بن السيد صدر الدين علي، بن القطب الجواد، سبط الإمام الرفاعي مولانا السيد عز الدين أحمد الصياد، بن السيد مُمَهِّد الدولة عبد الرحيم، بن السيد عثمان، بن السيد حسن، بن السيد عَسَلة، بن السيد الحازم، بن السيد أحمد، بن السيد علي المكي، ابن السيد رِفَاعَةَ، ويقال له: «الحسن» نزيل المغرب، ابن السيد المهدي، بن السيد أبي القاسم محمد، بن السيد الحسن، بن السيد الحسين، بن السيد أحمد، بن السيد موسى الثاني، بن السيد إبراهيم المرتضى، بن السيد الإمام موسى الكاظم، بن الإمام جعفر الصادق، بن الإمام محمد الباقر، بن الإمام زين العابدين، بن الإمام الحسين السبط شهيد كربلا، ابن الإمام الغالب حضرة سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وزوجته المكرمة الزهراء البتول، بَضْعة المصطفى خير نبي ورسول.

قوم من الشم الأُنوف تورثوا　　　مجد السيادة كابراً عن كابر

* * *

لقد ولد (حرسه الله تعالى!) سنة الألف ومئتين وستة وستين، لثلاثة أيام خلت من شهر رمضان المبارك «بشيخون» من أعمال «معرة النعمان»، وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين، ثم شرع بالكتابة فمهر، وأخذ يتلقى العلوم العقلية والنقلية عن أفاضل الرجال الأعيان، فأتقن فنونها كمال الإتقان، وأحسنها كل الإحسان، ثم تشرف بلبس الخرقة والخلافة الرفاعية من يد والده الطاهر السر السيد الأفضل المتقدم الذكر، وله إجازتان ـ أيضاً ـ بطريقتهم العلية الرفاعية الصيادية:

ـ فالأولى: لبسها بإذن والده من شيخه وابن عمه السيد الشيخ علي خير الله الرفاعي الصيادي شيخ المشايخ بحلب.

ـ والثانية: من حضرة شيخه الأجَل، الولي الأكمل، مولانا السيد الشيخ محمد بهاء الدين مهدي الشيوخي الصيادي الرواس.

لبس منه الخرقة عام تشريفه بغداد، وتمم السلوك على يده، وأخذ عنه العلوم الشرعية والتصوفية، فعاد مصحوباً بالسلامة للديار الحلبية، وبعد رجوعه ببرهة يسيرة حضر إلى القسطنطينية مركز الخلافة الإسلاميةُ، فنشر بها عَلَم الطريقة العلية، وانتسب إليه أفاضل الناس، وعاد منها بنقابة جسر الشغور، من أعمال حلب، ثم بعد برهة يسيرة تولى نقابة الأشراف بحلب، وفي تلك الأثناء لا زال يحضر إلى إسلامبول ويترقى بالتدريج إلى المراتب العلمية، حتى بلغ خبره مسامع حضرة أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين، خادم الحرمين الشريفين، ومالك أزمة المغربين والمشرقين، ناشر ألوية الشريعة الغراء، وباسط الكف البيضاء للأغنياء والفقراء ﴿السلطان الغازي عبد الحميد خان﴾ خلد الله خلافته إلى آخر الدَّوَران!

فأحضره لديه، وعطف عليه، وقَلَّده مشيخة المشايخ في دار الخلافة العلية، وألحقه إلى رتبة قضاء العسكر، التي هي مُنتهى المراتب العلمية، ومع هذا لا زال عاكفاً على خدمة الشرع والطريق بأحسن سلوك وأقدم طريق، مواظباً على التأليف، ومشتغلاً بغُرر التصانيف، حتى إنه ألف الكتب الجليلة الكثيرة، والرسائل اللطيفة الوفيرة، وقد انطبع منها الأكثر، فجاء ذلك الطبع موافقاً للطبع، على ألطف وضع.

﴿فمنها﴾: كتاب «ضوء الشمس في قوله عليه الصلاة والسلام بُني الإسلام على خمس»، ﴿ومنها﴾ «قِلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر»، ﴿ومنها﴾ «فرحة الأحباب في أخبار الأربعة الأقطاب»، «وحديقة الفتح في ذكر الشطاحين والشطح»، و«غنية الصادقين في طريقة

الصالحين»، و«غنيمة الطالبين في سلوك طريقة المشايخ العارفين»، و«الجوهر الشفاف في طبقات السادة الأشراف»، و«تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار»، و«سلسلة الإسعاد في تاريخ بني الصياد»، و«داعي الرشاد إلى سبيل الاتحاد»، و«هداية الساعي في سلوك طريقة الغوث الرفاعي»، ورسالة في «التواتر»، و«الفجر المنير فيما ورد على لسان الغوث الرفاعي الكبير»، و«الصباح المنير في ورد شيخ الأولياء السيد أحمد الرفاعي الكبير»، و«ديوان الفيض المحمدي والمدد الأحمدي»، و«كتاب الصراط المستقيم في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم»، و«الحقيقة المحمدية في شأن سيد البريّة»، و«المدد النبوي في بيان حكم العهد العَلوي»، و«روح الحكمة فيما يجب من الأخلاق على هذه الأمة»، و«المدَنِيَّة الإسلامية في الحكمة الشرعية»، و«تطبيق حكم الطريقة العلية على أحكام الشريعة النبوية»، و«سياحة القلم في الحِكم»، و«الواعظ المعرب عن حقيقة المسلم المتأدّب»، و«السهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب»، و«تاريخ الخلفا وارثي النبي المصطفى»، و«الكوكب الزاهر في مناقب الغوث عبد القادر»، و«العناية الربانية في ملخص الطريقة الرفاعية»، وديوانه «الثاني الجامع لأشتات درر المعاني»، و«حضرة الإطلاق في مكارم الأخلاق»، و«قرة العين في مدح الإمام أبي العلمين»، و«طريق الصواب في الصلاة على النبي الأوّاب»، وغير ذلك من المآثر الجمة، والتآليف المهمة.

وقد أفرد أيضاً لترجمته ومدائحه وحسن منائحه، خليفته صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد أفندي الخزرجي الدمشقي، وسماه كتاب «قطر الندى». وغيره من الأدباء والفضلاء.

وَمَدحَتْهُ بالقصائد البليغة، أفاضل الشعراء؛ منها ما أنشدتُه حين تشريفه إلى بغداد وذلك بضمن تهنئة القدوم سنة ١٢٨٣:

أهلاً وسهلاً بك من ماجد   مفخرة الذاهب والواردِ

فيــك زهــت بغــداد إذ جئتهــا ... فكنــت خيــر الــوفــد مــن وافــدِ
أنــت شهــاب فــي سمــاء العُــلا ... يتلــو ســريعــاً إثْــرَ المــاردِ
مــن كــان مــن خيــر أب واصــل ... غيــر قصيــر البــاع والســاعــدِ
تصعــــد للعَيُّــــوق آثـــاره ... مــن شــاكــر منهــا ومــن حــامــدِ
أنــت الــذي تــرقــى إلــى رتبــة ... لا تــرتقيهــا همــم الصــاعــدِ
فقــد تفــرســت بكــم رفعــة ... ولســت مــن يكــذبنــي رائــدي
فعتــرة الصيــاد خَصَّتكمــوا ... لطفــاً بــه أوْهــى قُــوى الصــائــدِ
يــا أهــل بغــداد أتــاكــم فتــىً ... فــي ذهنــه زمجــرة الــراعــدِ
ذو فكــرة وَقَّــادة لــم تــزل ... تَصُــبُّ أمــواهــا علــى الــواقــدي
قَــدِمــت لكــن لــك مــن سطــوة ... حَــرَّمــت النــوم علــى الــراقــدِ
كبــارق السُّحــب إذا مــا أضــا ... أو كوكــب الصبــح إلــى الــراصــدِ
نجــابــة الســادات محصــورة ... فيــك ولطــف الجــدّ والــوالــدِ
أبــوك مــولانــا الــذي ذِكــره ... قــد أعضــد الطــارف بــالتــالــدِ
قطــب لقــد دارت بــأطــرافــه ... محبــة الــراكــع والســاجــدِ
ذاك الــرفــاعــي الــذي فعلــه ... يعــز فــي النقــد علــى النــاقــدِ
كــم ركــب الليــث وكــم راكــب ... ذلَّــل مــن صــولــة مستــأســدِ
كــفُّ رســول الله فــي لثمهــا ... حــاز بهــا الفخــر علــى الجــاحــدِ
قــد مــدّهــا مــن قبــره نحــوه ... لاحــت إلــى الحــاضــر والشــاهــدِ
بمــوقــف قــد غَــصّ فــي أهلــه ... مــن ســامــد قــد كــان أو عــابــدِ
فهــذه منــدوحــة لــم تكــن ... لغيــر ذاك الكــف مــن عــاضــدِ
فهــل لــذاك الــرحــب مــن وافــد ؟ ... وهــل لــذاك الصفــو مــن واردِ ؟
أنــت ابنــه وهــو أبــوك الــذي ... لــم يخــل فــي الآثــار مــن حــاســدِ
أبــو الهــدى أنــت وفيــك الهــدى ... وبغيــة النــازح والقــاصــدِ
تَجنــي مِــنَ العــز ثمــاراً زكــت ... كــم قــد حمــاهــا ســاعــد الــذائــدِ

وغيـركـم رام لحـوقـاً بكـم ... كشـارد يلحـق بـالطـاردِ
بفكـرة جـامـدة خلتهـا ... غيمـاً هَمَـى بـالبَـرد الجـامـدِ
قـد فقـد الـرشـد ومـا فـاقـد ... لـرشْـده فـي الأمـر كـالـواجـدِ
يـا أهـل هـذا البيت يـا من غـدا ... زنـد عُـلاه ليـس بـالصـالـدِ
ذكـراكـمُ أشهـى إلـى مهجتـي ... مـن ريـق ذات الشنـب البـاردِ
قـد عـادنـي مـن لطفكـم نفحـة ... إذ صلـة المـوصـول بـالعـائـدِ
ونـاقـص الحـب إذا مـا انتهـت ... أدواره عـاد إلـى الـزائـدِ
قلبـي لقـد ضيّعتـه عنـدكـم ... فهل لما قد ضاع من ناشدِ ؟
غـدا فنـائـي بـك عَيْـن البقـا ... وواجـدي ليـس كمـن فـاقـدي
ولـن أبـالـي بـالفنـا فيكـمُ ... أعـائقـي فـي الحـب أم قـائـدي
لا زلـت فـي رفعـة جـاه عَـلاَ ... وذِكْـر عِـز فـي الـورى خـالـدِ

* * *

وقال القطب الكبير السيد عز الدين أحمد الصياد ـ رضي الله تعالى عنه! ـ مادحاً جَدّه الرفاعي، ذي الهمم العلية، وساقها في كتابه «الوظائف الأحمدية»:

أنكرت وجدك عشت من مُتَعَمِّد ... أَوَ يُنكـر الآفـاق ضـوء الفـرقـدِ!
فـالـدمعتـان المقلتـان أسـالتـا ... عينهمـا عينيـة لـم تُجحـدِ
أوصيـك هتكـاً للغـرام فسنـة الـ ... ـعُشاق هتك الوجد رغم مُهدّدِ
أو مـارأيـت الـورد شَبَّ بعـرقـه ... متهتكـاً فـي شكـل وجنـة أغيـدِ!
وشُـف البنفسـج مـدَّبـاع تَشَبُّـهِ ... بعـذاره مـا خـاف مـن قطـع اليـدِ
والمِيل غلغل والسيـوف تنـوشـه ... بـالهـدب مستتـراً بـرشـة إثمـدِ
والغصـن شـاكـل خصـره مُتَـأوِّداً ... شتـان بيـن مُقَلَّـدِ ومُقَلِّـدِ!
فاسلك طريق العاشقين مُشبباً ... بحبيـب قلبـك مُعلنـاً بـالمقصـدِ
مـا الكتـم إلاَّ إن أردت تمكنـاً ... فيمـا انتهجـت بمقلـة لـم تـرقـدِ

وطويت نشرك عن مريض فؤادك الـ ـقلق الكليم وعن وُفود العُوَّدِ
وزويت سرك عن سريرة آهك السـ ـاري بفدفد صدرك المتنهدِ
وكأن كونك لم يكن وكأن أمّـ ـك لم تلدك وإنها لم تُولدِ
متجرداً من طور نفسك سالكاً سَنَنَ الرفاعيِّ الإمام الأوحدِ
شيخ الطريقة والحقيقة والهدى والعِلم والنهج القويم الأسعدِ
سامَى بسؤدده السِّماك ومثله يسمو بنسبته منار السؤددِ
في كل لفظ من حقائق عِلمه حِكَمٌ مُجلجلة ببحر مُزبدِ
شَرَفٌ تحط له النجوم تواضعاً ومكانة علوية لم ترصدِ
قطب المدار وكوكب الأعصار والـ ـغوث الذي يدعى لحلِّ المعقدِ
المرتضى ابن المرتضى ابن المرتضى والسيد ابن السيد ابن السيدِ
محيي شعار الصالحين وناصر الـ ـشرع المبين وشيخ كل موحدِ
قدم تمكن باتِّباع المصطفى وخلائق شَرُفت بحال محمدٍ ﷺ
لله من نَبَويِّ طبع سِره يطوي الرشاقة في عُروق الجلمدِ
والقطع يودعه التشاماً ساكناً في كل شفرة أحدبٍ ومُهَنَّدِ
هذا أبو العلمين فاذكر شأنه في كل جمع باللسان المفردِ
أكثر وإن تُحسد لنعمة مدحه أرأيت صاحب نعمة لم يُحسدِ ؟
تأتيك رائحة العبا إن تلقه متلحفاً يُجلى بمرط أسودِ
كالبدر قنعه الدُّجى وشعاعه يبدي الضياء لمُغْوِرٍ ولمنجدِ
أَشَهِدْتَ قام لغيره لكماله عِز الملوك مع انكسار الأعبدِ ؟
أوصاف كل العارفين به انطوت وصفاته في كلهم لم تُوجدِ
نَفَدت قوافي مادحيه بفضله جَلَّ الكريم وفيه ما لم ينفدِ
الأولياء بكل فج في الورى أتباع هذا السيد المتفردِ
هو من رسول الله أقربهم يداً بتواتر ودليلنا مَدّ اليدِ
فالدين عند الله دين محمد وطريقة التقوى طريقة أحمدِ

* * *

﴿ترجمة الناظم﴾

قال صاحب «الدر الساقط»: وُلِد السيد العارف بالله، وليُّ الله، شيخ وقته، مولانا السيد عز الدين أحمد الصياد، بن الإمام السيد عبد الرحيم الرفاعي الحسيني ـ رضي الله عنهما! ـ، عام أربع وسبعين وخمس مئة، قبل وفاة جده لأمِّه حضرة الإمام الرفاعي (قدس سره!)، ولما كبر سلك على يد أخيه أبي الحسن عبد المحسن، وبصحبته تخرج، وتفقه وتلقى علم التفسير والحديث من الشيخ عبد المنعم الواسطي.

وقد أجازه جده ـ المشار إليه ـ تبركاً وإشارة إلى ما سيناله من المنزلة حال موته وهو إذ ذاك ابن أربع سنين.

وكان أسمر اللون، طويل القامة، حسن الوجه أكحل العينين، واسع الجبهة، خفيف الوجود، لطيف المنظر، ذا هيبة وسكينة ووقار.

خرج من العراق عام اثنين وعشرين وست مئة، وقصد الحجاز، وتشرف بزيارة جده (عليه أفضل الصلاة والسلام)، ثم حج واعتمر، وجاور بالمدينة المنوّرة تسع سنين، وبنى رباطاً فيها بالقرب من سقيفة الرصاص، معروفاً برباط الرفاعي.

وأخذ عنه الطريقة ابن نميلة الحسيني حاكم المدينة المنوّرة، والإمام عبد الكريم بن محمد الرافعي القَزْوِيني، صاحب «الشرح الكبير على الوجيز»، والشيخ عَلَم الدين بن محمد السخاوي، صاحب «شرح الشاطبية» و«المفضل»، وغيرهما، والشيخ تاج الدين الأبدري، وتلمذ عليه خلق كثير لا تحصى.

ثم إنه دخل مصر عام ثمانية وثلاثين وست مئة، وأقام في المسجد الحسيني، وأقبل عليه الناس، وتلمذ له العلماء والشيوخ وأكابر الرجال والأشراف، وحضر مجلسه وحلقة ذكره جمال الدين أبو عمرو بن

الحاجب، وانتسب إليه خلق كثيرون، وبَنوا له بمصر رباطاً، وأقام بمصر سنتين، وهاجر منها، ثم إنه طاف اليمن ونزل الشام، ودخل دمشق، وعَمَّر زاوية في ميدان الحصى، تعرف أيضاً بزاوية الرفاعي، وخرج منها ودخل «متكين»، قرية من أعمال «معرة النعمان» من أعمال حلب، نزلها بعد الظهر سنة ثلاث وأربعين وست مئة، يوم الخميس، وعكفت عليه الناس، وانتفعت به خلائق لا تعد كثرة.

توفي -رضي الله عنه!- سنة سبعين وست مئة، وله من العمر ست وتسعون سنة، ودفن في القبة المباركة التي تُجاه جامع الرباط، وكانت له كرامات باهرة، وإشارات ظاهرة، لا يسعها هذا المختصر.

وقال القطب العارف الإمام المستأنس بالله، المستوحش من الناس، ولي الله، السيد محمد بهاء الدين مهدي الصيادي الرفاعي الرَّوَّاس -قدس سره ونفعنا به!-:

لي في سماء الحمى الشرقي أقمار ... لهم بدائرة الأكوان أنوارُ
سر النبوّة في أبراج طالعهم ... عليه من سانحات القدس أستارُ
قوم إذا سكنوا فالفضل صاحبهم ... وحيث ساروا فكل المجد سيارُ
لهم جوامع إرشاد منابرها ... لها عصام لِطُور القرب جرّارُ
في كل فج عميق من معارفهم ... نشر بيُمن المعاني البيض معطارُ
فرسان غيب أبو العباس قائدهم ... إلى العُلا وأبو العباس كرارُ
شيخ الوجود الرفاعي الذي برزت ... له على صفحات الفخر أخبارُ
مُهَذّب أرْيَحيُّ الطبع ذو مَدد ... تهزه لاصطناع البِرِّ أطوارُ
مُلثَّم حيثما التيجان ساقطة ... ورابض إذ خميس الشوس فرارُ
وخاشع إذ حثالىُ الحي راقصة ... وثابت إذ نظام الدهر دوّارُ
من آل بيت عظيم الشأن عِترته ... مُعظمون رجاح القدر أخيارُ
قطب عليه رحى البرهان دائرة ... وباعه لبحور السر سيارُ

مُحمديٌّ جناب ضمن خِرقته ... حِلم وعِلم وإيمان وإيثارُ
طَوْدٌ من السُّنة الغَرَّاء جلببه ... عزم له من شؤون الله أسرارُ
زوَىٰ الوجود فلم يعلق عزيمته ... من حيطة الكل إقلال وإكثارُ
وطاب بالله فانحطت لهمته ... مراتب بينها والقوم أخطارُ
وسار يقطع فيفاء العُلا وله ... طور إلى العالَم العُلوي طيَّارُ
مسلسل من صميم الآل أنجبه ... من عترة الهاشمي الطُّهر أطهارُ
وسيد كلما آثاره تُليت ... أمَّ العبودية البحتاء أحرارُ
لسانه من رقيق العِلم نيط به ... حال له طار ألباب وأفكارُ
رمى بنبل معانٍ قوس حكمتها ... ماضِ النبال وما للقوس أوتارُ
دارت مع الليل بدراً والنهار ضُحىً ... منه الخوارق والإنكار إقرارُ
هي البداهة لا تقضي العقول لها ... إلاَّ بها وعلى حُسادها العَارُ
كفاه أن رسول الله مدَّ له ... يد القبول وزُهر العصر حُضَّارُ
ونال من جَدّه خير الورى خُلقاً ... له انطوى فيه إعزاز وإظهارُ
قد جانب الشطح والدعوى لمعرفة ... بالله والله للمكسور جَبَّارُ
وناب عن حضرة المختار منفرداً ... وإنما نائب المختار مُختارُ
وطبل إرشاده في الأرض دُقَّ وقد ... حازت به الرشد أنحاء وأقطارُ
عِلم العقائد طبع في طريقته ... فسالكوها بعهد الله أبرارُ
والنار تَخْمَدُ إذ يُدعى فصَّح غداً ... أتباعُه الكُلُّ لم تمسسهم النارُ
يأوي اللهيف له والأمن يَصْحَبُهُ ... ببابه ويرى خير الحمى الجارُ
مدحته مستفيضاً من مكارمه ... فبحره العذب بالإحسان زخارُ
وقلتُ حقاً وقولي قاصر أبداً ... عن حقه ولقول الحق آثارُ

* * *

وله بمدح جده برهان الأصفياء، سلطان الأولياء، مولانا وسيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي (رضي الله عنه ونفعنا بعلومه!):

كُتبتُ غيباً على ما قام في الأزل ... عبدَ الرفاعيِّ شيخِ الأمّةِ البطلِ
فحلُ الشيوخِ صدورِ الدين سيدُهم ... كنزُ الحقائق بحرُ العِلم والعملِ
فتىً أقام شراع المجد فانتظمت ... لمجده دولةُ الإرشاد في المللِ
كأنه فوق كرسيِّ الخطابة في ... صدر المحافل مولانا الإمامُ علي
حـذا بسيـرتـه العليـا ومـذهبِـه ... حذوَ الرسول وحذو السادة الأُوَلِ
من أهل بيت لهم في كل زاوية ... سرّ خفي وشأن كالصباح جَلي
محجـب مـن أسـود الله ذو مـدد ... سارٍ تَصَرُّفُه في الكون لم يزلِ
وشيـخُ نهـج قـويـم فـي تَنَقُّلـه ... عن مذهب الهاشمي الطُهر لم يَحُلِ
فخرُ العصائب من بيت البتول أبو الـ ... ـعباس شمس المعالي منتهى الأملِ
بابُ الشهود مفيض الجود فجرُ سما ... ء الفخر رحبُ الحمى سلطانُ كلِّ وَلي
ركـنُ الشـريعـة ممـدوحُ الطـريقـة ... كشافُ الحقيقة غوثُ الخائف الوجلِ
تُنمىٰ المعالي لبيت كان سيدَه ... حقاً وينحط عن علياه كلُّ عَلي
طَوْدٌ من السنة السمحاء قام له ... شـأن عـلا ذيلـه عـن قبـة الحَمَـلِ
آثـاره فــي جبـاه الفخـر لامعــةٌ ... وطَوْرُه صين عن شطح وعن زللِ
مباركُ الوجه محمودُ الجناب وفي الـ ... ـهيجاء قطبُ الرحى السامي عن المَثَلِ
محمــديُّ سلــوكٍ لا يُحَــدُّ لــه ... حد وكُفْءٌ له في الشأو لم يصلِ
ذو رتبة أخذت بالعزِّ وارتفعت ... إلـى مقـام بعـزم الفكـر لـم يُطَـلِ
مُقَبَّـلُ الـراحـة البيضـاء فـي زُمـر ... غُـرٍّ بسـاحـة ذاك المشهـد الحَفِـلِ
كم حلَّ من عقدة لي بِتُّ أَزهَبُها ... بهمـة لـم تـزل حَـلاَّلَـةَ العُقَـلِ
قم يا أخا الصدق وانزل رحب دولته ... والجأ له خالصاً وابهج وقُل وطُلِ
وخذه سيفاً على الأعداء تُصْلِتُه ... مُهنداً من سيوف المصطفى وصُلِ

واجعله باباً لما ترجوه من أَمَلِ وشافعاً دافعاً للمُدْهِشِ الجَلَلِ
مولىً تحكَّم في طور القلوب بما ألقاه من حِكَم فيها ومن زَجلِ
ردت هوى النفسِ بالبرهان إذ قطعت ما سوّل الخاسرُ الشيطانُ من حِيَلِ
حَبْلٌ غدا من حبال الله عروتـه تَقي المُحِبَّ من الآثام والخللِ
ووارثٌ جـامـع طابـت مغارسـه وطاب مسراه في خَطٍّ وفي نُقَلِ
يأوي إليه الضعيف القلب مستنداً لـه فينهـج فيـه أوضـحَ السُّبُلِ
أنعـم بـه جبـلاً مـن آل فـاطمـةٍ مقدّساً طُوْرُهُ ناهيك من جَبَلِ
أَخَفُّ من نسمات الريح نجدتُه وفي التمكن فوق الطَّوْدِ بالثِّقَلِ
نظـامُ بيـت رفيـعٍ كلُّـه عَمَـلٌ بَـرٌّ تنـزه إجمـالاً عـن الكسـلِ
عليه رضوان رَبِّ العرش ما جمعت آيـاتِـهِ سـورُ التفصيـل والجُمَـلِ!

* * *

﴿ترجمة الناظم قدس سره ونفعنا الله به وبتراثه!﴾

هو القطب الجليل، الذي يدفع ببركته البأس، مولانا السيد محمد بهاء الدين مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس ـ قدس سره! ـ، ابن السيد علي، بن السيد نور الدين، بن السيد أحمد، بن السيد محمد، بن السيد بدر الدين، بن السيد علي، بن السيد محمود الصوفي، بن السيد محمد برهان، بن السيد حسن الغواص، بن السيد الحاج محمد شاه، بن السيد محمد خُزَام دفين «الموصل»، ابن السيد نور الدين، بن السيد عبد الواحد، بن السيد محمود الأسمر، ابن السيد حسين العراقي، ابن السيد إبراهيم العربي، ابن السيد محمود، بن السيد عبد الرحمن شمس الدين، ابن السيد عبد الله قاسم نجم الدين المبارك، ابن السيد محمد خُزَام السليم، ابن السيد شمس الدين عبد الكريم، بن السيد صالح عبد الرزاق، ابن السيد شمس الدين محمد، بن السيد صدر الدين علي، بن السيد عز

الدين أحمد الصياد، بن السيد مُمَهِّد الدولة والدين عبد الرحيم الرفاعي، ابن الإمام ولي الرحمن السيد عثمان، بن السيد حسن، بن السيد عَسَلَة، ابن السيد الحازم، بن السيد أحمد، بن السيد علي المكي، بن السيد رِفَاعة، ويقال له «الحسن» نزيل المغرب، ابن السيد المهدي، بن السيد أبي القاسم محمد، بن السيد الحسن، بن السيد الحسين، بن السيد أحمد، بن السيد موسى الثاني، ابن السيد إبراهيم المرتضى، ابن الإمام موسى الكاظم، بن الإمام جعفر الصادق، بن الإمام محمد الباقر، بن الإمام زين العابدين علي الأصغر السجاد، ابن الإمام الهُمَام عَلَم الإسلام، عين الأئمة الأعلام، سبط الرسول (عليه الصلاة والسلام) الذي امْتُحن بأنواع المحن والبلاء، أمير المؤمنين، مولانا الإمام أبي عبد الله الحسين الشهيد بكربلاء، ابن إمام الأئمة وأمير نحل هذه الأمة، الذي قَدْرُهُ كاسْمِهِ حَسُنَ وعَلاَ أمير المؤمنين، الإمام أبي الحسن، عَلي، رُزِقَه من زوجته فاطمة سيدة نساء العالمين، بنت سيد المخلوقين، عليه أفضل صلوات رب العالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أجمعين. اهـ.

قال الأستاذ العلامة الإمام الفهامة، السيد محمد أبو الهدى أفندي الصيادي الرفاعي، ـ حفظه الله! ـ في كتابه «قلادة الجواهر» حين ترجم السيد المشار إليه ـ نفعنا الله ببركاته! ـ: وُلِدَ ـ رحمه الله! ـ في سنة عشرين ومئتين وألف، وتوفي في سنة سبع وثمانين ومئتين وألف، وله من العمر سبع وستون سنة، وُلِد في سوق الشيوخ، بليدة من أعمال البَصْرة، سكنها أبوه بعد الطاعون الذي وقع في البصرة، وتوفي والده وبقي يتيماً ـ قدس سره! ـ، ثم توفيت أمّه وقد بلغ من العمر خمس عشرة سنة، وكان قد قرأ القرآن على رجل هناك يقال له «ملا أحمد»، وكان من الصالحين.

ففي سنة خمس وثلاثين ومئتين وألف، جذبه القدر إلى السياحة، فخرج طالباً بيت الله الحرام، وجاور بمكة سنة، ثم تشرف بزيارة جده (عليه الصلاة والسلام)، وجاور بالمدينة المنوّرة سنتين، وفيها اشتغل

بطلب العلم على رجال الحرم النبوي.

ثم ذهب إلى مصر ونزل في الجامع الأزهر، وبقي فيه ثلاث عشرة سنة، يتلقى العلوم الشرعية عن مشايخ الأزهر وفضلائه، حتى برع في كل فنّ وعِلْم، وهو على قدم التجرد والفقر والانكسار، ثم عاد سائحاً إلى العراق، فاجتمع بالشيخ العارف بالله ولي الله السيد عبد الله الرَّاوِي الرفاعي، فأخذ عنه الطريقة، ولزم خدمته والسلوك على يديه مُدّة، وأجازه ـ قدّس سره! ـ وأقامه خليفة عنه.

ثم طاف البلاد وذهب إلى الهند، وخُرَاسان، والعجَم، والتُّرْكِستان، والكردستان، وجاب العراق والشام والقسطنطينية، والأنادول، والروملي، وعاد إلى الحجاز، وذهب إلى اليمن، ونجد، والبحرين، وطاف البادية والحاضرة، واجتمع على أهل الأحوال الباطنة والظاهرة، وأكرمه الله بالولاية العظيمة، والمناقب الكريمة، والأخلاق الحميدة، والطباع الفريدة، والقطبية الكبرى، والمرتبة الزهرا.

وقد تجرد بطبعه عن التصرف والظهور، والتزم الطريق المستور، وعدّ نفسه من أهل القبور، وكان كثيراً ما يعاود في سياحته إلى بغداد، وكان يتجر لدفع الضرورة والتخلص من الاحتياج ببيع رؤوس الغنم المطبوخة، فإذا وجد منها ما يدفع الضرورة البشرية، ترك البيع إلى أن تنفذ دراهمه فيعود إلى البيع، وكان لا يمكث في بلدة سبعة أشهر قط، وأكثر إقامته في البلاد تحت الثلاثة أشهر، وكان يلبس ثوباً أبيض، وفوقه دُرَّاعة زرقاء، وعَبَاءَة قصيرة من دون أكمام، وحزامه من الصوف الأسود، وعلى رأسه عَرَقية من الصوف الأبيض، ويحزم رأسه بعقال من الصوف الأسود، عملاً بالأثر الرفاعي، والسُّنة المحمدية، واختفاء عن ظاهر التشيخ.

وكان ـ قدس سره! ـ إمامَ الوقت، وشيخ العصر عِلماً وعملاً، وزُهداً وأدبا، براهينه باهرة، وسريرته طاهرة، وقدمه متين، وعزمه مكين، وكشفه عجيب، وحاله غريب، مَنّ الله عليّ بالإجتماع عليه، والانتساب

إليه، في بغداد دار السلام، وأخذت عنه الطريقة، ولبست منه الخرقة، وتلقيت عنه بعض علوم الشريعة والحقيقة، فهو شيخي ومعيني، وأستاذي وقرة عيني، وملاذي وعِياذي، ومحل اعتقادي، وواسطة استنادي.

بلى والله وهو الشيخ الجليل العارف بالله المتردّي برداء الخفاء، المشغول بالله عن غيره، السائح العابد الزاهد، صاحب المعارف والعوارف، والبركات واللطائف، والعلم الغزير، والقلب المنير، والسر الصادق، والمدد البارق، والحال العجيب، والشأن الغريب، والعلوم العظيمة، والهمم الكريمة، والآداب المقبولة، والكلمات المنقولةُ.

وذَكر من كراماته وكلماته وأحزابه المباركة أشياء كثيرة لا يسعها هذا المختصر.

وقال في كتابه «طريق الصواب» في ذِكر المتَرْجَم (قدس سره!) بعد كلام طويل: ظهرت على يديه الكرامات الباهرة، والإشارات الظاهرة، وانفجرت من قلبه على لسانه بحور المعارف، وهطلت من أياديه سحب العوارف، وبقي على قدم التجريد معرضاً عن القريب والبعيد، إلى أن عُرج بروحه المباركة إلى عليين، ولقي الأحبة جدّه محمداً (ﷺ) وأئمة الآل الطاهرين، وكانت وفاته سنة سبع وثمانين ومئتين وألف، من هجرة من خلقه الله على أحسن وصف.

يقول مُؤلِّفُها: وقال أيضاً السيد محمدُ أبو الهدي ـ رضي الله عنه! ـ:

ومن كلامه في حضرة الكرم، ما بشَّرني به حين كنت بحضرته السعيدة، وقد داخل سِري همٌّ عظيم لأُمور كانت دهمتني، فقال ـ رضي الله عنه! ـ:

فُتِح عليَّ ببيتين خطاباً لك، وقال لا عدمنا فيضه الهطال:

إنَّ بـاديـك الـذي أكننتَـهُ ... هـو بـادٍ ظـاهـرٌ فـي حـاضـركَ
أُجْـلُ قلبـاً فـي حِمـانـا إنـنـا ... نحـن قُمنـا بـالـذي فـي خـاطـركَ

❊ ❊ ❊

وحصل وعده المبارك بفضل الله تعالى.

ومن كلامه الجامع لعجائب الخوارق، والمتدفق بصنوف الحقائق، ما تفضل به على بعض عبيده (يعني وارثه خليفته المؤلف) الوالهين بمحبته، المنسوبين لحضرته، قوله ـ رضي الله عنه! ـ:

بجناحنا طِر ما عليك جُناح ... لك في حِمانا غُدوة ورواحُ
سيحفُّك اللطف الخفي ببابنا ... وتطوف حول جنابك الأرواحُ
ويضج باسْمك كل قُطر شاسع ... ويضيء فيه بَدْرُك الوضاحُ
ويطول باعك بالهداية والتُّقى ... وتُقيمَ دَهْراً عندك الأفراحُ
وترى رفيع منازل ومراتب ... وتعم أهل وِدادك الأرباحُ
كَتَب الإلَه على صحائف غيبه ... نصاً به لك نِعمة وفلاحُ
لَمّاعة أطرافه ببوارق ... قُدْسِيَّة طفحت بها الألواحُ
تعلو بها صُفف الفخار مُبَجّلاً ... أبداً ويُصلح شأنك الفتاحُ
فادخل بقلبك رُحب حِبِّك صافياً ... فالصَّفْوُ فيه للمحب مُباحُ
واشطح وتِه طرباً بِمِنَّة مُحسنٍ ... يُولي الجميل وبحره سياحُ
وارفع جِدار طريقنا واسْلم له ... رُكناً فأنت الفارس الجحجاحُ

❊ ❊ ❊

وله (قدّس سرّه!) في جَده ـ عليه الصلاة والسلام! ـ:

يا من وطينة آدم في مائها ... مخمورة لك بالنبوّة مظهرُ
أُستر عظيم كبير ذنبي رحمة ... فنداك أعظم والعناية أكبرُ

❊ ❊ ❊

﴿وله في الفناء المحمدي﴾

أصبحت عيناً في مقام نيابتي ... عن من فنيت به وغبت بمشهدي
ودُعيتُ في الأكوان فرداً واحداً ... والحق أعدل شاهد بتفردِ

❊ ❊ ❊

﴿وله في حضرة الحضور﴾

لما حضرت على بساط شهودي أدركت ذوقاً كيف غاب وجودي
وفهمت من طور الحضور تحققي فــي مشهــدي بعبــادة المعبــودِ
فهجـرت ذرات الـوجـود لأنهـا تفنىٰ وطبت بحضـرة المـوجـودِ

❊ ❊ ❊

﴿وله في مقام الكرم والتحدث بالنعم﴾

لما رفعت على برج الضحى علمي علت إلى منتهى قاب العُلا هممي
وقام بي رونق العرفان واشتملت على رقائق أحكام النُّهى شِيَمي
فَصَحَّ لي مشهدي في طور مَرْصده علماً وما زَلَّ بي في مذهبي قدمي
وصرت ضمن الخفا قطب الظهور ولي سهـم التحـدث بيـن القـوم بـالنِّعـم
من لاذ بي بات مأمون الجناب على بســاط تكـرمـة فـي حضـرة الكـرمِ

❊ ❊ ❊

ولو أردنا بسط منظوماته الشريفة، لطال المطال، وقد اكتفينا منها بهذا المقدار، وأما ما فتح الله به عليه من صيغ الصلوات على جَدِّه سيد السادات، فإنها لا تُحصى، ومنها هذه الصيغة المباركة، وكان يعدها من أبواب النجاح وهي:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

السلام من السلام، والرحمة المخصوصة من ربك عليك يا سيد الأنام، يا عَلَم العلمين، يا قمر الخافقين، يا مولى سادات الدارين، يا عين كل عين، أعن، أغث، اِلتفت، تعطف، تكرم، تحنن، تفضَّل عليَّ يا إمام المرسلين، يا مَن قال لك مولاك: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾. يا غوثاه!، يا مُصطفاه! يا نَبِيّاه! يا سِراج الحرمين! صلى الله عليك وعلى آلِك وأصحابك الطاهرين أجمعين!.

وقد جَرَّبها جماعة من أهل الكمال لكثير من المهمات، ففرّجها الله حرمة لنبيّه (ﷺ).

وأمَّا صِيَغُه الكبيرة المباركة، فهي كثيرة جداً، ذكرناها في كُتبنا المخصوصة للأوراد والصلوات فلتراجع.

﴿وقال صاحب السيادة والسماحة جناب المولى السيد محمد أبو الهدى أفندي﴾

لـواء المجـد والتعظيـم يعقـد ... بـأنـواع الثنـا للغـوث أحمـدْ
إمـام الأوليـا الأسـد الـرفـاعـي ... أبي العلمين ذي الركن المشيدْ
فتـى مهمـا تقـادم وقـت عصـر ... يـرى فيـه لـه الـذكـر المجـددْ
هـو البحـر الـذي عظمـت جـلالاً ... غـوامـض دُرّ معنـاه المنضَّـدْ
هـو الحبـر الـذي كَبُـرت كمـالاً ... دقـائـق سلـك مـذهبـه المـؤيـدْ
هو الغيث الذي فاضت جَمالاً ... حقـائـق سُحْـب نـائلـه المـؤبـدْ
هـو الحـرم الأميـن فمـن أتـاه ... بصـدق والتجـا بحمـاه يسعـدْ
هو الغوث الجليل أبو المعالي ... أجـلُّ الصـالحيـن عُـلاً وأوحـدْ
تسلطـن رُتبـة وسمـا مقـامـاً ... ففيـه أكـابـر الأقطـاب تُـرْشَـدْ
وفـي أبـوابـه زبـد المعـانـي ... يمـوج وللقيـامـة ليـس يجمـدْ
وفـي عتبـاتـه نَيْـل الأمـانـي ... فمن فيها احتمى في الخطب يُنْجدْ
علـت أحـوال دولتـه مكـانـاً ... فكـان هـو المكيـن بكـل مَرْصَـدْ
وكـم مـن آيـة كُبْـرى تَجَلَّـت ... لـه ويـد ليـوم الحشـر تُحْمـدْ
ويكفيـه افتخـاراً فـي البـرايـا ... علـى الأفـراد مَـدُّ يميـن أحمـدْ
فمـن فيـض الـرسـول بكـل آن ... رفيـع رحـابـه المعمـور يُقْصـدْ
كـذا آل الـرسـول لهـم أيـاد ... علـى هـام العُـلا بـالعِـزِّ تمتـدْ
وجـدهـم أجـل الـرسـل قـدراً ... وأعـلاهـم بـرحـب الغيـب مُسنـدْ

عليــــه الله صلــــى كـــل آن مـدى مـا ذكـره الممـدوح يُنْشَـدْ
وأصحـــــاب وأولاد كـــــرام بهـم قُمـرِيٌّ روض السعـد غَـرَّدْ

* * *

﴿وقال أيضاً﴾

بـالله يـا ليلـة الـزُّلفـى لنـا عـودي فقد تناءى مدى وعدي وموغودي
وأتحفينــا بعَــوْدٍ نستبيــح بــه تذكار عهد مضى من نغمة العُودِ
فنغمـة العُـود فيهـا مـن رقيقتهـا حال يشب زفير النار في العُود
فـالعـود أحمـد مـا يُـرَجى تكـرره من وقت عهد بجمع الشمل مسعود
يـا للـرجـال لـه قلبـي يحـنّ كمـا يحنّ لابن الرفاعي طبع منشودي
شيخ الوجود إمام القوم سيدهم شمس المعارف بحر المجد والجودِ
ذو الحال والهمة العليا التي ظهرت فأبرزت أَنْجُماً في الأعصر السُّودِ
مُحمـدي جنـاب بـاب دولتـه حصن حصين لملهوف ومردودِ
من صار منه قريباً لم يصر أبداً عـن النبـي ولا المـولـى بمبعـودِ
ومن أتاه فقد حث الركاب إلى حوض من المدد القدسيِّ مورودِ
عـن النبـي بنـا نـابـت مشـاهـده بمَظهـر مُظهـر للحـقّ مشهـودِ
مؤيد الدين والشرع المبين وفي ساحاته الفُسح يلفي كل مقصودِ
والـلائـذون بعليـا عـزه أبـداً لاذوا بظل من الإحسان ممدودِ
لـه إذا عُـد أهـل الفضـل بينهـمُ فضـل رفيـع جناب غيـر محدودِ
به اقتدوْا وبذاك الباب قد خضعوا لـدى لـواء مـن العـرفـان معقـودِ
مـؤيـد مـن يـد الهـادي عليـه يـدٌ سحـت لـه بنـوال غيـر معـدودِ
تنظمت فيه أسرار الكتاب كما حسناً تنظم عِقد الجيد في الجيدِ
تأوي إليه قلوب العارفين وقد آوت مقـامَ رفيـعِ الجـاه محمـودِ

من الأولى شرف الإسلام تم بهم ... وهم عصام لموجود ومفقودِ
آل النبي بنو الزهراء فاطمة ... من الصناديد سادات الورى الصيدِ
صلى عليهم إلّه العرش ما لمعت ... شموس إرشادهم في كل موجودِ

* * *

وله من قصيدة عامرة:

هذا طريق ظواهر الشرع الذي ... قامت مراسمه بأمر الهادي
فمن امتطى هذا الطريق فقد أتى الـ ... ـباب الوثيق وأمَّ ذاك الوادي
ومن انتحى عنه فغايته لظىً ... نزاعةً الأمعاء والأكبادِ
يا رب بالمختار من هذا الورى ... وبآله والصحب والأولادِ
قُدنا إليك بنفحة قدسية ... واجعل لنا تقواك خير الزادِ
وإلى طريق ابن الرفاعي سِر بنا ... باللطف والتوفيق والإسعادِ
فهو الإمام المقتدى بفعاله ... وحِماه ملجأ قادة الأفرادِ
ذو المجد والشرف الرفيع وطاهر الـ ... أعراق والآباء والأجدادِ
عَلَم الأئمة شيخ كل مُوَحِّد ... شمس المعارف عُمدة الأوتادِ
آيات حِكْمته ونور طريقه ... نور الصباح سَرى بكل بلادِ
شبل النبي المجتبَىٰ من هاشم ... شرف البرية واهب الإمدادِ
صلى عليه الله ما أمَّ الحمى ... ركب وعن وجد ترنَّم حادي
وعلى بنيه وصحبه مَنْ جاهدوا ... تبعاً له في الله خير جهادِ
وعلى الرفاعي شبله قطب الهُدى ... جَدي ووارث فضله الصيادي

* * *

﴿وقال أيضاً آخذاً معنى ابن رشيق﴾

أَعَزُّ روايات المكارم حُجة ... وأصدقها قيلاً بأحسن مُسندِ
حديث رُواة السَّيْلِ عن خير وابلٍ ... عن البحر عن كف الرفاعي أحمدِ

* * *

﴿وقال أيضاً يذكر سلسلة أشياخه في هذه الطريقة، الذين هم أعلام الأولياء على الحقيقة﴾

بدأت ببسم الله والشكر والحمد — وصليت تعظيماً على الصادق الوعدِ
محمد الهادي الذي جَلّ قدره — إمام الهدى المبعوث للحر والعبدِ
ورضوان رب العرش جل جلاله — عن الآل والأصحاب أهل النُّهى الأُسدِ
وبعد، فقادات الطريق رجالنا — أئمة أهل السير في الحَلِّ والعقدِ
لهم مدد عال وفضل محقق — وشأن علا معناه بالذكر والوِرْدِ
وسلسلة السلك الرفاعي في الورى — جليلة قدر فضها فاق عن عَدِّ
رجال لهم حال عظيم وهِمة — لغوثِ مريد نابه الدهر بالضدِ
كرام إذا ناداهمُ مَن يُحبهم — بضيق يرى حُسن الوصول إلى القَصْدِ
ومن كان مَهموماً لخطب أهمه — ولم يلق باباً للخلاص من الشَّدِّ
وَوَجَّه قلباً نحوهم مُخلصاً لهم — يرى الفرج المطلوب من جانب الفردِ
ومن سامه كرب من الظالم الذي — عليه اعتدى يوماً وما مال للرشدِ
وصاح: أغيثوني بأسرار أحمد! — وعدّدهم حتى إلى حضرة الجدِّ
يرى هِمة من فيض ساحل بحرهم — تَجُرُّ بذاك المعتدي عنه للحدِّ
رجال سقاهم ربنا خمر قدسه — وألبسهم تاجاً تطرز بالوجدِ
فغابوا عن الأغيار في كل أمرهم — وبالمحو عن عمرو تعرّوا وعن زيدِ
وخَلصهم لطفاً بفيضة جوده — من الشك والأدناس والرين والضدِ
جلالي وجاهي وافتخاري بخدمتي — لأعتابهم بل تم في حُبِّهم سعدي
سلكت طريق ابن الرفاعي أحمد — بخير سلوك عن أبي صاحب الرشدِ
هو الحسن المعروف وادي الذي له — ببيت السخا باع عَريٌّ من الردِّ
أجاد سلوك القوم في كل خدمة — وأجرى بهذا السير دمعاً على الخدِّ

همام شريف الأصل من آل خالد … ومن عِترة الصياد من عُنصر المجدِ
له الإذن والإرشاد عن رجب العُلا … عن السيد الأستاذ أحمدنا الجندي
عن السيد المشهود ذي الفضل مصطفى … أبيه الولي الموصوف بالصبر والزُّهدِ
وعن عرفات المنتقى الحبر ذي التقى … عن القطب خير الله ذي الجدّ والجُهدِ
مجدّد آثار الطريق وكنزها … وناهض رايات السلوك عن الجدِّ
ولي في طريقي سيرة هاشمية … شريفة حال عَزَّ مقدارها عندي
إجازة خير عن ملاذي وسيدي … وحامل أثقالي وعَوْنيَ في قصدي
عليّ بن خير الله شيخ الشيوخ في … حِمَى حَلب الشهبا على القُرب والبُعدِ
سلالة صياد السباع سلالة … لبيت رسول الله جَدّ عن الجدِّ
له عن أبيه معدن الرشد والهدى … أبي الفضل خير الله واسطة العهدِ
له عن أبيه ذي المعالي محمد … وبالشيخ خير الله جمع لذي العقدِ
له عن أبي بكر أبيه فتى الحِمى … عن الوالد السامي محمد ذي المجدِ
عن ابن الحجازي الإمام محمد … له عن أبي بكر إمام ذوي الوجدِ
عن المقتدى موسى الكبير ملاذنا … عن المجتبى عبد السميع عن الفردِ
ضيا الوقت شمس الدين سلطان وقته … عن القطب صدر الدين عن صاحب العهدِ
إمام رجال الله في كل مشهد … أبي الهمم الصياد أحمد ذي الحمدِ
عن القطب عبد المحسن الحبر غوثنا … إمام طريق القوم والذِّكر والوِردِ
عن الغوث فرد الأوليا ورئيسهم … إمام سلاطين الحِمى صاحب اليَدِّ
وتاج رؤوس الصالحين وشيخهم … وأعظم أهل الحال والرشد والعهدِ
مبدل اسم الملتجي لطريقه … من الناس من بعد الشقاوة بالسعدِ
إمام له مَدَّ الرسول يمينه … فقبلها والفخر في ذلك الحدِّ
عَليِّ الذُّرى الغوث الرفاعي أحمد … هزبر صدور الأوليا السادة الأُسدِ
له عن عليٍّ الواسطي إجازة … به اشتهرت بالغرب والشرق والهندِ

له عن أبي الفضل الولي ابن كامخ … له عن غلام مظهر الشكر والحمدِ
له عن عَليٍّ الرُّوذبارِيِّ شيخنا … له عن علي العَالِم العَلَم الفردِ
عن العارف الشبلي إمام طريقنا … عن الكوكب القطب الجُنَيْد أبي السَّعدِ
عن المرشد القطب السَّري ملاذنا … عن العارف الكرخيِّ شيخ ذوي الرشدِ
عن العارف الطائي داود شيخنا … عن العجمي الحبر الحبيب أخي الزُّهدِ
عن الحسن البَصْري شيخ ذوي التقى … عن الأسد القدسيِّ والصارم الهندي
وزير رسول الله بل وابن عمه … ووارثه بالعلم والصدق والمجدِ
عَلِيّ أبي السبطين من جا: بهل أتى … معان من الآيات عن مدحه تُبدي
عن المصطفى الممدوح في قول ربه … سراج قلوب الأنبيا مصطفى الفردِ
عليهم صلاة الله ما لاح كوكب … وأصحابه والآل ما طاب ذو وجدِ
وخُلص أهل الله والسيد الذي … شدا عندَ نَيْلِ القرب: في حاله البعدِ

* * *

يقول السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بـ«الرواس» ـ قدس سره! ـ:

قلت أذكر حِكْمة الدُّف، وما أعطاه له من الحُكْم الشَّرعُ الأشرف، فأُعَلِّم سائلاً، وأعظ جاهلاً، وأردُّ صائلاً:

إضرب الدُّف وجانب جاهلاً … حِكْمة الشرع لِغَيٍّ ما درىٰ
قد أباح الدُّف قِدماً مالك … وعن الأصحاب يروي الخبرا
والإمام الشافعيّ المنتقى … تبع القول وقَوّى الأثرا
وكذا النُّعمان قد قيّده … لِنكاح أو لعيد وجرى
وأتى عن أحمد بينهما … خبر خُذ نصه معتبراً
إن يكن في العيد أو في مثله … من دواعي الخير زين لا مِرا
وحكى فيه ثواباً بيّناً … لِطِباق جاء عن خير الورى ﷺ
نكتة الإجماع إن جاءت على … حكم نص أبداً لن تُنكرا

هـــذه الأخبـــار عـــن أربعـــة لبقـــاء الـــذيـــن أفنـــوا العُمُـــرا

. . . .

ولشـــأن النـــص ســـر آخـــر نثـــر الأقـــوام منـــه الـــدُّررا
كـــل مـــا حَـــرَّك قلبـــاً ســـاكنـــاً ودعـــا العقـــل بـــه مُعتبـــرا
وأجـــال الـــروح فـــي بـــرزخهـــا تَـــذكـــر الله وتبغـــي مظهـــرا
فهـــو بِـــرٌّ والـــذي يفعلـــه فَعَـــلَ البِـــرَّ ولله ســـرى
إن فـــي الـــدُّف وفـــي رنَّتـــه نغمـــةً يعـــرفهـــا مـــن ذكـــرا
صـــوتـــه ذِكـــر وفـــي بحّتـــه أنَّـــة تُـــذكـــر أوقـــات السُّـــرى
نضـــرب الـــدُّف ومنـــه عنـــدنـــا ذاكـــراً نَسْمَعُـــهُ لـــن يفتُـــرا
وبهـــذا اللـــف مـــن دورتـــه دورة الكـــوكـــب إن مـــا أبـــدرا
تـــرفـــع العـــزم إلـــى الله وقـــد يحكي معنى كيف تقضي العُمُرا
كـــم صبـــاح دار بـــالليـــل وكـــم مـــن هِـــلال بـــالليـــالـــي انحـــدرا
وبـــه معنـــى رقيـــق مُخبـــر كيـــف شـــق الهـــاشمـــيُّ القمـــرا
وبـــه رَقّ إلـــى الـــرِّق عُـــزي كـــل نفـــس طيشهـــا قـــد كَبُـــرا
وبـــه الـــدفَّـــة تـــروي خبـــر الـــدَّفـــة الملســـاء عَمَّـــن قُبـــرا
ويُـــريـــك الجلـــد منـــه ميِّتـــاً أذهـــب العيـــن وأبقـــى الأثـــرا
ويُـــريـــك الخشـــب الملْـــوِيُّ فيـــه بـــأن الفقـــد يلـــوي الشجـــرا
دورة فـــي نسجهـــا دائـــرة تبـــرز النقطـــة فـــافهـــم مـــا جـــرى
وبـــرنِّ الجلـــد مـــن ضـــاربـــه طلـــب الهمَّـــة ممـــن قَـــدرا
فـــإذايُتـــرك يغـــدو ســـاكنـــاً وإذا يُضـــرب طـــوراً أحضـــرا
لـــك هـــذا الـــرِّق مـــن قلبـــك إن لـــم تُـــرِغـــه خِلتـــه مـــا ذكـــرا
وإذا هُـــزَّ بحـــالٍ ضـــاربٍ داوم الـــذكـــر وخـــاف الخطـــرا
قـــام فـــي الـــدُّف مُنـــادٍ كـــامـــن إن رأى الكـــفَّ بـــدا واشتهـــرا
خـــذ بـــه الكـــف عـــن الـــدنيـــا وقـــم بيـــد الـــذكـــر لـــه مستظهـــرا

وافهمن من جلده معنىً إذا ... أنت حقَّقت كما الجسم يُرى

رَقَّ حتى طاب منه صوته ... بعد شدٍّ فافهمن ما أُضمرا

واعمل الرِّقة خُلقاً ثم شُـ ... ـدَّ لها العزم لتعطى مظهرا

وانظر اللوح الذي دار به ... قد غدا في جِلده مستترا

فاستر الكامن مِنْ حال وكن ... لمحيط ساتر مُفتقرا

واحذر المسَّ لنار بالذي ... خالف الشرع لِتُكفى الغِيَرا

جلدة الدُّف إذا النار بها ... عبثت تدخل في نوع الثرى

يذهب الستر وتبقى خشباً ... ما بها صوت ولا السرُّ يُرى

فاحذر النار وكن ذا فِطنة ... دائماً مُستشعراً مُستبصرا

وافهم الحكم بهذا عيدنا ... عن نبي هابه ليث الشرى

سيد قد أُيِّد الدين به ... وبه قد شُرِّفت أُمُّ القرى

فاضرب الدفَّ على حِكمته ... ودع الَّلاهي بما فيه افترى

ومن الأشياء خذ تسبيحها ... مثل ما في الآي نصاً ذُكرا

وارْشِد العالم واهْجُر جاهلاً ... نظر الشمس كأن ما نظرا

واهمل الحاسد في حَيرته ... عرف الحق وولىَّ مُدبرا

ولدي كن مهدويَّ المرتقى ... أحمدياً واستدق النظرا

إن موسى من أُولي العزم وقد ... لخفاء الحُكْم لاَمَ الخَضِرا

فاحْكِم استدلالك الدهر وكن ... ثابت العزم مكيناً وَقِرا

قد نظمنا حِكمة الدُّف لمن ... قلبه سِرّ التدلي وَقَرا

وكتبناه سطوراً لِفتى ... فَهِم النظم وللسطر قرا

جاء شعراً مهدوياً رَمْزُهُ ... بمعانيه أطاش الشُّعرا

راح في طي مباني نظمه ... دُرَّنا مُنسلكاً مُنتشرا

عنه آيات المعاني أُحْكِمت ... خبراً يحيي قلوب الفقرا

وطوى معنىً لطيفاً سائغاً ... كلما أورد سِراً أصدرا

❋ ❋ ❋

وقلت أعظ بلزوم صحبة أُولي الأذواق الصادقة، والألسن التي هي عن صُحُف القلوب ناطقة:

صاحب أُولي الذوق واغنم من مجالسهم ... أسـرار أوقـاتهـم إن كنـت ذا نظـرِ
واجعل لقلبك عيناً في محاضرهم ... تطوف بالصدق بين السمع والبصرِ
هذي الفلاة بها الأحجار طافحة ... رطيبـة وكميـن القـدح فـي حجـرِ
فإن تراها بلمسٍ كلها اتحدت ... ونكتة القدح تبدي كامن الشرَرِ
فاقدح بزند خشوع في محاضرهم ... قلـوبهـم لتـرى جَلجـالـة الأثـرِ
وإن سمعت وما حقَّقت أو نظرت ... عيناك وهماً جهلت الخُبر بالخَبرِ
كـم مـن بعيـد رآهـم قُـرب رُتبتـه ... يا رُبَّ في الماء تَبدو صورة القمرِ

* * *

وقلت والكلمات بوارقية، تُشير لتنوّع البراهين، والأمر لله رَبِّ العالمين:

إن البـــراهيـــن وأطـــوارهـــا ... تُحـــدث للعـــارف أخبـــارهـــا
تكشـــف مـــن طـــيّ إشـــاراتهـــا ... لصـــاحـــب الإذعـــان أســـرارهـــا
يجعـــل ربـــي عـــزّ مـــن فـــاعـــل ... صغـــارهـــا فـــي البـــاب كُبّـــارهـــا
أكـــرَمَ بـــالبـــاقـــي كبـــار الحمـــى ... وصـــدَّ بـــالمعـــدوم فُجّـــارهـــا
يقطـــع بـــالتقـــوى أســـاتيـــذهـــا ... والصبـــر والعـــرفـــان أعمـــارهـــا
ومـــن بـــه زاغ طـــريـــق الهـــوى ... يعشـــق مـــن دنيـــاه آثـــارهـــا
يتـــرك أُخـــراه ومِـــنْ حُمقـــه ... ينفـــخ فـــي دُنيـــاه مُـــزمـــارهـــا
ومـــا درى أن البـــلا مـــوثـــق ... بـــأســـره بـــالمـــوت أحـــرارهـــا
وينجلـــي الأمـــر بكشـــف الغطـــا ... ويحمـــل الـــلاهـــون أوزارهـــا

* * *

وقلت أذكر ما في رفارف الدُّجى من البشائر، التي أشار لها الحبيب الطاهر (ﷺ):

تحت رفارف الدُّجى   بشائر بواهرُ
يَعرفها أُولو النُّهى   وللدُّجى سرائرُ
كم نفحات ضِمنه   تشهدها البصائرُ
وأَهلها تغنمها   إذِ الظلام ساترُ
فالعتم طَيّ بُرْده   لمن درى بشائرُ

* * *

وقلت أستكشف الحجاب بالسَّهرِ، ومثل ذلك ما جاء في الخبرِ:

اِكشف حجاب الليل بالسَّهرِ   واسْتَلْوِ عنه بُردة القمرِ
واخطف كؤوس الليل صافية   ملآنة من حانة القَدرِ
واكرع أخا الأشواق طيّبها   من ذوق معنى سيد البشرِ ﷺ
وانظر شؤون الله إذ ظهرت   للسر في موسى مع الخَضِرِ
واغنم معاني الغيب إنَّ بها   سِراً جَلاه النص بالأَثرِ
وقف قُبيل الباب عن أدبِ   فالدرب لا يخلو من الخطرِ
واربض على الأعتاب منتظراً   فالخير مضمون لمنتظرِ

* * *

وقلت أستطلع سراً مَكنوناً، وأستكشف كنزاً مصوناً:

أرى شيخون تُنْبِتُ لي نَباتاً   فأُودعه من الشهباء كنزا
وتنسج لي بسمك الكون بدراً   لآل محمد يُنمى ويُعزا
سأَكْتُبُ في الحمى عنه رِقاعاً   وأَنقش في «أبي البركات» رَمْزا
سينشر من أبي العَلَمين طياً   ويُبْرِزُ من خفي الشأن عِزا

ويبدو في زمان ذي شؤون — وكلٌّ حسب ما ينويه يُجزى
فقسمة خالص النيات نور — وقسمة فاسد النيات ضيزى
ويرفع بالأمان رفيع برج — له كَتَبَت يدُ الأقدار حِرزا
وما ضر الهلال وقد تَجلَّى — إذا ما سامه المنكود غمزا
أصاحب سِر هذا الرمز بشرى — تؤنّق عن أبي العَلَمين طِرزا

* * *

يقول السيد محمد مهدي الصيادي ﴿الرفاعي الثاني﴾ الشهير بـ «الرواس» ـ رضي الله عنه! ـ:

هذا باب: نَظَمَ الرقائق العِرفانية، والدقائق الإذعانية، وبَسَطَ مِن مُرَكَّبات شؤونات الأولياء أُولي المناقب، بدائع أسرار ذوقية أتت بالعجائب، وَنَشَر من طَيِّ السِّر الإلٰهي المستودع بشيخ طوائف القوم الإمام الأعظم السيد أحمد الرفاعي (رضي الله عنه وعنا به!) كلَّ معنىً يأخذ القلوب، وَيَعْرُجُ بها إلى حضرات الغيوب، وذكر حال السَّراة من ذريته، وأهل نوبته، وهاك ما قلت:

إن معنى الهُيام بالأولياء — لَهُيام بخالق الأشياءِ
وغرام القلوب بالقوم حقاً — فيه شأن من واردات السماءِ
أَلِفَ القلب صِدقهم وهُداهم — ورأى مَيْلهم عن الآلاءِ
صعدوا بالقلوب سُلَّم ذَوْق — كشفوا فيه مُسدلات الغِطاءِ
طلبوا ربهم وفاتوا سواه — وتناهوا بالرتبة القعساءِ
فلهذا مال الفؤاد إليهم — بانقطاعٍ لأرحم الرحماءِ
وضليع إن كان في ساحة القو — م مَشَوْا فيه فارغ الأعباءِ
حَمَلَته رُكبانهم بأَمان — أين ساروا في مَهْمَهِ البيداءِ
ومُحب رأى خطاياه طَمَّت — ورمته الشؤون بالأهواءِ

عـاجـز مُـذنـب كليـل كسـول ذو انحطـاط عـن همـة العُظمـاءِ
مُـوثـق بـالهـوى فقيـر ضعيـف فتـوارى بـالحُـب لـلأقـويـاءِ
راجيـاً جـاههـم إذا دهـم الأمـ ـرُ بيـوم المصيبـة الغمّـاءِ
ولهـم فـي غـدٍ شفـاعـة وجـهٍ صَـحَّ هـذا عـن سَيِّـد الأنبيـاءِ
فـالـزم الأوليـاء قلبـاً وحقـق وِدّهـم فـي سـريـرة خلصـاءِ
واستقـم عـاشقـاً وحـاذر تُبـارح بـابهـم حـال شِـدة أو رخـاءِ
وتملمـل بـرحبهـم وارو عنهـم حَـالَهـم واحفظـن حقـوق الثنـاءِ
هم ملوك الحمى أُسود التجلّي أهـلُ شَـقّ الغُبـار فـي الهيجـاءِ
وتمسّـك عنـي بحبـل فتـاهـم شيخهـم أحمـدٍ أبـي العـرجـاءِ
فحـل كُبّـارهـم عظيـم المـزايـا المفـدّى رَبُّ اليـد البيضـاءِ
عَلَـم الأوليـاء ذخـري أبـو العـ ـبـاس ليـثُ الكتيبـة الصمـاءِ
بـارق الغيـب فـي بـروج التـدلـي والتجلـي وكـوكـبُ البطحـاءِ
ومغيـث المـريـد قُـربـاً وبُعـداً تاجُ أهل الوحي حِمى الفقراءِ
تتـوالـى أسـراره كُـلَّ آنٍ كتوالي شمس الضُّحى بالسناءِ
هاشميُّ الجناب من أهل بيت عـزَّ رُكنـاً بـالسـادة الأوصيـاءِ
ذو المعالي مُستودعُ المدد المحـ ـض بمضمـون سينـه والـراءِ
كـم أذل الأُسـودَ عبـدُ حِمـاه حيـن نـاداه فـي طُـوَى الفيفـاءِ
كـم أعـاد السمـوم مـاءً زُلالاً بـاسْمـه والنيـران مـاجـت بمـاءِ
عَلَم الشرق صاحب الفتق والرتـ ـق فتـى الحـق وارثُ الإيحـاءِ
نَغْمَـةُ النفحـة التـي قـد تـدلّـت لعلـيٍّ والبَضْعـة الـزهـراءِ
حضرة القُرب في عُلا حضرة البُعـ ـد انجلاءٌ في الحضرة الفيحاءِ
مـا تنشّـقـتُ عِطـره بمـديـحٍ ضمـن داءٍ إلاّ وعُـوفـيَ دائـي
هـو عـزّي إن صـادمتنـي الليـالي هـو سيفـيَ البتّـار لـلأعـداءِ
كـاظـم الغيـظ جَـدُّه قـد جـلاه بـدر أُنـسٍ مُـذ لاح بـالأبـواءِ

قـدَّس الله سـره فهـو إبـنٌ شـاد حصـن الفخـار لـلآبـاءِ!
عطَّـر الله قبـره فهـو جَـدٌّ فيـه سعـد السعـود لـلأبنـاءِ!
عـن علـيٍّ أتـى بشـأن علـيٍّ مثلمـا النُّقطـة انطـوت فـي البـاءِ
ذو قبـولٍ مـن الـرسـول وقُـربٍ عَلَنـيٌّ يعلـو عـن الإيمـاءِ
الكبيـرُ الشـأن المفـدّى إمـامُ الـ ـقـوم سلطـانُهـم مَـدارُ الـرَّجـاءِ
لم يَخَفْ صدمةَ الزمان مُحبٌّ لاذ فـي بـابـه بصـدق انتمـاءِ
يـا رئيـس الأقطـاب حيًّـا ومَيْتـاً يـا بـن بنـت النبـي يـا مـولائـي
أنـت بـابـي للهـاشمـي ونـوري بسلـوكـي فـي اللُّجَّـة الظلمـاءِ
أنـت معـراج همتـي للتـرقـي بـك تَسْمـو إلـى عَنـان السمـاءِ
رضـي الله عنـك مـا انفلـق الصبـ ـحُ بنـورٍ مُشَعْشَـعِ الأضـواءِ!
وعليك السلام يا بن رسول اللـ ـهِ دهـراً مـن حضـرة الأسمـاءِ!

* * *

وهنا قلت مشيراً إلى مركز ظهور طريقنا في تغريبنا وتشريقنا، والحمد لله وحده!:

بالقرب من مَتْكين نشر لوائي سـرٌّ أُقيـم بعـالَـم الأسمـاءِ
سَيُفاض في الشهباء منه رونق عـالٍ ويُحيـي مَيْـت الأحيـاءِ
لله فـي البطحـاء عيـن عنـايـة تـرعـى فـروع خُـزَام فـي الشهبـاءِ

* * *

وقلت بسيدي وجَدّي حبيب النبي (ﷺ)، مولانا الغوث الرفاعي الأعظم:

جَدي بواسط أوسط القوم الأُولى عَلَم الرجال أبو اليمين المانحة
فخـر الأئمـة فـي سلالـة حيـدر وأبو الإشارات الرقاق الناجحة

مولاي أحمد شيخ كل موحِّد بحر الفيوض السائلات السائحهْ
كم أمَّ ساحته شقيٌّ خاسر وأعاده بتجارة هي رابحهْ
زُمر الرجال العارفين إمامهم من كل غادية بهم أو رائحهْ
فلك المعارف قطب كل طريقة سلطان أصحاب الشؤون الصالحهْ
يزهو بأنجب طلعة علوية وعليه أنوار النبوة لائحهْ
بحضيرة قدسية نبوية وبلابل العرفان فيها صادحهْ
أسد إلَهي عبيد ركابه كم ذلَّلت أُسد الفلاة السارحهْ
هذا كتاب العارفين اقرأ به وترى أَبَا العَلَمين فيه الفاتحهْ
أهل القلوب بكل قُطرٍ شاسع هي باسْمه لا زال تهتف صائحهْ
كم مرة في كربة حاضرته نُسفت على عجل كأمس البارحهْ
هَزَّ القلوب بهمة فعّالة مرّت عليها بالكؤوس الطافحهْ
إمدحه محتسباً ولُذ بجنابه لتسح منك على الفؤاد منائحهْ
واهجع بمهد الأمن في رحب الرضا وابشر فرَبِّي لم يخيِّب مادحهْ

❊ ❊ ❊

وقلت أُنوّه بمَتْكين، وأتشرَّف بمدح ساكنها الإمام الصياد العارف المَكِين، وبذكر نيابته لجدوده أئمة الهدى، وبحور الندى:

مَتْكين بصرتنا وأحمد أحمد نسعى إلى تلك البقاع ونحفِدُ
إن فاتنا شرف البطاح وأهلِها متكين بطحانا وهذا السيدُ
هذا الإمام أبو عليٍّ أحمدٌ قطب يقوم له الفخار ويقعدُ
سَنَة أقام مولّهاً في سجدة وكذاك أنجاب الفواطم تسجدُ
هذا أبو العَلَمين أحمد جَدُّه من مُدّ تكريماً له العَضْرَ اليدُ
وسرت بها الركبان في كل الورى بمدائحِ في كل فجٍّ تُنشَدُ
إن راح يجهلها الحسود لحمقه فالله يشهد والبرية تشهدُ

شيخ العريجا مقتدى القوم الذي ... بـرهـانـه بـالخـارقـات مـؤيّـدُ
والسيـد الصيّـاد نـاب جنـابـه ... وابـن الكـرام الصِّيـد حقـاً أَصْيَـدُ
يـا شيـخ متكيـن العنـايـةَ إنني ... بالقيد من غوش الوجود مُقَيَّدُ
وافيـت بـابـك خـاشعـاً متململاً ... ونوال مثلك يا بن أحمد يُرصدُ
جئتـم ببيـت الهـاشمـيّ أئمـة ... مـن سيـد ويليـه عِـزاً سيِّـدُ
وفخـاركـم فـي الأوليـاء لِعـزه ... ركـن علـى هـام السِّمـاك مُشيَّـدُ
ولأنت مولىً من طويل بَنَانه ... كـم سح بحر بـالخوارق مُزبدُ
وافيت رحبك لي دموع قد جرت ... سيـلاً وقلـب للمهـابـة يُـرعَـدُ
ولأنـت جَـدِّي بـل عَتَـادُ حقيقتي ... وطـريقتي لـك في البـرية تُسندُ
أنـا ذلـك الطفـل الـذي تـدرونـه ... وَلَكُـم عليـه بكـل آونـة يـدُ
مهديّ دوحتكم ووارث هديكم ... ولـه بكـم متـن الفَخَـارِ ممهـدُ
فتفضلـوا كـرمـاً بِـوِصْلَـة حبلـه ... فـلأنتـمُ آيـاتكـم لا تُجحـدُ
لا زالت الرحمات تنشر مسكها ... أبداً عليكم ما استفاض موحِّدُ
وتعـم أبنـاءَ لكـم وعصـابـةً ... مـا ذَلَّ تلميـذ وعلَّـمَ مُـرشِـدُ

❊ ❊ ❊

وقلت أتنوَّر بذكر الإمام الكبير الصياد، ورجال بيته أئمة أهل الإرشاد

بيـت الـرفـاعـي المـؤيّـد غـابـه ... حشـدت بـه الآسـاد مـن صيّـادهِ
شيخ الوجود أبي عليِّ مَن طَمَت ... أَلْبـابهـا العُـرفـاء مـن إمـدادهِ
هو كنز عرفان تطلسم بالهدى ... وتحيَّـر الأكفـاء فـي أرصـادهِ
عَلَـم بـأسـرار النبـوة خـافـق ... قـد حيّـر الألبـاب بـاستعـدادهِ
أنعـم بـه شيـخ عظيـم مكـانـة ... وفتىً أبو العَلَمين من أَجدادِه!
والقطب صدر الدين وارث عهده ... والفحل شمس الدين صوب عَهادهِ
وسـراجنـا الـوهـاج أوسـط صفـه ... وبقيـة الأعـلام مِـن أولادهِ

وأنــا الختــام لنظمهــم إن عُــدِّدوا والكـوكـب السيَّـار فـي أَحفـادهِ
الله أطلعنـــي ببــرج عنـــايـــة سيضيء نوري في جميع بلادهِ
مَنْ ساعدته يد العناية بالعُلا يبـدو عليـه الـوسـم فـي ميـلادهِ
ويقـوم يـرقـى كـل شـامـخ رُتبـة بعنـايـة الـرحمـن وفـق مـرادهِ
وتصـونـه الآيـات مـن أعـدائـه ويـروح مـرتفعـاً علـى أضـدادهِ
فـالبحـر يحـرسـه بهـائـج مـوجـه والبَـر يكلـؤه قُـوى آســادهِ
وإذا أراد تقــاعــداً عــن رُتبـة نهضـت بـه الآراء مـن حُسَّـادهِ
تلـك المـواهـب لا تُـردُّ بعـارض والأمـر مُنْجَـذِب إلـى ميعـادهِ
والبَـرُّ إن أعطـى عطـاء عبـده حـاشـاه يـا هـذا مـن استـردادهِ
تلـك الشـؤون أبـو علـيٍّ نـالهـا من قبل نَسق الشكل في إيجادهِ
ولــذاك جــاء مهيَّمــاً بحبيبــه عـن طيـب عيشتـه ورَيِّـض زادهِ
إن كان للأقوام وِرْد في السُّرى فـالطـرح للكـونيـن مـن أورادهِ!
سبـق الـرجـال العـارفيـن بـزهـده وبصــدقــه وبجُهــده وجِهــادهِ
فليهنـأ البيـت الـرفـاعـي الـذي هـذا الإمـام الفـرد رُكـن عَتـادهِ
أنــا مــن بنيــه وإننــي لَعُبَيْــدُهُ والعبـد حملتـه علـى أسيـادهِ

❊ ❊ ❊

وقلت متدلياً من ذلك الحضرة الرفيعة الرفاعية، إلى ذِكر أفراد عائلته الخُزَامية الصيادية، بأطراف «متكين»، وأُصرح بأسماء رجال منهم، انطووا على الحق اليقين:

حيِّ القوافل ممن جاء أو ذهبا ولا تَـرُم دونهـم ورِقـاً ولا ذَهبـا
وانهز ركابك للبطحاء مُرتجلاً وقُدْ نياق الحمى واهجر لمن ركبا
وغبِّر الثوب من فيفاء ساحتهم قد يستلذ المحب الخالص التعبا
وإن أعانتك من رب السماء يد فاسجد له الشكر إن ما تشهد القِبِبا

وخذ بشرقي آل الحيِّ مضطرماً بنار وجدك أو بالشوق مضطربا
قبّل تـرابـاً ببـاب ركـن صـاحبـه قد طال في المجد حتى طاول الشُّهُبا
أعني الإمامَ أبا العباس سيدَنا أجلَّ أقطاب آلِ المصطفى رُتبا
كم مرة قرّب المبعود إذ جذبا ومـرة أوصـل المقطـوع إذ وهبـا
أكرم به سيداً في القوم عنصره أزكى العناصر ما بين الورى نَسبا
فالْزم حماه بإخلاص ورُح ثملا من خمره ثم حقق بعدها الأدبا
وإن نأى الحظ والأقدار ما منحت ورحت عنه بسد البُعد منحجبا
فارجع لمتكين واقرع باب ساكنها وزُر بإخلاصٍ قلبِ شبله رجبا
شيخ جليل حباه الصدق منزلة رفيعـة وعـن الأغيـار قـد سُلبـا
قرأت في كتب الديوان سيرته فشمتـه بيـن كبّـار الحمـى كُتبـا
رأيتـــه وتصـــاحبنـــا بمجلســـه وقبله طاب قلبي بالذي صحبا
عقيم نسل سوى من حِبه حسنٍ وبـالأقـلاء طبعـاً تنجـب النجبـا
يا نعم شيخ ونعم الصاحب الحفل الـ ـشهم الكريم ومَنْ مِنْ كأسه شَرِبا
شهدت من رجب شوّال طلمسة شعبـانهـا بصيـام الإصطفـا رجبـا
أعـزه الحـال فـي بـرهـان رُتبتـه وذيلـه فـوق لمّـاع السُّهـى سحبـا
أُمِّيّ طـور عليـم القلـب ذو مـدد رأيت من كشفه في الحضرة العجبا
يُريع بالحال أرباب الفحول إذا ما شبّ طوراً ومعنىً يُلكن الخُطبا
وشيخه أحمد الجندي من سبحت له سحائب حال توصل الأربا
مُــؤَدّب ورع ذو همــة كبُــرت وقلب صدق عن الرحمن ما انقلبا
وفي أبيه الجليل المصطفى برزت آيات سر شهدنا بحرها اللجبا
لا تعجبن إن مضوا والبعض يجهلهم كم بالغياهب وهماً كوكب حُجبا
سـلالـةٌ أحمـدُ الصيـادُ والـدُهـا من مدّ بالهمة الأعجام والعربا
بنو النبي وأحفادُ الوصي ومَنْ أُمّاً عَلَوْا وزَكَوْا أهل الوجود أبا
ذكـرتهـم لِتُـرى أنـوار بـاطنهـم فكم قريب نأى والأبعد اقْتربا

خدمتُ ألْباب أقوام على غصص مضت وما أَدْرَكَت من حالهم طَلبا
وتلك أحوال قوم في مناصبهم عاشوا وماتوا وهم بين الورى غُربا
لا زال يُهدى لهم رضوان بارثهم ما رشَّ طلّ النَّدى في الحي روض رُبا

* * *

وقلت أذكر قول شيخ أهل الهُيام، السيد علي آل خُزَام، دفين «حِيش» البشارة، وأُفسر تلك العبارة:

نُعظِّم من شرقيّ حيش لقبلة مقاماً به الأُستاذ رب الإشارةِ
يخاطب في معنى الإشارة قومه فيرجع من بطن الخفا بالبشارةِ
ويرفع أسراراً إلى الله قد علت فيكشف بالمجلى خفيَّ السَّرارة
يباهي به شيخ العواجز في غدٍ أكابر أهل الله أهل الخفارةِ
وبالمؤمن المولى يُباهي وقد أتى بذلك نص في صريح العبارةِ
هُم القوم في صنفين والجمع ثالث فصنف بشارات وصنف نذارةِ
وعمي عليٌّ قام بالجمع سيداً وقد وسموه القوم صاحب غارةِ
لقد كان في طَيِّ الجمال مُرَوْنَقاً كبدرِ جمالٍ من وراء الستارةِ
فكم مرة للحال أقعد قائماً وجلجل بالميدان عَجَّ الإثارةِ
فقُل لأسير اللفظ: هذا مُطَلْسَم رَوى عِلم آل المصطفى بالأثارةِ
وما انعقد الميدان في أهل عصره إلاّ تولّى رأسه بالصدارةِ
فقوم على الجدران طارت قلوبهم وعَمِّيَ أعلا قلبه بالعمارةِ
إشارته طور الجلالة حالها فخذ مغنماً من عكس تلك الإشارةِ

* * *

وقلت أنسق سراً رمزياً، يجلو حُكْماً نوعياً، ومعنى إلْهامياً:

لنـا بفيفـاء أرض الشـام بـاديـة ... سيملأ النور منها البدو والحَضَرا
قرأت في جفر أهل البيت نمنمة ... طزازها فوق ألْواح الخفا سُطِرا
بأنَّ صاحب «حيش» يجتلي عقِباً ... يستطلع الغيب منهم أنجماً غُررا
يبدو أبو البركات الفحل آخرهم ... ورُبَّ مخفـيٍّ سـرٍ للـورى ظهـرا
سيبــرز الله منــه نــور حِكمتنــا ... تفيض بحراً من العرفان منهمرا
ويكبر الشأن إن ما غاب منطوياً ... والأمر سِيّان إن ما غاب أو حضرا
شمس جلت قمراً من بعد غيبتها ... والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا
هذي المعاني وذا مجلى طلاسمها ... رقيقـة وبهـا سـر العُـلا وقـرا
إن شِمْتَ مَن راح مرتدّاً فكن وثِقاً ... فكاتب الوحي قِدماً أنكر الخَبَرا
الله قـــرَّب أقـــوامـــاً وأبعـــد أقـ ... ـواماً بذاك القضا في العِلم منه جرى
أُذكر شؤون أَبي جَهل وكن فطناً ... واذكر مقاماً لشيخ الغار قد ذُكرا
فصاحب الغار زاد العنكبوت له ... إيمانه والذي خاف الوغى كفرا
فذاك بالضعف لم تضعف عقيدته ... وذاك بـالقـوة البحتـاء قـد دُحِـرا
أسـرار غيـب خفيّـات بهـا حِكَـم ... ارجع لها منك يا هذا الفتى النَّظَرا
وارقب لها زمناً تحيى القلوب به ... يسيل فيها بحال المصطفى المطرا
هذا النَّبات الذي بَدْءَ أشرت له ... يزهو لكم حسناً تغنى به الفقرا
فنصه حسنٌ قد جاء عن حسنٍ ... وقـام فـي حسـن فـافهـم لتعتبـرا
واقرأ نظاميَ مدموجاً به تُحف ... ما كل من قرأ السطر القويم قَرا
فـإن شِعـريَ لـلألبـاب مـائـدة ... بهـــا لأهـــل وداد الله أيّ قِـــرا
واصبر كأني أرى الأيام قد وصلت ... والحِصْن من بعد تخريبٍ به عَمُرا
هـذا أبـوك أبـو بكـر بسيـرتـه ... فرح أقمناك في معراجنا عُمَرَا

❊ ❊ ❊

وقلت والإشارة الإلهامية لطيٍّ فيه نشر عن وارد سماوي، وإلهام قُدُوسي:

يمِّمْ يمينَ الحمى الشرقي من حلب ... ومِلْ جنوباً وقف واستطلع القمرَا
أرى هناك بخدر الغيب زاوية ... بيضاء تنسج في سمك العلا غُرَرَا
يُطوى بها ابن خُزَام شيخها حسن ... طياً تراه لأسرار الهدى نشرا
فارقب بُنَيَّ لها وقتاً فإن بها ... سِراً بألباب أرباب القَبول سرى
يُميت قوماً ويحيي آخرين وفي ... تيّار ذاك الخفا تلقاه قد ظهرا
طلاسم لو أردت اليوم لانكشفت ... أرصادها ودرى كل الورى الخبرا
لكنَّما مُحكم الإتّان طلسمها ... للوقت والفجرُ في وقت الطلوع يُرى

❊ ❊ ❊

وقلت في حضرة إلْهام، نُشرت عليَّ فيها سجف الإنعام، أذكر حال أبي البركات ابن عمنا السيد حسن وادي آل خُزَام، وأُفصح بلسان الفتح عن علو ذلك المقام:

عوجا إلى الوادي المقدس بالسُّرى ... يا نُوق واحتلِّي بأكرم منزلِ
وتنوّري مُقلاً بزبدة عصبة ... (شُم الأنوف من الطراز الأولِ)
شأن سماويّ وطلسم عترة ... معناه في لوْح الكتاب المنزلِ
فتأوّدي يا نُوق إن جزتِ به ... وتثاقلي بالسير لا تتقلقلي
واستنشقي عطر النبوة منه عن ... صدقٍ وقلباً عنه لا تتحوّلي
حُبي له في سمط سري أول ... لا تجهلي حُبي له وتأولي
عُرضت عليّ شؤون حِب بعده ... (ما الحُبُّ إلاّ للحبيب الأولِ)
كنز من العرفان صِين برونق ... بركاته بأولي النُّهى لم تُجهلِ
إني أُشاهد فيه معنىً خافياً ... برهانه كالسيف للمحتملِ
سيقيم في الأقطار نوبة أحمد ... ويقوم عنه مطيلساً في هيكلِ

وبحـالـه تبـدو حقيقـة جَـدِّه وببيتـه أنـوار أحمـد تنجلـي
بـالله يـاحـادي النيـاق أَلِيّـةً إن جئـت وادي قـدسـه فترجـلِ
واخلع له نعليك وادخل خاشعاً كبِّر بـذيّـاك الـرحـاب وهلِّـلِ
وادي الولاية من صميم محمد ﷺ سـر النبـوة عـروة المتـوسـلِ
طَـه الحقـائـق حُكـم يسّ العمـا طـسّ نـص كتـابـه المتنـزّلِ
قَ الإحـاطـة فـي مضـامين العُلا فـي كـل معـراجٍ بسيـط أو عَلـي
لـو أنّ مـوسـى أمَّ وادي سِـره خلـع النعـال بـه ولـم يتنعَّـلِ
فـالسـر سـر محمـد وشـروقـه في سر وادي القدس لا في الأجبلِ
وادٍ بـذكـر الله ضـاء مُشعشـاً بطـريقـة المـدَّثـر المـزمِّـلِ
تلـك الخـوارق عـن أبيـه وجَـده وارفع إلى الزهراء والمولى علي
لا تنحجـب عنـه بظـاهـر طَـوْره يبديك في المرآة نسج الصيقلِ
واركـن إليـه وخُـذ نتـائـج قلبـه فمتـى ثبـتَّ بلـوحـه لـم تُخـذلِ
ذو الرتبة القعساء والمدد الذي فـي سَيْـره الله لـم يتـزلـزلِ
متمكِّـن فـي طـوره متـوطِّـد فـي سـره متـأوِّد لـم يعجـلِ
أخفـى سريـرتـه وصـان شؤونـه عـن غيـر بـارئـه بصـدق تبتُّـلِ
لـم أنـسَ إذ قـال النبي عشيـة: (بارك على ذا السيد المتوكلِ)!
فحففتـه منـي بنفحـة جَـدِه وطويت فيه عُذَيْبَ أشرف منهلِ
فـرأيـت فيـه رقيقـة فضفـاضـة سحّت على أهل القَبُول بجدولِ
أنعـم بـه حسـن جليـل قـدره مجـلاه بيـن تـذلُّـل وتـدلـلِ!
ربّتـه معنـىً فـي جميـع شـؤونـه روح الإمام الأحمدي أبي علي
وجلته من شيخون كوكب سمكها فـأضـاء فـي الأكـوان دون تسلُّـلِ
وشرائف العهد الصميم وخالص الـ ـود القـديـم وأَزْجُـل لـم تُنقـلِ
سيُـرى لـه بيـت يطـول عَنَـانـه شرفاً إلى هام السِّماك الأعزلِ
ويُحَـفُّ بـالأقطـاب مـن أركـانـه مـا بيـن شيـخ لـوذعـي أو ولـي

ويسير للأقطار سائر ذكره — حياً وميتاً ضمن مظهره الجلي
فكأنه في كل حيٍّ حاضرٌ — حيٌّ وعامل حاله لم يبطلِ
عجباً لذي طمس رآه وما رأى — معنى الجمال به ولم يتعقَّلِ
فابشر به يا ربَّ نوبتنا التي — فاحت لكم مسكاً بنشأة صندلِ
واعرف حقيقته وأيِّد طوره — بتأدُّب شأنَ الكرام الكُمَّلِ
هذا هو الكنز المطلسم فالتزم — أرصاده لتفكَّها بتذللِ
واعلم بأن الله أيَّد أمره — رغم الجحود بعلمه لا تَغْفُلِ
واجعله في محراب قلبك واستفض — منه وعنه كُلَّ خير فانقلِ
عطّر مجالسك الطوال بذكره — واذكره مبتهجاً بغير تخجُّلِ
هو عين شيخ المشرقين حقيقة — سامي الجناب أبي الذراع الأطولِ
قوم شؤون محمد برزت بهم — فغدوا بها أملاً لكل مُؤمِّلِ
خذها نصيحة مرشد لك عارف — من لب هاشم ذي حُسام فَيْصلِ
فاسْتَجْلِ منها الرمز وافهم حُكمه — واذكر نبيك بالصلاة وأجزلِ ﷺ

* * *

وقلت أذكر شيخي السيد عبد الله بن السيد أحمد الراوي الرفاعي رحمهما الله ونفع بهما! :

شيخ براوة عنه العارفون رَوَت — مُسَلسلات أحاديث الهدى غُررا
سَمعتُ أخباره قِدماً ومُذ شهدت — عيني مُحيّاه فاق المخبر الخبرا
شيخ الحقائق عبد الله من ظهرت — به شؤون أبي العباس فاشتهرا
ومن يكن وارثاً جداً كأحمدهم — لا بدع في رتبة البرهان إن ظهرا
مسلسل من صميم الآل ذو شرف — مناره في التعالي زاحم القمرا
له علينا عهود لا نخالفها — نحن على عهده إن غاب أو حضرا
ماذا أقول به والله أيّده — بسر حال لأرباب القلوب سرى

هذا الرشيق المعاني في معارفه	هذا ابن شيخ العُريجا ملجأ الفُقرا
قـلْ للحسـود: تـأخَّـر إنهـا قِسـمٌ	فيهـا الأمـام أمـام والـوراء ورا
يا قبر راوة تسقيك الغيوث ندى	عليك من حضرات القُدس مُنهمرا
ولا عَدَتْك سحاب الفيض ماطرة	ما السيل يوماً بفيفاء البطاح جرى

* * *

وقلت في الحضرة الرفاعية، ذات الأطوار السنية:

براهين أهل الله في كل حضرة	لها خارقات في البريات تَظْهرُ
أعـانهـمُ الجبـار قِـدمـاً بغيبـه	فمنهمْ لهمْ في عالم الكون مظهرُ
وعينهمُ الغوث الرفاعي أحمد	متى قلت: يا شيخ العواجز يحضرُ

* * *

وقلت أنشر طي السر المصون في آل الرفاعي (رضي الله عنهم!) وأُوضح رمز ما سيبديه الله بعونه منهم:

نحن الرفاعية الأعلام ما برحت	إلاَّ ولاحت لنا في الكون أنوارُ
جَلَّتْ مظاهرُنا سِراً، وظاهرُنا	طوى نظاماً به للفضل مِضمارُ
مـن كـلِ شيـخ كبيـر مفـرد عَلَـم	كـأنـه عَلَـم فـي رأسـه نـارُ
تسلّقـت ذِرْوَةَ العليـا عصـائبنـا	شمـوس مَنْقَبَـة تُجلـى وأنـوارُ
طافت بنا الأولياء الزُّهر واحتفلت	بعهدنـا ولهـم مـن حـالنـا جارُ
طابت معاهدنا لذَّت مواردنا	عزّت مشاهدنا والقوم قد حارُوا
لنـا قلـوب عـن الأغيـار غـائبـة	ونحن قوم مع المحبوب حُضّارُ
يكابر الخصم كي يطوي مظاهرَنا	بالوهم يطوي وكف الغيب نشّارُ
يريد إبطانَنا المخذولُ عن حسد	ونحن قام لنا في الغيب إظهارُ
قد راح بالزور والبهتان منتصراً	وعنـدنـا مـن جنـود الله أنصـارُ

مواهب الله لا تُمحى بِشِنْشِنَةٍ … من ذي ضلال وحال الغيب قهّارُ
لنا مع الله أحوال مؤيَّدة … غيباً وفيها لسر الله أسرارُ
ثار الحواسد عجزاً قصدُهم أثراً … منا وفاتَهُمُ المرمى ولو طاروا
نحن الشموش التي ضمن العُلا سطعت … والعُمْيُ قالوا: دجت لَمّا لها غاروا
نُبنا الرسول بإرشاد ومعرفة … وبحرنا عنه بالبرهان زخّارُ
واختارنا الله أنصاراً لمنهجه … وإنما نائب المختار مختارُ
نحن ارتقينا مراقي المجد عن أدب … غضٌّ وهذا على حسّادنا العارُ
رموا نجوم العُلا طيشاً بأسهمهم … بين العُلا والثرى يا صاح أدوارُ!
قمنا فقامت شؤون الغيب تكنفنا … وكلنا بالشذا الغيبي مِعْطارُ
قل للأعادي: رُويداً وارقبوا خبراً … من السماء صُرِعتم ما لكم دارُ!
نِمْنا على الأمن لا ريب يُزلزلنا … والله للمخلص المكسور جبّارُ
رمتم بنا أخذَ ثارٍ فاثبتوا وإذن … منكم بعزم التجلي يؤخذ الثارُ
هذا ضمان قديم خُط في صُحُفٍ … غيبيّةٍ ولها المختار سبّارُ
لنا من المصطفى في كل مَنْقَبَة … شؤونٌ سرٌّ وأحوالٌ وأطوارُ
قمنا على مِنبَرِ العَليا وقد سُدلت … على مظاهرنا بالعز أستارُ
تلك البراهين والأيام شاهدة … ولليالي حكايات وأخبارُ
وعند كشف الغطاءِ البحتِ يَظْهَرُ مِن … طي الخبايا لأهل الذوق أسرارُ
ستنجلي ويقول الخصم وهو على … نار الغضا: كان ما قالوا. ويحتارُ
لا يخلف الله ميعاداً وإن بعُدت … آماده ومَعَ الأقدار أقدارُ
فاشهد بشائِرَنا وارْقُبْ أشائِرَنا … ويَفْعَلُ الله ما يَقْضِي ويختارُ

* * *

وقلت في نفوس مطموسة، نَسَبَتْ لوارثي الناطقة، ونَسِيَتْ السابقة:

ستقول عابثة النفوس فصاحة … : بك قام منها ناطق قوّالُ
قل: تلك عن همم لشيخي أبرزت … منها بطور فؤاديَ الأفعالُ

إن الدعاوى كيف كان نماطها ... تبديه من مكنونه الأحوالُ
سيقوم منك بذي الحقيقة فارس ... تعنو لصولة بأسه الأبطالُ
ويُناط فيه قلوب قوم خُلَّص ... تلوي بهم للبارىء الآمالُ
ويجيء منهم في المحاضره سادة ... بِهِمُ سَيُضرب في الورى الأمثالُ
تعنو لهمتهم رؤوس مَعاشر ... سلكوا وعن نهج الحقيقة مالوا
وتَكِلُّ أَلْسِنَة الحواسد دونهم ... ويُقال: يظهر في الرجال جبالُ ؟

* * *

وقلت أُذَكِّر بشأن حزبنا بالذِّكر، وإنه نعمة يلزم شكرها بالتخلُّص من غفلة الفكر:

طريق المهدوية فيه سُكر ... عن الأكوان صحوٌ في القديم
تَنَعَّم حزبهم بالذِّكر قلباً ... نَعَمْ: ولتُسئلنَّ عن النعيم

* * *

وقلت أذكر للوارث حكم مقامه، بعد بروز خيامه:

إن ما برزتَ على المنـ ... ـصَّة في ظهور مقامنا
ونشرت في طي الوجو ... د البيضَ من أعلامنا
وذكرت ما بين المحا ... فل نص سِحر كلامنا
وجلوت أنوار البرو ... ز بَـريقةً بخيامنا
ولفت بالعزم القلو ... ب لحُبِّنا وغرامنا
وسقيت أصحاب الفتو ... ح لطيف عَذْبِ مُدامنا
ومشيت في هذا الطريـ ... ـق على صحيح نظامنا
وقعدت مثل قعودنا ... أو قمت مثل قيامنا
وركبت همَّة خيلنا ... وسللت عزم حُسامنا

وصرفت كلَّك كلَّه … لشؤوننا ومرامنا
وأَهَمْتَ قلبك والهاً … عن سكرة بهُيامنا
هجمت عليك حواسد … بالطمس عن أفهامنا
وتوهموا أيَّامهم … تُجلى كما أيَّامنا
أعلامهم أحلامهم … والسر في أعلامنا
أنت القِوام لأمرنا … مَنْعُوتنا بقوامنا .
منظوم نفحة قلبنا … في سيرنا ومقامنا
بمماتنا بحياتنا … بقعودنا بقيامنا
ولنا الدَّوام مؤبَّد … ولأنت باب دوامنا
عُمْر بعمرة حجِّنا … ها أنت في إحرامنا
وارقم جواهر نظمنا … وانقله عن أرقامنا
فلأنت طيُّ سِجِلِّنا … والنشر في أقلامنا
ولنا الخفا ولك الظهو … ر فخذ ندى إنعامنا
الأصل من مدد الكريـ … ـم أتاك من إكرامنا
ما أنت إلاّ عيننا … مُخٌّ بطيِّ عِظامنا
فذووك عصبة بيتنا … وأبوك من أرحامنا
يا شامة لوجودنا … بعراقنا وَبِشامنا
إنّا نخصُّك دائماً … أمد المدى بسلامنا
فاسلم لنشر طريقنا … ولمنطوي أعلامنا
خذها بشارة نفحة … تنهلّ من إلْهامنا
حِكَمٌ طواها ربنا … بالنشر في أحكامنا
فَصِلِ المحب بِبِرِّنا … وصِلِ العِدا بسهامنا

❊ ❊ ❊

وقلت أتحدث بالنعمة، وأُشير لمن في صفوفنا من الأئمة، وللأمر سر، وللطي نشر:

الحمد لله انجلت أيّامنا ... نوراً وقد سامى السّماك مَقامنا
وبدت بأفلاك الفخار شموسنا ... وتنشّرت بين الملا أعلامنا
دُقّت بفيفاء الوجود طُبولنا ... شرفاً وقد رُفِعت عليه خيامنا
وبكل لوح للحقائق جامع ... رَحبِ الزوايا قد جرت أقلامنا
وبكل فج بالمعارف عامر ... برزت لِأصحاب النُّهي أحكامنا
الأُسد معدن جنسها غاباتنا ... والعِلم كنز صنوفه إلهامنا
وإذا المهمة والملمة أزعجت ... يقتدُّها ضمن الغيوب حُسامنا
كم مَرَّة هجم العدو بخيله ... فتكت به قبل الورود سِهامنا
ولنحن نحو حبيبنا ترحالنا ... وببابه طول الزمان مُقَامنا
دُرَرُ المعاني في رقيق حروفنا ... منظومة وبها يقوم نظَامنا
ولنحن من بيت النبوّة عصبة ... نُسِجَت على خدر العمى أرقامنا
كم من فقير جاءنا بإنابة ... خلصاء أوصله العُلا إنعامنا
لاذت صدور الأولياء ببابنا ... ولهم أُدير من الغيوب مُدامنا
عظماء أفراد الرجال عِظامنا ... وكرامهم حتى القيام كرامنا
صبراً سيملأ كل أرض إسمنا ... وتطوف في حلقاته أعلامنا
هذا العراق كما عرفت عراقنا ... والشام من كل المفاوز شامنا
سيعطّر الشرقين نشراً عِطرنا ... ويفوح في الغربين صاحِ ختامنا
نحن الأئمة من عناصر هاشم ... سرُّ الوجود الهاشميُّ إمامنا ﷺ
هذا أبو العَلَمين شيخ صفوفنا ... وخُزَام تاج العارفين خُزَامنا
والجوهر الفرد المنقّى لفظنا ... وعقوده ذات السناء كلامنا
كَشَفَ المحجة للطوائف حالُنا ... وأقام جلجلة الهُيام هُيامنا

فالْزم طريقتنا وكن من حزبنا لتصون فهمك في السُّرى أفهامنا
ودع الحسود فقد تناهبه العمى وزوى بـه للـداهيـات ظـلامنـا
في شامخ البرج المرفرف هامنا وعلـى يـوافيـخ العُـلا أقـدامنـا
سبق الركائب في التزاحم عزمنا وطـوى أسـاليـب النُّهـى إقـدامنـا
فالجأ لظل جنابنا واصدق بنا فلقـد رسـت بفخـارهـا أعـلامنـا
نحـن الأئمـة فـي دواويـن الخفـا أهـل المنـابـر والـزمـان غـلامنـا

❊ ❊ ❊

وقلت في محاضرة شهود، بعد محق الوجود:

فـي حضـرة الغيـب سطـر علـى الصِّحـاف مُطلسـمْ
بـه لحـزبـيَ بُشـرى مـن الكـريـم ومَغْنـمْ
دلّـت علـى أنّ مـن قـد وافَـىٰ إلـيَّ وزمـزمْ
وراح يحمـل عهـدي ضمـن سلـوكـي المنظَّـمْ
بـالأمـن دنيـا وأُخـرى علـى طـريـق مقُـوَّمْ
يحفُّـه لطـف ربـي وليـس يُـذْهَـىٰ ويَنـدمْ
ويكتنفـه عيـانـاً سِـر النبـي المعظَّـمْ ﷺ
خيـر الـوجـود التِّهـامـي طَـه الحبيـب المكـرَّمْ ﷺ
عليـه ربـي تعـالـى صَلّـى دَوَامـاً وسَلّـمْ

❊ ❊ ❊

وقلت وقد قرأت مصحف التأييد، على بساط التأبيد، في المحضر البحت السعيد:

مـاذا يُتـرجم لـي لسـان القـائـلْ غلبت على الأقوال منه شمائلي ؟
سرُّ الولاية في ضميري قد جلا شمساً وأفحمت الجحودَ دلائلي
ولعنصر المختار صحَّت نسبتي وتعلّقـت بيـد الغيـوب وسـائلـي

وتسلسلت لي نفحة نبويَّة ... موروثة من كامل عن كاملِ
نطقت بها أهل القلوب فأفصحت ... عن حكم برهان بديع شاملِ
فخصائل مقرونة بفعائل ... وفعائل ممزوجة بخصائلِ
من طور علم طُوره قبست به ... نار الهدى ليلاً بدت للعاقلِ
فيها من الشأن الإلَهيِّ انطوت ... أسرار غيب في ظهور حافلِ
ماجت ببحر من ضمير محمد ﷺ ... وافى لأرباب النُّهى بجداولِ
دع عنك مطموس الفؤاد بليله ... العلم لم يُمنح لذوق الجاهلِ
وافتح به ألْباب أهل بصيرة ... شتَّان بين أخي النهى والغافلِ
واقرأ لأرباب الفهوم قصائدي ... واذكر لأرباب العلوم فضائلي
حدِّث بنعمة خالقي عني وقل ... قولي ونمنم بالسطور رسائلي
فالله أظهرني بأغطية الخفا ... شيخاً لكل مقرَّب أو واصلِ
وأقامني في الأولياء إمامَهم ... بالحق يدفع شؤم ظلم الباطلِ
لازم طريقي واتَّخذني قدوة ... برَّ الجناب نديَّ كفٍّ باذلِ
حكِّم على نهج الرسول مناهجي ... واهجر مكابرة الكذوب الناقلِ
قولي على القرآن نيطَ حُروفُه ... فاعمل به فالله أصدق قائلِ
بيت النبوَّة بيتنا وبروزنا ... عن خير أفخاذ وخير فصائلِ
لمعت بنا أنوار طَه المصطفى ... ما بين شُمٍّ عشائر وقبائلِ
فكأنها بجسومنا ممزوجة ... قامت بنا تُبدي صراح دلائلِ
ولقد لفتنا للإلَه قلوبَنا ... عن كل عالٍ في الوجود وسافلِ
طبنا بطيب الذِكر فهو شفاؤنا ... والذِكر للمقبول أعظم شاغلِ
في العصر ما بين الأحبَّة فرقنا ... كالفرق بين أخي الغنى والسائلِ
القوم قد ذهبوا بشأن زائل ... واليومَ قد جئنا بشأن قابلِ

❊ ❊ ❊

وقلت عن واردٍ فَتَحَ سرداباً، وكشف نقاباً، وأسخط أعداءً، وأرضى أحباباً:

أنا الفتى من بني الصياد لي نسب ... طِرازه في صحاف الغيب مرتسمُ
مـن مفـرد عَلَـم عـن مفـرد عَلَـم ... وكلنا في التدلِّي المفرد العلَمُ
قل للجهول: تنبَّه نحن طائفة ... ما راع قلب أبيها في الورى صنمُ
إن قـام قـائمنـا فـالعـزُّ يكنفـه ... وتنجلي عن معاني نُطقه الحِكمُ
(وليس قولك مَنْ هذا؟ بضائره ... العُرْب تعرف من أنكرت والعجمُ)
أفرطتَ في قول مَنْ هذا ورُحت على ... منهاج قوم بأغمار الضلال عموا
(هذا ابن فاطمة إن كنت تجهله ... بجـده أنبيـاء الله قـد خُتمـوا)
قلب ترونق بالعرفان مَحضره ... وراحة سال من فيّاضها الكرمُ
(مـا قـال لا قـطُّ إلاّ فـي تشهُّـده ... لـولا التشهُّـد كـانـت لاؤهُ نعـمُ)
من أُمة أعظم الرحمن مشهدهم ... ودون أقدامهم في المرتقى الأُممُ
(من معشر حُبُّهم دِين، وبُغْضُهُمُ ... كُفر، وقُربهم منجىً ومُعْتَصَمُ)
لا يمكث الجود إلاّ في أماكنهم ... ولا يـوازيهـمُ آل ولـو عظُمـوا
(لا يستطيع جـوادٌ بُعْـدَ غـايتهـم ... ولا يـدانيهـمُ قـوم وإن كَـرُمُـوا)
قومي الذين بهم تختال سلسلتي ... فخـراً يُطـرِّزه الأطـوار والشِّيَـمُ
كم هاجمتهم أُناس حُسَّدٌ لهمُ ... رُدُّوا بخسرانهم حَقْراً وقد ندموا
نحن الذي تعرف البطحاء وطأتنا ... والبيـت يعـرفنـا والحِـلُّ والحـرمُ
مُذْ قَسَّم الناسَ ربي حين صَوَّرهم ... للنـار أعـداؤنـا فـي غيبهـم قُسِـمُ
في كل قلب لنا من كل زاوية ... بحـر مـن المـدد الفيّـاض مُلتطـمُ
لم يُلفَ في معركِ الفرسان إن هجمت ... منـا لـدى الحرب إلاّ الفـاتـك القَـرِمُ
لنـا علـى كـل مجـدولٍ بـرفـرفـة ... غيبيَّة فـي مجـالـي نشـرهـا رقـمُ
الحمـد لله هـذي كلهـا نِعَـم ... من حق مُحْسنها أن تُشكر النِّعمُ

❊ ❊ ❊

وقلت أذكر ما طواه الكرم، في كلامي من الحِكَم:

مَـن تملّـى بكـلامـي فـاز فـي كـل العلـومِ
وأتـى مـن كـل فـنٍّ بـأفـانيـن الفهـومِ
رُقمـت آيـات نظمـي مُحكمـات كـالنجـومِ
سـرُّ نظمـي للمعـالـي بـأكُـفٍّ الـذوق يُـومـي
ليـس مـن هـام بشِعـري مـن رجـالـي بملـومِ
يـا حظـوظ النفـس زولـي يـا سحـاب الفتـح دومـي

* * *

وقلت في محضر قدسيّ، مأموراً غير مفتخر، ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، وقد سميّتها بالإشارة البرقيّة: ﴿القصيدة الرعدية﴾:

أنـا كنـز مطلسـم جهلتنـي أَعْيُـنٌ همّهـا شهـود الخيـالِ
أنـا مجلى عنوان رش التجلّي مـن تجلّـي جـلالـه والجمـالِ
أنا روح التعريف في نشأة الغيـ ـب انبلاجاً من سانحات المعالي
أنا ركن الطريق في حضرة التحـ ـقيق قطب الأقطاب والأبـدالِ
أنـا فضّـال ذي الفقـار التـدلّـي مـن أساريـر رونـق الإجـلالِ
أنـا خلخـال رَنّـة المـدد البحـ ـت خفـوقـاً بـرنّـة الخَلخـالِ
أنـا ميـزان نكتـة العلـم فـي طـو ر الإشـارات والشـؤون العـوالـي
أنـا نبـراس حضـرة الغيـب مقبـا س هـداهـا مطمطـم الأحـوالِ
أنا سلطان حالة الروح في هـ ـزّة عـزم تهـزّ شُمـخ الجبـالِ
أنـا عيـن إذا نظـرت جبـانـا راع بـالفتـك رُجَّـح الأبطـالِ
أنـا إن مَـسَّ ذيـل ثـوبـي رقيـق سـاد فـي دهـره صـدور المـوالـي
أنا معراج موجة السر في مشـ ـهـد قـاب التقـريـب والإقبـالِ
أنا إنسان جسـم عيـن الرفـاعي وحسيـن والمـرتضـى الجـوّالِ
أنـا رَقْـراق رُوح فـاطمـة الطُّهـ ـر وفيّـاض بحـرهـا السيَّـالِ

أنا ديوان سيد الرسل في القو ... م ومجلى سحابه الهطالِ
أنا عن والدي ورثت المعاني ... بالتّلقّي عن عمّه والخالِ
أنا مضمار نكتة السر في العصـ ... ـر وشيخ الأدوار والأجيالِ
أنا باب الهدى لكل مريد ... أنا حلّال مشكلات العقالِ
أنا شمس الفتوح تُجلى لعبد ... رَبّ قلب من الوساوس خالي
أنا أُعجوبة الرجال فتاهم ... شيخهم ليثهم بغاب القتالِ
أنا طمطام موجة الفيض طوراً ... سيد الأولياء أهل الحالِ
أنا نجم سبرتُ كل مقام ... ولسان نظمت كل مقالِ
أنا روح في نشأة الأمر قامت ... بنماط من خارقات الكمالِ
أنا من خُلّص الجحاجحة الغـ ... ـرّ الميامين روح جسم الآلِ
أنا ليث رَمَتْ روامش طرفي ... عن بَعيدٍ بصائبات النّبالِ
أنا لوح قد خَطّ في العلم المحـ ... ـض عليه البقاء دون زوالِ
أنا معنى أنبوب روح نبي ... عزّ سلطانه عن التّمثالِ
أنا لما دُعيت في حضرة الأمـ ... ـر وحيداً إلى المقام العالي
جلببتني يد النبي بمرط ... وشّحته أسراره بالنوالِ
كتَبَتْ فيه آية العز بالذُّ ... ل خضوعاً عَلاً عن الإذلالِ
وحباني حِبي عزيز مكان ... ظاهرته الأقوال بالأفعالِ
لو رآني الجنيد في ذلك البا ... ب لأضحى وحقّه من عيالي
سُدتُ أهل الوصول في مشهد الوصـ ... ـل وصرت الأُستاذ للإيصالِ
نلتَ مني بُنَيَّ شأني وبُشرا ... ك فإني الفتّاح للأقفالِ
لو أضاءت عيون أصحاب عصري ... زمزموا لي شعثاً بغير نعالِ
أيّد الله مظهري بخفاء ... ذي ظهور يَشق غيم الضلالِ
قلت للقوم حين قاموا حضوراً ... بمقامٍ عالٍ وسرٍ غالي
سيثير الإلـه مني هزبراً: ... فيه تُجلى بعزمه أحوالي
فيناجي أفهامهم بلساني ... ويفاجي أبصارهم بجمالي

ويشيد الطريق عني بحال … أحمديٍّ أنعم به من حالِ!
يشرب الكأس من يدي وهو صاحٍ … فكأن الصهباء صافي الزُّلالِ
حاله في طُوى الحقيقة حالي … حين يبدو وقاله هو قالي
بابه في معارج السر بابي … وإليه يصير شَدّ الرِّحالِ
سيغيظ الحساد شرقاً وغرباً … ويَمُدّ الإرشاد بين التلالِ
ويطيف الرجال بحراً وبرّاً … تحت ذيلي مبرّأً من تغالي
مذهب السيد الكبير الرفاعي … مشرب المصطفى النَّزيه الحالِ
فالذي نابه ينوب جنابي … إنَّ ذاك الظلال عين ظلالي
قال لي سيد الوجود جِهاراً … يا بروحي هو الوثيق المقالِ!
: لي بهذا الصبيّ سِرٌّ خفيٌّ … خذه عني وانسجه في منوالي
زُقّه مشرب النبوة زَقّاً … واغتنمه فإن فيه مثالي
لا تخف من لظى الزمان عليه … قائماً قاعداً بحضرة بالي
تحت ذيلي مرفرف بأَمان … من صروف الأوقات والأهوالِ
لَقِّنَنْه عهدي ورُشّ عليه … رشّ نوري وافرغ به أفضالي
فتولَّيته ولاءً صحيحاً … ولعمري النبي طَه الوالي
نوبة في السماء والأرض دقَّت … رَنَّ فيها مُوَاتراً جَلْجالِ
بعد موتي يُجلى بثوب ظهوري … بالهوينا لا على استعجالِ
ومتى ما طوى الزمان أباه … وانجلى في مضماره بمجالِ
وارتقى رُتبة الإنابة عنه … آخذاً شوطه بغير حبالِ
تبلجنه يد النبي بطوري … وفق نسج الشؤون والأشكالِ
ويناجيه حاضر الروح عنه … بكلامي مُنظَّماً كاللآلي
فارقبن بعدها شموس بروزي … فهي قهَّارة لكل معالي
لامعات من دارة الغيب بالفـ … ـجِّ جِهاراً وأين نمط الهلالِ؟
ينطوي واحد ويبرز ثانٍ … يا عجيباً إطلاقه بعقالي!
نغمة تملأ الحزين سروراً … رنّة قد أتت على استرسالِ

هو من عصبة الإمام الرفاعي قام طور السباع بالأشبالِ
ستميط الشهباء عنا نقاباً يملأ الأرض نوره المتلالي
وترى ضمنها محافل سري حافلات غصّاصة برجالي
من نطوق بالأمس كان لكيناً وعليم قد عُدّ في الجهّالِ
وصفيّ قد كان غير وفيّ ورئيس قد كان بين النعالِ
همّتي تجعل الصغير كبيراً وتُثيب الوضيع أعلى المعالي
وبها يفتح الإلّه قلوباً قفلتها شوائب الأشكالِ
وترى لي بهم عصائب قوم من كرام آباؤهم في الآلِ
وترى جاحداً يعود خليلاً والمقاصي هو القريب الموالي
والذي تاه بالجدود غروراً دون علم يصير صاحب حالِ
يجتلي كأسهم رقيق مزاج رَبّ عقل مُنَظَّم الأقوالِ
غمزته العيون يوماً فيوماً ورمته بجائز ومُحالِ
وترى لي فيها صفوف صنوف هزّهم واردي على استقلالِ
وترى لي ضمن العراق ومصر وبصدر الغربين أيّ رجالِ
وترى لي بالسند والهند حزباً ووراء النهرين أرباب قالِ
وترى لي في دورة الأرض قوماً من رجالٍ شُعْثٍ كشأن الجبالِ
وترى لي مَعَاهداً وقباباً وقلوباً وأعْيُناً وترى لي
كلها حضرة مع الله لله وبالله لا لغيرِ خيالِ
تُوصِل الأبعد القصيّ إلى الله وتُدْنيه من شروق الجلالِ
فارو عني قولي بُنَيَّ وزمزم كأس حاني واهزز بروق نصالي
إنَّ هذا فيه لعمرك معنىً من أياد رحب الذراع طوالِ
نقطة فوق ذا لِها ذات سر حوّلتها آياتنا للدالِ
سر ذُلِّ أفاض فيكَ دلالاً فتبجبح من فوق عرش الدَّلالِ
تلك غيباً مواهب ثابتات عن جناب الرسول من ذي الجلالِ

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يصلح للمحاضرة في مقام الأُنس وحظيرة المنّ، والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على العبد الأنزه المعظم المكرم بالسيادة على سادات الإنس والجن، رب البراهين القاطعة، والحجج اللاّمعة الساطعة، والهمة المحيطة الجامعة، مَلِك دوائر الكنوز العلمية، سلطان مظاهر الرموز العملية، آية الله الكبرى في شطحات المُلك والملكوت، طالعة سلطنة الألوهية العظمى في زوايا الجبروت والرحموت، محمد نبوّة الأزل، وأحمد رسالة الأبد، وصاحب الفضل الأعم بعد الله تعالى على كل أحد، وعلى آله دُرر خزائن الغيب، وأصحابه الأئمة المبرئين من كل دنس وعيب، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، يوم يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

أما بعد:

فيقول أحوج عباد الله إلى مغفرة الله وكرمه جلّ عُلاه، المُسَيْكين الذي إذا غاب لا يُذكر، وإذا حضر لا يوقر، غريب الغرباء، وضعيف الضعفاء، محمد مهدي، ويُنعت: ببهاء الدين، ابن عليّ الرفاعي الحسيني، ألحقه الله ووالديه بعباده الصالحين، وغفر له ولهم وللمسلمين، إنه وليُّ الكرم والعناية والرعاية، وبيده أزمّة الخير والتوفيق والهداية، وهو حسبنا ونعم الوكيل!

: إن هذه الدُّرر المنثورة، في هذه الصحائف المسطورة، رصَّعَتها على صحافها يَدُ الغيب، المنزّه عن الشك والريب، وبعد أن انتظمت في سلكها، وانتسقت في سبكها، سميتها بالإذن المحمدي: «معراج القلوب، إلى حضرات الغيوب». أطلَعَت شمس الحقيقة من دورة

حظيرتها الكبرى، وأبرزت موجة الرقيقة المنبجسة من قلب صاحب منشور ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾.

خاطبت بها وارثي باستجماع أسرار هذه العلوم النبوية، واستودعتها نائبي باستجلاء ستور هذه الأنوار المحمدية، ألا وهو ولدي الروحي، وقُرَّة عيني ونتيجة فتوحي، السيد محمد أبو الهدى، ابن الوفي النقي، الظاهر الخفي، أبي البركات السيد حسن وادي آل خُزَام، ابن السيد علي ابن السيد خُزَام، بن الولي العَلَوي، ذي المظهر المحمدي، وليُّ الله السيد علي آل خُزَام دفين (حيش)، ابن الإمام الكبير السيد حسين برهان الدين الصيادي الرفاعي الحسيني ثم الخالدي، أفاض الله عليه سُحب المدد من سموات العناية، وألحقه بالصالحين أُولي التقوى والولاية، آمين!

وحيثما وجّهت خطاباً يحمل معنى شريفاً اشتمل عليه ديواني هذا، فهو المقصود عندي بذلك الخطاب، والحمد لله في المبدأ والمآب!.

وهذا إبَّان الشروع فيما يُرام، وأوان التكلم فيما يطلب والله وليُّ الإلهام.

أيُّها الوارث الرُّوحي، السلام عليك ورحمة الله وبركاته!

تحقَّق بالتوحيد الخالص، نزِّه الله في ذاته وصفاته، طهِّر قلبك من لوث رؤية الأغيار، أثبت في لوح سرِّك حُكم حكمة التوحيد، بأن لا تشهد لغير الواحد سبحانه وتعالى قدرة في فعل من الأفعال، ولتُحقِّق في نظرك أن القدرة المخلوقة في المخلوقين التي تنتج عنها أفعالهم هي خلقه سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. هو في الخلق وأفعالهم، له التصرف المطلق، والحكم الأعم الأتم ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ و﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

واحفظ نظرك من مصيبة التجسيم والتشبيه والفوقية والتحتية، وأجرِ الصفات مجراها، حَكِّم النَّص في اعتقادك، ورُدَّ تأويله إلى الله تعالى وإلى رسوله (ﷺ).

واعلم أن الحدث لا يُحيط إلاّ بالحدث، فكل ما خطر ببالك هالك،

والله منزَّه عن كل ذلك، وقد عرَّفنا القرآن العظيم حقيقة التوحيد.

ففي كتاب الله تعالى قال الله وهو أصدق القائلين: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾، وقال جلّت عظمته: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وقال تبارك اسمه ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾. فنفي المثلية، قطعُ الأفكار عن الخوض بلُجَّة التشبيه.

وإثبات الإحاطة المطلقة بالأشياء، قطعُ وهم الفوقية والتحتية، والتفرد بالقدرة، محق قدرة الغير.

والبقاء المطلق قطعُ مجانسة الحدث الهالك بحال من الأحوال، وشأن من الشؤون: ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾. وهذا هو التوحيد.

فقد ورد على لسان سيدنا ومولانا الإمام الأكبر السيد أحمد الرفاعي (رضي الله عنه!): التوحيد: وجدان تعظيم في القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه.

أيُّها الوارث الروحي، عَظِّم شأن نبيِّك (ﷺ)، استغرق كلك بمحبته، أشغل لسانك بعد ذكر الله تعالى بذكره، وبالصلاة والسلام عليه، مُت فيه، إحْيَ به، هو روح الصديقين، نبراس قلوب العارفين، حياة المهيَّمين، نور الواصلين، مطاف قلوب الموفقين، محبوب المقبولين، خذ سُنَّته صراطاً مستقيماً، ومنهاجه طريقاً قويماً، إياك والانحراف مقدار شعرة عن سننه الكريم، وطريقه المستقيم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.

اعرف له الحق بمحبة آله الأطهار، وذريته السادة الأبرار، فهم معادن حاله، مظاهر جماله، كنوز كماله، مطالع سعوده، أُنموذج نور وجوده.

إحفظه بأصحابه الكرام، أئمة الدين الأعلام، فهم وُرَّاث حِكَمه، خزائن علمه، سُيوف أمره، أُسود بَرِه، أمواج بحره.

أحْسِن الأدب معه باحترام خُدّام شريعته، أئمة الدين، علماء المسلمين.

أيِّد منار سلطانه بإعزاز مقادير أولياء أُمّته، رجال أحواله، صناديق فعاله، اعرف لهم الحق به، كرِّم جنسهم، إحتفل بكلهم، إيّاك وانتقاصهم، نزِّههم عن الدخيل فيهم، برِّئهم مما ينسبه المفترون إليهم، من كلام لم يقولوه، وفعل لم يفعلوه، قم بتطهير ساحاتهم من غبار الدخلاء، وأقوال السفهاء، فهم أهل الحق، والرجال الذين خدموا الله تعالى ورسوله (ﷺ) بالصدق.

عزِّز مجد خلفائه (ﷺ) في الإسلام، إحفظ بقلبك الحب والموالاة لأُمراء المسلمين، وولاة أُمور المؤمنين، أطعهم فيما أمر الله به، فِرَّ جهدك من كل قول وعمل ينتج شقّ عصا في الأمة؛ فإن ذلك دأب المردودين، وديدن المبعودين، أحبب كل فرد من أفراد أُمته (ﷺ) وأعطه حقه الذي وُهب له من الحرمة والمنزلة، أعِنِ المسلمين ما استطعت، إشفق عليهم، إرحمهم، أنصِف بشأن الآدميين كلهم، برّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، وليأمن كلهم بوائقك، أعط الكل ما أعطاه لهم الشرع والشارع العظيم عليه وعلى إخوانه النبيين والمرسلين أكمل صلوات رب العالمين!.

وهنا وحدِّق بصرك، وصحح نظرك، إحفظ في النوع الآدمي الحق الأعظم لأبويك، إلْزم طاعة والديك: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾، ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾.

أعظِم شأن أبيك، فسترى من بركة قلبه بشأنك العجائب، قم بإجلال منزلته حياً وميتاً؛ فإنه من المقبولين في الحضرة لدى الجناب المحمدي، وإنه لوجيه وجه في ديوان القدس، يُعز الله لأجله ويُذل، ويُعطي بسببه ويمنع، وهو لا يدري، وسيقيم له منبراً رفيعاً، ويشيد له عزاً منيعاً، ويُمهِّد له رحاباً وسيعاً، وقد بسطت لك بشأنه في هذا الديوان ما كُوشفت به في الحضرات، وأطلعني الله عليه بإلهام صحيح، وإخبار مبارك، وإراءة قلب، وشهود بصيرة، ورؤيا صادقة، وحال إلهي لا يُنازع، وكله كائن بلا ريب إن شاء الله تعالى.

واحفظ حقي، وأحكم بقلبك حُبي، والزم أثري، وصُن عهدي، واسلك طريقي، وانهج نهجي؛ فإن الله اختارني قطباً لدوائر الوجودات، وشيخاً لجحافل الحضرات، ونائباً لسيد الأنبياء (ﷺ)، وإماماً لقبائل الأولياء، وصدراً لدواوين الشهود، وبدراً لمطالع السعود، وواحداً اليوم في الأكوان، ووارثاً لآداب رسول الرحمن عليه صلوات الملك المنّان في كل وقت وآن! ومعراجاً لقلوب السالكين، وحبلاً لنجاة المتبعين، ونفحة لأسرار المحبين، ومدداً لأرواح المخلصين، وعزاً لضعاف الساقة، ورقماً لرقائق البطاقة، ونظماً لدُرر البراهين، ومعنىً لمشارفة أسرار العارفين، وعَلَماً لهداية الحائرين، وعَالِماً يفيض على المتعلِّمين، ومفسراً لآيات الكتاب المبين، وأمناً لقوافل السائرين، وحُجة لأصحاب الدِّين، وشمساً لأرباب اليقين، وكنزاً للرقائق، وطلسماً للحقائق، وعوناً للخلائق، وختماً لبساط الإرشاد الحقيق، وعيناً لجسم شأن الطريق، وإناءً لماء الغيب المنزّه عن الريب، وباباً لطلاّب الله، وسيفاً لأحباب الله، وإماماً لرجال الله، ودليلاً للسالكين طريقة رسول الله (ﷺ).

وسيجمع الله على آسمي القلوب، ويكشف لأجلي الكروب، ويستر ببركة آنكساري العيوب، ويرفع أقواماً ويخفض آخرين، ويصرف شؤوناً عظيمة في العالمين، ويشير لطريقي رجالاً يحسبهم الناظر جبالاً، يُؤيِّد الله بهم الحق، ويفتح بهم أقفال قلوب الخلق، وسيحيي الله بحالي نوبة الإمام الأكبر شيخ الطرائق مولاي السيد أحمد الرفاعي الحسيني ـ رضي الله عنه! ـ، ويمدُّ لأتباعي موائد الكرم، في العرب والعجم، وبهذا وعدني في حضرة القرب حبيبي رسول الله (ﷺ)، وهو لا ينطق عن الهوى، ويأخذ عن الله، ويفيض بفيض الله، والله لا يخلف الميعاد.

ألا إنَّ طريقيَ الذي أتصل به إليه (صلوات الله وتسليماته عليه!) هو طريق سيدنا ومولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي ـ رضي الله عنه وعنا به ونفعنا والمسلمين بعلومه وبركاته! ـ، وهذا الطريق المبارك طريق

الرسول (ﷺ)، فكله سُنَّة وحقيقة ترجع إلى الشريعة المطهَّرة النبوية، وله أُصول قد بويعت عليها في الحضرة المباركة، وهنا سأفيض بعض تلك الأُصول لك، وقد تكفل بكلها كلامي الذي استودعتك إياه، وطويته بك لتنشره إن شاء الله، في بلاد الله، بين عباد الله، والتوفيق بيد الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولا يَعْزُبُ عنك أنَّ هذا الطريقَ المؤيَّد، والنهجَ المباركَ المسدد، طريقُ بركة وحال إلَهي، وشأن نبوي، باطنه لله، وظاهره لله، ولا يؤول إلاَّ إلى الله، ولا يُعوَّل به إلاَّ على الله، وإنَّ الزمانَ الذي أنت به لزمان تتفجر منه العجائب، فربما يُؤخذ بكلام القوم إلى غير ما قصدوه، ويُراح بمعاني ألفاظهم الشريفة إلى غير ما عنوه وأرادوه.

فاعلم أن كلماتِنا السعيدة، وجُمل ما فُصِّل في معاني إشاراتنا وبشاراتنا الفريدة، لا يرجع من باب، ولا يؤمُّ من محراب، لا في رمز، ولا في كناية، ولا في بداية، ولا في غاية، إلا إلى الله تعالى، بريء من المقاصد الدنيوية، والمآرب الفانية الوقتية، كله إيمان، ونور وإيقان، وعرفان وإحسان، ودلالة على الدَّيان، وتمسّكٌ خالص باتّباع سيد ولد عدنان، عليه صلوات الملك الرحمن!

وهنا منظومة نظمية، ذات معان كريمة، تذكر شيئاً من هذا الشأن، وتبدي معنىً من هذا البرهان، وهاهي:

القــوم لــم تغفلهــم الأشيــاء ... راحوا على ترك الوجود وجاءوا

ماتوا وما ماتوا وقد محقوا السُّوى ... يــا نعــم أمــوات هــمُ الأحيـاءُ!

ذكــروا حبيبهــمُ فــأفنـى ذكـرُه ... أطــوارهــم فبهــم إليــه فنــاءُ

الــوجـد هـاج بهـم فهزَّ قلـوبهـم ... فلهــم هنــاك تملمــل وبكــاءُ

كشفوا حجاب المستعارات التي ... هي عند من عرف القديم هباءُ

وسـروا وركبـان العـوالـم دونهـم ... ولكــل ركــب مقصــد وسُــراءُ

ركبانهم هرعت لحضرة ربهم … لم تلوها الضرّاء والسرّاءُ
طابت عزائمهم فجدّد عزمها … قلق ودمع إذ يسح دماءُ
واعوجّت الطرقات في سُلاّكها … وطريقهم نحو الحبيب سواءُ
لفت الهوى أصحابه وأولوا الهدى … منهاجهم فمحجة بيضاءُ
وهمُ صنوف بعضُهم ماتوا به … شوقاً ولم تُعرف لهم أسماءُ
ذابوا فلا هند بسطر خيالهم … نُقِشَتْ ولا دعد ولا أسماءُ
والبعض أزعجهم غرام مقلق … فبهم لذلك لوعة وعناءُ
والبعض بالأشجان حَنّ حنينهم … ودموعهم فالديمة الوطفاءُ
والبعض في خوف أذاب جسومهم … فكأنهم ريح سرى أو ماءُ
والبعض منهم تحت طور مهابة … فلهم هنالك حَيْرة ورُغاءُ
والبعض في طَوْر الذُّهول تسربلوا … فكأنهم جلمودة صَمَّاءُ
والبعض برقعهم جلال باهر … حارت لنسج دروعه العقلاءُ
والبعض طرّزهم جمال مُفتنٌ … فعليهمُ ضمن الجمال بهاءُ
والبعض عن أدب لقد سكتوا به … ذاك التَّأدُّب حِشمة وحَياءُ
والبعض سكراً عربدوا وتكلموا … ولهم شطوحات بها استعلاءُ
والبعض عن صحوٍ ومكنة منهج … قالوا وهم في الحضرة الحكماءُ
ذكروا شؤونهمُ بنعمة ربهم … قد حدَّثوا والشُّكر فيه صفاءُ
رمزوا أشاثرهم بلطف عَبائر … ما ملّها الأفهام والآراءُ
شرحوا الطريق وبيّنوه لأهله … فهمُ بكل قفوله أُمراءُ
وهمُ إذا ذُكروا سلاطين الحمى … السادة العقلاء والنجباءُ
قسمان يبرز ظاهراً إحداهما … والآخر الثاني عليه خَفاءُ
حُكم التجلّي قائم بكليهما … فبسره الإخفاء والإبداءُ
وأُولو الخفاء فواحد طيٌّ مدى … ولواحد أَمَدٌ به اسْتجلاءُ
يبديه من بعد الممات مقامه … فتُجِلُّه الغبراء والخضراءُ
تلك الحياة لعارف برموزها … ولرب موت ضمنه إحياءُ

النـاطقـون النـاطقـون فبعضهـم / فـي نُطقهـم عنـد اللبيـب هـواءُ
ولبعضهـم سلطـان قـدس ظاهـر / فـي نُطْقِـه تُجلـى لـه أَضـواءُ
فـإذا تكلـم نـاثـراً أو نـاظمـاً / تَفْتَـرُّ عنـه الـروضـة الغنَّـاءُ
الجـامعـون العـارفـون بـربهـم / علمـاء أسـرار الهـدى العُـرفـاءُ
لهـم اصطـلاحـات تـؤول لـربهـم / مـا مسهـا كِبْـر ولا استـرقـاءُ
قَـدَّت حبـال الكـون فهـي سليمـة / مـا شـأنهـا الصفـراءُ والبيضـاءُ
قد يذكرون المُلك في تعبيرهم / وبـه المـراد الحضـرة البحتـاءُ
ويقـول قـائلهـم: أنـا سلطـانكـم / وبهـا لقـدرة قلبـه إجـلاءُ
معنى يراد به المؤيَّد في الخفا / مَـنْ عنـده الإسفـال والإعـلاءُ
ويقول: لي جُند ويعني عُصبة / وَصَلَـت بـه وجميعهـم فقـراءُ
ويقول: يبرز لي ظهور وهو أن / تـدنـو بـه للخـالـق البُعـداءُ
ويقـول: لـي حُكـم وذلـك إنـه / تسـري بنـور بيـانـه الصلحـاءُ
ويقول: لي مال الوجود جميعه / وهنـا لتـرك جميعـه إيمـاءُ
صرفوا القلوب لربهم وبه علوا / فشـؤونهـم مـن دونهـا العَليـاءُ
مـن رام للـدنيـا يـرد كـلامهـم / هـو كـاذب قـد طمَّـه استغـواءُ
طرحوا المطامع عن شِراك نِعالهم / وهُم الفحول الخُلَّص الرُّجحاءُ
أخذوا القديم عن الحوادث مغنماً / فلهـم بـإحسـان القـديـم بقـاءُ
هم نور هذي الأرض قُرّة عينها / لـولاهـمُ هـي مقلـة عميـاءُ
مَلؤوا قلوب السالكين معارفاً / وبهم سروا في القافلين وضاؤوا
كشفوا الغياهب عن محجة نهجهم / فشمـوسهـم فـي هـديهـم بلجـاءُ
نعم الضياء ضياؤهم! زُويت به / للسـائـريـن إلـى الهـدى الظُّلْمـاءُ
رَقّوا لحكم الرّق حتى اختارهم / مـولاهـمُ فهـمُ لـه عتقـاءُ
أحيـا بهـم سبحـانـه ملكـوتـه / فهـمُ لحنـدسـه البهيـم ضيـاءُ
حملوا الشريعة عارفين بسرها / فهـمُ بحكـم نُصُـوصِهـا الفُقهـاءُ
وطـووا أسـاليـب الـرموز رقيقـة / ببيـانهـم نثـراً فهـم بُلَغـاءُ

لَمّا له اعوجُّوا عن الأكوان بالـ إخـلاص فيهـم قـوَّم العـوجـاءُ
الحمـد لله الكـريـم فـإنـنـي منهـم وفيهـم رايتـي خَضْـراءُ
لما ارتقيت على المنصَّة فوقَهم بهجـت بسـرّ رقـايتـي الـزَّهْـراءُ
تلك الْوِراثة مِن أبي العَلَمين مَن وَضَلَـت بنهضـة سـره العـرجـاءُ
ولنحـن فـي بيـت النبـي سُلالـة آبـاؤهـا تَبَـعٌ لهـا الأبنـاءُ

❋ ❋ ❋

وقلت مُنْمَحِقاً عن الكل، سوى من هو المؤمَّل:

أما والنجوم المشرقات من العُلا وبيض وجوه زَيّنت ساحة الأرضِ
وآيـات فـرقـان بمحكمهـا بـدا لنا الفرق بين السُّنة المحض والفرضِ
وكل فؤاد مَحّضَ السر خالصاً فناجى بحال ضمن خلوته مَحْضِ
وألْسن أقوام قد انعقدت عن السّـ ـوى وأتت للحِب بالأدب الغَضّ
وآثـار أنـواع الجمـال التـي انجلـت ومضمونها قد لاح في طرف الروضِ
وحكمة فضل أسبغت فيض رحمة فجاز لديها رحمة البعض بالبعضِ
على الحِبِّ قد أقبلتُ بالحُب، معرضاً عن النشأ والإبراز والطمس والعَرْضِ

❋ ❋ ❋

وقلت مخمساً بيتيْ، مجيباً مني إليّ:

أُحيباب قلبي والهوى شأن عبدكم وقد ذاب يا أهل البِطاح لِبُعدكم
وحـقِّ معـانيكـم وعِـزَّةِ مَجـدكـم أنا الخالصُ الرِّقُ المُوَفّي بعهدكم
علـى قُـربكـم والبُعـد سيمتـه الـرضـا
تجرَّدَ عن كل الوجود لأجلكم وراح كئيباً يرتجي فيض فضلكم
تمسـكَ يـا خيرَ الحبـال بحبلكـم وإن العطا يا سادتي شأن مثلكم
وقـد حصـل الإبّـان والـزمـن انقضـى

❋ ❋ ❋

﴿بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن أَحَبَّه وأَجَلَّه ووالاه﴾

عني بعرض هذه العقود اللؤلؤية اليتيمية من كتاب «قلادة الجواهر» للسيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي ـ رضي الله عنه! ـ ومن بعض مؤلفاته أيضاً؛ ليطَّلع عليها الأولياء العارفون والعلماء العاملون، لا لمن لم يبلغُوا لأدنى مراتب صغار خدم مَن تُرجموا فيها، ولا لأدنى أدنى ما وصلوا إليه من ثَراء العِلم والمعرفة والعمل، والتقوى والصلاح والزهد والورع والتواضع، والإعراض عن مغريات الدنيا الدنية، ولذائذها الفانية الوقتية، والدأب على نشر العِلم وتأليفه وفعل الطاعات بشتَّى أنواع العبادات، وبكافة أصناف القُرُبات ابتغاء مرضات خلاَّقهم؛ وتحققاً بالعبودية له، والعبدية السالمة من كل شائبة وكراهة تنزيهية، فضلاً عن أن تكون تحريمية.

فجامع هذه الرسالة والناشر لحسنها وجمالها خُويدم صغير من أصغر
صغار خدم الأئمة الرفاعية السَّراة
أفقر الورى لمولاه، وأحقر من ترى بباب عظمة عُلاه
عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط

غفر الله له ولوالديه وأشياخه وللأئمة الأربعة المجتهدين وأتباعهم، ولكل من تخرج من جامعات واسط! ففي زمننا هذا ما أقل طُلاَّب هذه البضاعة! وما أكثر المعرضين عنها! وما أندر الراغبين فيها لعدم المَلَكَة لديهم، والثراء العِلمي والعرفاني فيهم! ولكن الذي جَرَّأنا على جمعها وعَرْضها كوننا من أهل الشام، وسُكانها الذين دعى لهم الرسول الأمين (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين، وبَشَّرنا بوضع عمود الإسلام، عمود القرآن، والنور والأمن والإيمان بالشام، والبركة وبَسْطِ أجنحة الرحمة عليها من قِبَل الملائكة بأمر الله الرحيم الرحمن، فله مزيد الشكر والامتنان!.

يقول سيدنا الوارث المحمدي السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي، صِدِّيقيُّ الموقف والثبات، وعُمريُّ الحزم والنضال، السدُّ المنيعُ أمام أهلِ الخيانات، أئمةِ من باعوا دِينهم بدرَيْهمات، وانخرطوا بصف الأعداء الكفرة والمتسترين باسم الدِّين والدعاوى الزائفات الكاذبات، فأين هم عن قول النبي (ﷺ): «من سَنَّ سُنة حسنة فله أجرها وأجرُ مَن عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سَنَّ سُنة سيئة فعليه وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة». ؟!. الحديث.

ولعلهم نسوا أو تناسوْا قول الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾! الآية.

فكل ما كان من سوء فهو في صحائفهم، ومن تُراثهم ومُخططاتهم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾.

يقول ـ رضي الله عنه! ـ في وصف هٰؤلاء الأدعياء الحمق أدعياء النصح والصدق:

إني ابتليت من الزمان بمعشر ... أطوارهم كعجائب الأيامِ
أفعال أعداء وقول أحِبَّة ... وطِباع أوغاد وزِيُّ كرامِ

* * *

وقال (قُدس سره!) فيهم وفي أمثالهم:

تهجم أوغاد علينا وعجزهم ... حقيق ولكن تدفع العاجز النفسُ
صبرنا عليهم لاختلافِ نجارنا ... ويُهمِل جنس الجِن للشرف الإنسُ
جهلناهمُ فليجأروا بفجورهم ... فهم همج والجِنس يعرفه الجِنسُ

* * *

وقال فيهم ﴿قدس سره!﴾ ما أكمل شِعرَه فيمن ساء في الدِّين أمره!:

قالوا: أساءك أقوام وقد أَلِفوا حمير قوم لهم أرسان ألماسِ
فقلت: مَهلاً فإن الجِنس حَرَّضهم بغياً عَلَيَّ على أني من الناسِ

* * *

فسابِكُ ﴿القلادة﴾ أصل هذه التراجم وارث محمدي شآمي، ترجم فيها وُرَّاثاً محمديين، وأئمة جحاجحة عارفين، من خِيرة السلف الحقيقي، لا المزيف! جُلُّهم من الحفاظ والمحدثين والقُراء والفقهاء والوعَّاظ العاملين والمرشدين الأَدِلأَّء، ليس فيهم جُفاة ممقوتون ولا مُستأجَرون سُفهاء، ولا مُغْترون ولا مغرورون أدعياء، قد عمهم السخط والمقت والبلاء، بل كلهم عُدول أولياء.

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾. حمانا الله من الزيغ والإشراك، وتكفير المسلمين الموحِّدين النُسَّاك!.

وقد اتضح للمؤمن المحب من قراءة المقدمة، قصد مؤلف الأصل كل الإيضاح، بشكل مَن يُنادي بحيَّ على الفلاح؛ لذا اكتفيت بما أخذته منه رغبة بالإيجاز، واكتفاء بما يماثل الإعجاز، ولعَمْرو الحقيقة والصدق إن مؤلفات ساداتنا وأئمتنا الرفاعية الأعلام، لهي ضرب من السَّهْل الممتنع، يكفي قليله عن كثيره، ويكفي المتاجِر به مع مولاه، لا مع من باع دينه بدنياه، وكان مُمتطىً لمن استأجَره أو اشتراه، وجعل دينه هواه.

فقد اقتصرت على ما يفي ويكفي، فالمؤمن المحب الحر تكفيه الإشارة، والحاسد المغرض والمتنكب المعرض يُنكر الصبح الواضح الفاضحَ وإسفارَه، محروم من بركة أهل الوقت، وحياته كلُّها عند خالقه ونبيه (ﷺ) وصالح أحبابه وتابعيه مشحونةٌ بالمقت، بوق لما يوضع فيه بفيه، ولا يفوه إلا بما وُضِعَ فيه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين، والصلاة والسلام على السيد الأعظم أبي القاسم النبي الأمين، أشرف المرسلين، سيدنا ومولانا ونبينا وشفيعنا محمد، حُجة الله على العالمين، وعلى آلهِ وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، آمين.

أما بعد، فيقول أضعف عباد الله، وأحوجهم إلى كرم الله، وعفو الله، خُوَيدم العلماء، وتراب أقدام الفقراء، محمد أبو الهدى، بن السيد حسن وادي، ابن السيد علي، بن السيد خُزَام، بن السيد علي الخُزَام، ابن السيد حسين برهان الدين، الخالدي الرفاعي الصيادي، غفر الله ذنوبه، وستر بمحض فضلِه وعنايتِه عيوبه! آمين.

: إن أحسن ما انصرفت إليه عزائم الرجال، وأكرم ما وقفت عنده جحاجحة الأبطال، مقام العبودية، ومرتبة التخلص من تجاوز البشرية، وألطف كأس عُذوبتُه سارية، ونشأة لذته باقية، كأس التوكل على الله، والالتجاء إليه جلّ علاه، على أن الدنيا فلك يدور، وسَفَر وعبور، ودار انقطع فيها أمل الإقامة، ودفتر يُقرأ يوم القيامة، وقد أشار إلى أدب الإقامة فيها نبينا الرسول الغيور (ﷺ)، بقوله: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعُدَّ نفسك من أهل القبور».

وما هي إلاَّ لقمة وخرقة، تُقيم صُلب المرء وتستر عورته، ووراءها الموت والسؤال، وتحول الأحوال، فما بقي بعدُ إلا الأمل، واختلاف المذاهب في العمل، وإني أرى علو الهمة بصرف همتك يا أخي عن حركة الفلك وأحوالهِ، وكمال الشرف بغضّ طرفك عن الزمان ورجالهِ، وخذ نصيحة مُجَرِّب فتق رتق الزمان، وجال مفاوزه في كل ميدان، فما رأى إلا التعليم

للفعَّال المطلق، وبهذا السلامة والنجاح المحقق، وقد طاب أن أقول لك ما الزمان، وما الفلك الذي اشتغلتْ بهِ الأذهان:

كتاب كريم في مطاويهِ حِكمة ... إذا نُشِرت أبدت لنا مقصد الفلكْ
يدور لنقل الحال من كل بارز ... عليك إذا عارضتهُ أو تذر فَلَكْ
فكن في مجازاة الطريق مشاهداً ... معانيهِ في الأرضين والسَّمْكَ والمَلَكْ
ولا تـك مغمـوم الفـؤاد لـواقـع ... فيوسف بعد السجن والرِّق قد ملكْ
وصبـراً إذا اشتـدّ الخنـاق فـإنمـا ... إشارة فتح الباب كانت بِهَيْتَ لكْ
ولا تقطـع الآمـال إن سُـدَّ مـأرب ... فلا بد أن يكفيْك مَنْ صاغَ هيكلكْ

❊ ❊ ❊

بلى يلزم عليك أن تعمل بقولهِ عليهِ الصلاة والسلام: «اِحفظ الله يَحفَظْك». وأن تُجَرِّد كل شيء عنك، وأن تسلك طريق الناجين، وأن تتأدب بآداب العارفين «أولئك أهل الله والسادة الأُولى»، وأن تأخذ عنهم قانون الأدب مع الله والخَلق، وأن تغنم منهم نتيجة السلوك والخُلق، فإنهم ـ واللهِ ـ أهلُ الهمم العلية، والآداب القدسية، والمدارك الناجحة، والتجارة الرابحة، عرفوا حَدَّ البشرية، وما تجاوزوا مقام العبودية، ولا حجبتهم الحُجب المستعارة الفانية، عما وراءها من الشؤونات الصحيحة الباقية، فألجموا الألسن عن الكلام بغير الحق، وصرعوا شوكة النفوس أن تعلو على الخَلق، وإني تبركاً بآثارهم، وتشبثاً بغبارهم، وتشبهاً باتِّباعهم، «إنَّ التشبه بالكرام فلاح» أدلك على الطريقة التي تُلحقك بأعتابهم، وتقربك من أبوابهم، بقصيدة قصيرة، طويلة الذيل عند أهل البصيرة وهي:

عمـن تشـا استغـن تكـن نظيـره ... واحتـج لمـن شئـت تكـن أسيـره
ولا تـرى نفسـك شيئـاً إنهـا ... مهمـا تعـاظمـتَ بهـا حقيـره

صغيرة بل هي لا شيء وكم ... صغيرة تجني وكم كبيره
فبعظام نُخِرَت أقصابها ... إن فخرت فاذكر لها الخميره
بقية من المبال انتظمت ... ومن مبال خرجت فقيره
يذلها الجوع ويضنيها العرى ... ولم تزل بينهما كسيره
قليلة العزم ضعيف حَزْمها ... لكنما عُيوبها كثيره
بالمستعار لم تزل مغرورة ... جهلاً وهل تعظم مُستَعيره
تدّخر الفاني على رغم لها ... والموت لم يُبقِ لها ذخيره
وتجهل الحَدَّ الذي حُدَّ لها ... تفاخراً بالأهل والعشيره
وما دَرَت أن الفناء شامل ... وكل شخص راكب سريره
وجمعة الناس إذا ما فرقت ... كُلاً ترى إلى الفنا مسيره
حتى إذا ما ساعة الموت أتت ... عزّ رجاه أن يرى نصيره
فقل لمن أوهمهُ هيكله ... وجهل المحضر والحضيره
: إن كنت من آل ملوك سلفوا ... وعظموا بدولة شهيره
فاذكر بغير المستعار شرفاً ... واذكر لهم غير الزوال سِيره
وبعدها إن عدلوا قد أفلحوا ... أو عدلوا كل يري مصيره
وإن تكن من آل قوم بالغنى ... علت بهم مراتب خطيره
فاذكر لنا سوى التراب حُجة ... حين توسّدوا ثرى الحفيره
وإن تكن من آل سادات علوْا ... بالدين والمناقب الوفيره
فاذكر لنا سوى الذي نذكره ... من قصدنا أهل لهم سريره ؟
قد تركوا الأغيار ترك همة ... هذي البرايا عندهم يسيره
فوصلوا وأُلحقوا بربهم ... ودخلوا حضرتهُ الكبيره
ولو تَدَنّسوا بغيرِ رَدّهم ... عن بابهِ المعمور رهط الغِيره
فإن عملت مثلهم فزت كما ... فازوا وضاءت عينك القريره

وإن قطعت (اعملي يا فاطمة) حديثها يبدي لك الضميره
يا عاجزاً بنفسه عن نفسه وغائباً عن عينهِ الضريره
لازم رحاب القوم واكسب خلقهم واعرف حدود نفسك القصيره
فأنت لو صرت سُليمانَ الورى فالمنتهى لحفرة صغيره
وإن بذلت الجهد في ما تشتهي ما تم قبل أن ترى تقديره
فنم على حصيرة التسليم إن عقلتَ فهي نعمة الحصيره!
واعلم بأن ما قضاه كائن وإن رأى مُدَبِّرٌ تدبيره
حقائق بينة لعاقل واضحة لصاحب البصيره

* * *

هذا ولما كان من أثبت القوم الكرام في مقام العبودية قَدَماً، وأعلاهم في ميدان الانسلاخ عن نفسهِ عزماً وهِمَماً، شيخُنا الغوثُ الأوحد، والقطبُ الفردُ الأمجد، إمامُ الواصلين، وسيدُ العارفين، تاجُ صدور الأقطاب، وملجأُ أكابرِ الأنجاب، أبو العَلَمين، قُرَّةُ عين جدِّه الإمام الحسين، ذكيّ السلسلة، شيخ من لا شيْخَ لهُ، الشاربُ من كأس الصفا، المُشَرَّفُ عامَ حَجِّهِ بتقبيل يَدِ النبي المصطفى، ملاذُ العَجَزةِ والمساكين، وأستاذُ أعيان المقربين، شيخُ الإسلام والمسلمين، وموئلُ كُمَّلِ الواصلين، مَنْ خضعت لهيبة سلطان ولايتهِ هاماتُ فُحول الرجال، وذَلَّ لبأسه الأسودُ والأفاعي، الشريفُ الخاشعُ الخاضعُ المتواضعُ، مولانا وسيدُنا، السيدُ الشيخُ أحمدُ محيي الدين، أبو العباس، الكبيرُ الرِّفَاعيُّ، (رضي الله عنهُ وقدس أسراره!)، وشيد بفضلهِ العميم ركن إرشاده ومناره! آمين.

أردت أن أجمع أكثر مناقبهِ وأحوالهِ، وكراماتهِ وأقوالهِ، وسلوك طريقتهِ ومدارك حقيقتهِ، خِدْمةً لجنابهِ الرفيع، وتقرباً لبابهِ المنيع، وعملاً بقول النَّبي المنتخب: «المرء مع من أحب».

وغير خاف أن أهل الله، الدالين على الله، الناصرين لشريعة رسول الله، لا زالت طبقاتهم تظهر في هذه الأمة المرحومة طائفة بعد طائفة، سابقة وخالفة، وأول طبقاتهم بعد نبينا تاج الأنبياء العظام ـ عليه الصلاة والسلام ـ طبقة الأصحاب والآل الكرام، ثم التابعين الأعلام، ثم الأولياء الفخام (رضي الله عنهم!).

وقد اشتهر في المشرق والمغرب بين المسلمين، شأنُ الأربعة الأقطاب المعظمين، أعني شيخَنا ومَفْزَعَنَا السيد أحمدَ الكبيرَ الحسينيَّ الرِّفَاعيَّ، وسيدَنا السيدَ الشيخَ عبدَ القادر الجِيْلاني الحسنيَّ، وسيدَنا السيدَ الشيخَ أحمدَ البدويَّ الحسينيَّ، وسيدَنا السيدَ الشيخَ إبراهيمَ الدُّسوقيَّ الحسينيَّ.

فهؤلاء الأربعة بلا ريب خلاصة بقية السلف، وأئمة جميع الخلف، وأعلام الأولياء، وأولياء الصلحاء، وأشياخ الخرقة والطريقة، وأقطاب الطريقة والحقيقة، ثبتت لدى المسلمين غوثيتهم وولايتهم، ووجبت عند الموحدين حرمتهم ورعايتهم، وهم (رضي الله عنهم!) بمنزلة واحدة في النسب والمرتبة؛ إلا أن الأقوال تنوعت فيهم، وفي مشاربهم، وأحوالهم ومذاهبهم، وقد وفق الله لكل واحد منهم من أتباعه من جَمَعَ آثاره، وذكر أخلاقَهُ وأطواره، والآن قد وفقني الله ـ والحمد لله! ـ لخدمة رئيس حزبهم، وقائد ركبهم، مصباح المعرفة المنير، مولانا السيد أحمد الرفاعي الكبير، فخدمته بهذا الكتاب المستطاب، ورتبتهُ على عشرة أبواب، فجاء بحمد الله كتاباً لا نظير لهُ، كقِلادة جوهر في سلسلة، ولذلك سميتهُ ﴿قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر﴾، ولم أقصد فيما اندرج فيه من الأقوال الراجحة، والمآثر الواضحة، إعلاءَ منزلتهِ العلية، وخفضَ مرتبة أحد إخوانهِ الأولياء أهل المراتب الرفيعة الجلية، وإنما القصد البحثُ عما منَّ الله بهِ عليهِ، وأفاضهُ من نعمهِ إليهِ، خلافاً لبعض الجهلة من المتصوفة الذين لا يعرفون مناهج الشريعة الغراء،

والمحجة البيضاء، فيأخذون بلا علم ولا هدىً ولا كتاب، بتفصيل مشايخهم الأنجاب، على غيرهم من إخوانهم الأئمة الأقطاب، ويرومون بذلك موافقة الخلق أجمعين، وكأنهم يريدون بذلك إحياء أصل في الدين، يقودون إليهِ إجماع المسلمين، وما تلك إلا لإعلاء أنفسهم الخسيسة، ولانقطاع ملاحظ عقولهم عن آداب الشرع وميزان الطريقة النفيسة.

وإن جميع ما بحثتهُ في هذا الكتاب المبارك من السيرة المباركة الرفاعية زبدتُهُ: أن سيدنا السيد أحمد (قدس الله سره!) من أكمل المتمسكين بسنة النبي (ﷺ) وأخلاقهِ، ومن الذين أتحفهم الله بالولاية العظمى، وخصهم بالكرامة والمراتب العليا، وكل القوم أهل الله بمنزلة واحدة؛ إلا من ثبتت رفعته على بعض إخوانِهِ بالنص، والاعتقاد بهم بركة، والتسليم لهم فيما يقبل التأويل سلامة.

وإن السيد أحمد (قدس سرهُ!) من أصح القوم وُصْلة، وأقربهم فيضاً؛ لأن طريقهُ طريقي، ومنهجَهُ منهجي، وأرى أن كل رجل من أتباع الأولياء يجب عليه هذا في شأن شيخه، كما يجب على مقلد مذهب العمل بقول صاحب مذهبه، مع تعظيم باقي الأئمة (رضي الله عنهم!)، خلافاً للممقوتين والجاهلين الذين يعملون بالهوى، ويشترون الضلالة بالهدى، ويقولون بأقوال جماعة من المجهولين، ولو عارضتْ قول رب العالمين، فما هذا ـ واللهِ ـ بطريق العارفين، ولا بسلوك السلف الصالحين! نعم: من الأدب أن يعظم التابع متبوعهُ قلباً ولساناً، ونطقاً وجَناناً، لكن بشرط تقييد ذلك بنفسهِ لا غير، وفي هذا الأدب عند القوم حصول الفيض والخير، وقد أشرت إلى ذلك مع التنبيه على ما تجب مراعاته للسالك من العقائد السنية في الله تعالى ورسلهِ والأولياء الذين هم صفوة البرية في هذه القصيدة اللطيفة الفريدة فقلت:

خذ مذهب العرفاء والأحباب ... واترك أُخيَّ طريق كل محابِ

واعمل بما قال الرسول وما أتى   للناس مشروعاً بخير كتابِ
فالله أوجب أن ننزه ذاتهُ   عن رأي كل مشبه كذابِ
إذ ليس عزّ كمثلهِ شيءٌ ولا   يعزى إلى جهة عظيم جنابِ
نور السما والأرض جلّ جلالهُ   مجرى الرياح مسبب الأسبابِ
وهو الغني بذاتهِ عن حاجب   في شأن قدرتهِ وعن بوابِ
لا كيف لا تمثيل لا تجسيم لا   تشبيه يصلح فيه للألبابِ
بالعدل يمنع ثم يرزق من يشا   فضلاً وإحساناً بغير حساب
في الأرض قدرتهُ ودولة أمره   فوق السما نفذت على الأرباب
وجميع ذرات الوجود فقيرة   مقهورة لجنابهِ بالباب
ولهُ تعالى في حقيقة خلقهِ   سرٌّ بهِ ذلوا مع الإعجابِ
أمضى عليهم أمره حكم الفنا   فإلى التراب يعود كل ترابِ
فالعبد عبد والإله منزه   عن سوء قول المشرك المرتابِ
قد أرسل الرسل الكرام لخلقهِ   فتراهمُ للخير كالأبوابِ
نصحوا الخليقة للطريقة وفق أمـ   ـر القادر المتفرد الوهابِ
فهمُ براهين الهدى وأدلة الـ   أكوان للمولى بفصل خطابِ
وهم عبيد الله إلا أنهم   أحبابهُ بل سادت الأحبابِ
وأجلهم قدراً وأعظمهم هدىً   خيرُ الورى المرجوُ للآرابِ
ذو القدر والجاه العريض وموئل الـ   ـمحتاج في يومٍ شديد حسابِ
صبح الهدى نور الرسالة روحها   والصاعد الراقي لكل حجابِ
أعلى الإله على الشرائع شرعه   وأعزه بصحابهِ الأنجابِ
فأعزهم مجداً وأفضلهم أبو   بكر إمام أئمة الأصحابِ
بعد النبيين العظام أجل من   داس التراب وأمّ في المحرابِ
وأجل أصحاب ابن هاشم بعده   عُمرُ المعالي هازم الأحزابِ
من شاد دين المسلمين بهمة   عرفت فلا تحتاج للإطنابِ

وإمامهم من بعده عثمانُ فاذْ … كرْ شأن ذاك الصابر الأوابِ
فهو الإمام مجهز الجيش الذي … شهد الرسول لهُ بحسن مآبِ
وإمامهم زين الصحابة بعده … أعني علياً طاهرَ الأنسابِ
صهر الرسول وزوج فاطمة البتو … ل وسيفها المسلول يوم حرابِ
والستة الأعيان قدِّمْهُمْ وقف … عند النصوص بعترة وصحابِ
واذكر شؤون التابعين مراعياً … خير القرون فهم سباع الغابِ
والأوليا اذكرهمْ بخيرٍ إنهم … تبعوا الرسول بصحبة الآدابِ
خدموا شريعتهُ وما اتبعوا الهوى … متمسكين بأشرف الأسبابِ
صحت ولايتهم بشاهد حالهم … فَعَلَوْا وصاروا وجهة الطلابِ
لهم الكرامات التي ظهرت بنا … كالشمس ما حجبت ببرد سحابِ
شهدت بها مذ شوهدت أهل الملا … وهي اختصاص الواهب السلابِ
ظهروا ببرهان الرسول تسلسلاً … حتى لعهد الأربع الأقطابِ
ابنِ الرفاعي ثم عبد القادر الـ … ـجيْليِّ وإبراهيم والعطابِ
قال الرفاعيون: أحمد شيخنا … سلك الطريق بدق أنجح بابِ
ورأى الخضوع طريقة وحقيقة … تقضي بترك الزهو والإعجابِ
وسرى على سَنَن الحبيب ملازماً … أحوالهُ في السلب والإيجاب
فلذاك قدمناه تقديماً به … قام الدليل لنا بلا إسهاب
والقادرية ثم فرقة أحمد الـ … ـبدويِّ كُلٌّ قال: ذاك جوابي
وكذاك أتباع الدسوقي ثم من … ينمى لغير طريقة ورحابِ
جزموا بصدق الإتباع لشيخهم … فرأوه أعلى الأوليا الأنجابِ
فإذا توضحت الحقائق للذي … يدري بغير مسائل وجوابِ
ما كان من قول وفعل وارد … عن شيخ إرشاد رفيع جنابِ
زنهُ بميزان الشريعة واعتمد … في الأمر نص المصطفى الأوابِ
واعمل لحسن الظن بالتأويل في … ما دق من شطح لسد البابِ

وإذا نأى التأويل فانكر نسبة الـ ـمنقول واحفظ حرمة الأحبابِ
واسلك طريق الهاشميّ محمد ﷺ فسـواه مـردود بكـل كتـابِ
صلى عليهِ الله ما لمع الضحى والآل والأزواج والأصحـابِ

❊ ❊ ❊

وانظر ما قالهُ الشيخ ناصر البغدادي، (نفعنا الله بهِ!) في كتابهِ «معراج السالكين» الذي استفاده من القطب العارف بالله السيد حسين برهان الدين الصيادي الرفاعي (قدّس سرّه!) حين سألهُ عن أفضل الأولياء، وعن أقرب الطرق إلى الله تعالى فقال لهُ (رضي الله عنهُ!): الأفضلية في الأولياء مجهولة، وليس لأحد من الأمة أن يحدث في الدين؛ فإن النص خص، وما انقطت عنهُ في هذا الباب النصوص، انقطت عنهُ المباحث؛ إلا أن القوم مع علمهم بأن الأفضلية علمها عند الله ورسوله، رجحوا مشايخهم ترجيح اعتقاد؛ فإن القلب يجزم، والمحبة تلزم، وليس للرجل أن يقود رجلاً آخر، انتسب إلى شيخ آخر، إلى اعتقاده وجزمه، وما ألزمتهُ بهِ محبتهُ، قود برهان بأدلة وشواهد، كما عليهِ أكثر الناس اليوم؛ وما ذلك إلا من الجهل بالشرع، وسوء الأدب في الطريق، وما على المحب لو بيّن بطريق الحكاية اعتقاده، أو قاد إليهِ تلامذتهُ وأولاده؛ لأني أعتقد علوية سيدي أحمد الرفاعي (رضي الله عنه!) على غيره من أولياء الله المشهورين، بأدلة أُقَوِّمُهَا لديَّ، وآخذ بها إليَّ، ولا أقول للقادري، أو الأحمدي، أو الإبراهيمي، أو الشاذلي، أو السُّهْرَوَرْدِي، وغيره: تعال نبحث معك، ودليلي على أفضلية شيخي على شيخك، الخصلة الفلانية، وكذا وكذا؛ فإن الدليل الذي يعارضهُ النص مردود، والشاهد الذي يرده الشرع مجحود.

وإذا قال لي كل واحد من الطوائف المذكورة: إن شيخي أفضل من شيخك، بدليل كذا وكذا عندي، وقيدها بنفسهِ؛ فإني لا أرد عليهِ، بل

أقول لهُ: ثبتك الله على محبتك، وصدقك لشيخك! وإن عممها ولم يقيدْها بنفسهِ، وطلب إلزام غيره، صفعتهُ بعصى الشرع، وعَلِمْتُ جهلَه، ورَدَّيْتُ عليهِ!.

وأما لو جال في خاطرك سبب اعتقادي بعلوية سيدي أحمد الرفاعي (رضي الله عنهُ!)، وأفضليتهِ على غيره، فأقول لك: إن أرفع أقدام الصالحين، القدم الثابت على سنة سيد المرسلين، وأحسن الأخلاق، الخلق المأخوذ عنه، والموروث منهُ (ﷺ)، وقد ثبت عند كُلّ من الفقراء وأصحاب هذه الخرقة، أن السيد أحمد الرفاعي ـ رضي الله عنهُ! ـ أكمل رجال عصره اتباعاً بالقدم والخلق للنبيّ عليه الصلاة والسلام، وقد طابق اسمُهُ اسمَهُ، وحالُهُ حالَهُ. وفقرُه فَقْرَهُ، وكمالُهُ كمالَهُ، وانطبعت حقيقتُه على سنتهِ وطريقتهِ، وزُهدِه وتواضعهِ، وتعظيم ما كان عليه (ﷺ).

وليعلم لديك أن نسبة الفقر لهُ ـ عليه الصلاة والسلام ـ كمال وعُلُوُّ شأن؛ فإنهُ تجرد من الأغراض الفانية لعلو منزلتهِ، وشرف مرتبتهِ، ولم يشتغل بغير ربهِ، مع أن الجبال عرضت عليه أن تكون ذهباً فأباها، وعلى هذا الأثر فقرُ شيخنا السيد أحمد (قدس الله سره!)؛ فإنه قال ـ روّح الله روحَهُ! ـ: بايعت الله على ترك الغرض والنَّفْس والمال. وشهد لهُ بذلك المنهج والحال.

وإني أُجِلُّ منزلة كُلٍّ من القوم، ـ شرّف الله مراتبهم! ـ، وأراهم بعين التعظيم بالسوية؛ إلا من قام لهُ دليل زيادة الاتباع للنبي (ﷺ)، أو أمرني بإجلال منزلتهِ من هو فوقَهُ، وميز لي بينهُ وبين غيره ممن هو دونَه.

وأما أقرب الطرق إلى الله، فالطريق إلى الله: الشرع، وأما ما سمعتهُ من أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، فتلك طرق القَبُول، الداخلةُ في دائرة الشرع، كقول القائل: الله. وقَبُوله عند قولها، وكصلاة في جوف الليل، وقبوله عندها، أو كصدقة، وغير ذلك، فإذا تَشَرَّعْتَ، فإنك دخلت حيطة في دائرتها تجد الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق:

شـريعـة المختـار للطـرائـقِ دائـرة تجمـع للحقـائـقِ
بعدٌ أنفاس الخلائق انطوت طرائق الوصل بها للخالقِ

* * *

انتهى. فهذا في الحقيقة خبر الطريق وسرّه، وطيهُ ونشره، وما زاد عليهِ فمن أهوية النفوس الأمارة، والعاقل تكفيه الإشارة.

وقد طاب لي أن أفتح سيرتهُ الزكية، ومناقبهُ المسكية، بهذه القصيدة الفريدة المرصعة بذكر أوصافهِ العلية الحميدة، وبعدها أتبرك مفتخراً ببسط شأنه من البداية إلى النهاية، أعاد الله علينا من بركاتهِ وبركات أهل الولاية آمين.

نشر شعري في مضمر التسطير فـاح منـه أنـواع نفـح العبيـرِ
وتـرقـت نتـائـج القصـد منـهُ فعلـت بـالصعـود هـام الأثيـرِ
وسـرت في سـرادق الملأ الأعـ ـلـى لبيـت الحقيقـة المعمـورِ
عمـل ظـاهـر بـهِ صعـد الأمـ ـلاك بـالـذكـر وهـو للتـذكيـرِ
فانجلى منهُ في المعارج مجلىً كلمـات كـاللـؤلـؤ المنثـورِ
رصعت ذيل خرقة العلم الفر د الرفاعي غوث الوجود الكبيرِ
عيلم الصدق صاحب الفتق والرتـ ـق ضيا الشرق ملجأ المستجيرِ
كعبة المجد حجر زمزمة القصـ ـد فتـى المـدمـدة التنـويـرِ
شيخ كل الرجال سلطان أهل الـ ـحـال حـلال كـل عقـد عسيـرِ
قبة الكشف كاشف الكرب باللـ ـه وصبـح الـوصـول للمستنيـرِ
أخذ المنح طارحاً ربقة الشطـ ـح بطـورٍ عـلا عـن التعبيـرِ
وبتبـر انكسـاره حَـوَّل الأعـ ـيـان والإنكسـار كـالاكسيـرِ
وسـرت منـهُ فـي محبيـهِ أسـرا ر تجلـت لمبصـر وبصيـرِ
فـرآهـا أهـل النهـى بـاحتفـال والأدانـي بكـل طـرف حسيـرِ
يـا لـهُ مـن ضنضـيءٍ وارد فيض ليـس فـي بحـره انتهـا للعبـورِ

وعلى ساحل الكرامة منهُ   سفن الأوليا رست للمسيرِ
أخذوا عنهُ خرقة الخلق في الخلـ   ـق لإصلاح مضمرات الضميرِ
وارتدوا منهُ كسوة الذل منسو   جة حر وأين نسج الحريرِ ؟
وقفوا دونهُ وما ثم مرقىً   لكبير في عصره وصغيرِ
فك فيهم طلاسم الكنز عن جو   هر رمز الهدى بعزم شهيرِ
وروى ما روى الكتاب بفعل   واقتفى سنة البشير النذيرِ
صدر إنجيل نكتةً خط فيها   سر آي التوراة بل والزبورِ
وهو فرقان حكمة أوضح الفر   ق بمسراه بين حق وزورِ
كل علم للعارفين خفي   بارز في كتابهِ المسطورِ
وانطوى فيه مشهد العالم الأكـ   ـبر ذوقاً من عالم التقديرِ
وامتطى ذروة الغيوب بقلب   معرض عن قليلها والكثيرِ
تخضع الأسد حين يذكر ذلاً   لتجليهِ بانقطاع الزئيرِ
ونصول السيوف ينصل منها الـ   ـقطع والسم معكس التأثيرِ
ولهيب النيران يخمد فانظر   دولة عزّ مجدها عن نظيرِ
وارجع الطرف للعظيمة تقبيـ   ـل يد المصطفى بجمٍّ غفيرِ
يا لها من كرامة قابلتها الـ   أوليا خضّعاً بباع قصيرِ
فاز فيها ونال ما نال منها   رغم أنف المكابر المحقورِ
معجزات لجده باهرات   أضمرت فيه وارتقت للظهورِ
حبذا سيد تباشر أهل الـ   ـلهِ غيباً بجيشهِ المنصورِ !
وصغت منهم المسامع قدماً   لتدليهِ من بطون الظهورِ
نزهوه عن رتبه القطب والغو   ث وهذا فضل الكريم القديرِ
علم الله ما حباه فأَغلا   ه فسبحان ذي الجلال الخبيرِ !
نسخة أنبأَت عن السنة الغر   اء أخلاقهُ بلا تغييرِ
شربتها النفوس كاسات هذيَ   طهرتها من لوث خبث الغرورِ

وجلت بـالصفـا العبـوديـة المحـ ـضـة تـوحيـد عـارف مبـرورِ
رفضت مذهب الضلالة رفضاً خط سطر الهدى بلوح الصدورِ
وبعليـا آيـاتـهِ الغـرّ أحيـى رسم شرع أضحى قليل النصيرِ
كلمـا غـاب كـوكـب مـنِ هـداه قـام بـالكـوكـب المضـيء المنيرِ
روح رشد قدماً تجلى عليها الـ ـلـهُ بـالمظهـر العظيـم الكبيـرِ
فلـذا سـار سـرهـا وهـو يعلـو بتـبـدلـي أعـوامنـا والشهـورِ
سيـدي يـا أبـا العـواجـز يـا غـو ث البـرايـا ويـا ظهيـر الحقيـرِ
يا أعم الأقطاب نفعاً وأعلى الـ ـكـل جمعـاً بجبـر قلـب الفقيـرِ
لـك مـن بـاهـر العنـايـة كـف كفت الخطب عن صريخ كسيرِ
ولعليـاك بيـن جحفـل أهـل الـ ـحـال سلطـان دولـة فـي سريـرِ
فـاقبـل اقبـل نسيجـة طـرزتهـا شيـم منك رصعـت فـي السطـورِ
وعليك السلام من حضرة القد س يـوافيـك فـي ممـر الـدهـورِ
والتحيـات بـالـرضـا تتـوالـى لـك تغشـى ثـراك بـالتعطيـرِ

❋ ❋ ❋

وقلت:

أشـار لنـا داعـي القبـول فـأدنـانـا إلـى بـاب مـولانـا فمـنَّ وحيَّـانـا
وألبسنا في حضرة القرب خِلعة ومن بعد موتٍ بالمواهب أحيانا
وطارت بنا روح الرفاعي أحمد لسـدرة قـرب تـملأ السـر إيمـانـا
شهدنا بها أنوار هدي محمد ﷺ نبي الهدى مَن بالهدى المحض زكّانا
ودارت علينا أكؤس الفتح فانجلت رفـاعيـة تجلـو الحقـائـق ألـوانـا
طف الأرض لم تبصر رفاعي رونق ولا بـاب وصـل للـرفـاعـي إلآنـا
فلازم حمانا خالص القلب موقناً لتنهل روحاً من كؤوس حميانا
سيبـرز مِنّـا الله فـي كـل مطلـع بدوراً وفي الشرقين والغرب أعيانا
ويُطلع من تلك المضامين للورى رجالاً لإحياء الطريق وفرسانا

لـوينا عـن الـدنيـا عنـان قلـوبنـا فاسعفنا الباري الكريم وأعطانا
وأبـرزنـا رغـم العِـدى مِنـه مِنَّـة لإعلاء أمر الحق والشرع بُرهانا
فقمنا على النهج القويم ولم نزل نُقيـم لـدّيـن الله بـالله أركـانـا
طـريقتنـا السمحـاء شـرع مُـؤيَّـد أتت لطريق المصطفى الطُّهر عُنوانا
على السُّنة البيضاء قام عِمادها فكـانـت لأقـدار الطـرائـق ميزانـا
ينـازعنـا الأغيـار لا عـن حقيقـة ولكن لداعي النفس ظُلماً وعدوانا
ويُلبسنـا قـوم عيـوب طبـاعهـم مكـابـرة منهـم وزوراً وبهتـانـا
ويقطع سيف الحق بتاً حبالهم ويُوصِلنا الرحمن فضلاً وإحسانا
تبارك من يولي الجميل عناية تـداركنـا بـالفضـل لطفـاً فـأولانـا
وَوَطَّـد وهبـاً مـن إفـاضـاتـه لنـا مـراتـب إعـزاز وبـالـدِّيـن أعـلانـا
فجئنـا علـى إثـر الـرفـاعي سـادة هـداة ولـم تنشـر خـوافيـه لـولانـا
فمن كان منظوماً بسلك رجالنا يفيض عليه الوهب حالاً وعرفانا
ومن كان مقطوعاً فيكفيه قطعه ونحن على ما نحن فيه بمعنانا
طـريـق إمـام الأحمـديـة حـالنـا ففي السير قَلَّدنا حديثاً وقرآنا
وما قصدنا في السير والحط مطلقاً سوى الله في الحالين سراً وإعلانا
لـذلـك كـان الله كـافـلَ أمـرنـا وحـافظَنـا فـي كُـلِّ شأن ومولانا

* * *

﴿وقلت﴾:

مــــن أراد الله فليفـــــن بنـــــا وليكـن فـي نهجـه مـن حـزبنـا
وليـلازم رحبنـا طـول المـدى إنَّ أســرار الهـدى فـي رحبنـا

دور

نحن حـزب الله أصحـاب الهمـم قد شهدنا الغير في عين العَدم
وعلـى إثـر الـرسـول المحتـرم قـد سـرينـا فـانـدرج فـي ركبنـا

دور

نفحـــات الله فينـــا كـــل حيـــن أطلعت شمس الهدى للمبصرين
وتـدلـى حـال خيـر المـرسليـن قــد تجلــى شــأنــه فــي قلبنــا

دور

نحن غبنا عن علاقات الوجود ومحقنا الغير في معنى الشهود
قل لأعمى القلب ذي الغي الحسود : مُـتْ عِنـاداً أنـت محجـوب بِنـا

دور

نحــن أســرار أســاليــب البيــان لاح مِنَّــا النــور يُجلــى للعيــان
هــذه آيــاتنــا فــي كــل آن ظــاهــرات فــانتفــع فــي حُبِّنــا

دور

نحـن أبنـاء الـرفـاعـي الكبيـر نائب البدر التِّهامي المنير ﷺ
نحــن بــالله نُجيــر المستجيــر والــذي حــارَبَنــا حــارَ بِنــا

دور

نحـن معـراج قلـوب السـالكيـن تـرتقـي فينـا لِـرَبِّ العـالميـن
نحـن كُبّـار الـرجـال الـواصليـن أُتـرعـتْ كـاسـاتهـم مـن وهبنـا

دور

نحـن فـي حـالـي حيـاة وممـات نـور نفـع ينجلـي فـي الكـائنـات
بـالشـؤون البـاقيـات الصـالحـات قـد عُـرِفنـا مـن خفـايـا غيبنـا

دور

نحـن فـي شـأنـيْ خفـاء وظهـور وبمعـــراجـــيْ بُـــروز وسُتـــور
وعلـى التلـويـن فـي كـل الأُمـور غيـر مـولانـا انـزوى عـن دربنـا

دور

هـــذه مِنَّـــا إشـــارات تلـــوح ليـرى أنـوارَهـا أهـلُ الفتـوح
صـاحِ فـي كـل غَبـوق وصَبـوح لا تدع شرب الهدى من شربنا

❊ ❊ ❊

﴿وقلت﴾ :

سَلِ المجد إن المجد أعدل شاهد … هل الفضل إلاَّ في عروق الأماجدِ ؟
تفاخر أقوام بسُكنى عواصم … وتاهوا بأسواق بها ومعاهدِ
فيا عجباً والدهر فيه عجائب … أيفخر شهم بالحجار الجلامدِ ؟!
وهل باجتماع الناس في بلد لذي … سلامة رأي مفخر عند ناقدِ ؟
تعالى أخو الرأي القصير وبيننا … شؤون هوت فيه لأدنى المواردِ
فما الناس إلا أين كانوا معادن … فذا تحت أقدامٍ وذا بالقلائدِ
نعم: حل في شيخون بعض جُدودنا … فبثوا بهَا في الكون عِطر المحامدِ
وسار مسير الشمس ممدوح صِيتهم … وذا الأمر إرْث من عليٍّ وخالدِ
رووا مذهب العليا صحيحاً مُسلسلاً … تواتر عنهم واحداً بعد واحدِ
من البصرة الفيحاء أَقْبَل رَكبهم … بعلم وإرشاد وزُهر فوائدِ
وشَرَّف أرض الشام بعض شيوخهم … فتمَّت بهم آمال أهل المقاصدِ
وقد كان في الشهباء منه أئمة … صُدور فُحول كلهم كالفراقِدِ
إلى المصطفى تُعزى سلاسل مَجدهم … وهم آله أصحاب خَرق العوائدِ
بنو المرتضى صنو الرسول وصِهره … فأنعم بأبناء وأعظم بوالدِ
خؤلتهم في آل مخزوم أعرقت … فنالت بسيف الله قطع المعاندِ
من الشم أبناء الشآبيب كلهم … لهم فوق عرش الفخر أعلى المساندِ
لآبائهم دان البلاد وأهلها … وحُجَّتهم قامت على كل جاحدِ
وأصبح كِسرى تحت ظل سيوفهم … كَسيراً، ذووه بين عانٍ وشاردِ
وكل أَمين راعه ذِكر إسمهم … وبات جزوعاً طرفه غير راقدِ
هم كعبة الإرشاد فالقوم حَوْلهم … تطوف بهم ما بين راجٍ وواجدِ
كُنوز عُلُوم ضمهم طلسم العبا … بِكَفَّيْ رسولٍ فيضُه غيرُ نافدِ
أبو العلمين الغوث أوسط صَفِّهم … بواسط أضحى موئلاً في الشدائدِ
خوارقه لم ينقض الدهر عهدها … بَنَتْ بين أهل الله بيض المشاهدِ

لنا من صميم الآل في العرب الأُولى مَراتب مَجد دونها كل حاسدِ
تدلت بنا أنسابنا بين عارف وشهم سخيٍّ أريحيٍّ وعابدِ
تقول لمن بالوهم فاخر بيتنا: أضعت ثميناً واحتفلت بكاسدِ
نطحت الجبال الشاهقات تجلُّداً رويدَك ما هذا سبيل التجالدِ
أردت عناداً للإلَه بوهبه وإحسانه والله غيرُ مُعانَدِ
أفاض علينا الفضل في طين كوننا ومَدَّ لنا بالغيب خير الموائدِ
فقمنا على نهج العناية مثل ما أراد نجوماً فوق سبر المراصدِ
إذا قام يوماً للمفاخر شاهد لنا من براهين العُلا ألف شاهدِ

❊ ❊ ❊

وقلت مشطراً أبيات بعض المولهين في محبة آل سيد المرسلين عليه وعليهم صلوات الملك المعين! :

لكم آل الرسول جعلت ودي وقد سبقت بصحته الإراده
فإنَّ ودادكم يا قومُ ديني وذاك أجل أسباب السعاده
ولو أني استطعت لزدت حُباً وكيف وقد قضى قلبي مُراده
أوَدُّ بأن أزيد الوجد وجداً ولكن لا سبيل إلى الزياده
أعيش وحبكمُ فرضي ونفلي وللقلب المتيم صار زاده
أقوم بنشأتي فيه وأحيا وأُحشر وهو في عُنقي قِلاده
أُناضل عن مكارمكم لأني بكم أحرزت في الغيب السياده
فإني مُذ ذُكِرتم لي جُدوداً كريم الأصل ميمون الولاده
أَظَلُّ مُجاهداً لحليف نصب أرى من أحسن القُربى جهاده
طوى نشر الهُدى لُئماً كما قد أضَلَّ ببغضكم أبداً رشاده
فإن أسلم فأَجْرٌ لم يَفُتْني وتكمل لي الأماني والإفاده
وإن أُقْتَل عدوَّكُمُ فبِرٌّ وإن أُقْتَل فتهناني الشهاده!

❊ ❊ ❊

﴿وقلت﴾ :

معـانـي السر مـن هـذا الـوجـود   مُـؤَكَّـدة بـإيفـاء العهـودِ
وفـي دَرَكـات أبـواب التجلـي   جنـود سـائقـون إلـى العقـودِ
فـآيـة هـذه الأسـرار طُـراً   مـع الإثبـات نفيـك للـوجـودِ

❊ ❊ ❊

وقلت :

كـم مَـدَّ رِجْـلاً بعـد مـد   يـد الـرسـول فتـىً وعَـزْبَـدْ
والحـقُّ أَقصـر رِجلـه   نصـاً وأحمـد صـاحـب اليـدْ
كـل الـدعـاوي صِبغـة   تُمحـى بمـاء خُضـوع أحمـدْ

❊ ❊ ❊

وقلت :

قلبي عليك يذوب وهو حَديدُ   والجسم ينقص والغرام يـزيـدُ
أنـت الـوحيـد بشـأنـه وصِفـاتـه   وأنـا بحبـك فـي الأنـام وحيـدُ
ولقـد وقفـتُ بصـف قـوم كلهـم   لـك يـا حيـاة العـاشقيـن عبيـدُ
وجدي يحاربني وزفرة حسرتي   لهفـاً عليـك يُثيـرهـا التعـديـدُ
خَلِقَ القُوَى مني ووجدي مُقْلِقٌ   مُضـنٍ علـى مَـرِّ الـزمـان جـديـدُ
أرَقٌ يُطـارحُ مُقلتـي وتحكمـاً   يَحْتلُّهـا بِـك والـرُّقـاد شـريـدُ
كم صِيغ من شعري لحسنك سيدي   عِقـد تنظـم فـي القـريـض نضيـدُ
ولكم ملأت بك الدفاتر ناثراً   دراً ومنـك بـه تَحَلَّـى الجِيـدُ
فاليوم عام حين تهجر وهُوَ إن   تـرضـى فيـوم وهـو عنـديَ عِيـدُ
بـالله فـارفـق واتـق الله الـذي   يُبْـدي الشـؤون بحُكمـه ويُعيـدُ

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊

وكتبت بناء على واقعة لبعض المحبين، فيما يتعلق بشؤون السادة الرفاعية وحُسَّادهم، وذلك في سنة «١٣٠٩» في مكتوب إلى نقيب زاده السيد رجب أفندي الرفاعي:

من لم يكن مُعَظِّماً لجَدِّه ... فزائد بين الورى وُجوده
ومن يكن يرضى بخزي أهله ... ترفضه بتُربها جُدوده
والشهم في كل الشؤون طوره ... كالسيف مذبوح به حسوده
والحمد لله فخار بيتنا ... خافقة إلى السماء بُنُوده
على شريعة الرسول طَوْرُنا ... وشَرْعُهُ معلومة حُدوده
ففخرنا بين الملا قديمه ... لا زال مشمولاً به جديده
فالكاتب المسكين لا ينقصه ... سكوته والقول لا يزيده
وجدّنا أعلاه قدراً جَدُّهُ ... بِحَجِّه والأولياء شهوده
فكلما أراد أن يُنْزِلَه ... خِبٌ عَلاَ عن وهمه صُعوده
قد خفقت ببيتنا أعلامه ... واكتنفت ساحاتنا سُعوده
فمن أحَبَّنا نجا بحبه ... وحَسْبُ مَن صَدَّ غداً صُدوده
ولن يتم أبداً حال امرء ... عاهدنا ونُقِضت عُهوده
ونحن آيات الهدى أغرقنا ... من ربنا إحسانه وجوده
يعرفنا الذي أضاء قلبه ... وصَحَّ في مرآته شُهوده
ونيط في إخلاصه ركوعه ... وتم باستسلامه سجوده

* * *

وقلت:

إلى كم يذوب الصَّب بالصد يا هندُ ... ألمَ يكفه هذا التَّوَلُّه والوجدُ؟
حليف غرام لا يفارقه الأسى ... ومولوع قلب قد أَضَرَّ به البُعدُ
لقد شَنَّت الأيام من كل جانب ... عليه خُيولاً كلها ضُمَّرٌ جُرْدُ
فريد يُعاني ثورة الدَّهر مُجْهِد ... عزائمه هيهات هل ينفع الجُهدُ؟

تجاوزتِ الأيام يا هند حَدَّها … عسى بجميل الحال ينقلب الضِّدُّ!
أما وجُدودٍ من صُدورِ عِصابتي … بني الطُّهر حاشا ما كَجَدِّهِمْ جَدُّ
وآياتِ عرفان بفرقان عِلمهم … بها أدرك الساداتِ من قومه العَبدُ
وأبحُرِ جود من أناملهم جرت … على الناس عَزَّت أن يكون لها حَدُّ
وطيب أخلاق لهم وشهامة … ومجد به لا زال يفتخر المجدُ
وأنظارهم ذات البراهين والتي … بها يَصْلُح الأشقى ويُسعفه السَّعْدُ
أنا الرجل المربوط بالله قلبه … ولا القَبْل يلويني بآنٍ ولا البَعدُ!
إلى الله سارت بافتقارٍ عزيمتي … وفي منهج التوحيد صَح ليَ العهدُ
فروحي الهُوينا واستريحي فإنني … تركت الهوى والوصلَ والقطعَ يا هندُ!

* * *

وقلت:

إني من القوم الذين أبوهمُ … ما قال عن سُكْرٍ كمن شطحوا: أنا
ما غره الدنيا وزُخرفها ولا … رَغِب التعالي والتفاخر والثنا
فلذاك مَدَّ له الرسول يمينه … في مشهد هَامُ الهلال له انحنى
فاشطح بسُكرك في محبته ولا … تُهمِل حُدود الشرع تظفر بالمنى
والْهج بمدح ابن الرفاعيِّ الذي … سَبَق الرجال ولم يزل مُتَمَكِّنا
وانزع بِحُب بنيهِ أسبابَ الهوى … وإذاً على رغم الحسود لك الهنا

* * *

﴿وقلت لما لَحِق المسلمين في جميع الأقطار من تهاجم الأغيار﴾:

يا أُمَّة الحق أي ذنب … لذي الزمان المعادي جنينا ؟!
إن مَسَّنا الضُّر مُستمراً … لم نَلْقَ من مُحسن إلينا!
وإن أردنا حقاً بحق … نُرَدُّ قَسراً متى ادَّعينا!
وإن ذُكِرنا زُوراً بسوءٍ … تصير كل الأعيان عَيناً!

ولا نـــرى مُسعفـــاً مُعينـــاً مهمـــا ابتُلينـــا أو اشتكينـــا!
ونجـــرع السّـــم إن سكتنـــا ودوننـــا المـــوت إن حكينـــا!
وإن طَلَبنـــا زُمنـــا مُحـــالاً وإن طُلبنـــا يكـــون دَيْنـــا!
حـــارَبَنـــا الـــدهـــر لا بـــذنـــبٍ ولا طَغَينـــا ولا بغينـــا!
حُجتنـــا وهـــي محـــض نـــور يجعلهـــا دهـــرنـــا علينـــا!
يـــا ليتنـــا قبـــل لا خُلِقنـــا ولا رُؤينـــا ولا رَأَينـــا!

* * *

وقلت أفتخر بمدح سيدي وشيخي القطب الغوث الفرد المكين الأساس، المقبل على الله المعرض عن الناس، بهاء الدين، مولانا السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي، الشهير بالرواس (رضي الله عنه!):

حَيِّ المناهج من أطلال نُعمان وانزل على مربع الضلعين والبانِ
والوِ العنان إلى الزوراء واحك لنا عن الفريق وعن أهل وخلانِ
وانشد محبيك من أخبارهم قصصاً كأنها نظم ياقوت ومرجانِ
وانشر لها من كنوز العَين طَيَّ دماً من الدموع بأشجان وأحزانِ
وقل: أُهيل الحمى إني وعزتكم فرد بكم في الهوى عن غيركم ثانِ
وعَفِّر الخد في أعتاب حضرتهم تعفير وجد بإخلاص وإيمانِ
فهم شموس الهدى أهل النَّدى وهم الـ ـقوم الذين سقاهم صاحب الحانِ
غابوا عن الغير والأكوان حاضرة لأمرهم كيف ما راحوا بإذعانِ
عَنَتْ لهم هامة الأيام طائعة لعزهم جَلَّ ربي واهب الشانِ
صاحِ آسأل الغار عن سلطان دولتهم إذا انجلا ليلهم فيه لديوانِ
وسل معاهده البيضاء كم لمعت بنورهم ورِداء الليل ظُلماني
وسل صحاف الفضا كم حَلَّلوا عُقَداً منها بنشر إشارات وبُرهانِ
وسل فجاج القضا كم سَيَّروا زُمَراً فيها من الحال لا مِن جيش إنسانِ

وسل ملائكة الرحمن كم نَشَقَت ... من ذِكرهم عِطر إخلاص وإحسانِ
وسل خفي المعاني كم جلته يد ... منهم بفهمٍ خَلاَ طَبعاً عن الرَّانِ
وسل جنود الوغى كم قام آمرهم ... فيها وكم قادَها من غير فُرسانِ
وسل حجاب الخفا المطموس كم فتقت ... قلـوبهـم رتقـه أفعـال أعيـانِ
هم الأسود فلا تُجهل مناقبهم ... يـوم الطِّعـان ودع بهتـان طَعَّـانِ
لي منهمُ السيد المهدي إن ذُكرت ... عليا الرجال عَلاَ في كل عنوانِ
شيخ الزمان خفي الشان ظاهره ... ومُنقذ اللاجىء اللهفان في الآنِ
غوث الوجود كثير الجود واسطتي ... إلى الرسول وعِزّي بين أقراني
محمديّ المعاني بحرها الأسد الـ ... ـعالي المقام رفاعيٌّ الحمى الثاني
شيخـي أقـول وإنـي قُلـت مفتخـراً ... : شيخي وشيخ الورى في كل ميدانِ
مطلســم مــن كنــوز الله قــالِبُــه ... صيغت معانيه من عِلم وعرفانِ
شبل الحسين سراج الأحمدية بر ... هان الحقائق محبوب ابن عدنانِ
قطب البرية ذو النفس الزكية كَشّـ ... ـاف البلية ذُخر الخائف العاني
فحل عليه رحى العرفان دائرة ... وقلب صدق رعاه الله روحاني
ذو مشهـد عَلَـويٍّ الشـأن كلَّلـه ... مـرط جلتـه يـد الستـار ربـانـي
بدر توارى عن الأكوان في حُجب ... تنـوعـت بيـن إظهـار وكتمـانِ
فقيـر ثـوب غنـي القلـب همتـه ... بـالله أحـرَزتِ الملـك السُّليمـانـي
مُحجَّـب تـدفـع الأسـواءَ نظـرتُـه ... وترفع الخل عن عَيب ونُقصانِ
من أهل بيت أعز الله مظهرهم ... وشأنَهم رَغْمَ أنف الحاسد الشاني
من عصبة هم نجوم الحق طالعهم ... في حضرة الكون بالإرشاد نوراني
من بَضْعة الغوث تاج الأولياء أبي الـ ... ـعباس شيخ صنوف الإنس والجانِ
كنز القَبُول الرفاعي الكبير ملا ... ذ العـاجـزيـن وملقـى كـل لهفـانِ
ذاك الذي شم كف المصطفى علناً ... في مَحْفِل لجب من شُمَّ أعيانِ
أبنـاؤه عطَّـر الأرجـاء سيـرتهـم ... وفضلهم شاع في عُجم وعُربانِ

ألم يكن شيخُنا المهديُّ أعظمَهم ... في عصره وهو غَوْث القاصِ والداني ؟!
مضمار نُكتة سِرٍّ قام ناطقه ... يُبدي لأهل الصفا آياتِ تبيانِ
غوّاص بحر معاني الفتح ما اختلفا ... في فضله من رجال الحضرة اثنانِ
وسيد نبوي القلب شيخ هدىً ... له إلى الله والمختار حبلانِ
كم قلت: غوثاه يا مهدي! فاتصلت ... بيَ العناية والرحمن لباني
وكم عكفت على أعتاب سُدَّته ... أخشى الصدود فأدناني وحياني
قد كنت ميت سِرٍّ وانتسبت له ... فنلت روحاً وبالعرفان أحياني
مدحته بقصيد أستعين به ... على الهوى وعلى نفسي وشيطاني
جعلته لرسول الله واسطتي ... وباب نجحي إذا لاقيت دَيّاني
لا زال فوق ثراه الغيث منسكباً ... يَعُمُّه بتحيات ورضوانِ
ما قال عاشق أطلال توسَّدها ... : حيِّ المناهج من أطلال نُعمانِ

* * *

وقلت أذكر سيرة الزمان، وشأنه بأهل الحق والإيمان، والمعالي والعرفان، وفي ذلك رياضة للخاطر الحزين، وتبصرة وذِكرى للموقنين:

أَجِلْ طرف اعتبارك في الزمان ... تَرَ العجب العُجاب بلا تواني!!!
مشى مُتَبهنساً ينساب لؤماً ... وجاوز لدغه طعن السِّنانِ
تلمظ بعد أن أكل الأعالي ... بنضنضة ومالَ إلى الأدانِ
تُعاتبه الخِصال الغُر عن من ... أخاف وحقّهم كل الأمانِ
فأعرض مثل ذي صم وبَكم ... فقيد السمع معقود اللسانِ
لحا الله الزمان فقد تَعدّى ... ونام فلا غفت عين الزمانِ!
رأى الرُّسل الكرام به البلايا ... وضَيّق دونهم رُحب المكانِ
مُصيبة آدم لَمّا تدلى ... لعالَمه مفارقة الجنانِ
وهرق دم ابنه وفراق حوا ... غني لو فقهت عن البيانِ

وما دهم الخليل بيوم نار من النمرود فُصِّل في القُرَانِ
وقصة يوسف وأبيه فيها إشارات رقيقات المباني
وموسى من يدي فرعون ما قد دَهاه من الأذى والامتحانِ
ومريم وابنها ما عاركاه يَكل لشرحه قلم البنانِ
وتاج الرُّسل مَنْ بالجسم وافى مقاماً فوق هام الزبرقانِ
وخاطبه الجليل على بساط وأكرمه هنالك بالعيانِ
طوى الأيام وهو على حصير وكِسرى فوق عَرش من جُمانِ
على فُرُشٍ من الديباج حِيكت بها قِطَع اليواقيت الثِّمانِ
يُلَقَّم ـ وهو كلب النار ـ زاداً له اتُّخِذَت من الذهب الأواني
وحَفَّ به اللئام بلا نِزاع كأن بناره نعم الجِنانِ
وقَاتَلَ أحمداً قومٌ غِلاظ وصالوا بالرُّدَيْني وباليماني
وقد شَجُّوه ـ لا كانوا ـ بسهم! ونالوا من ثناياه الحِسانِ
دعاهم للهدى فبغوْا عناداً كذلك طبع ذي الغدر الجبانِ
لقد أحيا بِبَعْثَتِهِ البرايا وأعلى الدِّين في إنس وجانِ
ولاقى الله متعوباً بصبر عليه تشهد السَّبع المثاني
وصاحبه أبو بكر تُوُفِّي على أخلاقه ثبت الجنانِ
رجاحة همة وصحيح عزم وقدر حُطَّ عنه النِّيرانِ
وعقل ساس فيه الملك حتى قضى والملك في سوح الأمانِ
وفضل دونه الأصحاب طراً وبَعْدَ الرُّسل لم يُرزق لثانِ
وظَلَّ على بساط الفقر بين الـ ـمُسَيَّر والرسوب الهُنْدُواني
يعاني عِبء أعداء لئام وضيق يَد وحسبك ما يعاني
ومولانا أبو حفص إمام صحابة شيخ قاصيهم ودانِ
أمير ذوي الهدى عُمر المعالي سراج المسلمين بكل آنِ
ومَن شهدت بهمته البرايا وقام الدِّين فيه بعنفوانِ

وآخـر قيـروان الغـرب أهـدت بخطبتـــه الثنـــاء لأصفهـــانِ
وســار العــدل منبسطـاً بشكـل كسـا العـدوان ثـوب الـزعفـرانِ
وسـربـل تحـت مِنبَـرِهِ المعلـى عثـور الظلـم مقطـوع البَنَـانِ
وأرداه بخنجـــــره عُبَيْــــــد لئيـم قـد تطيلـس بـالصِّنـانِ
فمات وقـد نعـاه الغـرب حُزنـاً ومـن ألـم بكـاه المشـرقـانِ!
ولـم يجمـع لـه أُدمـان يـومـاً رضـاء بـالحـلال علـى خِـوانِ
وذو النـوريـن مـن لمعـت عليـه مـن الصهـر الشـريـف الـزهـرتـانِ
ومَـن جَمـع الكتـاب بخيـر حفـظ وشـأن عَـزَّ عـن إدراك شـانِ
شهيـد الـدار محمـود المـزايـا رفيـع القـدر ممـدوح المعـانـي
سقـاه زمـانـه كـأسـاً أليمـاً يـرق لـه فـؤاد القهـرمـانِ!
وقـد تـركتـه والأسيـاف روح دنت من مقعد الصدق المصانِ
وسيـدنـا علـيّ ذو الأيـادي إذا دهـم الـوغـى بـالـزعـزعـانِ
يخـب بمكفهـر دم الأعـادي وحـاصـل حـزبهـم كـالتهتهـانِ
ويضحك إذ يلاقي الموت عِلماً بـأن المـوت يصـرع فـي أوانِ
إذا مـا قسطـل نشـرتـه زرق الـ ـحـوافـر فـوق أبطـال الطِّعـانِ
وثـار عَقَنْقَـلُ البيـداء حتـى غشـاهـا حيـن جلجـل بـالـدُّخـانِ
رأيت لدى الصفوف أبا حسين عمـود الصبـح قـام بطيلسـانِ
أَذَلَّ جَحـاجـح الكفـار خَطمـاً بسيـف هـابـه قلـب الكِيـانِ
وفي الصَّفَيْن من صِفِّين سارت مـآثـر بطشـه للنهـروانِ
فعِلـم جَـلَّ عـن حصـر، وعقـل يُقـاد للفظتيـه العسكـرانِ
ومَجـد دونـه الميـزان حَـد وسبطـاه بـذاك الشـاهـدانِ
وقـد مـلأ البـلاد هُـدىً ورُشـداً تَعَطَّـر مـن شـذاه العَـالَمـانِ
وجندلـه ابـن ملجـم وهـو خبـل دنـيّ الأصـل مـن حسـب مُهـانِ
سقـاه بسيفـه كـأس المنـايـا وأردى الليـث غـدر الثَّعلبـانِ

وصـارت دُرَّةُ الـرأس المفـدى ... مُخضَّبَـةَ العنـاصـر بـالـدِّهـانِ
وعـن سبطيـه بَـدْرَيِّ المعـالـي ... سـل الـزهـراء أيـن الفـرقـدانِ ؟
وقـد كـانـت لنـورهمـا مقـامـاً ... بتـولـيـاً مُحيطـاً كـالقِـرانِ
فهـذا مـات مسمـومـاً وهـذا ... بكتـه بكـربـلاء الشِّعـريـانِ!
وكـان أبـوهمـا سهـم التجلـي ... وإنهمـا لـديـه الأبهـرانِ
ومـا حَفِـظ الـزمـان لهـم عهـوداً ... علـى الإيمـان راسخـة المبـانـي
بهـم سِـرُّ النبـوة قـام قِـدمـاً ... وهـم لنظـامـه كـالتَّـرجُمـانِ
جرى حكم الكتاب على يديهم ... وحكمتـه فطـاب الخـافقـانِ
وكَـدَّرَ عيشَهـم زَمَـنٌ لئيـمٌ ... بـه يعلـو الغطـارفـة الغـوانـي
وعَـدِّدْ بعـدهـم آلاً وصحبـاً ... وأتبـاعـاً مصـابيـح الأمـانـي
تـرى أن الـزمـان بغـى عليهـم ... وبـانـوا بيـن مقهـور وعـانِ
فكيـف يُـؤَمِّـلُ الفُضَـلاءُ فيـه ... غيـاثـاً مـن فـلان أو فـلانِ
وسيرتـه بـأهـل الفضـل مـا قـد ... رأيـت وذا بـديهـي البيـانِ ؟!
أَجَـلْ إن المكـارم والمسـاوي ... لـديـه كمـا شهـدنـا ضَـرتـانِ
وظلمـاً طَلَّـق الأُولـى فـأنَّـى ... يصـح لأهلهـا منـه التـدانـي ؟!
فكـن بـالصبـر مُـدَّرعـاً وسَلِّـم ... أمـورك للكـريـم المستعـانِ!

* * *

وقلت:

إنـي أغـار عليـك منـي ... يـا منيتـي فـدع التجنـي
وإليـك كـل تَضَـرُّعـي ... وتهتكـي بهـواك فنـي
فليـذكـرنَّ تشبيبـي ... وليـرو أهـل الحُـب عنـي
وليصنـع العـذال مـا ... شـاؤوا فهـم بـالحـل منـي
أنـا فيـك عبـد صبـابـة ... مـا عشـت يـا حلـو التثنـي

وإلـــى وصـــالــك نيتـــي ... طمحـت وقصـدي والتمنـي
وأنـا علـى عهـد الهـوى ... عبـد لعبـدك فـاقبَلَنّـي

* * *

وقلت :

طَـرَقَ الخيـال منـازلاً بـالبـان ... شـوقـاً لمـن فيهـا مـن السكـانِ
وسرى يجوب فجاج سَلْع والنقا ... ومطـارق الغـزلان مـن نُعمـانِ
يـا سعـد حَدِّثني بأخبار اللوى ... وبجيـرة الجـرعـاء مـن عـدنـانِ
وسُق الحديث مُسلسلاً كمدامعي ... يـوم الـرحيـل وفُـرْقَـة الخـلانِ
كانوا فبانوا وانطوت أخبارهم ... والسيـر طـال بسـائـق الأظعـانِ
أنجدتُ لكن أتهموا فتوافق السَّـ ... ـفَران حيـن تخـالـف القصـدانِ
هيهات يُتْحِفُ باللقا زَمَن غدا ... مـن طبعـه العـدوان بـالهجـرانِ!
جَمْعان مِن لَهَفي ومن هِجرانهم ... يا حسرتي يوم التقا الجمعانِ!
فارقت من أهوى ولاقيت النوى ... اللهُ كيـف تَجَمَّـعَ الضِّـدانِ ؟!
ومع الكرى اختَصَمَتْ لعمري مُقلتي ... هـل ليلـة يـرضـى بهـا الخصمـانِ ؟
ويئـن فـي قَصَـب العظـام لـزفـرة ... مِنـي مُـرَجِّـعُ نغمـة الأحـزانِ
فيفور دمعي عَنْدَماً أو عَن دِما ... يروي نصوص قلائد المُرجانِ
ويقـول راء دمعتـي وبكـا السمـا ... مَطَـران مُختلفـان مُتَّحـدانِ
ومن العجائب أن أهل المنحنى ... لا يعبـؤن بلـوعتـي وهـوانـي!
ومكـان قلبـي أيـن حَـلَّ رِكـابهـم ... ولسـاكنـي قلبـي مكـان ثـانِ
ما كنت أعلم قبل أن فارقتهم ... أنَّ الجحيـم بمهجـة الإنسـانِ!!
قسمـاً بـآرامٍ بمـرتـع حـاجـرٍ ... جـذبـوا مـن الأكبـاد كـل عِنـانِ
وبنكتـة اللفتـات مـن أجيـادهـم ... وبـديـع رونـق حُسنهـا الفتّـانِ
وبليـن بـانِ الأبـرقيـن وطيـب أو ... قـات تَقَضَّـتْ تحـت ظِّـل البـانِ
ما طاف في الأرجاء مِسْكيُّ الصَّبا ... إلاَّ وحَـرَّك نحـوهـم أشجـانـي

والفجر لم يُبْدِ الضِّيا إلاَّ وذِكـ ـر وجُوهِهم أجريته بلساني
ولَرُبَّ ذي نُصْحٍ يقول بتركهم: رَوِّح جَنانك. قلتُ: أين جَناني ؟
ويقول لُوَّامي: فنيتَ لأجلهم. فأجبتُ: كُفُّوا كُلُّ شيء فانِ!

* * *

وقلت:

الموت أهون عند رَبِّ شهامة من طَرْف مُحتقرٍ رآه مُهانا
العُمْر عِزٌّ والممات مَذَلَّة فالعمر ضمن مَذَلَّةٍ لا كانا

* * *

وقلت:

سِرُّ فُرقان المعاني بإشارات البيانِ
قد تلا معنىً رشيقاً ليس يُتْلَى باللسانِ
وبدت منه شؤون واضحات للعيانِ
أثبتت معنى التجلي وجَلَتْ عَتْمَ الكِيانِ
ففهمنا أن كل الـ ـكون دون الله فانِ

* * *

وقلت:

وجوه أَلِفْناها وشَطَّ بها النَّوَى فَعَلَّمَنا من بعدها الحنَّ والأنّا
ونُحنا لها شوقاً وتوقاً وإننا أقمنا لها في كل جارحة فَنّا
فيزعجنا هَبُّ النسيم إذا سرى ويجرحنا القُمْرِيُّ ليلاً إذا غَنَّى
فيا ليت لو كان الزمان مُساعداً ويجمعنا الدهر المشت كما كُنَّا!
فيا حسرةً جاد الزمان على الثرى بهم وعلينا رغم أشواقنا ضَنَّا!
لئن غاب مجلى حسنهم عن عيوننا فما غاب لا والحب معناهمُ عَنَّا!
حفظنا لهم سراً عهوداً قديمة وقمنا بميثاق الغرام وما خُنَّا
حرام علينا الدهرَ نِسيانُ عهدِهم وهل يمكن السلوان في شأنهم مِنَّا ؟
وحقِ معانيهم متى مَرَّ ذِكرهم على القلب إعظاماً لذِكرهمُ حَنَّا

﴿باب﴾ في ذكر بعض أعيان ذريتِه ومشاهير أصحابِهِ وأتباعه وأهلِ خرقتِهِ على سبيل الاختصار اكتفاء بشهرتهم التي هي كالشمس في رابعة النهار وسنذكر إن شاء الله في هذا الباب جماعة من رجال الوقت شاع ذكرهم في الآفاق وانتشر صيتهم في الغرب والعراق

قال الإمام العلامة سلطان المحدثين، الشيخ عِزُّ الدِّين أحمد الفَارُوثِيُّ الواسطي (قدس سره!) في كتابِهِ «النفحة المسكية» ما نصهُ: إنَّ السيد أحمد الرفاعي (رضي الله عنه!) تزوج في بدايتِهِ بالشيخة الصالحة الست خديجة بنت سيدي أبي بكر أخي الشيخ منصور الرباني، ابن سيدي يحيى النجاري الأنصاري، فأولدها السيدة فاطمة، والسيدة زينب، رضي الله تعالى عنهم أجمعين!.

ثم توفيت فتزوج بعدها بأختها الصالحة الزاهدة العابدة الست رابعة، فأولدها السيد صالحاً (رضي الله عنهُ!)، وقد توفي قطب الدين صالح المشار إليهِ (رضي الله عنهُ!)، في حياة أبيهِ ولم يتزوج، ودفن في قبة جده سيدي يحيى النجاري. وأما السيدة فاطمة بنت السيد أحمد الكبير، فقد زوجها أبوها بابن أخته، وابن ابن عمهِ، السيد علي مُهَذِّب الدولة، شيخ وقتهِ، قطب الزمان، ولي الرحمن، بن عثمان، فأعقبَت لهُ الأستاذ الأكبر، والعلم الأشهر، غوث زمانهِ، بُحْبُوحة الكرم، عظيم الهمم، القطب الأقرب، أبا الفقراء، سيدنا محيي الدين الأعزب (رضي الله عنهُ!)، والسيدَ نجمَ الدِّين أحمد الأخضر، وتوفيت ولم تخلف غيرهما.

وتزوج بعدها بنفيسة بنت سيدي محمد بن القاسمية، فأولدها السيد إسماعيل، والسيد عثمان، والسيدة عائشة، والسيدة زينب، والسيدة خديجة، والسيدة فاطمة، وعقبهم معلوم.

وأما السيدة زينب بنت سيدنا السيد أحمد الكبير، فقد زوجها أبوها (رضي الله عنهُ!) بابن أختِهِ وابن ابن عمهِ صاحب القدم السابق، والشرف الباسق، والخلق الكريم، والقلب السليم، مُمَهِّد الدولة والدِّين، سيدنا السيد عبد الرحيم بن عثمان (رضي الله عنه!)، فأولدها السيد شمس الدين محمداً، والسيد قطب الدين أحمد، والسيد أبا الحسن علياً، والسيد عز الدين أحمد، والسيد أحمد أبا القاسم، والسيد أبا الحسن، والسيدة عائشة، والسيدة فاطمة، ثمانيةً، ذكورهم ستة، وإناثهم إثنتان كما في «الترياق».

وزينب هذه (رضي الله عنها!) أم الرجال، تزوج ولدها السيد شمس الدين محمد بالسيدة خديجة بنت سيدنا السيد علي بن عثمان، فأعقب السيد رجباً، والسيد تاج الدين، والسيد شمس الدين أحمد، والسيد أحمد قطب الدين، وكبر السيد أحمد هذا وتزوج وأَعقب السيد تاج الدين أبا القاسم، والسيدة خديجة، والسيد أحمد نجم الدين، والسيد عبد الله، ولكلٍ شعبة وأهل.

ثم إن السيد قطب الدين أحمد بن السيدة زينب تزوج ـ أيضاً ـ وأَعقب السيد نجم الدين يحيى، والسيدة فاطمة، ولهما ذرية.

ثم إن ولدها الثالث السيد أبا الحسن علياً الملقب بعبد المحسن، تزوج فأَعقب السيد شرف الدين أبا بكر، والسيد علياً أبا الحسن، والسيدة العابدة ست النسب.

فأعقب أبو بكر السيد أحمد، وأعقب السيد أحمد هذا أبا الفضائل السيد علياً.

وأما السيد علي أبو الحسن بن السيد عبد المحسن، أبي الحسن علي، فإنه سكن قرية «حرير» من أعمال البصرة، وهاجر إلى الشام، وتزوج بأرضها، ولهُ ذرية، وتخرج بصحبته جم غفير من الرجال، ومنهم الشيخ علي أبو محمد الحريري ابن أبي الحسن، ابن منصور المَرْوزي، رحمهُ الله!.

قلت: وقد كان ابن منصور هذا على حال؛ إلا أنهُ قد غلبت أحواله عليهِ، فما قدر على قبض لسانهِ فقيل فيهِ ما قيل.

ثم إن ولد السيدة زينب الرابع مولانا السيد عز الدين أحمد الصغير، تزوج وأعقب السيد سيف الدين عثمان، ولم يعقب غيره.

ثم إن ولدها الخامس السيد أبا القاسم عز الدين أحمد الكبير ويلقب «بالصياد»، هاجر من العراق إلى الحجاز، ثم إلى اليمن ومصر، وتزوج فيها من آل الملك الأفضل، وأعقب بها السيد علياً، وتركهُ عند أخوالهِ، وهاجر إلى الشام، كل ذلك خيفة الشهرة؛ ولكيلا يشتغل بالخلق عن الخالق، وسكن في نهايتهِ قرية يقال لها: «متكين». من أعمال معرَّة النعمان، من أعمال حلب، سكنها حتى مات، وتزوج فيها، وأعقب السيد موسى، ويقال لهُ: «الكبير»، والسيد صدر الدين علياً، والسيد شمس الدين محمداً، والسيد أحمد أبا بكر، وترك في العراق ولداً لهُ سماه: السيد عبد الرحيم.

وقد اشتهر أمر السيد أحمد عز الدين أبي القاسم الصياد، ويقال لهُ في الشام: «أبو علي»، وفي اليمن: «أبو الخير»، وقد حملهُ جده بيده، وعَظَّم شأنهُ، وبَشَّر بهِ، وأثنى عليهِ، وقال فيهِ: ستكون لهُ دولة عظيمة، وتزوره الأسودُ.

ثم إن ولد السيدة الجليلة زينب السادس سيدنا محمداً أبا الحسن، تزوج في «أم عبيدة»، وأعقب السيد شمس الدين محمداً إمام الوقت، فأعقب السيد شمسُ الدِّين الشيخَ الأجلَ السيدَ تاجَ الدِّين، والسيدَ أحمدَ أبا الحسين، ولكل منهم عقب وذرية صالحة، شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، انتظم فيها أكابر الأقطاب، وأقطاب الأولياء، رضي الله عنهم وعنا بهم آمين!.

هذا ما لخصتهُ لك من آل الرفاعي، الذين تؤول نسبتهم إلى سيدنا ومولانا السيد أحمد الكبير من بنتيهِ الكريمتين، زوجتي ولدي أختهِ وابني

ابن عمه، فما أعلاها من نسبة اتصلت من كل جهة بالرسول العظيم والنبي الكريم عليهِ أفضل الصلاة وأجل التسليم! زكت فروعاً وأبناءً! وعلت أصولاً وآباءً!.

نسب كأَنَّ عليهِ من شمس الضحى نـوراً ومـن فلـق الصبـاح عمـودا

انتهى.

* * *

ترجمة السيد علي بن عثمان (رضي الله عنه!)

قال سيدنا أحمد بن جلال في كتابهِ «جِلاءُ الصدى» ما نصهُ: إنَّ أول من ولّي الخلافة بعد السيد أحمد الرفاعي (رضي الله تعالى عنهُ!) الإمام المحتشم، والسيد المحترم، ذو الفضائل العلية، والخصال المرئية، والمقامات الشامخة، والدرجات البازخة، سيد الأجلة، المخصوص بالفضائل والأَدلة، الثابت البنيان، والعالي الأركان، قطب الزمان، ولي الرحمن، شيخ الوقت، السيد عليُّ بنُ عثمانَ، جعل الله قبره روضة من رياض الجنان! وسقاه رحيق الوصل على بساط القرب المعتق بالدنان!.

استخلف بعد السيد أحمد الرفاعي، (رضي الله تعالى عنهُ!) وكان ذا خلق عظيم، وكف كريم، وجود عميم، فقام بعده بسيرة حسنة، كما يحب أن يكون لهُ، ولم يزل (قدس سره!) مراعياً لأصحاب خاله ويكرمهم ويبجلهم في جميع أحوالهِ، وكل من عرض عليهِ حاجة دنيوية أو أخروية يقضيها لهُ، وكان يقول للفقراء: أي سادة! من كان لهُ منكم حاجة فليلزمني بها، ومن شكى من سلطانهِ أو شيطانهِ أو زوجتهِ أو دابتهِ أو أرضه إن كانت لا تنبت، أو نخلة لهُ لا تثمر، أو دابة لا تحمل، فليلزمني بها؛ فإني مجيب لهُ ودَرَكُه عليَّ.

وكان يصنع المعروف إلى أهلهِ وغير أهلهِ على الدوام، ويفيض الجود من كفِهِ فيض الغيث من الغمام، وكانت الدنيا منقادة لهُ تأْتي لهُ راغمة

حيث شاءَ، ويقول للفقراء: خذوا الدنيا مني نهباً.

وكان يتحبب إلى الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، لهُ تواضع وخشوع دائِم كثير، ويعظم شأن «أم عبيدة» وأهلِها، ويقول لابنهِ السيد إبراهيم: من يقدر أن يكون مثل أهل «أم عبيدة»؟ قوم يُمسون ويُصبحون متنعمين بالنظر إلى وجه جدك.

وكان السيد أحمد الرفاعي (رضي الله تعالى عنهُ!) يوصي الفقراء بخدمتهِ، ويعظمهُ، ويرفع قدره ومنزلتهُ، ويكرمهُ ويبجلهُ، ويقول لهُ: أي علي! أنت الذي فضلك الله على أهل بيتك، وشرفك عليهم، وجعلك شيخهم، وقدوتهم. وأمر الفقراء باتباعه والاقتداء بقولهِ وفعلهِ، وكان السيد علي (قدس سره!) سريع الغضب والرضاء، كريم الكف، سخي النفس، مليح الملتقى، بشاش البشر، طليق الوجه، يمنح السائل ويبذل، وما رد سؤال سائل، ولا خيب قط آملاً، وفيهِ يقول الشاعر:

آيات مجدك ما لها تبديل ... وعلو قدرك ما إليهِ سبيل
فاقت صفاتك كل جيل قد مضى ... في العالمين فكيف هذا الجيل
شهدت لك الأفعال بالمجد الذي ... كل الأنام سواك فيهِ دخيل
ذهل الأنام لكل فضل حزتهُ ... لم يحوه التشبيه والتمثيل
قد عز بيت أنت من ساداتهِ ... وأمورُ أقوام إليك تؤول
يا من لهُ في الناس ذكر سائر ... كالشمس يشرق نورها ويجول
فإذا تهجد في الظلام فحسنهُ ... من نور غرتهِ لنا قنديل
هذا هو الشرف الذي لا يدعى ... هيهات ما كل الرجال فحول!

* * *

وكان إذا أتوه الفقراء يقول: جاء أحباب الله وأحبابنا، قوموا نغتنمهم ونغتنم مجالسهم وبركتهم. ويتلذذ بهم، ويحمل إليهم طوائف الأطعمة وألوان الحلاوة، ويخدمهم بنفسهِ، ويدخل على قلوبهم السرور، وكان

إذا اجتمع الفقراء حولهُ في «أم عبيدة» يلازمهم ويجلسهم عنده، ولا يقدر أحد منهم يفارقهُ، ويتمتع بالنظر إليهم، ويقول: ثلاثة أشياء تجلي البصر، وتصرف الهم، وتزيد في الحكمة: النظر إلى المصحف، والنظر إلى وجه الإخوان، والنظر إلى وجه الوالدين. وأنشد (قدس سره!):

قوموا لنقضي طيب عيش فاتنا ... مع من نحب فهذه أوقاتنا
ونقول للاحي رويدَك لا تلم ... إذهب ودعنا نستريح بذاتنا
أهل العقيق وحقكم أي سادتي ... نحن العبيد وأنتم ساداتنا
من قال عنا: إننا لا نبتغي ... غير الوصال. فذاك من عاداتنا

* * *

وكان (قدس سره!) يحب النفقة على الفقراء والإخوان في السر والإعلان، ويقول: ثلاث لا يطالب الرجل عليها: النفقة على عيال البيت، والنفقة على الإخوان، والنفقة في سبيل الله عز وجل. وكان قد أجرى الله الحكمة على لسانه، وأنبع عيون الفطنة في قلبه، وكان قوياً في الله، متمكناً بأمر الله، ما خالف أمره أحد إلا قتلهُ الله، وكان لهُ غيرةٌ عربية، وهمة عالية، وهيبة عجيبة، وسطوة غريبة، لا يقدر أحد يقابلهُ لهبتهِ، ولا أن يدانيه لهيبتهِ، ولمخالفتهِ، مع تواضعهِ ورأفته وإحسانهِ ولطافتهِ.

وكان دائم الهم والغم، والفكر والحزن، والاضطراب، لهُ قلب رحماني، وسر روحاني، وكان (رضي الله عنهُ!) يظهر الكرامات، ويقول: إظهار الكرامات يزيد في يقين المريدين.

وله آيات مشهورة، وكرامات معروفة، منها ما قالهُ الشيخ ظفر عنهُ قال: كنا نمشي مع السيد علي والسيد عبد الرحيم إلى السفر، فوصلنا في الطريق إلى الشيخ عبد المحمود، فدخلنا عليهِ، فما قام الشيخ عبد المحمود لأجل السيد علي، فخرج السيد علي من عنده، فقال السيد عبد

الرحيم: أي عبد المحمود! لم لا قمت على رأسك لأجل أخي ؟ أي عبد المحمود! ما تعلم أن أخي ممن يقال في شأنهم:

إذا عـاينتـهُ مـن بعيـد تـرجلـت وإن هي لم تفعل فحل حمامها!

أي عبد المحمود! وبين أخيهِ، فذكرت القصة لسيدي علي بعد أن وصلنا إليهِ، فخلع قميصهُ ومئزره وأعطاني إياه، ثم مشى، ثم ناداني، أي ظفر ما قال أخي ؟ فرددت عليهِ قولهُ، فأعطاني قميصاً ومئزراً آخر، وكذلك صار يمشي ساعة ويناديني ويسألني عما جرى بينهما، وأخبره، وهو يعطيني قميصاً ومئزراً آخر، حتى أعطاني خمسة عشر قميصاً، وخمسة عشر مئزراً، ثم منعني أصحابه عن الأخذ، وكان السيد أحمد الرفاعي (رضي الله تعالى عنهُ!) يبجلهُ ويقدمهُ على الفقراء، ويقول لهُ: أنت الشيخ بعدي. وسمع السيد إبراهيم الأعزب يقول لهُ: الشيخ. ولم يقل لهُ: السيد، فسألهُ عن ذلك ؟ فقال: لأن العرب تقول: الشيخ. فقال ـ رضي الله تعالى عنهُ! ـ: قال الله تعالى في شأن يحيى بن زكريا ـ عليهما الصلاة والسلام ـ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾. أي إبراهيم! تب إلى الله تعالى مما قلت!

وكان السيد أحمد الرفاعي (رضي الله تعالى عنهُ!) قد وصاه وقال لهُ: أي علي! خذ نصيبك من الليل؛ فإن كل ليلة ينزل من الحضرة الربوبية نثار إلى الأرض، لا يحصل منها على شيء إلا من هو مستيقظ. فقال: أي سيدي! أنا ما أعلم من القرآن، فإن قمت ليلاً بما أشتغل؟ فقال: أي ولدي! توضأ وضوءاً جديداً وصل ركعتين، واقرأ الحمد فيهما، ثم ضع رأسك على ركبتيك، واعترف بتقصيرك، حتى يحصل لك منها نصيب.

وقال (رضي الله تعالى عنهُ!) لهُ: أي علي !إذا كان الغني يصلي عشر ركعات ويتصدق بعشرين ديناراً، والفقير يصلي ركعتين، ويتصدق بدرهم، كان المزيدة والرجحان للفقير فيها، أي علي! ينبغي أن تكون الدنيا وما فيها عندك هينة، حتى يسهل عليك أمورها، ولا تخجلني

عند الله تعالى. ثم جعل السيد علي نصيحتهُ ووصيتهُ نصب عينهِ، واقتدى في جميع الأمور بهِ، ودخل على السيد علي (قدس سره!) فقيه فقال لهُ: أي سيدي! أنت تسأل مني وأنا أسأل منك. فقال: أنت اسأل مني. فقال الفقيه: كيف أسألك ولَسْتَ بفقيه ولا عالم؟ فقال لهُ: أنت اسأل يمكن أن أقدر على الجواب. فقال الفقيه: فسر لي قولهُ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾. فقال: تريد تفسيرَنا أو تفسيرَكم. قال: أفرق بين تفسيرنا وتفسيركم؟! قال: نعم. فقال: ما تفسيركم؟ فقال: الملك هو الله عز وجل، والقرية قلبك، فسد المنزل على المتوطنين وأزعجهم، والمراد بالمتوطنين الرياء والنفاق وسوء الخلق، والتزوير والبهتان، والفساد والطغيان، وكل ما هو خلاف رضاء الرحمن، والمراد بالأعزة تلك الشياطين، فيذلهم ويهينهم، فلما سمع الفقيه قولهُ صدقهُ وتعجب!.

قال صاحب «أم البراهين»: حدثني الشيخ مقدام، قال: خرج السيد إلى السفر، وكانت أول أسفاره بعد وفاة خاله، فنادى النقيب الفقراء إلى السفر، فخرجوا واجتمعنا حولهُ يميناً وشمالاً، وهم خلق كثير، وفيهم الفقراءُ المخلصون، والمشايخ المعتبرون، والعلماء المقربون، فقال: لا إلَه إلا الله محمد رسول الله. وبكى! ورمى نفسهُ من المطية ووقع على الأرض مغشياً عليهِ، فلما أفاق كشف رأسهُ وجعل يمرغ وجههُ في التراب ويقول: أي ربِّ! إلى متى تفضحني بين هذه الخلائق؟ ومن أنا؟ وأيش أنا؟ لا آية من كتاب الله، ولا خبر عن رسول الله (ﷺ). ثم بكى زماناً طويلاً، ورأسهُ ووجههُ وشيبتهُ ممرغة بالتراب، ثم قام وكادت نفس الفقراءِ تزهق من البكاء، فركب المطية وقال:

ما للعواذل في هواك ومالي ... أنا قد رضيت بأن أموت بحالي

ها قد مددت يدي لأسأل عفوكم ... فبحقكم رُدوا جواب سؤالي

* * *

قال: وقد ظهرت منهُ في تلك السفرة أشياء عجيبة، وقال الشيخ محبوب: خرج عن «أم عبيدة» السيد علي (رضي الله تعالى عنهُ!) فخرج كبار مشايخ الجمع والفقراء في فم الدير، فلما دخلوا عليه وقبلوا يده قال لهم: مرحباً بكم وأهلاً وسهلاً وأنشد:

حياكم الله وأحياكم ولا عدمنا قط رؤياكم
ولا حضرنا قط في مجلس مستحسن إلا ذكرناكم

* * *

قال: فأجلسهم وأحضر لهم الطعام، فلما فرغوا من الأكل قال لهم: أي سادة! قولوا لي هل لكم من حاجة فتقضى مع ما أنه عندكم تقضى الحوائج، وإلى عندكم تشد الرحال، وإلي بابكم مقصد الرجال، ومعراج الأحوال. فقالوا: جئناك شوقاً إليك، ومحبة لك؛ لأنك اليوم شيخنا وإمامنا وصاحب الوقت والمشار إليهِ، وكل الحوائج إليك، وأنت الباب إلى كل الأسباب، وفيك الحكمة وفصل الخطاب.

فقال: أي سادة! الإنصاف من الأشراف، إن أردتم الخبز والتمر والثياب فعندي، وإن أردتم الحق سبحانهُ وتعالى ورضاه فبين سواري رُواق «أم عبيدة»، وأي حاجة كانت لكم فاطلبوها في «أم عبيدة». ثم زودهم الدراهم والثياب، ودعى لهم، وسألهم الدعاء، وشيعهم إلى خلف فم الدير.

ذكر صاحب «الشفاء» ـ أيضاً ـ هاتين الحكايتين في كتابهِ وقال: كانت خلافتهُ خمس سنين وأشهر، وتوفي في يوم الأربعاء قبل صلاة الظهر الحادي والعشرين من صفر، سنة أربع وثمانين وخمس مئة، في فم الدير، وحمل إلى «أم عَبِيْدة» عمرها الله تعالى بأوليائهِ! ودفن في قبة خالهِ (رضي الله تعالى عنهما!).

وكان السيد علي لا يريد أن يدفن في فم الدير، فحضر عنده في مرض

وفاتِهِ ابنُ أخيه السيد شمس الدين محمد (قدس سرهما!) فقال: أي سيدي! أخبرني بما سمعتهُ يقول ـ أي جده الكبير السيد أحمد الرفاعي ـ: أي علي! أنت مني بمنزلة الصديق أبي بكر (رضي الله تعالى عنه!) من رسول الله (ﷺ). فقال السيد محمد: من يشهد معك في هذا الخبر؟ فقال: أبوك عبد الرحيم، وعمك عبد السلام، وجماعة آخرون من الفقراء. فشهد لهُ جماعة من الفقراء الحاضرين، فقال السيد محمد: أي سيدي! كيف الصديق مع النبي في الدفن؟ فقال: رأسهُ عند سرتهِ المباركة. ثم قال السيد علي: إذا أنا مت فاحملوني إلى «أم عبيدة».

* * *

ترجمة مُمَهِّد الدولة والدِّيْن
السيد عبد الرحيم بن عثمان
(رضي الله عنه!)

ومنهم أخوه الشيخ الكبير والعارف الخبير، زبدة الأولياء، وعمدة الأصفياء، ذو القدر الرفيع، والعز المنيع، والقدم السابق، والشرف الباسق، صاحب الخلق الكريم، والقلب السليم، السيد عز الدولة والدين، عبد الرحيم، تخلف بعد أخيهِ النبيه، فقام بعده بأخلاق مرضية، وسيرة علوية، لا تأخذه في الله لومة لائِم.

كان يراعي حقوق الله تعالى في كل حال، ويقرب من كان هو المقرب من خالهِ، ويراعي حقوقهُ في جميع أحوالهِ، ويتمسك ويقتدي بخالهِ وخصاله، يقول حقاً، ويعطي صدقاً، كان لليتامى كالأب الشفيق، وللأرملة كالزوج الأليف، ويقول: فرحي وتجارتي إذا فرح المسكين واليتيم.

وكان ذا همة عالية، ويرى جميع ما في يده من الدنيا عارية، ويراعي من كان يخدم الفقراء خاصة، وكان ذا طرب وصوت حزين، وله

وحنين، ودمعة جارية، وقلب عن غير الحق خلي، وكشف جلي، وخُلُق سني، وكان معروفاً بسوء الخلق. فشكى إلى خالهِ من ذلك مرة، فقال (رضي الله تعالى عنهُ!): إذا أعطاك الله تعالى خلقاً حسناً فلا بأس، ولا يغيرك إذا عرفوك بسوء الخلق، لك خلق سني. فحرفوها بالتصحيف ويقولون: لك خلق سيء.

وكان سريع الغضب، سريع الرضا، وإذا غضب يرعد كما ترعد الشجرة من الريح العاصف، ولهُ غيرةٌ عجيبة غريبة، وكان إذا غضب من أحد بان عليهِ أثر غضبهِ، غضب مرة على ابنهِ السيد عز الدين أحمد فهلك، وقال مرة للسيد إبراهيم: أهلَكَ عمُك بعدد خوص النخل - نخل بستان السيد يحيى النجار - من الخلائق. وذلك موضع وسيع في جوار الرباط.

وكان السيد أحمد الرفاعي (رضي الله تعالى عنهُ!) يبجلهُ ويدنيهِ ويحبهُ دون إخوتهِ، ويقول لهُ: كلٌ من إخوتك إذا مشى إلى مكان لحاجة أنا منهم مطمئن القلب؛ إلا أنت إذا مشيت إلى جهة أنا لا أزال خائفاً عليك من أهل تلك الجهة؛ لأنهم إن يقضوا حاجتك فلحوا، وإن لم يقضوا حاجتك أخاف عليهم من الهلاك. وكان ذاكراً لله تعالى على البأساء والضراء، وفي يقظتهِ ورقدتهِ، وقد استولى عليهِ الذكر حتى كان إذا أراد أن يقص شاربهُ لا يقدر، حتى يلزم شفتيهِ بيده، وكان إذا نام يستمع منهُ زجل الشيخ.

وكان يُرَّغب أولاده بحفظ القرآن والاشتغال بالعلوم، فمن امتنع منهم من ذلك يمرض، وربما منعهم من الطعام، قال صاحب «أم البراهين»: حدث عن السيد عبد الرحيم أنهُ قال: بينما أنا نائم ذات ليلة من الليالي، إذ رأيت كأنه قد نزل من السماء سيفان طولهما واحد، وكسوتهما واحد، فسلم إليَّ سيف، وإلى أخي سيف، فتلقدنا به، فجاءَ سيفهُ أطول من سيفي، ثم جذب أخي سيفهُ فانجذب، وندبهُ فانتدب، وهزه فبرق ضوءه حتى ملأ ضوءه الشرق والغرب، والسهل والجبل، حتى كان يسلب العقول، ويغشي الأبصار، فجذبت سيفي فلم ينجذب، فانتبهت وأتيت

لعند سيدي أحمد الرفاعي (رضي الله عنهُ!) وأخبرتهُ بذلك فقال لي: أي عبد الرحيم! لا يضيق صدرك، ولا تحزن: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي عبد الرحيم! أخوك محتاج إلى السيف؛ لأنهُ في موضع مظلم بين الأعراب ولهُ السيف ولذريتهِ، ولك العلم والكرسي والمحراب، وأنا لك، وأنت في هذا الباب لا تحتاج إلى ذلك، والقصد إليك وإلى بابك، ومع هذا كله فالحقُّ أعرف بخلقهِ.

ثم قال: أي عبد الرحيم! وحقِ العزيز سبحانهُ أبيت أن يكون إلا فيك، وأبت الربوبية أن تكون إلا بأخيك، وكان كما أراد الحق سبحانهُ، كل شيء بإرادة العزيز؛ لكوني أردت أن يكون إليك، والحق أراده لأخيك، وإني أردت أن لا يكون في «أم عبيدة» سوق، والحق أراد، وكان ذلك، وأردت أن لا أعرف والحق أراد.

وفي بعض السير: كان السيد عبد الرحيم يأخذ ويعطي، ويثبت ويمحو، ويقول: الولي يحيي ويميت بإذن الله تعالى، إذا صارَ كله لله، وكان الحق معهُ كيف يشاء. انتهى ما كان في ذلك السيرة. وكان يقول: متى كان الفقير بإرادتهِ تعب، وإذا كانَ كلهُ لله كان الله معهُ، ومن أطاع الله تعالى أطاعهُ كل شيء. وقيل لهُ: أي سيدي! لك بصيرة. فقال: لا مالي بصيرة، لأخي علي البصيرة، ولكن لي قلب كلما يريد هو أرادة الربوبية أيضاً.

قال الشيخ أبو الدر (قدس سره!): لما غدا عنده وقد غفر الباري سبحانهُ لعبد الرحيم بن عثمان وذريتهُ، وقد عرض أعمالهُ في سوق المعرفة فلم يُرَدّ عليهِ منها حرف. حكي عن جماعة من الفقراء قالوا: كنا في السفر مع السيد عبد الرحيم (قدس سره!) وكان زمان قحط، فوصلنا إلى الصحراء، وقد زرعوا الشعير واصفر لعدم الماء، فنظر السيد عبد الرحيم إلى الأرض زماناً ثم قال: أنزلوني عن المطية. فأنزلوه، ومشى بين الزرع، ثم قال:

رجال إذا الدنيا دجت أشرقت بهم وإن أجدبت يوماً بهم ينزل القطر
ولو وطئوا يوماً على ظهر صخرة لأنبتت الصماء من وطئهم خضر
فكانوا على ظهر لأرض عمودها وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر
فيا شامتاً بالموت لا تشمتن بهم حياتهم فخر وموتهم ذخر

❋ ❋ ❋

ثم مشى فما وصلنا إلى البلد حتى أمطرت للخلائق، ودام المطر أياماً حتى لم يتمكنوا من الخروج من البيوت، فاستغاث الفقراء الذين معاشهم من التردد من الجوع، فخرج السيد عبد الرحيم من البيت، ودعا فانكشف الغمام، وطلعت الشمس، وكانت مدة خلافتهِ اثني وعشرين سنة، وما سافر في تلك المدة إلا ثلاث سنين، ثم ترك السفر، فقال لهُ الفقراء في ذلك فقال: ما أسافر حتى يحصل لي الإذن من الله تعالى.

وتوفي (قدس سره!) صبيحة يوم الأربعاء خامس شهر شوال سنة أربعة وست مئة، وغسلهُ الشيخ عبد الجبار، والشيخ أبو شجاع، ودفن في رباط أخيهِ السيد عبد السلام.

❋ ❋ ❋

ترجمة نِظَام الدولة السيد إبراهيم الأعزب
(رضي الله عنه!)

ومنهم السيد المقرب العالي المقام، والسند المهذب القمقام، الإمام الولي المقدم، والهمام الصفي المكرم، صاحب الأسرار السبحانية، وفيض الأنوار الرحمانية، ذو الحكمة اللقمانية، والحياة العثمانية، الحبيب إلى القلوب، والسليم من العيوب، سمي خليل الله وكنيه، شيخ أولياء الله وصفيه، ذو القرب الأقرب، والورد الأعذب، سيدي محيي الدين أبو إسحاق إبراهيم الأعزب، (قدس الله أسراره ونفعنا به آمين!).

له المجلس العالي في حضائر القدس، والمشرب الحالي من مناهل الوصل، والمقر السامي في أرائك القرب، والمنهاج الموطأ على متن الملكوت إلى ملك الجبروت، والمعراج الأعلى فوق مراقي الصعود إلى حضرة الشهود، ولهُ التقدم في التعالي، والتصدر في التداني، والسبق إلى حلبات المحامد والمعالي، والجمع بين أطراف السعادة والتهاني، ولهُ الباع الطويل في علوم المنازلات، واليد البيضاء في معاني المشاهدات، والذراع الرحب في التصريف الخارق، والقدم الراسخ في التمكين الواسع.

وهو أحد من أَظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفهُ في الكون، وخرق لهُ العادات، وأَظهر على يديه الخارقات، وأنطقهُ بالمغيبات، وأجرى على لسانهِ الحكم، ومكنهُ من أحوال النهاية، ومملكة أسرار الولاية، ونصبهُ قدوة وحجة، وهو أحد أركان هذا الشأن، وإمام أئمة ساداتهِ، وأعلم العلماء بأحكامهِ، وأولو الأيدي والأبصار بمناهجهِ، علماً وعملاً وزهداً وتحقيقاً ورياسة وجلالة.

صحب خالَهُ الشيخ أبا العباس أحْمد بن أبي الحسن بن الرفاعي (رضي الله عنهُ!)، وأخذ عنهُ عهد الطريق، وتخرج بهِ، ولقي جماعة من مشايخ العراق (رضي الله عنهُ!).

انتهت إليه رئاسة هذا الشأن بالبطائح في وقتهِ، وتخرج بهِ غير واحد من أهل البطائِح وغيرهم، وانتمى إليه جماعة من الأكابر، وتلمذ لهُ خلق من الصلحاءِ، واجتمع عنده أمة من المريدين الصادقين، وانتفعوا بكلامهِ وصحبتهِ، خلف أباه الشيخ أبا الحسن علياً بعد وفاتهِ في المشيخة برواق «أم عبيدة»، وكان أجل أهل زمانهِ يومئذ، وكان فيما بلغني أنهُ يحل المشكلات الواردة، مؤيداً في كشف مخفيات الأحوال، وكان ظريفاً جميلاً كريماً متواضعاً خاشعاً ذا حياء وافر، وعقل ودين صلب، محباً لأهل العلم، مكرماً لأهل الدين، شديد التواضع، مخفوض الجناح، دائم

البشر، مشتملاً على أكرم الشيَم، وأشرف الصفات، وأجمل الأخلاق، وأكمل الآداب.

وكان عالماً فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي (رضي الله عنهُ!)، يلبس لباس العلماء، ويتكلم على أصحابه، وكان لهُ كلام عال على لسان أهل المعارف، منهُ: رؤية الأصول باستعمال الفروع، وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول، ولا سبيل إلى مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظمهُ الله تعالى من الوسائط والفروع، وذكرك منوط بك إلى أن يتصل ذكرك بذكره، فحينئذ ترفع وتخلص من العلل، فما فارق حدث القدم إلا تلاشى الحدث وبقي الأصل، وذهبت الفروع كأن لم تكن، والتبرع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة، والوقوف على حد الاختيار نجاة، واللباد بالهرب من علم الذنوب وصلة، والاستماع قبول الخطاب، والانبساط في محل الإنس عزة، والتصوف مراقبة الأحوال، ولزوم الآداب، ومن تجلى بشاهده قصم، ومن تجلى بشاهد الحق عصم.

ومنهُ: كل حال طرَقَكَ وأشكل عليك فاطلبهُ في مفاوز العلم؛ فإن لم تجده ففي ميدان الحكمة، فإن لم تجده فزنهُ بالتوحيد، فإن لم تجده في هذه المواضع فاضرب بهِ وجه الشيطان، وتوبة الاستجابة: أن يتوب العبد حياءً من ربهِ عز وجل، والتواضع قَبُولُ الحق ممن كان، والتوكل أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها، وأن لا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق، والصبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، والرضى: نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد.

وللعبودية في أربعة خصال: الوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرضاء بالموجود، والصبر على المفقود، والاستقامة: انفراد القلب لله عز وجل، والأدب: حسن معاملة الله تعالى سراً وجهراً.

والمعرفة على ثلاثة أركان: الهيبة والحياء والأنس، والعلم الأكبر الهيبة والحياء، فمن عري عنهما فقد عري عن الخيرات، والمحبة: إقامة

العتاب على الدوام، والشوق: احتراق الأشياء، وتلهب القلوب، وتقطع الأكباد، وإذا عاين القلب أربعة أشياء يرى الأشياء كلها لله عز وجل مِلْكاً، ومن الله تعالى ظهوراً، وبالله تعالى قياماً، وإلى الله تعالى قياداً، وإلى الله تعالى مرجعاً، فقد أخذ من النفس.

ومن علامات الولي أربعة أشياء: صيانة سره بينهُ وبين الله عز وجل، وحفظ جوارحه فيما بينهُ وبين أمر الله تعالى، واحتمال الأذى فيما بينهُ وبين خلق الله تعالى، ومداراته للخلق على قدر تفاوت عقولهم، وأركان الوصل بين العبد وبين الله تعالى ثلاثة: الاستغاثة، والجهد، والأدب، فمن العبد الاستغاثة، ومن الله عز وجل القربة، ومن العبد الجهد، ومن الله عز وجل التوفيق، ومن العبد الأدب، ومن الله عز وجل الكرامة، ومن تأدب بآداب الأولياء صلح لبساط القربة، ومن تأدب بآداب الصديقين صلح لبساط المشاهدة، ومن تأدب بآداب الأنبياء (عليهم السلام) صلح لبساط الأنس والانبساط.

وإذا كانت نفسك غير ناظرة لقلبها فأدبها، وما ركن أحد إلى الدنيا إلا لزمهُ غيب القلوب، ومنهُ المقامات كلها تبع للقلب، والقلب واقف مع الله عز وجل، وحكم المبتدي أن يهتدي بالحقائق، ويسير بالعلم، ويجهد في العمل، ومن علامات المقربين: أن يرفع الحجب بين القلوب وبين علام الغيوب، ومن ركب النهاية في بدايتهِ كان ذلك عَلَماً على قربهِ، فقوم شهدوا الداعي، وقوم شهدوا النداء، وقوم شهدوا البلاء، فمن سمع النداء سار إلى الجنة، ومن شهد البلاء انتهى إلى الدرجات، ومن شهد الداعي صار إلى الله عز وجل، وهم خواص الخواص الذين لا يحجبون عن الله عز وجل طرفة عين، أولئك عباد ربطوا قلوبهم بأزمة التيقظ، ورعى عزمهم (عز وجل) عن الفتور، وحرس نياتهم عن طوارق الاعتلال، وقطع إرادتهم عن التطلع إلى غيره، وأظمأ قلوبهم من الاشتياق إلى رؤيتهِ، وأيقظ عقولهم في حكم صنعتهِ، وأطلع أفئدتهم على قرب مراقبتهِ وتحوّلِ

أرواحهم بينَ نسائم صفاتهِ، وأدناهم إدناء من أنس بهِ، وناجاهم مناجاةَ من أمنهُ، وفاوضهم مفاوضةَ من ارتضاه لسره، سيماهم الحيا في حال الادنا، (رضي الله عنهم!) وكان يتمثل بهذه الأبيات:

تكشف غيم الهجر عن قمر الحب ... وأسفر نور الصلح عن ظلمة العتب
وجـاء نسيـم الاتصـال مخففـاً ... فصادفهُ حسن القَبُول من القلب
ودبت مياه الوصل في روضة الرضا ... فصار الهوى يهتز كالغصن الرطب
فلم ندرِ من طيب الوصال وحسنهِ ... أفي نزهةٍ كنا هنالك أم حرب
فيا مَنْ سبا عقلي هواه تركتني ... أفكر ما بين التعجب والعجب

❊ ❊ ❊

أخبرنا أبو الفرج عبد الوهاب بن الحسن بن الأربلي، قال: سمعت الشيخ الأصيل العارف نجم الدين أبا العباس أحمد بن الشيخ الجليل أبي الحسن علي البطائحي يقول: كان أخي الشيخ أبو العباس إبراهيم دائم المراقبة، كثير الخشوع، شديد الهيبة، ملازم الإطراق، لا يرفع رأسهُ إلى السماء حياء من الله عز وجل، ورأيت الأسود غير مرة تأتيه وتمرغ وجوهها على قدميهِ، ورأيتهُ نائماً في الرُّوَاق في يوم صيف شديد الحر، وعند رأسهِ حية عظيمة في فمها باقة نرجس تروحُه بها، وشهدتهُ مرة وقد أتاه رجل ومعهُ شاب وقال لهُ: هذا ابني وقد أكثر من مخالفتي وزاد في عقوقي. فرفع الشيخ رأسهُ ـ وكان مطرقاً ـ ونظر إلى الشاب فمزق ثيابهُ، وأخذ من نفسهُ وحواسهِ، وغدا إلى البطيحة، وبقي شاخصاً إلى السماء يأوي إلى السباع لا يأكل ولا يشرب، وبقي على هذه الحالة أربعين يوماً، ثم جاء أبوه يشكو إلى الشيخ سوء حالهِ على ولده، فأعطاه خرقة وقال لهُ: امسح بهذه وجه ابنك. فذهب وفعل فأفاق ابنهُ، وجاءَ إلى الشيخ ولزم خدمتهُ، وكان من بعض أصحابه.

أخبرنا أبو الفرج عبد الملك بن محمد بن عبد المحمود الرابعي

الواسطي، قال: سمعت شيخنا الشيخ نجم الدين أبا العباس أحمد بن الشيخ أبي الحسن علي البطائحي يقول: كان أخي الشيخ إبراهيم الأعزب ظاهر التصريف في البواطن والظواهر، وكان إذا قال لأشدِّ الناس خوفاً من النار: اذهب إلى النار. فلم يشعر بنفسهِ إلا في النار، ويمكث فيها ما شاء الله عز وجل، ويخرج منها وما احترقت ثيابهُ ولا ضرت منهُ شيئاً كان، وإذا قال لأشدِّ الناس خوفاً من الأسد: اذهب إلى الأسد. فلم يشعر بنفسهِ إلا وهو راكبهُ أو قائدة من غير أن يروعهُ ولا يضره، وإذا أحب رجلاً لا يقدر ذلك الرجل على مفارقتهِ، ويجد باعثاً مِن نفسهِ يقوده إليهِ طوعاً وكرهاً، وإذا كره رجلاً يجد ذلك الرجل في نفسهِ مانعاً يصده عن الشيخ على محبتهِ لهُ.

أخبرنا الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن سالم بن أحمد القرشي، قال: سمعت الشيخ العارف أبا الفتح الواسطي بالإسكندرية يقول: حكى لي الشيخ الصالح أبو المجد سعد الله بن سعدان الواسطي، يقولُ: كان حاضراً مجلس الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الأعزب (رضي الله عنهُ!) وكان يتكلم على أصحابهِ، فقال في بعض كلامهِ: أعطاني ربي عز وجل التصرف في كل من حضرني، فلا يقوم أحد ولا يقعد ولا يتحرك في حضرتي إلا وأنا متصرف فيهِ. فقلت أنا في نفسي: فها أنا أقوم إذا شئت، وأقعد إذا شئت. فقطع كلامهُ والتفت إلى جهتي وقال: يا سعد الله! إن قدرت على القيام فقم! فنهضت لأقوم فلم أستطع، وإذا أنا كالمقيد لا أستطيع الحركة، فحملت إلى داري على أعناق الرجال، فبطل شِقي وبقي حالي كذلك شهراً، وعلمت أن ذلك بسبب اعتراضي على الشيخ، فعقدت التوبة مع الله تعالى وقلت لأهلي: احملوني إلى الشيخ، ففعلوا، فقلت: يا سيدي! إنما كانت خطرة، فنهض وأخذ بيدي ومشى ومشيت معهُ فذهب ما كان بي.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الفرج عبد المجيد بن معاني بن هلال

العباداني، قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: سمعت الشيخ إبراهيم الأعزب (رضي الله عنهُ!) يقول: لا يزورنا أحد إلا إذا أردناه. قال: فقصدت مرة زيارتهُ وخطر في نفسي هذا الكلام، وقلت في نفسي: ها أنا أزوره إن أراد أو لم يرد، فلمّا أتيت باب الرُّوَاق رأيت ثمَّ أسداً عظيماً هالني منظره، فكرَّ عليَّ، فوليت على عقبي مدبراً، وقد اشتد هلعي، وكنت معتاداً بصيد الأسد وقتلها.

فلما أبعدت منهُ، وقفت أنظره وإذا الناس يدخلون ويخرجون ولا يعترضهم ولا يرونهُ في ظني، فأتيت من الغد وإذا هو موضعهُ على حالهِ، فلما رآني قام إليَّ ففررت منهُ، وصار حالي كذلك شهراً لا أستطيع الدخول ولا القرب من الباب، فأتيت إلى بعض مشايخ البطائح وشكوت إليه حالي، فقال: انظر في نفسك أي ذنب أتيت بهِ ؟ فذكرت لهُ خطرتي، فقال: من هنا أتيت، والأسد الذي رأيتهُ هو حال الشيخ إبراهيم. قال: فاستغفرت الله تعالى، ونويت التوبة من الاعتراض، ثم أتيت إلى باب الرُّوَاق فقام الأسد ودخل إلى أن أتى إلى الشيخ ومازحهُ وغاب عني، فلما قبلت يد الشيخ قال لي: مرحباً بالتائب.

أخبرنا أبو العفاف موسى بن الشيخ أبي المعالي عثمان بن موسى البقاعي قال: سمعت أبي (رحمهُ الله تعالى) يقول: حكى لي أبو المعالي غانم بن مسعود العراقي التاجر الجوهري، قال: عزمت في بعض السنين على السفر إلى بلاد العجم في تجارة، فأتيت الشيخ إبراهيم مودعاً، فقال لي: إن وقعت في شدة فنادني باسمي. فلما توسطنا صحراء خُرَاسان، خرج علينا خيل فأخذوا أموالنا وساقوها بين أيديهم، ونحن ننظر، وذهبوا، فذكرت قول الشيخ، وكنت في جماعة معتبرين من رفقتي فاستحييت منهم أن أذكر اسم الشيخ بلساني، فاختلج في سري الاستصراخ بهِ، فلم يتم خاطري حتى رأيتهُ من بُعْدٍ على جبل بيده عصى يومي بها نحو أولئك الخيل، فلم نشعر حتى جاؤوا بجميع أموالنا

أخبرنا الشيخ الصالح أبو المحاسن يوسف بن أبي العباس أحمد بن شبيب المقرىء المصري قال: سمعت الشيخ المقرىء العالم العدل أبا طالب عبد الرحمن بن أبي الفتح محمد بن عبد السميع الهاشمي الواسطي يقول: جمع أبو إسحاق إبراهيم الأعزب (رضي الله عنهُ!) مريديه ذوي الأحوال، وخطبهم فأبلغ ثم قال: استخرت الله تعالى لكم في أن آخذ منكم أحوالكم، وأدخرها لكم عند الله تعالى ليزكيها لكم عنده؛ فإن آفات الحياة كثيرة، وإني خفت عليكم منها!.

أخبرنا أبو محمد أحمد بن أبي النجا سِالم بن يوسف الهاشمي المَوْصِلِي قال: سمعت الشيخ العالم العارف أبا عبد الرحيم عسكر بن عبد الرحيم النصيبيني بها قال: حضرت بِرُوَاق «أم عَبِيْدَة» سماعاً فيهِ الشيخُ إبراهيمُ الأعزبُ (رضي الله عنهُ!) فأنشد القوال:

رماني بالصدود كما تراني ... وألبسني الغرام فقد براني
ووقتي كلهُ حلو لذيذ ... إذا ما كان مولاي يراني
رضيت بصنعهِ في كل حال ... ولست بكارهٍ ما قد رماني
فيا من ليس يشهد ما أراه ... لقد غيبت من عيني تراني

فتواجد الشيخ إبراهيم ووثب على الهوى على رؤوس الناس ثم أنشد يقول:

إن كنت أضمرت غدراً أو هممت بهِ ... يوماً فلا بلغت روحي أمانيها
أو كانت العين مذ فارقتكم نظرت ... شيئاً سواكم فخانتها أماقيها
أو كانت النفس تدعوني إلى سكن ... سواك فاحتكمت فيها أعاديها
وما تنفست إلا كنت في نفسي ... تجري بك الروح مني في مجاريها
كم دمعة فيك لي ما كنت أجريها ... وليلة كنت أفني فيك أفنيها
حاشا فأنت محل النور من بصري ... تجري بك النفس منها في مجاريها
ما في جوانح صدري بعد جانحة ... إلا وجدتك فيها قبل ما فيها

ثم أنشد أيضاً:

مجال قلوب العارفين بروقه … إلَهية من دونها حجب الرب
معسكرة فيها ومجنى ثمارها … تنسم روح الأنس بالله في القرب
حباها فأدناها فحازت مدى الهوى … فلولا مدى الآمال ماتت من الحب

❊ ❊ ❊

فصاح الشيخ إبراهيم ونادى: يا لَلْرِّجال! قال: فرأيت رجال الغيب ينزلون عليهِ من الهوى مثنى وثلاث ورباع، يقولون: لبيك لبيك. سكن (رضي الله عنهُ!) «أم عبيدة» بأرض البطائح، وبها مات سنة تسع وست مئة، ودفن بها، وقبره هنالك ظاهر يزار، وكسفت الشمس يوم موتهِ، فقال الشيخ علي القرشي (رضي الله عنهُ!) وكان حينئذٍ بدمشق: قد كسفت اليوم شمس السماءِ، وغابت شمس الأرض. فقيل ومن شمس الأرض؟ فقال: الشيخ إبراهيم الأعزب، وقد مات اليوم. وروي عن بعض مشايخ البطائح رآه بعد موتهِ، فقال لهُ: ما فعل الله بك؟ فأنشد:

لاحظتهُ حين أرآني ولاحظني … فغبت عن رؤيتي عني بمعناه
وشاهدت همتي حقاً ملاحظتي … لما تحققت معنى كون رؤياه
فلا إلى فرقتي وصلي ولا سكني … إلى سواه فشأني طيب لقياه

❊ ❊ ❊

وذكر القطب الرباني والعارف الصمداني سيدي الإمام عبد الوهاب الشَّعْرَاني في «مِنَنِهِ» ما نصهُ: وكان سيدي إبراهيم الأعزب بالعراق، لهُ خمسون ألف مريد، فورد عليهِ فقير، فقال: كيف يقدر هذا على تربية هؤلاءِ ومعرفتهم؟! فلما دخل على الشيخ وجد عليهِ قميصاً أزرق وطاقية زرقاء، فقال لهُ مكاشفاً: ليس عليَّ تعب في تربيتهم؛ لأن الله تعالى جعل قلوب الكل بيدي. ثم قال: فوقف على باب الرُّوَاق، وجمع أصابع كفهِ في الهواء، وإذا بهم يهرولون من كل مكان، حتى امتلأ الرُّوَاق، ثم بسط

أصابعه، فرجع كل واحد منهم من حيث جاءَ، حتى لم يبق في الرُّوَاق أحد، فلا هو كلمهم، ولا هم كلموه، فانظر يا أخي إلى هذا التصريف العظيم! انتهى.

ومناقب سيدنا إبراهيم الأعزب (قدس الله سره!) كثيرة لا تحصى، اكتفينا منها بهذا المقدار، تبركاً بآثاره العظيمة المنار.

* * *

ترجمة السيد أحمد الصياد (رضي الله عنه!)

ومنهم السيد الجليل، والعلم الطويل، قرة عين الأولياء، وإمام أكابر الأصفياء، عز الملة والطريقة والحق والحقيقة، الغوث الجامع، القطب الجواد، أبو القاسم، المعروف «بأبي علي»، السيد أحمد الصياد (رضي الله عنهُ!).

قال الإمام الفَارُوثي في «النَّفْحة المِسْكِية»: السيد أبو القاسم، عز الدين، أحمد الكبير، ويلقب «بالصياد»، هاجر من العراق إلى الحجاز، ثم إلى اليمن ومصر، وتزوج فيها من آل الملك الأفضل، وأعقب بها السيد علياً، وتركه عند أخوالهِ، وهاجر إلى الشام، كل ذلك خيفة الشهرة، ولكيلا يشتغل بالخلق عن الخالق.

إلى أن قال: وقد اشتهر أمر السيد أحمد عز الدين أبي القاسم الصياد، ويقال لهُ في الشام: أبو علي، وفي اليمن: أبو الخير، وقد حملهُ جده بيده، وعظم شأنهُ، وبشّر بهُ، وأثنى عليهِ، وقال فيهِ: ستكون لهُ دولة عظيمة، وتزوره الأسود. انتهى.

وقال في «جِلاء الصدى»: إنَّ جده (رضي الله عنهُ!) أجلسهُ على ركبتهِ في زمان طفولتهِ وقَبّلَهُ، ولم يكن ذلك يعهد منهُ لأحد، وقال ـ رضي الله تعالى عنهُ! ـ: يكون لهُ دولة عظيمة، وشأن كبير وشهرة، وبعدي تزوره الأسود التي في هذه البقعة. اهـ.

ثم لما اشتهر شأن السيد أحمد الصياد (رضي الله عنهُ!) وعظم أمره، وعلا صيتهُ، وكبر مَقَامهُ، وخفقت في الخافقين أعلامهُ، وبلغ عمره ثمانية وأربعين سنة، ففي تلك السنة خرج (رضي الله عنهُ!) مهاجراً من العراق إلى زيارة جده سيد الأنام (عليهِ أفضل الصلاة والسلام)، وفي سنة خروجه (رضي الله عنهُ!) توفي الخليفة أبو العباس أحمد الناصر لدين الله، وتلك سنة الاثنين والعشرين والست مئة، فزار النبي المعظم (ﷺ)، ثم حج واعتمر، وجاور بمدينة جدِهِ (عليه الصلاة والسلام) تسع سنين، وظهرت على يديهِ الكرامات، وبنى رباطاً في المدينة المنورة، بالقرب من ثقيفة الرصاص، معروفاً «برباط الرفاعي»، وأخذ عنهُ الطريقة ابن نميلة الحسيني، حاكم المدينة (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام)، والإمام عبد الكريم محمد الرافعي القَزْوِيني، صاحب «الشرح الكبير على الوجيز»، والشيخ علم الدين علي بن محمد السنجاوي، صاحب «شرح الشاطبية» و«المفضل في شرح المفصل»، وغيرهما من الكتب في كل علم، والشيخ العارف بالله العالم العلامة تاج الدين الأبيدري، وغيرهم (رضي الله عنهم!).

وتلمذ لهُ أناس لا يحصى عددهم، فخاف على نفسهِ من آفة الشهرة والاشتغال بالخلق عن الخالق، فهاجر أيضاً بعد الإشارة الباطنية بنشر طريقتهِ العلية إلى اليمن، وأخذ عنهُ جماعة كثيرة ينتهي إليهم الشيخ أبو بكر العَدَني، صاحب كتاب «النجم الساعي»، والشيخ أبو شكيل الأنصاري، والشريف محمد العَلَوي، والشيخ أبو بكر الضجاعي، وغيرهم، وبنى فيها الزوايا الكثيرة، وخاف على نفسهِ من آفة الاشتغال بالخَلْق، فهاجر منها إلى مصر، بعد أن مكث في اليمن سبع سنين على الصحيح، فأقام بمصر في المسجد الحُسيني، وكانت سنة ست مئة وثمانية وثلاثين، فأقبل عليهِ الناس، وتلمذ لهُ العلماء والشيوخ وأكابر الرجال والأشراف، وحضر مجلسَهُ وحلقة ذكره جمالُ الدين أبو عمرو بنُ

الحاجب (رحمهُ الله!)، وانتسب إليه خلق كثيرون، وبنى لهُ فيها رباطاً مباركاً في محلة السباع، وتزوج بمصر، وهاجر منها بعد أن أقام بها سنتين، لا زيادة، وترك (قدس سره!) زوجتهُ حاملة، فولدت لهُ سيدي علياً، المعروف «بأبي الشباك» في تلك السنة، وتوفيت بعد ولادته، وبقي (رضي الله عنهُ!) في بيت أخوالهِ آل الملك الأفضل، وبقي إلى أن بلغ حد الرجال، وزهد وتصوف، وعظم أمره، وكبرت شهرتهُ في مصر، وأعرض عن الدنيا بالكلية، وبنى لهُ الرباط المشهور المدفون فيهِ الآن بمحلة سوق السلاح، بالقرب من الرملية، وهو معروف بمصر، ويزار فيها إلى الآن.

ثم إن والده صاحب الترجمة مولانا السيد أحمد الصياد ـ رضي الله عنهُ! ـ نزل بتلك السنة الشام، وهي السنة التي توفي فيها الخليفة أبو جعفر المنصور، الملك العادل المشهور، فأقام بها قليلاً، ورحل منها ـ رضي الله عنهُ! ـ إلى حمص، فأقام فيها (رضي الله عنهُ!) ثلاث سنين، وبنى فيها رباطاً، وأخذ عنهُ رجال أعاظم قدم عليهم بحمص، الشيخ جمال الدين بن محمد الأمير، وأبقاه بعده شيخ الرباط بحمص، وتتلمذ لهُ ـ رضي الله عنهُ! ـ خلق لا يحصى عددهم، وهاجر منها إلى مَتْكين، قرية من أعمال معرة النعمان، من أعمال حلب، في سنة ست مئة وثلاثة وأربعين، وكان إذ ذاك في القرية المذكورة من أهلها الشيخ الصالح الصوفي الزاهد الشيخ عبد الرحمن، وفي بيتهِ أختهُ الصالحة خضراء أم الخير، وكانت في غاية الجمال، إلا أنها أُقعدت من أربع سنين، ففي تلك الليلة رأت في منامها رجلاً يقول: عليكِ بهذا. وأشار لها إلى رجل أسمرَ اللون، حسنِ المنظر، أسودَ اللحية، طويلِ القامة، خفيفِ الوجود، وسيعِ الجبهة، ثم قال لها: هذا صاحب الوقت، تمسكي بحبل ولايتهِ، ويعافيكِ الله.

فلما أصبحت أخبرت أخاها الشيخ عبد الرحمن بذلك وقالت: باللهِ عليك تفقدْ قريتنا عليَّ أن يقدم عليها اليوم أحد أهل الوقت؛ فإن هذه الإشارة إشارة صادقة. فقام الشيخ عبد الرحمن، وتفقد القرية، فرأى

الشيخ الأجل والقطب الأكمل، سيدنا السيد أحمد الصياد (قدس سره!) ومعهُ ابن أخيهِ القطب الجليل الشيخ شرف الدين أبو بكر، نجل مولانا الشيخ عبد المحسن أبي الحسن بن عبد الرحيم (رضي الله عنهما!)، فدعاه وابنَ أخيهِ إلى بيتهِ، وذكر لهُ رؤيا أختهِ، وطلب منهُ أن يقرأ عليها ما تيسر، فطلب منهُ أن يعقد لهُ عليها، فأجاب فعقد لهُ فدخل عليها (رضي الله عنهُ!) وأخذ بيدها، وقال لها: قومي بإذن الله. فقامت في الحال، وتزوج بها (رضي الله عنهُ!) وقال بعد ذلك لابن أخيهِ: يا شرف الدين طاب المتكأ في متكين. يشير بها إلى طول المكث في القرية المذكورة، وفي الحقيقة أقام بها، وبنى فيها الرباط الكبير المشهور، المدفون فيهِ الآن، وكثرت إخوانهُ وعظم شأنهُ، وقصدتهُ الرجال من الشام والعراق، وأظهر الله على يديه خوارق العادات، وانقطع عن الخلق، وأعرض عما في أيدي الناس، وعمت بركتهُ، وعظمت حالتهُ، وكان إذا حل بالناس قحط وجدب استسقوْا به فيسقوْن ببركتهِ، وقد مر على أرض مزروعة كاد زرعها أن يتلف من عدم المطر، فنزل عن دابتهِ ومشى بين الزرع وبكى وقال متمثلاً بقول الشاعر:

رجال إذا الدنيا دجت أشرقت بهم ... وإن أمحلت يوماً بهم ينزل القَطْرُ
فيا شامتاً بالموت لا تشمتن بهم ... حياتهمُ فخرٌ وموتهمُ ذُخرُ

وخرج من الزرع فما خرج إلا والسماء هطلت بالمطر، وبقيت على ذلك أياماً، حتى استغاث الناس من المطر، فدعا الله فانكشف المطر وطلعت الشمس.

ونقل مثلها عن أبيهِ القطب الكريم، مولانا السيد عبد الرحيم (رضي الله عنهُ!). قال الشيخ شرف الدين أبو بكر بن عبد المحسن أبي الحسن الرفاعي: كنا مع السيد أحمد الصياد (قدس سره!) حين سافر [إلى] الحجاز؛ فمررنا في طريقنا من مشرق هيت، بأرض خالية يقال لها:

الجُرْف، وقد أضرنا العطش، حتى كادت القافلة أن تهلك، فتفقدنا الماء فلم نجد أثراً للماء، فجاء كل من [في] القافلة وبكى أمام السيد أحمد، فتواجد وضرب بعصاه الأرض فنبع ماء غلظ الأصبع من محل ضرب العصى، فشربت القافلة والدواب، ومشينا على أحسن حال، ثم رجعت بعد أن مشت القافلة فلم أرَ الماء.

فقلت: يا سيدي غاب الماء، ليت لو بقي للناس! فقال: شربت وشرب الناس من ماء العناية، والله تعالى رحيم رؤوف بعباده، فدعِ الخَلْق إلى الخالق. ثم قال الشيخ شرف الدين (قدس سره!): وكنا كلما مررنا على نهر ماء استقبلهُ السمك من النهر إلى الشاطىء، وازدحم على قدميهِ (رضي الله عنهُ!)، وكذلك الدواب والهوام والغزلان في البر الأقفر، حتى إن الحيوانات نراها تقف لهُ على حافتي الطريق، كالرجال المذعنة، تزدحم على شم قدميهِ الشريفتين، وقال بعض تلامذتهِ: وقع في زرع أهالي مَتُكين نار عظيمة في يوم كثير الهواء، شديد الريح، فالتجأ الناس إليه (قدس سره!) فخرج من باب زاويتهِ واتجه إلى محل النار وقال: لا إله إلا الله. فما تم كلامهُ إلا والنار خمدت، ولم يبق لها أثر، ومات أحد إخوانهِ فجأة، فجاءت إليهِ أم الميت، وهو ساجد في صلاة الضحى، فتأخر في سجوده، فقالت: وحقِك لو بقيت إلى يوم القيامة ساجداً لما تركتك إلا بولدي. فرفع رأسهُ الشريف باكياً، وإذا بالمريد وقد قام حياً، فسجد شكراً لله على نعمته التي أنعمها عليهِ، وذكر المُنَاوي: أنه سجد سجدة واحدة فامتد سجوده سنة كاملة، ما رفع رأسهُ حتى نبت العشب على ظهره، ثم أفاق من غيبتهِ وذهولهِ ورفع رأسهُ (رضي الله عنهُ!)، واتفق فقراءُ هذه الطريقة على أن السيد أحمد الصياد (قدس سره!) لم يرفع طرفهُ إلى السماء قطُ حياءً من الله.

وكان كثير الحياء والخشوع، كثير البكاء، قليل الكلام، أجازه جده القطب الكبير الرفاعي حال موته (رضي الله عنهُ!) وهو ابن أربع سنين،

وسلك بعد الكمال على يد أخيهِ لأبيهِ أبي الحسن عبد المحسن ـ رضي الله عنهُ! ـ، وتفقه وتلقى علم التفسير والحديث من الشيخ عبد المنعم الواسطي، مفتي الجن والأنس، وكان حسن الصوت في القراءة، وإذا قرىء القرآن لا يصبر السامعون عن البكاء والتواجد والحال، ألف كتاباً في الطريقة سماه «الأنوار المحمدية في الوظائف الأحمدية». ولهُ شعر لطيف على لسان القوم، وأوراد شهيرة، وأحزاب كثيرة، منها حزبهُ الكبير المعروف بـ«حزب الجوهرة»، وهو مجرب للفتوح، ولقضاء الحاجات، وعلى العدو كالسيف القاطع وهو:

حزب الجوهرة للسيد الصياد (رضي الله عنه!)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إلى الضالين، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾. إلى العظيم، ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾. إلى آخر السورة، يا رَبِّ: إني مغلوب فانتصر (٢١)، الله على كل شيء قدير (٢١)، حسبي الله ونعم الوكيل (٢١)، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (٤)، ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾(٢)، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾. ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾. بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوءَ إلا الله، بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهمَّ لك الحمد والشكر، ومنك النفع والضر، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك كيف وكل ثناء يعود إليك؟ جل عن ثنائنا جناب قدسك، أنت كما أثنيت على نفسك.

إلهي أسألك بحضرة السر، وبسر الحضرة، وبِسِتْرة حضرة الحضيرة، وبحضور أهل الحضرة، وكل حضرة لك في قلوب أهل حضورك وحضرتك، إلهي أسألك برمز الوجد، وبوجد الرمز، وبسقف العز،

وبدعائم الهيبة، وببيت العظمة، وبأركان القدرة، وبأسرار الحقيقة، وبأنوار المعرفة، وبطرقات العناية، وبمدارج الرقاية، وبمناهج الهداية، وبكل سرّ صمداني طويتهُ في قلوب أهل ودك أو أخفيتهُ عن جميع خلقك، أو أكننتهُ في خزانة غيبك، أو غيبتهُ عن غيبك في علمك، إلهي وأسألك بسر الحال، وبحال السر، وبألف الإحاطة، وبباء البركة، وبتاء التوحيد، وبثاء الثبوت، وبجيم الجلال، وبحاء الحسن، وبخاء الخشية، وبدال الديمومية، وبذال الذل، وبراء الروح، وبزاي الزيادة، وبسين السر، وبشين الشهود، وبصاد الصبر، وبضاد الضياء، وبطاء الطب، وبظاء الظهور، وبعين العناية، وبغين الغيب، وبفاء الفرق، وبقاف القرب، وبكاف الكرم، وبلام الألوهية، وبميم المجد، وبنون النور، وبهاء البهاء، وبواو الولاية، وبلام ألف اللاهوتية، وبباء اليد القاهرة القاتلة الواهبة السالبة الرافعة الواضعة المعزة المذلة.

إلهي وأسألك بكل خط غيبي خطته أقلام سرك على صحف إزادتك، فكشفت بذلك حقائق الحكمة لأصحاب ودك، وأرباب معرفتك وحبك، فنطقوا بالحكمة فأظهرت فيهم منك تأثيراً، وانتشر عليهم علم: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

إلهي وأسألك بالنقطة الراكزة المركزة الراسخة في قلب باء البداية، البادية البعيدة، الباسطة البارة، البارئة البارية، الباذخة البارقة، البارعة البادعة، التي هي بدء مبادئ بدايات أسرار حقائق البداية الأصيلة الأصلية السابقة في ميدان السبق القديم الأول، الدائرة في كل مدار راسخ ومحول.

إلهي وأسألك بالجرة التي هي جوهرة الأمر ومدة السر، وحبل الإرادة، وطائل الإرادة، وطريق التدوير، ومنهج الغيب، ومسلك الإبداع، وحائل الوهم، وحجاب القطع، وباب الوصل، وسلسلة الهز، وسبيل العز، ومراح الحق، جرة جيم جوهر جمع مجموع جوامع مجمع

جميع مجامع جمعيات الجلال والجمال والجلالات والجلجلة والجلوات والجبروتيات والجولات والجوليات والجولات والجهريات والجريان والجاريات والجارات والمجرورات .

إلهي وأسألك بنور الأصل وأصل النور، ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ . نادرة نشر منثور الغيوب، نجم آلة سموات القلوب، نقطة جيم جوهرة كليات الكل، وجرة جزم جيم جوهرة جزئيات الجزء، عالم السر الذي هو سرُّ عالم كل عالم، عالم الحضرة المعلم لكل عالم آية البيان، بنيان الحال، حقيقة الأحوال، جوهرة الحقيقة في كل حقيقة، سر جوهرة حقيقة كل طريقة، آيتك في كل آية، وعنايتك في كل عناية، حبلك المتين الذي ربطت به كل موصول بحبلك الرباني، حصنك الحصين الذي حصنت به كل محفوظ بحفظك الصمداني، جوهرة خاتم أمرك بين أهل وصلك، جوهرة ختم إرادتك في جحفل أنبيائك ورسلك، حبيبك محبوبك قلم كتابة أسرارك، لوح محفوظ مكتوماتك، عرش جمال عطياتك، كرسي كمال إنعاماتك، النعمة المنزلة، والرحمة المرسلة، أول حرف خط، أول قلم خط أديب، مجلس دولة: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ . آخذ منشور فخر بولاك لولاك، راية عواطف إنعام مدد: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ﴾ . علم تعطفات رأفة: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ . مظهر قوة لطيف مذاكرات: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾ ؟ قابلية سعادة سؤدد سلطنة إحسان فـ ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ . سرير ملك فيض عظيم عظمة برهان: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ﴾ . جبل فخر مدحة لوح فضل لسان: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ﴾ . مزية الأولوية، أولوية المزية، فيضتك الجوالة، نعمتك الهطالة، مظهر رسم ظاهر مظاهر الجلالة، مبين قوافي خوافي بواطن دقائقها على كل حالة، أمير دولة النبوة، أمين أسرار الرسالة .

إلهي أسألك قبل السؤآل به لا بغيره، فهو الباب الأول، وعليه في دائرة الغيب والحضور المعول، أن تصلي عليهِ صلاة غيبية قدسية، رحمانية ربانية صمدانية، برهانية سبحانية سلطانية، كاملة شاملة كافية، وافية

ملفوفة بإزاء حبك، مطرزة بطراز عطفك، محمولة على نجائب رفقك، مرسلة مع حجاب بشارتك، مقدمة بأيدي كرامتك، سيالة مع بحر العلم، مع بحر الكرم، مع بحر المدد، مع بحر القِدَم، مع بحر التأييد، مع بحر التأبيد، مع بحر الدوام، مع بحر البداية، مع بحر النهاية، مع بحر الغيب، مع بحر القدس، مع بحر الرحمة، مع بحر الربوبية، مع بحر الصمدانية، مع بحر البرهانية، مع بحر الدور، مع بحر الملك، خاتم الأبحر، وسَلِّم اللهمَّ عليهِ سلاماً سَيَّالاً مع كل ذلك، وفوق ذلك، ومع كل حركة وسكنة، وطرفة وإرادة، وحادث وصاعد، ونازل ومتكلم وصامت، وعلى ساداتنا إخوانهِ من النبيين والمرسلين وآل كُلٍّ وصحبِ كُلٍّ أجمعين.

إلهي وأسألك بحق قدره وقربه منك، وبحق قدر إخوانهِ وقربهم، وبحق آلهم وأصحابهم، وبحق كل عبد لك قربتهُ منك، أو بينت لهُ سرك، أو جعلتهُ من محبيك، أو من محابيبك، وبحق السر الذي أودعتهُ في الجميع، قبل القبل وبعد القبل وقبل البعد وبعد البعد، إلهي وأسألك بأسرار كلماتك التي لا تنفد، ولا يعلمها بحالها غيرك أحد.

إلهي وأسألك بكل ما سألك بهِ حبيبك الذي لأجلهِ أحببت من أحبهُ، أن ترزقني حقيقة محبتهِ، بأحق حقيقة، وأصدق محبة، وأن تشملني منك بعناية توفقني إلى حقيقة الإخلاص لهُ، وأن تتعطف عليَّ بنهضة قَبُولٍ منهُ تدلني على طريق الوصول إليهِ، فأُحفظ بهِ من كل وهم وثابت، وعرض ومعارض، وخطر وخاطر، وعدو وصاحب، ومسلم وكافر، وبر وفاجر، وجن وإنس، وشيطان ونفس، ومن كل طارق وسارق، وحاكم وظالم، وعين ومعاين، ورفيق خائن، وزمان غادر، وسلطان قاهر، واجمعني اللهمَّ بحقهِ عليهِ، وقربني بهِ إليهِ، واجمع بي عليَّ شتاتي، وبارك لي في أوقاتي، وقلب ليَ قلوب عبادك، فأنتفع من صالحهم، وأُحفظ من طالحهم، واجعل لي هيبة من هيبة حضرتهِ المحمدية، وسلطنة عزه الأحمدية، فأقهر بها كلَّ معاند، وأقوى بها على كل خصم ومعادي،

وارزقني لساناً مصطفوياً من سر لسانهِ المبارك، المتكلم المكرم بجوامع الكلم، وأيدني بدولة وحيدية من حاشية ذات دولتهِ الممدودة بمدد ديموميتك الدوامية، وأتحفني بصولة أحيدية من عين صولة صولتهِ المؤيدة ببركة: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾. وأغثني ببركةٍ يَسينيةٍ من قلب مدد بركته المبرقعة ببشارة: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾. فأبقى ببقائهِ، وأفنى بفنائهِ، وأموت بهِ الموتة الأولى، الثانية عند أهل الذوق، وأحيى بهِ الحياة الأولى، الباقية مع الحق، فأكون محفوظاً محمياً منصوراً مؤيداً مكفياً مباركاً قوياً راضياً مرضياً مكرماً غنياً محترماً علياً محفوظاً بالعافية والسلام، والأمن والإيمان، والبركة والإحسان، والهداية والاطمئنان، وأقتل بسيفهِ القاطع أعدائي، وأُحفظ بِسِتْرِه الوافي من أمامي وورائي، سبحانك لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وأنت أرحم الراحمين.

صلِّ وسلِّمْ على سيدنا وسيد كل من لك عليهِ سيادة، محمد الواحد في ذاتهِ، الوحيد في صفاتهِ، وعلى الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين، والأولياء العارفين، والأقطاب المؤيدين، والأوتاد المعروفين، والرجال الأربعين، والأكابر الموظفين، وأهل الديوان المتصرفين، وأهل الحضرة والصالحين، وعلى إمام القوم، صاحب الوقت، الخليفة القائل، الإنسان الكامل، الغوث الفرد، المقدم الواسطة، المنفذ (رضي الله عنهُ!) وعليه السلام مني في كل وقت وآن.

اللهمَّ عطف قلبه الشريف عليَّ، وعطف عليَّ وعليهِ قلب نبيك سيد الأنام ومصباح الظلام (ﷺ)، اللهمَّ اغفر لي وللمسلمين واحفظنا أجمعين، وأحينا شاكرين، وأمتنا مؤمنين، واحشرنا تحت لواء سيد المرسلين، واجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وارزقنا الحلال، ويسر لنا بالخير الآمال، واجعلنا عبيداً لك على كل حال، واغفر

لنا ولوالدينا وللمسلمين، وصلِّ وسَلِّمْ بجلالك وجمالك على جميع النبيين والمرسلين وآل كلٍ وصحب كلٍ أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

ومن شعره بلسان الغيبة عن الأكوان، والوجد المعروف بين أهل هذا الشأن، هذه القصيدة الفريدة، والدرة الوحيدة، وهي صدرت جواباً عن سؤآل ورد لهُ من الشيخ سعيد الطنتطواىء وهو:

كيف عنك المقام يا درة الحي ... كيف فيك التماس من ينشر الطي
كيف منك المقال كيّفهُ حتى ... يحصل الرشد لي وأهدى من الغي

فقال (رضي الله عنه!) مجاوباً لهُ:

عبد أهل الطريق خدام ذي الحي ... ولذا الالتماس أرجو من الحي
إذ من الناس ما نجى الله قيلا ... دمت بالرشد يا نجياً من الغي
وإذا السكر راعني حال محوي ... وشهدت الجمال من منشر الطي
وترويت في ثياب ابتهائي ... وانتمائي لظلمة الجمع والغي
وانتميت الجلال أخبرك أني ... كاف كن أن مورد القوم للري
وأنا النون قبل ذي النون ملقىً ... في بطون الرضا قويماً بلالي
صرت موسى فدك طور اشتياقي ... صرت عيسى ومريم الدهر كفي
صرت في الربع يوسفاً قال قلبي ... صرت يعقوبي دبراني خليلي
صرت إدريس وارتقيت المعاني ... وفهمت الرموز بالأين والأي
صرت داود صار حالي سليما ... ن. وصارت أضداد حالي بنوطي
سخر الريح لي فمديت كفاً ... وحبيبي قد مد بالريح كفي
لان لي قاسي الحديد ولكن ... لنت للحب ما حديدي وما اللي
كل أهل القلوب مني استفادوا ... مظهر السعد واللطائف والطي
لم أخف هجره ومن ظن هذا ... فهو صخر لا يعرف اللوح والزِّي
أنا في القلب لا أروم شهودي ... لحبيبي بل شهودي بعيني

مـن أتـانـي ولاذ فـي ظـل بـابـي ... عنـده جملـة الـزمـان كـلاشـي
أنـا شيـخ العـراق والشـام والكـر ... خ وأقصـى بـلاد كـرمـان والـري
فتملـى بـزورتـي يـا مـريـدي ... وتهنـى يـا قـاصـداً جـاء للحـي
أنا عين الأقطاب غوث البرايا ... وطراز البرهان في الشمس والفي
أنـا شبـل الحسيـن وابـن علـيٍّ ... وابـن آلٍ بـذكـرهـم يـدفـع العـي
أنـا ذاك الصيـاد سبـط الـرفـاعـي ... وبكفي اقتنصت بالقلب سبعي
فخـذ الفيـض مـن شـريعـة قلبـي ... وانتسب لي ولا تعول على مي
فلقلبـي سهـم تـأجـج نـاراً ... من تعدى على ذويهِ عطي الكي
ولـهُ جـذبـة عجيبـة عـزم ... تجذب اللائذين فيهِ إلى الحي
سلسلتنـي إلـى الـرسـول بطـون ... من أعز الأصلاب من أكرم الحي
فعليـهِ الصـلاة تنشـر مسكـاً ... أزليـاً مـن السـلام بـه ري

ولهُ (رضي الله عنهُ!):

صاحبت أهلَكَ في هواك وهم عِدًا ... ولأجـل عيـنٍ ألـفُ عيـنٍ تُكْـرَمُ

قال الشيخ موسى الكبير: صدر الشعر بلسان الوجد والفكر من الحضرة الصيادية في البداية، وانقطع عنها حبل الأغيار بالكلية في النهاية. انتهى.

وقد كان (رضي الله عنهُ!) في نهاية أمره كثير الفكر والبكاء والأحزان، مشغولاً بالله عن الأكوان، يقطع الأوقات بالأذكار والتلاوات، قلبه لمحبوبهِ مشغوف، وسره عليهِ مشغول ملهوف، وكان كثيراً ما يتمثل بقول الواسطي:

روحي الفدا للنازلين بمهجتي ... والحاضرين مع الفواد الغائبِ
أبكي إذا ذكرت طلولُ ربوعِهم ... ألماً من القلبِ الكئيبِ الذائبِ
وأتوبُ عن ذكر السوى طمعاً بهم ... والاستقامةُ أصلُ صدقِ التائبِ

* * *

ومع إعراضهِ عن الخلق بلغت مريدوه إلى مئتي ألف في حياتهِ، وعم نفعهُ الخاص والعام، وأيد الله ببركة إرشاده الإسلام.

خلف من زوجتهِ الصالحة العارفة خضراء أم الخير أربعة أولاد ذكوراً: الأول سيدنا السيد الجليل، والعلم الطويل، القطب الفرد السيد صدر الدين علي، والثاني السيد شمس الدين، والثالث السيد أحمدُ أبو بكر، والرابع السيد موسى، فتزوج كل منهم، وأعقب الكل ذرية، وتفرقت ذراريهم في الجهات، فمنهم من عاد إلى العراق، ومنهم من سكن الشام، ومنهم من أقام في قرى حلب، ومع العرب بالبادية.

وتوفي سيدنا أحمد الصياد (قدس سره العزيز ورضي الله عنهُ!) في سنة الست مئة والسبعين، ولهُ من العمر ستة وتسعون سنة، ودفن في القبة المباركة تجاه جامع الرباط، وفي سنة وفاته توفي ابن أخيهِ الشيخ شرف الدين أبو بكر بن أبي الحسن عبد المحسن بعده بأيام قلائل، ودفنوه في الجامع ملاصقاً لحائط باب الجامع عند الشباك، تجاه باب قبة الغوث الجامع، مولانا السيد أحمد الصياد (قدس سره!).

وسبب شهرة مولانا المشار إليهِ بالصياد: هو أن ملك العجم جاءَ إلى زيارتهِ في واسط، فأعجبهُ حاله وما هو عليهِ، وحَسُنَ اعتقادُه فيهِ، فقال لهُ: يا سيدي! لا صنعة لك ولا كسب، وإني أريد أن أعطيك لمعيشة عيالك وفقرائك من القرايا ما تصلح به شأنك. فقال (رضي الله عنهُ!): لي صنعة، وهي الصيد، وأدخل بيده تحت مرقعته فرمى في المجلس أسدين مربوطين بحبل من ليف النخل، وقال: وعزةِ ربي صدتها من فلاة بربع الخراب. فقال الملك: أنعم بك من صياد. واشتهر بذلك، وكانت تلك الشهرة سبب هجرته من واسط.

قال في «البهجة»: ولد السيد أحمد الصياد الكبير في سنة الخمس مئة وأربعة وسبعين، قبل وفاة جده الغوث الأعظم والإمام المقدم السيد أحمد الكبير الرفاعي (رضي الله عنهُ!) بأربع سنين، وفي السنة التاسعة عشر بعد

ولادتهِ تزوج ببنت عمهِ السيد عبد السلام بن عثمان المسماة برقية بنت السيدة فاطمة بنت الشيخ أبي بكر النجاري، خال الشيخ الكبير السيد أحمد الرفاعي (رضي الله عنهُ!)، ووالد زوجته السيدة رابعة (رضي الله عنها!)، فأعقب منها السيد عبد الرحيم فقط.

قلت: وذكر صاحب «أم البراهين»: أن والد السيد أحمد الرفاعي (رضي الله عنهُ!) مولانا السيد علياً أبا الحسن، تزوج بالست فاطمة بنت سيدي يحيى النجاري الأنصاري (قدس سره!)، فولدت الشيخ المشار إليهِ والمعول عليهِ سيدي أحمد، والسيد عثمان، والسيد إسماعيل، والسيدة ست النسب، فتزوج بست النسب ابن عمها سيدي عثمان بن حسن بن عَسَلَة بن حازم جد السيد أحمد الرفاعي، وعقد سلسلة هذا البيت المبارك، فأعقب منها السيد علياً، والسيد عبد الرحيم، والسيد عبد السلام، عم السيد أحمد الصياد، ووالد زوجته رقية، أم ولده عبد الرحيم (رضي الله عنهم أجمعين!)، ولا يخفى على ذي فكر ما للسيد أحمد الصياد في البلاد الشامية والنواحي الحلبية وغيرها من الشهرة والشأن، وكثرة المحبين والمعتقدين والخلان، والكرامات المتواترة المنقولة، والذرية المباركة المقبولة، التي سيأتي ذكر بعض أفراد رجالها الأنجاب في هذا الباب، وقد أثنى على السيد أحمد الصياد (قدس سره العزيز!) رجالُ عصره، وأولياءُ وقته، ثناءً جميلاً.

ترجمة السيد أحمد أبي القاسم
ابن السيد عبد الرحيم (رضي الله عنه!)

قال سيدنا أحمد بن جلال عند ذكره في كتابهِ «جِلاء الصدى»: هو الإمام الكبير، والعارف الخبير، الزكي الأعراق، والزاكي الأخلاق، ذو الخصائل الحميدة، سمي النبي العظيم، وكني الرسول الكريم، السيد أحمد أبو القاسم، بن السيد عبد الرحيم، كان (قدس سره!) من خيار

القوم، ذا حياء عظيم، وخُلُق حسن، تالياً كتابَ الله آناء الليل وأطراف النهار بالخشوع والتذلل، والبكاء والتدبر، ولما رجع من بيت الله الحرام (زاده الله شرفاً!) اختار الخلوة في رُوَاقهِ، وذكرَ الحي الذي لا يموت، مع المداومة على صيام النهار، وقيام الليل والسكوت. نفعنا الله بهِ وبأجداده وبأولاده وأحفاده آمين. اهـ.

ترجمة السيد شمس الدِّين محمد (رضي الله عنه!)

وقال في «جلاء الصدى»: ومنهم الإمام الصدر الحليم، والهمام الحبر الحكيم، حاوي محاسن الخصائل، وجامع شتات الفضائل، طائر عش الولاية، وباسط فرش الهداية، البعيد الغاية، الرفيع الراية، أبو السيادة الأحمدية، وسيد القادة الرفاعية، صاحب المعارف والمعالي، والمناصب العلية العوالي، سمي حبيب الله، المرشد الداعي إلى الله، سيد شمس الشريعة والدِّين محمد ـ أكرمهُ الله تعالى باللقاء المؤيد ـ استخلف بعد ابن عمهِ، فقصد الإرشاد للخلائق، ودعاهم إلى حقيقة الحقائق، كان مسكن البلاء، ومَعْدِن الحياء، ذا خُلُق فائح، ورأي صائب ناجح، وصوت شجي، وعقل سني، وسر خفي، يبكي في خلوتهِ كثيراً، وكان لهُ حزنٌ عظيمٌ، وإذا قرأ كتاب الله تعالى يفرح كثيراً، ولا يظهر الكرامات قط، ويقول: إظهار الكرامات استدراج، وإخفائها سرٌ، وما ينبغي أن تظهر الأسرار. يقتفي آثار جده رأسِ المهتدين، ولا يتهاون بأمر يتعلق بالدين، يشاور الأصحاب، ولا ينطق إلا بالصواب.

كان جده يحبهُ، ويوصيه ويبجلهُ، ويدنيه، ويلقبه: سديداً، ورمانة القبان. وقال يوماً للفقراء: أي فقراء! علي خليفتي، وعبد الرحيم خليفتي، ولا فرق بيني وبين محمد، وسألت العزيز سبحانه أن يعطيه أكثر مما أعطى مِثْلَهُ، أو دونَهُ، فأعطاه.

ولما ولد أذّن السيد الكبير في أذنهِ اليمنى، وأقام في اليسرى، وأدخل أصبعهُ في حلقهِ، وضمهُ إلى صدره، ودعى لهُ بمجامع الكلام، وقال للسيد عبد الرحيم: ابنك محمد حكيم الوقت. وقال أيضاً لهُ: في صوتك سر من أسرار الله تعالى، وكلمة الحق. وقال أيضاً: لمحمد سر خفي من الخلق. وقال عمهُ السيد علي (قدس سره!): لو جربني أهل السموات وأهل الأرض فإني أغلب عليهم؛ إلا محمد بن أخي فإني أراه بحراً ما لهُ ساحل. وقال السيد إبراهيم الأعزب (قدس سره!) في شأنهِ: إنهُ بحر لا ساحل لهُ، ولا يعرفهُ إلا الله تعالى.

نقل أنهُ لما توفي السيد أحمد الرفاعي (رضي الله تعالى عنهُ!) أخذ كل واحد من أهل بيتهِ قطعة من خرقتهِ، وقيل للسيد محمد، أنت خذ قطعة من خرقتهِ! فقال: أنا ما أرضى من جدي بقطعة من خرقتهِ، أنا أطلب من جدي خلقهُ. ونقل أيضاً أنهُ كان في بغداد وقد التمسوا منهُ أن يصف لهم شيئاً من مناقب جده، فقال لهم: كيف أثني على شجرة أنا فرعها؟! فقالوا: الحسن والحسين (رضي الله تعالى عنهما!) ينقلان مناقب رسول الله ـ ﷺ ـ وأفعاله. فقال: لاستنباط الشريعة منها. وكان كثيراً ما ينشد هذه الأبيات ويقول: هذه صفة أهل الزمان:

الناس في زمن الإقبال كالشجرة	من حولها الناس ما دامت بها الثمره
حتى إذا ما انقضت من حولها نفروا	عنها جميعاً وقد كانت بهم برره
مـرؤة النـاس هـذا الشـأن كلهـم	إلا القليل فأين العشر من عشره؟
فـإن ظفـرت بمـن تبقـى مـودتـهُ	فاعقد عليه يداً واحفظ لهُ خطره
ولا تقف لامرئ من غير تَجْرِبة	فـربمـا لـم يـوافـق علمـه نظـره

وكان (قدس سره!) ينشد:

الحـب بحـر لا يـروم قَـراره	ضحضـاحـه للعـاشقيـن يغـرق

وكان بعد وفاة جده ينشد:

والله طلعت شمس ولا غربت إلا وذكرك مقرون بأنفاسي
ولا جلست إلى قوم أحدثهم إلا وكنت حديثي بين جلاسي
ولا شربت لذيذ الماء من ظمأ إلا وجدت خيالاً منك في الكاسي

وكان ينشد أيضاً:

بعدكم ما الدارُ طيبةٌ لا ولا الأوطانُ أوطانُ

وكان (قدس سره!) ينشد أيضاً:

بي منك نيران الهوى تلسع فكيف من هجرك لا أجزع ؟!
فإن لي مذ غبت عن ناظري في كل عضو مقلةً تدمع
أجابني الشوق إلى نظرة منكم فمن ذا منكم يشبع ؟!

* * *

كانت مدة خلافتهِ سبع سنين وأشهر، وتوفي أول شهر رجب سنة تسع عشر وست مئة، وغسلهُ محمد النقيب، ودفن عصر يومهِ في قبة جده.

ترجمة السيد أبي الحسن علي
(رضي الله عنه!)

ومنهم السيد السند، والإمام المعتمد، بحر الحقائق، وغوث الخلائق، وارث العلوم المحمدية، وكاشف الرموز الأحمدية، صفوة خيار الرجال، وحقيقة كبار الأبطال، علم الهدى، ومصباح الدجى، قطب دائرة الولاية، وشمس سماء العناية، ذو النور الباهر والقدر العلي، سيدي قطب الحق والدين أبو الحسن علي.

استخلف بعد أخيهِ، وكان ذا جاه وسيع، وقدر رفيع، وشأن منيع، ذا

هيبة في قلوب أبناء الدنيا، وحرمة في قلوب أبناء الآخرة، وكان محدثاً عالماً مفتياً واعظاً تقياً، يتلو كتاب الله تعالى أناء الليل وأطراف النهار، وكان سليم الصدر، نقي القلب، طروباً، لا يرى أحد لهُ عضواً، أمرُ الآخرة عنده عظيم، وأمر الدنيا عنده هين، وكان في شأن المؤمن كالجمل الألوف، والمؤمن هين لين، وكان لهُ أولاد نجباء، وأصحاب أدباء، من صحبه لا ينساه، ولا يقدر أن يصحب أحداً سواه، وكان ذا أمراض وأسقام، وأوجاع وآلام، يعد البلاء من النعماء، ودأبهُ التسليم لذي القدرة والقضاء، يجيب من دعاه، ويسمع ممن قال، ولا يخيب من رجاه على كل حال، يكرم الأرامل والأيتام، ويعظم شعائر الإسلام، وكان الظل الظليل، والعز للذليل، والمعاذ للضعيف، والملاذ للهيف، لا يجازي بالسيئة السيئة ابتغاء مرضات الحي الذي لا يموت، ويراعي أهل الفضل والعلم.

من شهد لهُ بالخير تبينت عليه أمارته، ومن شهد لهُ بالشر ظهرت عليهِ علاماته، حزنهُ دائم، وبكاؤهُ متواصل، يحب الخلوة، مستجاب الدعوة، ذا لسان فصيح، وقول صحيح، وكلام مليح، ووجه صبيح، وصوت حزين، وقلب حنين، إذا جلس وحدث يشفي العليل ويبرد الغليل، كان معروفاً بإجابة الدعاء من إله الأرض والسماء.

نقل أنهُ في بعض السنين انقطع عنهم المطر، ويَبِس الشجر والمدر، فألزمهُ كبار الفقراء ليدعو الله تعالى، فدعا ربه المفضال، فأمطروا في الحال، حتى استغاثوا من كثرة المطر، فالتمسوا منهُ الدعاء لذلك، فدعا الله تعالى فوقف المطر في الحال، ونقل أن في بعض السنين كان قد انقطع عنهم ماء الدِّجْلة في الشتاء، فألحت عليه الفقراء ليدعو ربهم ليغيثهم بالغيث، وقالوا لهُ: قل للماء أكثر حتى يكثر ببركة كلامك. وكان ذلك نصف النهار، فدعا ربه فما جاء الليل حتى كثر ماء الدجلة فوق مطلوبهم، وسقوا أشجارهم وزروعهم ببركة دعائهِ وهمته، وكان افتخاره

في خدمة باب مولاه، ويقول: لستُ بشيخ، أنا خادم إن صلحت. وكان يقول: أنا لا أصلح أن أكون مع أهل هذا الوقت. ويقول: أنا خير الخير. وكان في آخر عمره ينشد:

سيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهم وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ

كانت مدة خلافته ستة عشر سنة وأشهراً. وتوفي يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الأولى، سنة ثلاثين وست مئة، وغسلهُ أحمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الكراز، وحسين بن عبد الجبار، ودفن في قبة جده.

نقل عن بعض الفقراء قال: كنت عند الشيخ عثمان القصير حين جاء خبر وفاة السيد قطب الدين أبي الحسن علي الرفاعي، فقال: كان علي الرفاعي أماناً لأهل الأرض، وظلاً ظليلاً على سائر الخلق، وبعده تظهر آثاره؛ فإنهُ ليس من الفتوة التخلف عنهُ. فمات بعده بأيام قلائل.

ترجمة السيد نجم الدِّين أحمد الأخضر ابن السيد علي (رضي الله عنه!)

ومنهم الإمام السعيد، والسيد الرشيد، والعلم الراسخ، والقدر الشامخ، والمجد البازخ، والفضائل العالية، والخصائل السامية، والبركات النامية، در صدف الهاشمية، وأبو السادة الرفاعية، صاحب السر الخفي، والنور الجلي، السيد نجم الحق والدين، ـ قدس الله روحهُ، ووالى من فيضهِ الأقدس فتوحهُ! ـ.

استخلف بعد ابن عمهِ، وكان ذا سيرة حميدة زكية، وأخلاق سديدة رضية، كان وحيد دهره وفريد عصره، عمر الله القلوب بمحبتهِ، وملأ الصدور من هيبتهِ، وعم الأقطار بذكره، وعطر الآفاق بنشره، اليتيم والمسكين كانا مكرمين عنده، وكانت الدنيا قد أقبلت عليه، تخرج بصحبته جماعة كثيرة من أعلام الطريق، وتلمذ لهُ خلق لا يحصوْن من

أرباب الأحوال الصادقة، وانتمى إليه عالم عظيم كثيرة في كل قطر، ويتبعهُ جم غفير من كل جهة، حمل من الأثقال ما عجز عنهُ كثير من الرجال، وأوذي كثيراً، ولاقى عظيماً من الأهوال، صاحب مواهب جزيلة لا تُنسى، ومناقب جليلة لا تُحصى.

منها ما قالهُ صاحب «أم البراهين»: حدثني الشيخ إبراهيم، عن ابن عبد الرحمن شيخ الحرمين قبل موتهِ بأيام، قال: رأيت كأني بأرض فسيحة، وكان في تلك الأرض قصرٌ عالٍ بنيانهُ، عليه طيور كثيرة خضراء، وحول القصر عَالَمٌ لا يُحصي عددَهم إلا اللهُ تعالى، فقلت لبعضهم: لمن هذا القصر؟! قال: للسيد أحمد الرفاعي. فقلت: لأي سيد أحمد الرفاعي؟ السيد أحمد في بني الرفاعي كثير! فقال: السيد نجم الدين الأخضر ابن علي. قلت: فما هذه الطيور التي حول العرش؟ فقال: هذه أرواح الصالحين يسلمون عليهِ. قلت ومَنْ هذا الخَلْق العظيم؟ قال: هؤلاء يأخذون كتب أمانهم من النار. قلت: فأنا صاحبهُ، أريد أن أحضر مع الناس، وآخذ مثلهم كتاباً! فأتيت باب القصر فوجدت خادمهُ علي بن بدران، فسلمت عليهِ، وقلت لهُ: يا أخي أريد أن أدخل على سيدي نجم الدين وأسلم عليهِ، فقال: إنهُ دخل القصر، وما تقدر أن تدخل عليه اليوم. فقلت: أدخل أنت وبلغهُ سلامي، وقل: إنهُ يريد كتاباً مثل كتاب هؤلاء الناس، فدخل وغاب عني ساعة، وأتى ومعهُ كتاب أبيض مكتوب فيهِ بالنور، فأخذتهُ ورجعت، قال: فسألناه ما كان فيهِ، فأبى أن يقول لنا.

وقال صاحب «أم البراهين»: حدثنا الشيخ السيد محمد خطيب الحصن (قدس الله روحهُ!) قال: كنت ذات ليلة مظلمة باردة في البيت، وأنا قائم أصلي، وقد انقضى من الليل أولهُ، وإذا أنا برجل ينادي من يرحم الغريب، ويأويه من هذا البرد، ويسد جوعتهُ؟ فلما سمعتهُ قلت: مالي لا أكسب حسنة، وأدخلهُ البيت يبيت عندي ويأكل شيئاً! فخرجت وقلت: أي فقير! تعال، فأتى وأدخلتهُ وأجلستهُ على التنور، وقدمت لهُ

طعاماً، وقلت لهُ: بسم الله كُلْ، فمد يده وقال أي محمد! هذا الخبز يابس بلا أدم. فقلت في نفسي: ما هذا إلا فضولي، وندمت على دخولهِ في بيتي، وكان قلبي مائلاً إلى محبة السيد أحمد بن ست الكرام، فقلت لهُ: أهو القطب ؟ فضحك وقال لي: اسكت، أي محمد! ظننت أنك تعرف! سيدي محمد بن ست الكرام يموت. فرضني كلامهُ، وقلت لهُ: رأيت الموت أخذ روحك!! وغضبت عليهِ غضباً شديداً، ثم قلت لهُ: من القطب ؟ فقال: القطب نجم الدين أحمد بن علي، الذي هو يكون صاحب الأمر والنهي، وصاحب الحكم في اليقين. فلما سمعت كلامهُ حردت، فقال لي: كأنك ضاق صدرك مني ؟ فقلت: نعم وأسْكُتْ، ثم سكت عني، وبقيت أنا متفكراً فيه وفي قولهِ، فلما كان وقت الفجر قمت لانبههُ وأطرده فلم أجده مكانه، ورأيت الخبز مكانهُ ما أكلهُ، فقلت: قد يكون خرج وخلى الباب مفتوحاً، فأتيت فوجدتهُ مغلقاً، فعلمت عند ذلك أنهُ كان من الرجال.

ثم صليت الصبح وتوجهت إلى «أم عَبِيْدَة» وأنا فزعان على سيدي أحمد الرفاعي ابن ست الكرام، فلما وصلت دخلت الرُّوَاق، فوجدت السيد أحمد الرفاعي جالساً في الرُّوَاق وهو في عافية! ففرحت وسلمت عليهِ، وقلت في نفسي: قد كذب الشيطان، ثم أقمت في الرُّوَاق يومين، فلما كان اليوم الثالث قيل: قد حُمَّ اليوم السيد أحمد الرفاعي ابن ست الكرام، ولم يخرج إلى صلاة الصبح، وبقي ثلاثة أيام، وتوفي إلى رحمة الله تعالى، فجاء عليهِ أمر عظيم، ثم اجتمع الناس للعزاء، والسيد نجم الدين أحمد مع الناس، فبينما أنا أمشي إذ هو ناداني أي محمد! تعال، فجئت إليهِ، وسلمت عليهِ، وقبلت يده، فقال: أي محمد! العلامة صحيحة. فذكرت قول ذلك الرجل، وقلت: نعم أي سيدي!.

وكان (رضي الله عنهُ!) ما تصدر في المجلس، ولا جلس على المخدة، تواضعاً من أعيان المشايخ، وإجلال العارفين، وأكابر

المحققين، وكان يقول: من أنا وأيْشٍ أنا حتى أجلس على مخدة سلطان العارفين ؟! ويقول: هذا ابتداء مني حتى لا يجلس أحد بعدي على مخدتهِ. ويقول: أنا آخر الأخبار. وكان السيد أحمد الكبير يحبهُ، ويأمر بمحبته، ويقول: أحمد بَضْعة مني. وحملهُ وهو في القماط، وقال في شأنهِ: عرض عليهِ الدولة الأبدية السرمدية، وسيف الولاية، وهو يكون صاحب الوقت، وسيف الولاية لهُ. كانت مدة خلافتهِ خمس سنين وأشهر، وتوفي يوم الجمعة، رابع عشر شهر شعبان سنة واحد وأربعين وست مئة، وغسلهُ الشيخ محبوب النقيب، ودفن في فم الدَّيْر، ـ رضي الله تعالى عنهُ! ـ.

ترجمة السيد صالح بن السيد أحمد الكبير الرفاعي (رضي الله عنهما!)

ومنهم السيد الإمام، والسند الهمام، والحر الكريم، والدر اليتيم، والشريف النَّسَب، واللطيف الرتب، والجدير بالمدائح، والكريم بالمنائح، ذو المعارف والعوارف العلية، والمعارف السنية، والآيات المشهورة، والكرامات المذكورة، والأصل الموصل، والمجد المؤثل، صاحب الشأن العالي، والمقام الطامح، السيد قطب الحق والدين الصالح (قدس الله تعالى سره!).

وكان (أدرّ الله عليهِ بره!) تالياً كتاب الله تعالى، آناء الليل وأطراف النهار، وكان قد حفظهُ، واشتغل في الفقه، وكان يكتب خطاً مليحاً، وكان مجتهداً في العبادة، وكان ذا صوت حزين، وشوق حنين، وخلق كريم، وقلب سليم، معروفاً بالفصاحة، مشهوراً بالجود والسماحة، أمّ بين يدي أبيهِ، وصعد الكرسي ووعظ الناس، حكي: أن أباه ـ رضي الله تعالى عنهُ! ـ قال قبل وفاتهِ بستة أشهر: أي فقراء! أيِ إخواني! مات ولدي صالح. وعاد مراراً حتى قطع الدمع من عينهِ، ثم صاح وسقط رداؤه،

وغشي عليهِ ساعة، وتغير لونهُ، ثم أفاق وقال: لا إله إلا الله، مات ولدي صالح، لا إله إلا الله، أين مثل ولدي صالح؟ كل صباح ومساء كان يقرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي، كل واحدة اثنتي عشرة مرة، ويخفيها عن الخلق.

وقال مرة بعد وفاتهِ: ما عبر ولدي صالح حتى وصل إلى مقام مثل سيدي الشيخ عزاز، وسيدي مهيوب وأشباههم، من أين للناس مثل ولدي صالح؟ ما بات ليلة حتى قرأ سورة يس وتبارك الملك.

نقل أن السيد صالحاً الرفاعي (قدس الله سره!) نزل مرة في الماء، وقتل جماعة من الجن، ومشى إلى «أم عَبِيْدَة»، وتوب أهلها، ونصب فيهم شيخاً، وقيل: إنهُ كان يريد في حياة أبيهِ المشيخة والمخدة فمات (رحمه الله!)، وكانت وفاته سنة سبعين وخمس مئة (رضي الله عنه!).

ترجمة السيد عبد السلام بن السيد عثمان (رضي الله عنهما!)

ومنهم الشيخ السعيد، والإمام الرشيد، صاحب الهمم العالية، والنفس الزكية الزاهدة، الأواب الخاشع عند تلاوة الكتاب، ولي الله الملك العليم، السيد عبد السلام رحمةُ الله عليهِ!.

كان كثير التلاوة، فإذا تلا القرآن يتغير لونهُ، ويميل كما يميل الشجر من الريح العاصف، وربما قرأ آية ويرددها كثيراً، فقيل لهُ في ذلك فقال: ليسمع مني الله تعالى مرة. أي سَمْعَ إجابة، ودليل ذلك ما جاء في السنة كقول المصلي: سمع الله لمن حمده. وكقول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ الآية.

وكان يَلْبَسُ من ثياب الصوف الخشنة القصيرة، ويقنع من الدنيا باليسير، وشهد لهُ خالهُ: أن قلبهُ مصباح منير. وكان ـ رضي الله تعالى

عنهُ! ـ يسميه الدرة اليتيمة. وقال (رضي الله تعالى عنه!) في شأنهِ: إنهُ كان ابنَ عشر سنين، ويعرض عليهِ هذه الدولة الأبدية، وسيف الولاية، ويلتمس منهُ أن يؤذن، وينشر صيتهُ بالعلم، وهو يأبى ويتذلل. وقال (رضي الله تعالى عنهُ!) في شأنهِ أيضاً: إنهُ يكون لهُ دولة في الآخرة. وكان سيدي عبد السلام (قدس سره!) يُخْفي أحوالَهُ وأسرارَه، وما عاد قطُ مريضاً إلا شفاه الله تعالى.

نقل: أن جماعة من الأولياء الذين دأبهم السير في أقطار العالم، التمسوا من السيد أحمد الرفاعي (رضي الله تعالى عنه!) أن يأمر عبد السلام بمصاحبتهم ومرافقتهم في السير، فقبل مأمولهم وملتمسهم، وأمره أن يسير معهم، فبكى السيد عبد الرحيم لفراق أخيهِ، فترحم السيد أحمد الرفاعي، فمنعهُ من مرافقتهم، وتوفي يوم العشرين من ربيع الآخر، سنة ثمانين وخمس مئة، في خلافة أخيهِ السيد علي.

ترجمة السيد عز الدين أحمد
ابن السيد عبد الرحيم (رضي الله عنه!)

ومنهم الشيخ المعظم، والإمام المقدم، يَنْبُوع المحامد والمعالي، متبوع الأماجد والأعالي، صاحب المقامات العلية، والأحاديث السنية، السيد الممجد، الولي الكريم، السيد عز الدين أحمد بن السيد عبد الرحيم.

كان (قدس سره!) حسن الخلق، طليق الوجه، بسام الثغر، شريف المعاني، لطيف الشمائل، لم يكن في هذا البيت أكرم منه، ما كان للدنيا عنده قدر ولا قيمة، كان طروباً في السماع، وتلاوة القرآن، صاحب وجد عظيم، وخلق كريم، وقلب سليم، وهمة عالية، ورغبة في الإنفاق سامية، ينفق على من يحبه ويتفقده، ودفن في قبة جده ـ رضي الله تعالى عنهما! ـ

ترجمة السيد صدر الدين علي ابن السيد الصياد (رضي الله عنه!)

ومنهم سيدنا العارف بالله، والدال على الله، صاحب القدر العلي، والشرف الجلي، القطب الجليل، مولانا السيد صدر الدين علي، بن القطب الفرد الجواد السيد عز الدين أحمد الصياد (قدس سرهما!).

ولد سيدنا السيد صدر الدين علي (قدس سره!) في سنة ست مئة وخمسة وأربعين، وتركهُ أبوه (رضي الله عنهما!) ولهُ خمسة وعشرون سنة، تلقى الفقه الشافعي عن القاضي عز الدين محمد بن الصائغ، وحضر أيضاً على العالم الحجة جمال الدين بن واصل الشافعي الحموي، وغيرهما، ورجع بعد طلب العلم إلى رُواقهِ الشريف، وانقطع في خلوتهِ كما تقدم، وكان وقوراً عظيم الهيبة، لا يتمكن الإنسان من النظر إلى وجههِ الشريف، أسمر اللون، مشرباً بحمرة، عظيم الرأس، وسيع الجبهة، معتدل القد، حلو المكالمة، لين العريكة، حسن الخلق.

وكان يقول لإخوانهِ (رضي الله عنهم أجمعين!): الكرامة الاستقامة. وكان يقول: عمرك ساعتك التي أنت فيها. وكان يقول: طِيبُ العمر من سَلِمَ وتدارك وقتَهُ. وكان يقول: إذا فقدت الصديق فعليك بالكتاب. وكان يقول: لقمة الجهل سمٌ. وكان يقول: هم الجاهل بطنهُ. وكان يقول: إظهار الكرامة مرض، وكتمانها سر. وكان يقول: أحسن الأيام يومُك الذي إن قعدت فيهِ قعدت ذاكراً، وإن قمت فيهِ قمت شاكراً، وإن نمت فيهِ نمت راضياً، وأحسن منهُ رضاءُ الله عنك. اهـ.

اجتمعت فيهِ مكارم الأخلاق، وتخرج بصحبته خلق كثير، وقصدوه من العراق والحجاز وغيرهما، وأخذ عنهُ الولي العارف بالله نزيل الشام إبراهيم بن أحمد الرقي، والولي الحجة أبو الحسن الواسطي، والشيخ

القاضي زين الدين بن محمد الشافعي الخليلي قاضي حلب، وغيرهم (رضي الله عنهم!).

وأَوقع بالإنكار عليه جماعة من العلماء، لما وقع منهُ في حلقة ذكره مرة أنهُ خطى في الهواء على رؤوس الناس، وشنعوا في حقه، وسألوا من تلميذه القاضي زين الدين عن كرامات الأولياء من خرق العوائد، كالمشي في الهواء، وما أشبه ذلك، أَحَقٌّ هي ؟ فأجاب بخطه: كرامات الصالحين حق، أؤمن بذلك من قلب صميم، وأعتقده اعتقاداً جازماً، بتوفيق الله وهدايتهِ، وهذا هو مذهب أهل السنة، وعليهِ جماهير الأمة المكرمة، سلفاً وخلفاً، ومصنفات الأئمة الأعلام الموثوق بنقلهم المرجوع إلى قولهم مشحونةٌ بذلك، ودلائلُهم من الكتاب العزيز والسنة النبوية كثيرة، ومن لهُ صحبةٌ مع القوم يرى من عجائب أحوالهم وغرائب أقوالهم وأفعالهم بحسب استعداده ما يثلج موائد فؤاده، ولقد منّ الله عليّ بصحبة بعضهم فعاينت من الكرامات في أقوالهِ وأفعالهِ شيئاً كثيراً، مع فرط قصوري وبعدي عن هذا المقام، فياخيبةَ منكرِ ذلك! ويا بعدَهُ عن قصد المسالك! وأنىٰ يرى ضوءَ الشمس فاقدُ البصرِ! أو يشاهد الأعشى نورَ القمر! فما في صلاح منكر ذلك مطمعٌ! فليصور نفسهُ بين يديهِ، وليكبر عليهِ أربعاً. كتبهُ عبد الله بن محمد الشافعي.

وكان لسيدنا صدر الدين علي (قدس سره!) شعر رائق على عادة القوم، ومنهُ قولهُ:

أسفي عليك أضرني ... فإلى متى أسفي عليك
كلي إليك وقد تلفـ ... ـت فخذ إذاً كلي إليك

وقوله

لعبت نهلة الغرام بفكري ... فتراني معربداً سكرانا
سكر العاشقون في الحب حيناً ... وذهولي وغفلتي أحيانا

وقال ـ قدس سره! ـ:

خيام بني سعد وسكانها لهم حبال لقلبي عقدت تحت أضماري
متى هب في تلك الخيام من الصبا نسيم لطيف أججت في الحشا ناري

وقال ـ قدس سره العزيز! ـ:

قسماً بفيحاء البطاح ومن بها سكنوا ومن هاجت بلابلهم لهم
إني على العهد القديم بحبهم أرجو النجاة بهم وأطلب فضلهم
فلعلني أحظى بهم بعد الجفا ولعلهم ولعلهم ولعلهم!

وقال ـ قدس سره! ـ:

عظموا ذكر حبيبي فبهِ المكسور يجبرْ
واتركوا الأغيار طرّاً ولذكر الله أكبرْ

❊ ❊ ❊

توفي (قدس سره!) في سنة الست مئة وخمسة وتسعين، ودفن محاذياً لأبيهِ في قبتهِ (رضي الله عنهُ!)، وعمل لهما صندوق واحد كبير، شمل القبرين الشريفين.

جلس (رضي الله عنهُ!) على سجادتهِ، وتصدر لإرشاد الناس، وظهر أمره في الأقطار، وانقطع في خلوته عن الناس، لا يخرج إلا للصلاة والذكر والوعظ، ويعود إلى خلوتهِ (رضي الله عنهُ!).

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊

حزب الحصن الحصين

وكان بعد أذكاره الشريفة يدعو بحزبِهِ المبارك الذي سماه الحصن الحصين وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمّ يا من لا تراه العيون، ولا تخالطهُ الظنون، ولا يصفهُ الواصفون، ولا تغيره الحوادث والدهور، يعلم مثاقيل الجبال، ومكيال البحار، وعدد قطر الأمطار، وورق الأشجار، وما يظلم عليهِ الليل، ويشرق عليهِ النهار، لا يوارى عنهُ سماء ولا أرض ولا جبل ولا بحر إلا يعلم ما في قعره، اللهم إني أسألك أن تجعل خير عملي خواتمهُ، وخير أيامي يوم ألقاك، إنك على كل شيء قدير.

اللهم من عاداني فعاده، ومن كادني فكده، ومن بغى عليَّ بهلكة فأهلكهُ، ومن نهب لي مالاً فخذه، واطف نار من شب لي ناره، واكفني هم من أدخل عليَّ همهُ، وأدخلني في درعك الحصين، واسترني بسترك الوافي، يا من كفاني كل شيء اكفني ما أهمني من أمر الدنيا والآخرة، وصَدِّق قولي وعملي، يا شفيق يا رفيق، يا قوي الأركان، يا من رحمتهُ في كل مكان، وفي هذا المكان، ولا يخلو منهُ مكان، فرج عنيَ الهمَّ والغم والضيق، ولا تُحَمِّلْني ما لا أطيق، أنت إلهي الحق الحقيق، يا مشرق البرهان، احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يرام.

اللهم إني قد تيقن قلبي لا أهلك وأنت معي، يا رجائي، فارحمني يا الله، يا عظيماً يرجى لكل عظيم، يا حليم، يا عليم، أنت بحاجتي عليم، وعلى خلاصها قدير، وهو عليك يسير، وإنما أنا فقير، فامنن عليّ بقضائها يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين، وودني بنفحة من نفحاتك، واجعلني واداً لك يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. انتهى.

ترجمة السيد شمس الدين محمد
ابن السيد صدر الدين علي
(رضي الله عنهما!)

ومنهم البحر الخضم، والقطب المعظم، الولي الجليل المؤيد، أبو المعالي السيد شمس الدين محمد، بن الإمام الهمام مولانا السيد صدر الدين علي الصيادي الرفاعي، شيخ الرواق والزاوية الصيادية بعد أبيهِ.

تركهُ أبوه ولهُ من العمر ثمانية عشر سنة، تلقى العلم عن أبيهِ، وأخذ عنهُ الطريقة، وسلك مسلك أبيهِ.

ولد السيد محمد شمس الدين ـ المشار إليهِ ـ في سنة الست مئة وسبعة وسبعين، ولم يزل منكباً على الطريقة منذ شب إلى أن مات ـ رضي الله عنهُ! ـ قال خادمهُ الشيخ محمد بن سلامه: ما عاد مريضاً إلا شفاه الله لوقتهِ، أسلم على يديهِ خلق كثير، وتخرج بصحبتهِ جماعة من كبار العصر، منهم الشيخ علي الحريري، حفيد الشيخ علي الحريري الكبير، والشيخ أبو الفضل أحمد المَوْصِلِي، وغيرهم، وتلمذ لهُ أهل القطر الشامي على الغالب، ونمت طريقته في جميع الأقطار، ومن أدعيته هذا الدعاء، وهو مجرب لدفع الكرب، وحصول الفرج، بإذن الله وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ أنت المدعو والمرجو، فلا يدعى غيرك، ولا يرجى إلا خيرك، اللهمَّ لا تقطع حبل رجائي، ولا تمنع عن بابك دعائي، اللهمَّ فرج كربتي، وارحم حوبتي، واغفر لي ذنبي، ونور بنور معرفتك قلبي، اللهمَّ إن أبواب المخلوقين مغلقة الأقفال، وقلوبهم مشتتة الأحوال، وعقولهم مختلفة الآمال، وألسنتهم عجيبة الأقوال، فلا تجعل بفضلك وكرمك إلى أبوابهم رجوعي، ولا إلى أحوالهم خضوعي، ولا على عقولهم معولي، ولا على أقوالهم توكلي، واصرف وجهي

إليك، واجعل توكلي عليك، وأغثني وأدركني في كل حال ومقال، بنبيك سيدنا محمد ـ ﷺ ـ، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

توفي ولهُ من العمر ثلاثة وثلاثون سنة، في سنة السبع مئة وعشرة، وكانت وفاتهُ في بطاح واسط البصرة، لما ذهب لزيارة أجداده الطاهرين (رضي الله تعالى عنهم أجمعين!). اهـ.

ترجمة السيد شمس الدين عبد الكريم الصيادي (رضي الله عنه!)

ومنهم الولي الحكيم، والأستاذ المبارك الفخيم، ولي الله، السيد شمس الدين عبد الكريم الصيادي الواسطي، ابن الإمام زكي الأعراق كريم الأخلاق، السيد صالح عبد الرزاق بن السيد شمس الدين محمد، بن السيد صدر الدين علي الصيادي الكبير (قدست أسرارهم!).

ولد السيد عبد الكريم (قدس سره!) في سنة السبع مئة وثلاثة وعشرين، وبعد أن كبر تلقى العلوم العالية عن الإمام الفاضل محمد بن عبد العظيم المنذري، وعن الإمام الحجة الحافظ أبي عبد الله إبراهيم بن عمر الفَارُوثي الواسطي، وغيرهما، وأتقن علم الظاهر في كل فن، واشتغل بهِ، وقرأ الدروس العديدة، وندب إلى المناصب والقضاء فأبى، ومنَّ الله عليهِ بالقَبُول التام عند الخاص والعام.

قال الشيخ نصر بن سلامة البغدادي: تصدر أبو محمد عبد الكريم الواسطي كتصدر الملوك، وتذلل لله كتذلل المملوك، أفرط ـ رضي الله عنهُ! ـ في الاجتهاد، وما غيَّر وضع استقامتهِ منذ وضع أول قدم في الطريق إلى أن مات، وفيهِ قيل:

عبد الكريم العراقيّ الإمام لهُ ... مناقب صححت فيها الأسانيد
لله عن غيره لا زال منقبضاً ... كذاك آباؤه الصِّيد الصناديد

وقال فيهِ محمد بن مهنا:

صـــدر العـــراق وشيخـــه وإمـــامـــه القطـــب المـــؤيـــدْ
غـــوث البـــريـــة عينُهـــا عبـــدُ الكـــريـــم أبـــو محمـــدْ

وقال الشيخ عثمان بن القصير المَوْصِلِي: ما وقف على باب الحقِ في هذا العصر رجل أعظم من الشيخ شمس الدين عبد الكريم أبي محمد الواسطي. وقال: لو أنَّ النبوة تنال بالمجاهدة والانكسار، لنالها أبو محمد عبد الكريم. وقال الشيخ أحمد بن عواد العشائري: كان أبو محمد عبد الكريم أفقه وأعلم وأفضل أهل زمانهِ، وهو المعول عليهِ في عصره. وقال مرة لأحد تلامذتهِ: أنت رأيت الشيخ عبد الكريم؟ فقال: نعم. فكررها عليهِ، فكلما كررها يقول: رأيتهُ، فبكى، وقال: والله لقد رأيتَ نائب رسول الله بلا ريب، نعم الشيخ شيخك! كان حليماً كريماً سليماً مستقيماً عظيماً مهاباً سخياً تقياً نقياً، وبالاختصار كان بركة وقته وصاحب زمانه!.

وقال الشيخ إبراهيم بن عمر الأوكادي: كان من أدعية الشيخ عبد الكريم في خلواتهِ هذا الدعاء المبارك، وقد تلقيتهُ عنهُ، وأجازني بهِ، ورأيت لهُ منافع لا يحصى عددها، وعلمته لجماعة كثيرة، فرأوْا بركتهُ، وبسببهِ فرج الله عنهم كثيراً من المصائب، ويسر لهم بسببهِ وببركتهِ من الخير العجيب، وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ خذ بزمام قلبي إليك، واجمعني بك عليك على ما يرضيك عني، واقطع علائق قلبي من سواك، وحبال أملي من غيرك، وخلصني من لوث الأغيار، بخالص توحيدك، واجعل لساني لهجاً بذكرك، وجوارحي قائمة بشكرك، ونفسي سامعة مطيعة لأمرك، واجعلني من خواص عبادك الذين ليس لأحد عليهم سلطان، واجعل

حركاتي بك وسكوني لك، واعتمادي في كل الأمور عليك، واكلأني بعين حراسة تمنعني من كل يد تمتد إليَّ بسوء، واجعل حظي منك حصول كل مطلوب، وزين ظاهري بالهيبة، وباطني بالرحمة، وهب لي ملكة الغلبة لكل مقاوم، واجعلني على بصيرة منك في أمري، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآلهِ وصحبهِ أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

توفي مولانا السيد عبد الكريم شمس الدين أبو محمد الواسطي الرفاعي المترجَم (رضي الله عنهُ!) في سنة السبع مئة وتسعة وستين، ولهُ من العمر ستة وأربعون سنة، ودفن في مراقد أهلهِ في فم الدير. انتهى.

ترجمة شيخ الإسلام السيد سراج الدين محمد بن عبد الله الرفاعي المخزومي (رضي الله عنه!)

ومنهم الإمام العلامة، والبحر الحبرِ الفهامة، شيخ العلماء العاملين، وإمام أئمة المرشدين، مولانا السيد سراج الدين الصيادي المعروف بالمخزومي، بسبب أمه الست سعدية بنت عبد الرحمن المخزومي.

ولد في سنة ست وستين وسبع مئة (قدس سره!)، ولقب واشتهر دون إخوته بالمخزومي ابن خالد بن سليمان أبي المعالي، بن محمد المعروف بابن الرئيس، ابن الحاجي جعفر الرئيس أبي علي المنيعي المروزدوي، ابن سعيد، بن حسان، بن محمد، بن أحمد، بن عبد الله، بن محمد، بن منيع، بن خالد، بن عبد الرحمن، بن خالد، سيف الله الصحابي (رضي الله عنهُ!)، ابن الوليد، بن المغيرة المخزومي المشهور، أمير بني مخزوم ورئيسها، وخالد (رضي الله عنهُ!) أول من شرب السم في الإسلام كما اتفق عليهِ، وذلك حين بعثهُ أبو بكر الصديق (رضي الله عنهُ!) مقدماً على سرية إلى الحيرة، فلما نزل بعث إليهِ أهلها عبد المسيح بن عمرو بن

نفيلة، وفي يده شيء، فبعد كلمات سألهُ خالد (رضي الله عنهُ!) عن الذي في يده ؟ قال: سم ساعة. قال: وما تصنع بهِ ؟ قال: ماذا تردني بهِ ؟ فإن كان فيهِ صلاح لقومي، وإلا شربتهُ فقتلت نفسي، ولم أعد إليهم بما يكرهون قال: أرنيهِ. فناولهُ إياه، فقال: بسم الله الذي لا يضر مع أسمه شيءٌ، في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم. وشربهُ فأخذتهُ غشية، ثم أفاق، يمسح العرق عن وجههِ، فرجع ابن نفيلة إلى قومهِ وقال: ما لكم طاقة بهؤلاء القوم، فصالحوهم على مايريدونهُ. ففعلوا، ورجع خالد (رضي الله عنهُ!) مؤيداً مظفراً منصوراً، وشهد (رضي الله عنهُ!) حُنَيْناً في مقدمة النبي (ﷺ)، فأصابتهُ جراحات كثيرة، فتفل عليها النبي (ﷺ) بعد هزيمة المشركين فبرأ ونهض.

وروى صاحب «أسد الغابة»: أن خالد بن الوليد (رضي الله عنهُ!) لما توفي لم يبقَ امرأة في المدينة إلا وقصت شعرها لأجلهِ، وكثر البكاء في المدينة، فسأل عمر بن الخطاب (رضي الله عنهُ!) عن ذلك ؟ فقيل لهُ: يبكين خالد بن الوليد، فإنهُ قد مات. فقال عمر (رضي الله عنهُ!): ما عليهن أن يبكين أبا سليمان، إلا أن يشققن الجيوب.

ونسب خالد (رضي الله عنهُ!) يجتمع مع نسب رسول الله (ﷺ) في مُرة بن كعب بن لُؤي، وفتوحاتهُ (رضي الله عنهُ!) وشيمهُ وهممهُ أجل من أن تحصى، وفضلهُ أشهر من أن يذكر، كيف لا وقد قال فيه رسول الله (ﷺ): نعم العبد خالد! ونعم فتى العشيرة!؟. وقال فيهِ (عليهِ السلام) أيضاً: خالد سيف الله، وسيف رسولهِ، وخالد سيف من سيوف الله، سلهُ الله على المشركين. رضي الله عنهُ وعن أصحاب رسول الله أجمعين.

قلت: ونسب سيدي السيد سراج الدين لأمهِ أعظم نسب، ينمى إلى المولى الأمير الجليل خالد بن الوليد (رضي الله عنهُ!).

وذكر الإمام شيخ الإسلام ابن السبكي (رحمهُ الله!) في «طبقاتهِ» فضل سادس أجداد مولانا سراج الدين لأمهِ، الحاجي جعفر الرئيس، أبي علي

المنيعي، ما نصهُ حرفياً: جعفر بن سعيد، بن حسان، بن محمد، بن أحمد، بن عبد الله، بن محمد، بن منيع، بن خالد، بن عبد الرحمن،بن خالد، بن الوليد المخزومي الرئيس، أبو علي المنيعي الحاجي، أما المنيعي فنسبتهُ إلى جده منيع بن خالد، وأمَا الحاجي فلغة العجم في النسبة إلى من حج، يقولون للحاج إلى بيت الله الحرام: حاجي.

وأبو علي هذا هو واقف الجامع المنيعي بِنَيْسَابور، الذي كان إمام الحرمين خطيبهُ، وقبلهُ أبو عثمان الصابوني شيخ الإسلام، كان الرئيس أبو علي من أهل مرد الرود، وكان في أول أمره تاجراً، إلى أن نما مالهُ وتزايدت النعمة عليهِ، وعلت منزلتهُ، وصار مشاراً إليهِ عند السلطان، وفقهُ الله فحج إلى بيت الله الحرام، ثم عاد وأنفق أموالاً جزيلة في بناءِ المساجد والرباط، وتنوع في المعروف، وبنى جامعاً بمرد الرود تقام فيهِ الجمعة والجماعة، قال عبد الغافر: عم الآفاق بخيره وبره، وكان يدخل نَيْسَابور في أوائل أمره، ويعامل أهلها، فلما رأى اضطراب الأمور، وتزايد التعصب من الفريقين، قبل أن يجلس ألب ارسلان (رحمهُ الله!) على سرير ملكهِ، ويتزين وجه الآفاق بطلعة نظام الملك ملكه، انقطع حتى انقطعت مادة الأهواء، وطوى بساط العصبية بذب نظام الملك عن حريم الملة الحنيفية، ومساعدة سلطان القوم الوقت المذعن إلى الخير المنقاد إلى المعروف ألب ارسلان، وعند ذلك سأل الرئيس أبو علي السلطان والوزير في بناء الجامع المنيعي بِنَيْسَابور، فأجيب إلى مسألتِهِ، فعمد إلى خالص مالهِ، وأنفق في بنائهِ الأموال الجزيلة، وكان لا يفارقهُ ساعة من ليل ولا من نهار، مخافة تغيير الأمور واضطراب الآراء، إلى أن تم، وأقيمت فيهِ الجمعة، وصار جامع البلد المشهور، وهو الذي كان إمام الحرمين خطيبهُ.

قال ابن السمعاني: بلغني أن عجوزاً بِنَيْسَابور ومعها ثوب يساوي نصف دينار قالت: سمعت أنك تبني الجامع، فأردت أن يكون لي في

النفقة المباركة أثر، فدعا خازنهُ واستحضر ألف دينار، واشترى بها منها الثوب، وسلم المبلغ إليها، ثم قبضهُ منها الخازن، وقال لهُ: أنفق هذه الألف منها في عمارة المسجد. وقال: احفظ هذا الثوب لكفني ألقى الله فيهِ.

وكان أبو علي على قدم عظيم من الاجتهاد في العبادة والتواضع والبر وكثرة الصدقة والصلاة، يقوم الليل، ويصوم النهار، ويلبس حسن الثياب مع كثرة الأموال الجزيلة والجاه العريض في الدنيا ونفاذ الكلمة، ولما وقع القحط بتلك البلاد في شهور سنة إحدى واثنتين وستين وأربع مئة، أنفق أموالاً عظيمة، وكان ينصب القِدْرَ كل يوم، ويطبخ للفقراء طعاماً كثيراً، كل ذلك غير ما يتصدق بهِ سرّاً، وكان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، والملوك تسعى إليهُ وتحترمهُ، حتى قيل: إن السلطان ألب ارسلان قال: في مملكتي من لا يخاف مني، وإنما يخاف من الله. مشيراً إليهِ.

وكان كلما أقبل الشتاء يتخذ الجباب والقمص والسراويلات، ويكسو قريباً من ألف فقير، وبالجملة كان كثير المحاسن، وقد سمع من ابن طاهر الزيادي، وابن القاسم بن حبيب، وابن الحسن السقا، وجماعة، روى عنهُ محيي السنة البغوي، وأبو المظفر عبد المنعم القشيري، ووجيه الشحامي وغيرهم، قال عبد الغافر القازي: لو تتبعنا ما ظهر من آثاره وحسناتهِ لعجزنا.

توفي في يوم الجمعة سابع عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وأربع مئة، ومن الفوائد عنهُ وهو الذي لقنهُ القاضي الحسين مسألة ليغالط بها فقهاء مرد إذا قدم عليهم وصورتها: رجل غصب حنطة في زمن الغلاء، وفي زمن الرخص طالبهُ المالك، فهل يطالب بالمثل أو القيمة ؟ فمن قال: إنهُ يطالب بالمثل، فقد غلط، ومن قال: يطالب بالقيمة فقد غلط؛ لأن في المسألة تفصيلاً، إن تلفت الحنطة في يده كما هي قبل الطحن كما

إذا احترقت، وجب المثل، وإن طحن وعجن وخبز وأكل فعليهِ القسمة؛ لأن الطحن والعجين من ذوات القيم، وقد نقل ذلك أبو سعيد الهروي في «الإشراف»، والرافعي في «الشرح»، انتهى كلام ابن السبكي.

قلت: وأكثر أجداد الشيخ سراج الدين لأمهِ أصحاب فضائل وفواضل، وعوارف ومعارف، كالرئيس ابن علي، بل منهم من هو أجل منهُ قدراً وأشرف ذكراً، ولولا خوف الإطالة والخروج عن دائرة مقصودنا لشرحنا أحوالهم (رضي الله عنهم!) بما تسرُّ بهِ النفوس، وتزدان بهِ الطروس.

وأما فضل مولانا سراج الدين (قدس سره!) فقد اشتهر في الآفاق، وملأ الشام والعراق، عرف بشيخ الإسلام بين أقرانهِ الأعلام، وكتبه ومؤلفاتهُ مشهورة: منها «سلاح المؤمن» في الحديث، و«جِلاء القلب الحزين» في التصوف، و«كشف الغطاء عن أسرار كلام محيي الدين» في التصوف أيضاً، و«البيان» في التفسير، و«النسخة الكبرى» في علم الحروف، وغير ذلك.

ومن كلامهِ (رضي الله عنهُ!) ما نقلهُ عنهُ الشيخ الإمام عبد الوهاب الشَّعْرَاني (قدس سره!) في كتابهِ «اليواقيت والجواهر» وهو قولهُ: كان شيخ الإسلام سراج الدين المخزومي يقول: إياكم والإنكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين؛ فإنَّ لحوم الأولياء مسمومة، وهلاكَ أديان مبغضهم معلومة، ومن بغضهم تنصر، ومات على ذلك، ومن أطلق لسانهُ فيهم بالسب ابتلاه الله بموت القلب.

وقال الشَّعْرَاني في «اليواقيت» أيضاً: كان شيخ الإسلام المخزومي يقول: لا يجوز لأحد من العلماء الإنكار على الصوفية إلا أن يسلك طريقهم، ويرى أفعالهم وأقوالهم مخالفة للكتاب والسنة، وأما الإشاعة عنهم، فلا يجوز الإنكار عليهم، ولا سبُّهم.

وأطال في ذلك ثم قال: وبالجملة فأقل ما يحق على المنكر حتى يسوغ له الهم بالإنكار أن يعرف سبعين أمراً، ثم بعد ذلك يسوغ لهُ الإنكار، منها: غوصةُ في معرفة معجزات الرسل على اختلاف طبقاتهم، وكرامات الأولياء على اختلاف طبقاتهم، ويؤمن بها ويعتقد أن الأولياء يرثون الأنبياء في جميع معجزاتهم إلا ما استثني، ومنها: اطلاعهُ على الكتب والتأويل وشرائطهُ، ويتبحر في معرفة لغات العرب في مجازاتها واستعاراتها حتى يبلغ الغاية، ومنها: كثرة اطلاعهِ على مقامات الخلف والسلف في معنى آيات الصفات وأخبارها، ومن أخذ بالظاهر، ومن أوّل، ومن دليلهُ أرجح من الآخر، ومن تبحر في علم الأصوليين، ومعرفة منازع أئمة الكلام، ومنها: وهو أهمها معرفة اصطلاح القوم فيما عبروا عنهُ من التجلي الذاتي، والصوري، وما هو الذات، وذات الذات، ومعرفة حضرات الأسماء والصفات، والفرق بين الحضرات، وبين الأحدية، والوحدانية، والواحدية، ومعرفة الظهور والبطون، والأزل، والأبد، وعالم الغيب، والكون، والشهادة، والشؤون، وعلم الماهية، والهُوية والسُّكر، والمحبة، ومن هو الصادق في السُّكر حتى يُسامح، ومن هو الكاذب حتى يُوآخذ، وغير ذلك، فمن لم يعرف مرادَهم، كيف يحل كلامهم، أو ينكر عليهم بما ليس من مرادهم ؟!.

ومن كلامهِ (قدس سره!): تجردك عنك أولى من تجردك عن غيرك، ووقوفك معك أضر من وقوفك مع غيرك. ومن كلامهِ: سلامة المركب أخت سلامة الراكب. وكان يقول لأصحابهِ ـ رضي الله عنهُ وعنهم! ـ: أم المنافع معرفة الحدود، رغم أنف الحسود. وكان يقول: روح الطالب ترك المطالب. وكان يقول: رُبَّ نفحةٍ أخذت قلب الغافل إلى المعرفة، ورُبَّ صدمةٍ أخذت قلب العارف إلى الغفلة، فعلى الرجلين ترقب الحالين، فترقب العارف خوفٌ، وترقب الغافل رجاء، فخوف العارف أمان، ورجاء الغافل إيمان، والله الحنان المنان.

وكان يقول: رُبَّ جبرةِ قلبٍ تجبر شقوى عنتر، ورُبَّ كسرةِ قلبٍ تكسر كرسيَ قيصر. وكان يقول: اللهُ أكبرُ الغفلةُ بنتُ الأمن، واليقظةُ بنتُ الخوف، والحجاب بينهما الأمر. وكان يقول: الوقوف عند حدود الله العلم الأعظم. وكان يقول: العالم من علم ما لهُ وما عليهِ. وكان يقول: طيلست البركة عبداً غاب عن هذا وذاك، وتعلق بما وراءهما. وكان يقول: كل العقل التخلص من الحجب المستعارة. وكان يقول: أجهل الناس من ظن أن ثوبهُ يستر عيبهُ، وأن قالبهُ ينفع قلبهُ، وأن كذبهُ يملأ جيبهُ، وأن صبغهُ يبدل شيبهُ.

وكان يقول: هذا الزمان عجوز كذابة، تبدو بصورة عذراء حسناء. وكان يقول: لعبت الآمال بعقول الرجال. وكان يقول: ثكلتك أمك يا سراج! قام القوم وقعدت، ووصل القافلة وانقطعت، ووجد الراكب وضيعت، إلى مَ؟ وعلى مَ؟ هي وأختُها على حد سواء.

وكان يقول: عمران الدنيا والآخرة بثلاث: بالعلم الصادق، والهمة العالية، والحزم السليم. وكان يقول كل العقل أن تعرف نفسك، وكل الإيمان أن تعرف رَبَّك، ولن تعرف ربك إلا بمعرفة نفسك. وكان يقول: صرح أهل الله على رؤوس الأشهاد أن أهل الغفلة لا يدخلون حضرة القرب، وأن من تعدى حده لا يفيق من غفلتهِ، وأن من أشرك الجاهل في سره كمن نقل المصحف إلى أرض العدو، وأن من أفشى الحكمة لغير أهلها، كمن طلب الرقيا من الحية، وأن من وقع على الرجل وضَيَّعَهُ، كمن مات برأيهِ، وترك أمرَ القرب من الله طمعاً في موهوم من رئاسة غير ممكنة مع حال مستحيل، ومن قام برأيه متباعداً عن الشرعة البيضاء كمن رأى الخلق كافة على طريق مستقيم، وسلك معارضاً للخلق الطريق المعوج، وأمل الظفر بالسلامة.

وكان يقول: آداب حضرات الحق تعالى إصلاحُ استُفيد في الأمور

المشروعة، وآداب مقام الاختصاص ربط القلب بالله تعالى، وآداب معاملة الناس الصحبة للكامل، والاقتداء بالعاقل، والإعراض عن الجاهل.

أدعيته المباركة
رضي الله تعالى عنه !

ومن أدعيتهِ العجيبة، وأحزابهِ العظيمة، هذا الدعاء المبارك، وهو من المجربات لنيل المآرب، وحصول المطالب، والبركة والفتوح العظيم، وهو هذا: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، الٓمٓصٓ، الٓر، الٓر، الٓر، الٓمٓر، الٓر، الٓر، كهيعص، طه، طسٓم، طسٓ، طسٓمٓ، الٓم، الٓم، الٓم، الٓم، يسٓ، صٓ، حمٓ، حمٓ، حمٓ، حمٓ عٓسٓقٓ، حمٓ، حمٓ، قٓ، نٓ، بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ يا حق يا رقيب يا حي يا ودود، ياالله يا الله، يا نور يا قويم، يا جواد يا الله يا الله، يا باريء، يا متكبر، أسألك ببسم الله الرحمن الرحيم، ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾، بطد، زهج، واح، طاعتيني الأرواح، ودود، حب، ود، بدوح، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾، فجش، ثظخذ، يا فرد، يا جبار، يا شكور، يا تواب، يا طاهر، يا خبير، يا زكي، الٓم، الٓمٓصٓ، الٓر، الٓمٓر، كٓهيعٓصٓ، طه، طسٓمٓ، طسٓ، طسم، يٓس، صٓ، حمٓ، حمٓ، عٓسٓقٓ، قٓ، نٓ، يا من يقل للشيء كن فيكون، كن لي الإجابة، يا رب الإجابة، يا حي يا قيوم، يا رب يا رحيم، أسألك بحقك وبالآيات كلها، وبهذا الاسم، الاسم الأعظم، رضاءً لا سخط معهُ، وغناءً لا فقر يتبعهُ، وعلواً لا سقوط بعده، وحفظاً لا تتعدى من خلفهِ الإجابة والخير، واعذرني مع سلامة جسمي من عوارض المحن والآفات، يا بديع الأرض والسموات، لا إله إلا الله فوق رأسي ظلاً، ومحمد رسول الله حصني مكملاً، وأبو بكر الصديق عن يميني حرزاً وكيلاً، وعمر بن الخطاب عن

يساري عزاً وتجملاً، وعثمان بن عفان من خلفي قوة وحولاً، وعلي بن أبي طالب أمامي مهابة(٣)، مهابة مني في قلوب العِدا والحاسدين والناظرين إليّ بسوء حتى يغشاهم نوري، وترتعد من مهابتي فرائصهم، ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ، بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ، فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾، سجدت لي الرقاب، وخضعت لي الأعناق، وعظمت في أعين الناظرين من الإنس والجن، يا عظيم عظمتك وقائي من القوم الظالمين، وحمائي من العالمين، واعضدني بالملائكة أجمعين، واستجب لي يا أرحم الراحمين.

ثم يقول القارىء ملتفتاً أمامه (٦) يا الله، ومثلهُ عن اليمين، ومثلهُ عن الشّمال، ومثلهُ خلفهُ، ثم يدعو بهذا الدعاء: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ إني أسألك بقوة جلال هيبتك يا الله (٣)، وبعز ظلال بهاء نور سطع لمع برق لمعان وجهك يا الله (٣)، وبهيكل قدس تقدس أفعال أقوال ربوبيتك يا الله (٣)، وبهيبة عزيز برهان سلطان أزلي أزليتك يا الله (٣)، وبسر باء اسم توحيد عظيم اسمك يا الله (٣)، وبسين سر بحر علوم غيب روح أنس أنسك يا الله (٣)، وبميم مكنون مصون مخزون عوالم بحار أسمائك يا الله (٣)، وبألف تقوم تقديم تكريم إكرام معرفة اسمك يا الله (٣)، وبألف الألوهية، بعين العظمة، بجيم الجبروت، بفلق القدرة، أسألك أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ، وأن تجعل بيني وبين أعدائي سرك الذي لا تخرمهُ نوافذ الرماح، ولا تقطعهُ بواتر الصفاح، ولا تفرقهُ عواصف الرياح، لا إله إلا أنت، احون، قاف، ادم، حم، هاء، أمين، شتوش، هموش، اطوش، شرح، خمدت النار من مخافتهِ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأسألك اللهمَّ بسر الألف القائمِ بنفسهِ، الذي ليس قبلهُ سابق، وباللامين اللذين لممتَ بهما الأسرار، وأخذتَ عليهما العهود والمواثيق،

وبالهاء المحيطة بالعيون الجوامد، والمتحركة والصوامت والنواطق، الذي هديت بها قلوب عبادك فصارت لذكرك لا تفارق، أغثني أغثني، يا مغيث، فإنك متفضل جواد، واسع ورازق، وأسألك اللهمَّ أن تغرس فيَّ أشجار توحيدك وتمجيدك؛ لأقتطف منها ثمار تسبيحك وتقديسك.

اللهمَّ اسقِ قلبي من سحائب رحمتك، وغَذِّهِ بلطائف أنوار معرفتك، أسألك اللهمَّ بهذا الاسم العظيم، الذي هو ظاهر اسمك الذي يُشار إليك، وباطن اسمك الذي أمرت أن تُدعىٰ بهِ، أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وأن تسلمني ببركته أنا وأهلي وعيالي وأولادي.

اللهمَّ اغمسني في بحر نور هيبتك، حتى أخرج منهُ وفي وجهي شعاعاً فاقت أنوار هيبتهِ من هيبتك، أخطف بها أبصارَ الحاسدين من الأنس والجن والهوام، فأمنعهم عن رمي سهام الحسد، واحجبني عنهم بحجاب النور الذي باطنه النور وظاهره النور.

وأسألك باسمك النور الذي أضاءَ بهِ كل نور، أن تحفظني في أهلي وعيالي وأولادي من كل نقص يمازج مني جوهراً أو عرضاً، إنك نور الأنوار، وواهب العقول والأسرار، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبهِ أجمعين.

ومن أحزابهِ الشريفة، هذا الحزب المبارك، وقد شاهد أكابر رجال هذه الطريقة من المداومة عليهِ نُورَ البركة والفيوضاتِ والفرجَ السريعَ عند المُهِمَّات، وهو: بسم الله الرحمن الرحيم:

سبحانك أنت الله المؤمن المهيمن ... سبحانك أنت الله السلام القدوس

سبحانك أنت الله العزيز الحكيم ... سبحانك أنت الله الخالق الباري

سبحانك أنت الله المصور الحكيم ... سبحانك أنت الله البر الهادي

سبحانك أنت الله الحي القيوم ... سبحانك أنت الله الواسع اللطيف

سبحانك أنت الله العلي الكبير ... سبحانك أنت الله الحميد المجيد

سبحانك أنت الله الشكور الحليم سبحانك أنت الله الغفور الرحيم
سبحانك أنت الله الباعث الوارث سبحانك أنت الله الواحد الأحد
سبحانك أنت الله الفرد الصمد سبحانك أنت الله الطاهر المطهر
سبحانك أنت الله الغفور الغفار سبحانك أنت الله الغفور الصمد
سبحانك أنت الله المحسن البارىء سبحانك أنت الله المحيي المميت
سبحانك أنت الله الحنان المنان سبحانك أنت الله السابق العدل
سبحانك أنت الله الرفيع العلي سبحانك أنت الله النصير المفضل
سبحانك أنت الله الوكيل الكافي سبحانك أنت الله المعيد الدائم
سبحانك أنت الله المعيد الحق سبحانك أنت الله الفاطر الصادق
سبحانك أنت الله أرحم الراحمين سبحانك أنت الله خير الناصرين
سبحانك أنت الله خير الرازقين سبحانك أنت الله العزيز الحكيم
سبحانك أنت الله الرؤوف الرحيم سبحانك أنت الله لا إله إلا أنت
سبحانك أنت الله العلي العظيم سبحانك أنت الله رب العالمين

سبحانك أنت الله إني كنت من الظالمين ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

ومن كلامهِ المبارك على لسان القوم السالمين من اللوم، هذه القصيدة العلية، الجامعة لكل حكمة سنية، وهي:

تدل من الأكوان للحضرة الكبرى ودع عندها الدنيا لعمرك والأخرى
وغب عن شؤون الحادثات ببابها وجدد إلى ساحاتها صحة المسرى
ولا تنس خلع النفس دون رحابها فذاك بخلع الروح يا صاحبي أحرى
رحاب بهِ كل المعاني تجمعت وعنه لسان الكون في نطقهِ ورّى

بـه مـن خفـايـا دولـة الأمـر رونـق ... عجيب هو الأولى لدى القوم والأخرى
تجلت لديهِ الذات في عرش ذاتها ... فقام بها والسطر من لوحها يقرى
وقـام بـهِ خمـار حـانـة حبهـا ... فصارت لديهِ ناس حضرتها سكرى
وكم فيهِ من خلع العذار عجائب ... تلونها بهِ عن أهل نشأته عذرا
وسرنا بهم في بيذ حضرة قدسهِ ... فلاحت لنا من كل أطرافه البشرى
فلا الكون عن هذا حجاب ولا العلا ... نقـاب ولا آلاه يعـرف أو يـدرى
وطرنا بجنح النجح حتى توصلت ... عزيمتنا منهُ إلى المنهل الأمرى
شربنا فطبنا واستراحت قلوبنا ... ومتنـا بـهِ ذوقـاً وعشنـا بـهِ ذكـرا
وكان مقام الفرق في مبدأ السرى ... فأخجلهُ الجمع الذي نور السرى
وقـام مـن الفـرا مقـام مـزاحـم ... فلما انطوى الأغيار أعقبت السرا
فكـلٌّ بهـذا جـاهـل وهـو مظهـر ... لمعرفة المقصود من منتهى الأسرى
وهيكل عين الغير عين مهيكل ... لسر مرادي تحت هيكلهِ صرّى
وهـا جملـة الأكـوان فـي أمـر فـرقهـا ... على العدم المحض الذي ظاهراً يدرى
فمـا ثـمَّ غيـرٌ والمقـاصـد أزلفـت ... عن الحكمة الأولى وحضرتها الكبرى
وفصـل معنـاهـا وعنـوان فـرقهـا ... إمام صدور المرسلين أبو الزهرا ﷺ
تبجـح بـالإسْـرا فـأبـدا خفيهـا ... وشاهد مجلاها فسبحان من أسرى!
تذكر إذاً يا صاحِ أسرار غيبها ... فإن لذي الإيمان قد تنفع الذكرى

* * *

ولو أردنا ذكر كرامات الشيخ سراج الدين (رضي الله عنهُ!) وبسط مناقبهِ وشعره ومؤلفاته وكلماته، لأملأنا الدفاتر، لكن قد ذكرناه على سبيل الاختصار تبركاً؛ لكونهِ أشهر من أن يذكر.

تولى مشيخة الإسلام بالشام كما ذكر ذلك الشيخ الشَّعْرَاني بكتبه، وأخذ عنهُ معظم رجال الحديث في وقتهِ، وانتقل إلى العراق، وسكن بغداد، وانتهت إليه رئاسة العلم والطريق بها، وتوفي بها (رضي الله عنهُ!)

ولهُ من العمر اثنتي وتسعين سنة، وكانت وفاته في سنة الثمان مئة وخمسة وثمانين، (رضي الله عنهُ ونفعنا بهِ!). انتهى.

ترجمة الشيخ عمر الحمصي المخزومي

وممن اشتهر بالمخزومي ـ أيضاً ـ سراج الدين، أبو حفص، عمر المخزومي الحمصي، وهو ـ أيضاً ـ من أجلاء علماء عصره، ومن أعيان القبيلة الخالدية الساكنة في نواحي الشام.

ولي مشيخة الإسلام في الشام، وندبه ملوك مصر إلى المناصب والقضاء، وشهرتهُ بين علماء وقتهِ كبيرة، ومصنفاته كثيرة، وهو من عنصر أخوال الشيخ سراج الدين المخزومي البغدادي الصيادي (قدس سره!).

ترجمة السيد إسماعيل الكيال

ومنهم الشيخ الكبير، والعارف الشهير، صاحب الكرامات والأحوال، الشيخ إسماعيل الكيال ـ قدس سره!ـ، ابن السيد إبراهيم البلخي الحسيني، ينتسب (قدس سره!) إلى الإمام الحسين (رضي الله عنهُ!) من جهة آبائهِ، وللعنصر الرفاعي الحسيني من جهة أمهِ؛ فإن أمهُ السيدة فاطمة بنت السيد نجم الدين يحيى بن السيد صالح عبد الرزاق، بن السيد شمس الدين محمد الصيادي الرفاعي.

وأم والدتهِ السيدة الأصيلة خديجة بنت الشيخ قطب الدين بن الشيخ شمس الدين محمد الأعزبي الرفاعي.

أخذ الطريقة العلية الرفاعية عن الشيخ نجم الدين الرفاعي، وهو أخذها عن والده الشيخ قطب الدين، عن والده الشيخ شمس الدين، عن عمهِ السيد إبراهيم الأعزب، عن عمهِ السيد عبد الرحيم، عن أخيهِ السيد سيف الدين علي الرفاعي، عن خاله وابن عم أبيه غوث الرجال، وقطب

أهل الكمال، السيد أحمد الكبير الرفاعي (رضي الله عنهُ!).

سكن السيد إسماعيل الكيالي قرية ترنبه من أعمال حلب، كان ينفخ على العسل ويسقيه لإخوانهِ، وقد أجرى الله على يديهِ الخوارق، وتسلسلت في بيتهِ الأولياء من ذريتهِ إلى عهدنا هذا، وقد ركب الجدار حالة ولهِهِ وجذبته فسار بهِ، وأمر الكيل أن يكتال القمح فبارك الله بالقمح واكتال الكيل للناس بنفسهِ من دون رجل.

توفي في حدود التسع مئة، وذريتهُ في سرمين وإدلب وبنفس حلب الشهباء ونواحيها مشهورة، ومناقبهم مأثورة، وممن كان في عصرنا منهم القطب الشهير، والأستاذ الكبير، صاحب المدد والإرشاد، الشيخ إسماعيل بن الأستاذ الشيخ عبد الجواد (قدس سرهما!)، وولده تاج الأكابر الأستاذ الشيخ عبد القادر، وولده الولي المؤيد الشيخ محمد.

انتهت إليهم رئاسة هذا الشأن بحلب، وشهد لهم رجال الوقت بعلو الرتب، نفعنا الله بهم أجمعين!.

ترجمة السيد علي أبي الحسن الحريري الرفاعي (رضي الله عنه!)

ومنهم الشيخ علي أبو الحسن الحريري، ابن الشيخ السيد عبد المحسن أبي الحسن علي، بن السيد عبد الرحيم الكبير الرفاعي.

قال في «النفحة المسكية»: سكن قرية حرير من أعمال البصرة، وهاجر إلى الشام، وتزوج بأرضها، ولهُ ذرية، وتخرج بصحبتهِ جم غفير من الرجال، منهم الشيخ علي أبو محمد الحريري بن أبي الحسن بن منصور المَرْوَزِي (رحمهُ الله!).

قلت: وقد كان ابن منصور هذا على حال، إلا أنهُ قد غلبت أحوالهُ عليهِ فما قدر على قبض لسانهِ، فقيل فيهِ ما قيل. انتهى بحروفهِ.

وقد شنع طائفة كثيرة من العلماء على الشيخ علي المَرْوَزِي الحريري هذا، وأخذ على الألسن، والذي أظنهُ أن السبب الأعظم في ذلك انقلابهُ عن الطريقة العلية الرفاعية، وأخذه عن الشيخ علي المغربل، تلميذ الشيخ رسلان التُّرْكُمَاني الحصري (نفعنا الله بهِ!) في حياة شيخهِ الشيخ علي البَصْري الحريري الرفاعي.

وقد اتفق القوم على أن الواقف بين شيخين كالواقف بين سيفين، فلذلك كان من أمره ما كان، كما هو مفصل في كتب التاريخ، ثم بعد ذلك التجأ إلى شيخهِ الشيخ علي الحريري البصري الرفاعي، ولزم رُوَاقهُ بقرية بسرىٰ، ويقال لها: بُصْرَىٰ، قرية من أعمال حَوْرَان، وبها مات، في سنة خمس وأربعين وست مئة، ومنهم من رده، ومنهم من قبلهُ، والذي ثبت عنهُ أنهُ مات على أحسن حال، ولهُ كرامات وأحوال، وقد ذكرناه هنا ليعلم أن العائلة الحريرية الرفاعية غير الطائفة الحريرية المَرْوَزِية؛ فإن السيد علياً أبا الحسن الرفاعي الحريري لم يطعن فيهِ طاعن، ولم يذكره بسوء ذاكر، كان على قدم أجداده الطاهرين، متمسكاً بآثار سيد المرسلين، انتهت إليهِ رئاسة الخرقة في وقتهِ، أعقب ذرية مباركة، منهم الشيخ محيي الدين نزيل حماة، وصاحب الزاوية الرفاعية فيها، أخذ عن أبيهِ السيد يحيى، عن أبيهِ السيد علي أبي الحسن الرفاعي، وبقيت ذرية الشيخ محيي الدين الحريري الرفاعي في حماة على سير حسن، وقدم طاهر، وصحة منهج.

وقد تسلسل فيهم الخضوع والانكسار، والبذل والسخاء، وحب الفقراء، وثبات التمسك بشريعة سيد الأنبياء، سيراً على قدم سلفهم الطاهر، في الباطن والظاهر، وكان من بقيتهم ممن عهدناه في عصرنا الشيخ الأجل، والصالح الأكمل، وارث أخلاق الأولياء، وناصر حزب الفقراء، المرحوم الشيخ عمر الحريري، شيخ السجادة الرفاعية في حماة المحمية، توفي في سنة الألف والمئتين والثمانين، ودفن في صالحية الشام، وقد نقلت عنهُ الكرامات الكثيرة، وسيرتهُ بالصدق والسخاء وعلو

القدم في الديار الشامية شهيرة، وعقبهُ في بلدتهم معروف، أيدنا الله وإياهم والمسلمين بنفحة من نفحات سيد المرسلين آمين.

ترجمة السيد محمد الحديدي الرفاعي (رضي الله عنه!)

ومنهم الشيخ محمد الحديدي الرفاعي، دفين الحَدِيْثة، بليدة تقرب من راوة، بين الخابور وبغداد، كان ينفخ على الحليب ويسقيه لإخوانهِ، ولهُ خوارق عظيمة ومناقب كريمة، منها: أن الأسود كانت تزوره في زاويتهِ، ينتهي نسبهُ إلى السيد شمس الدين محمد بن عبد الرحيم الرفاعي.

مات (قدس الله سره!) في حدود التسع مئة، ومناقبهُ أكثر من أن تذكر.

ترجمة السيد رجب الرفاعي الكبير (رضي الله عنه!)

ومنهم الإمام الكبير، والعارف النِّحْرير، ولي الله، السيد رجب الرفاعي الكبير، ولد (رضي الله تعالى عنهُ!) في البصرة سنة تسعين وست مئة، وهو الأخ الصغير لسيدنا الشيخ تاج الدين، بن السيد شمس الدين محمد الرفاعي الكبير.

سكن «أم عَبِيْدَة» وبها وُلد، وصار شيخ الرُّوَاق الأحمدي بأم عبيدة وهو ابن أربع عشرة سنة، أحرز مشيخة الرُّوَاق في سنة أربعٍ وسبع مئة، السنة التي توفي بها أخوه الشيخ تاج الدين، بن شمس الدين بن الرفاعي، شيخ الأحمدية بأم عبيدة، كما ذكر ذلك ابن كثير في «تاريخهِ».

وقد كبر شأن السيد رجب (قدس سره!) وبرع وعظم حالهُ، وأخذ عنهُ

الطريقة الرفاعية أجلاء مشايخ العراق، وانعقد عليهِ إجماع الرجال في واسط، وشهرتهُ في البطاح العراقية غنية عن التعريف، عكف على علوم الحقيقة، واشتغل بأمر الطريقة، وأعرض عما في أيدي الخليقة، كان كثير السكوت، عظيم الأخلاق، مهاباً، مجلاً، رمقهُ رجال عصره بأعين الاحترام، ورويت عنهُ الكرامات التي لا تحصى.

منها أنهُ مس على عين رجل انطمست باصرتهُ فأبصر بإذن الله في الحال، تسلسلت في ذريتهِ المباركة الأولياء في العراق، وسكن بعض ذريتهِ البصرة بعد خراب واسط، وبقيت فيها إلى عهدنا هذا، ومن بقيتهم أحد رجال عصرنا العالم الجليل، والسيد النبيل، عمدة العلماء والأشراف، ومفخر آل عبد مَنَاف، السيد إبراهيم، بن السيد بدر الدين، بن السيد مبارك، بن السيد صالح، بن السيد رجب الصغير، من بقية آل السيد رجب الكبير الرفاعي (قدس سره!).

ولي السيد إبراهيم نقابة الأشراف في البصرة، ثم ولي بعدها منصب الإفتاء، وبقي مفتياً حتى مات، ولهُ التصانيف الكثيرة العديدة، والتآليف الحميدة، وحسن فيهِ ظن الخاص والعام، وذكروا أنهُ حسنة من حسنات الأيام.

أثنى عليهِ الصلحاء والعلماء، وامتدحهُ البلغاءُ والشعراءُ، ومن جملة من مدحهُ، الشاعر النبيه، والفاضل الوجيه، المرحوم السيد عبد الغفار الأخرس، نزيل بغداد، المَوْصِلِي الأصل، فإن لهُ فيهِ عدةَ قصائد، منها هذه القصيدة الفريدة:

أهاجها حادي المطي فما لها ... ولم يهج لما حدى أمثالها
فهل عرفت يا هزيم ما بها ... وما الذي أورثها بلبالها؟
غنى لها برامة والمنحنى ... وبالديار ذاكراً أطلالها
وما درى أيّ جوى آثاره ... وعَبرة بذكرها أسالها

ذكرها مناخها برامة / فكان ذكر رامة خبالها
أذكرها مراعياً من شيحها / ووردها من مائها زلالها
ذاقت نميراً في العذيب مائه / وقد أزيقت بعده وبالها
لو كان غير وجده عقالها / بدار مي أطلقت عقالها
تسأل عن أحبابها دوارساً / من الرسوم لم تجب سؤآلها
وكلما عاد لها عيد الهوى / هيج منها عيده بالبالها
تالله تنفك وقد نظنها / لما بها من الضنا خيالها
حريصة على لقاء أوجه / غالى بها صرف النوى وأغتالها
هي الظعون قوضت خيامها / وأزعجت يوم النوى جمالها
وأوقدت في قلب كل مغرم / نيران وجد تضرم اشتعالها
وقاطعتنا بالنوى مواصلاً / لو أنصفت ما قطعت وصالها
وعن يمين الجزع شرقي الحمى / منى أواني ناشقاً شمالها
بيوت حي احكموا ضيوفها / وحذروا عدوها نزالها
وللغزال دونها ملاعب / لو اقتنصت مرة غزالها
وقد رمتني عينها نبالها / فما وقتني أدرعي نبالها
إني لأهوى مجتنى معسولها / وأختشي من قدها عسالها
تلك ربوع كنت في رباعها / طوع هواها عاصياً عذالها
فياسقت تلك الربوع ديمة / تصيب من صوب الحيا سجالها
ساحبة على الحمى سحابها / تجرّ في دياره أذيالها
قد قطبت طلعتها وبشرت / من شام بالغيث العميم خالها
من مثقلات المزن ما أن جلجلت / بالرعد إلا وضعت أثقالها
شاكرة آثارها منها لها / أدبارها بالري أو إقبالها
ورب ليل أطبقت ظلماءه / بحيث لا يهدي امرء خلالها
قلقلت فيهِ الموقرات بالسرى / حتى لقد كدت أرى كلالها

ولســت أنفــك ولــيَ مــأرب أرجــو إذا أزمعــت أن أنــالهــا
تحملنــي لابــن النبــي نــاقــة إن بلغتــهُ بلغــت آمــالهــا
فــإن إبــراهيــم حيــث يممــت كــان منــاهــا إن يكــن مــآلهــا
تكــاد مــن وفــر نــوال فضلــهِ تطمــع أن يبلغهــا محــالهــا
نفــس لــهُ زكيــة عــارفــة بــالغــة بــدركهــا كمــالهــا
وتستمــد العــارفــون فيضهــا وتــرتجيهــا جــاههــا ومــالهــا
لو لم يكن في الأرض من أمثالهِ زلــزلــت الأرض إذاً زلــزالهــا
إذا دعــا الله لكشــف حــادث أهــالهــا أمنهــا أحــوالهــا
هــو الشفــاء لعضــال أمــة يبــرىء مــن أدواءهــا عضــالهــا
واتخــذتــهُ المسلمــون إن دعــت ضــراعهــا لله وابتهــالهــا
من النجوم المشرقات بالهدى المــدحضــات بــالــدجــى ضــلالهــا
ما برحوا في الأرض بين خلقهِ أقطــابهــا الأنجــاب أو أبــدالهــا
إذا دُعــوا إلــى الجميــل أســرعــوا ولــن تــرى لغيــره استعجــالهــا
واقتحمــوهــا عقبــات أزمــة إلــى عــلا تــوقلــوا جبــالهــا
هُــم الغيــوث ابتــذروا نــوالهــا هــم الليــوث ابتــدروا نــزالهــا
قــائلــةٌ فــاعلــةٌ بقــولهــا ســابقــةٌ أفعــالهــا أقــوالهــا
إن قــربــت مــن الأعــادي قــربــت إلــى العــدا همتهــم آجــالهــا
هُــم الــذيــن ذللــوا صعــابهــا هُــم الــذيــن دوخــوا إقبــالهــا
وحــرمــوا مــن ربهــم حــرامهــا وحللــوا بــأمــره حــلالهــا
بحــر مــن العلــم طمــى خِضَمّــهُ وارد كــل وارد نــوالهــا
سل ما تشاء عن عويص مشكل فــإنــهُ لمــوضــح أشكــالهــا
أيــن الأعــادي مــن علــوّ قــدره إن طاولتهُ في المعالي طالها ؟
لــو رام أعــلا بغيــة يــرومهــا ولــو غــدت مثــل النجــوم نــالهــا
تسكــرنــا عــذوبــة مــن لفظــهِ إذا أدار لفظــهُ جــريــالهــا

لــهُ التصــانيــف التــي كــأنهــا تــروي بحســن صبهــا جمــالهــا
رقــت حــواشيهــا فلــو قــرأتهــا علــى الغصــون مــرة أمــالهــا
مثــل السمــاءِ بــالسنــاء والسنــا قــد طلعــت خــلالــهُ خــلالهــا
كــم حجــة أوردهــا قــاطعــة وحكمــة فــي كلمــات قــالهــا
خــذهــا إليــك سيــدي مقطــوعــة واجعــل رضــاك سيــدي إيصــالهــا

* * *

وقد ذكرنا هذه القصيدة تبركاً بالممدوح، وإظهاراً لفضل المادح؛ فإنها قصيدة ظريفة بليغة لطيفة، أخذت بلاغة من الشعر على أكمل منوال، وكادت تكون أرق من النسيم، وأشهى من الجريال.

ومن المعلوم أن من بقية آل السيد رجب الكبير (قدس سره!) آلَ النقيب الموجودين في البصرة الآن، ومنهم نقيبُها ورئيسُها وعينُ أشرافها السيدُ محمد سعيد أفندي ابنُ المرحوم السيد طالب الرفاعي، ولهُ بنو عم، وأولاد أعيان أمجاد، أمدهم الله بمدد أجدادهم الكرام، وجعلنا وإياهم تحت حماية الجد الأعظم عليهِ الصلاة والسلام.

ترجمة السيد أبي بكر الكبير الصيادي (رضي الله عنه!)

ومنهم ولي الله الشهير السيد الشيخ أبو بكر الكبير الصيادي، من بقية آل السيد شمس الدين محمد، بن السيد صدر الدين علي، بن السيد القطب الجواد السيد أحمد الصياد الكبير الرفاعي (رضي الله عنهُ!)؛ فإن جميع الإجازات الصيادية التي في النواحي الشامية والحلبية تتصل بهِ (قدس سره!)، ولهُ شهرة بالأحوال الصادقة، والكرامات الخارقة، وبعد وفاتهِ جلس على سجادتهِ ولده السيد الشيخ محمد خير الله الأول، واشتهر بالعنايات الخفية والجلية، والهمم العلية، الباطنية والظاهرية، ومن وقع

لهُ أنهُ اعتدى عليهِ شيخ المشايخ السعدية الموجود حينئذ، وكسر خاطره بِمَحْفِلٍ عظيم، وأقام عليهِ دعوى عند حاكم الوقت، فامتنع الحاكم بعد أن سمع الدعوى عن الحكم بذلك، وأمر أن ترفع لدى أهل الطريق خوفاً من سهام أهل التحقيق، فبرز شيخ السعدية وقال: أيها الوزير اسمع مني ما بهِ أشير، أريد أن أصنع بين يديك في رأس هذه القلعة عَلَمين، ونصيح عليهما نحن الإثنان، فالذي يأتيه عَلَمُهُ فهو صاحب الطريقة المتبعة، وخلافتهُ ثابتة، والذي يغلب يكون منفياً، وتأخذ إجازتهُ، فعرضوا القضية على الشيخ محمد خير الله، فسكت وقال: توكلت على الله. فاحضروا العَلَمين بين يدي الوزير، فقال الشيخ السعدي: هيا انده عليهِ يأتك. فقال الشيخ محمد خير الله: أنا لا أكون متقدِّماً على من هو بمقدار والدي، بل أكون ثانياً. فاستنجد الشيخ السعدي، وصاح بأعلى صوتهِ، أربعين صيحة على العَلَم فلم يأتِ إليهِ، بل يرون العلم وهو يتحرك، فلما استقر وفرغ من صيحاتهِ، تقدم الشيخ محمد خير الله المذكور، وقال بعد أن رمق بطرفهِ إلى السماء، وقد لبسهُ الحال: اللهمَّ إن جبرائيل قال لخليلك إبراهيم وهو في النار: ألك حاجة. فقال: أما إليك فلا، وأما إليه فحسبي من سؤالي علمه بحالي. فلم يلبثوا إلا والعَلَمان طارا إلى أن أتيا فوق رأسهِ، فضجت لذلك أهل البلدة، وقد كان شيخ المشايخ الرفاعية حينئذ الشيخ عبد الله محلول الزنار، فوقعت محبة حضرة الشيخ بقلبهِ، فأفرغ عليهِ في حال حياتهِ مشيخة المشايخ، وبقيت على ذريتهِ المباركة محفوظة إلى هذا الآن، ولما توفي (رحمهُ الله وقدس سره!) دفنوه عند أبيهِ بالمدفن المبارك، المعروف بمدفن الشيخ العرابي.

ثم تولى المشيخة والسجادة بعده ولده الأمجد، شيخنا السيد الشيخ محمد، وكان حضرة السيد محمد المذكور من أهل الأحوال، ومن خواص أهل الورع، وكان ديناً جداً، لا يحب العصاة، وكثيراً ما جرى لهُ براهين ظاهرات مع الجهلة، ويكون ذلك سبباً لتوبتهم، فمنها ما جرى لهُ

مع أحد الآخذين عليهِ الطريق، وهو شاب جاهل، فنهاه مراراً إلى أن كان أحد الأيام والشيخ رحمةُ الله جالساً في أحد قهوات قرلق، وإلى جانبهِ عمود من حجر يعجز عن تحريكهِ ثلاثون رجلاً، فإذا والمريد مقبل وهو سكران، فاحتدّ الشيخ من ذلك إذ سمع عندها أحد العلماء يتكلم بما لا يليق ويقول: انظروا ذلك السكران، فإنهُ من أهل الطريقة، وإن هذا شيء غير لائق. فانتهض بالشيخ الحال، وقد وصل المريد إلى مقابلتهِ، فصاح بهِ فوقف، فقال لهُ: يا فلان أما نصحتك عن شرب المسكرات؟ فقال: نعم. فقال: ما هذه الحالة التي أنت بها؟ فقال: يا سيدي لا تواخذني بما نسيت. فقال الشيخ: الذي ينسى حقهُ أن يبلى. ومال إلى العمود ورفعهُ في يده وأرماه بهِ، وعند رفعهِ لهُ فرّ المريد ليهرب، فلكمهُ الحائط، فوقع على وجههِ، وأتى العمود مصلباً فوقهُ من الحائط إلى الأرض، فمن خوفهِ انقطعت قوة أعصابهِ، وبقي كسيحاً، فأخذوه إلى داره، وبقي مدة على تلك الحالة، وأمهُ تتردد على حضرة الشيخ، وتسأله بجده أن يذهب إليه، وهو يقول لها: حتى يؤون الأوان ويتوب. ففي يوم أتت وقالت: إنهُ يقول قد تاب، والله خير الشاهدين. فذهب من حينهِ إليهِ، واستعاد التوبة منهُ، وكانت توبة نصوحة، فقال لهُ: قم بإذن الله. وأخذ بيده وأقامهُ فبرىء بإذن الله، وترامى على أقدامهِ، ولهُ مثل ذلك (قدس سره!) أمور كثيرة لا تنكر، ولما توفي (رحمهُ الله تعالى!) ضجت لموتهِ البلدة، وقد تركت جميع أسبابها، ودفنوه (رضي الله عنهُ!) عند أبيهِ وجده، بالمدفن المتقدم ذكره، ثم تولى المشيخة والسجادة ولده المرشد الكامل، والسيد الفاضل، العالم العامل، مَعْدِن الفضائل، السيد الشيخ محمد خير الله الثاني المشهور بالكرامات الظاهرات، والمتكلم بحقائق الأسرار، بأصرح الكلمات، وأصح العبارات، المتستر (قدس سره!) في حلة الزهد والإنْزِوَىٰ، والمتحلي بحلية الرشد والتقوى.

وكان (رحمهُ الله!) لا يكسر خاطر أحد، ولو أنهُ ذو دعوى، إلا إذا

كان منكراً فيريهُ برهاناً قوياً ويجلبهُ للطريقة باطناً وظاهراً، وهكذا يروى، ومما شاع وذاع وسمع من أكابر أهل الطريق، وخلاصة أهل التحقيق، ما جرى لهُ مع الشيخ السعدي الذي أتى من دمشق الشام، وكان ذلك الرجل من أكابر أهل زمانهِ مشهوراً بالمعرفة والكمال، ومظنة من أهل الاتصال، فَنَمَى ذكره في البلد وزاره الشيخ والولد، إلا حضرة شيخنا السيد محمد خير الله المذكور، فلما قرب وقت رحليهِ من البلد، سأل أحد التلامذة عن جناب الشيخ، وقال: عجباً إن سيدنا الشيخ الصيادي لم يزرنا ؟! لعلهُ تكبر علينا، فنحن أحق أن نزوره. ثم توجه مع جملة من تلامذتهِ حتى قرب من زاوية الشيخ فقال أحد مريديه: يا سيدي إن الشيخ في ذلك الحانوت، وهو يلعب في المنقلة. فتعجب من ذلك الشيخ السعدي، وأنكر حالهُ! فوصل إلى أن حاذاه فلم يلتفت إليهِ، ومضى عليهِ نصف ساعة، ولم يكلمهُ، فبادر الشيخ السعدي بالمكالمة لهُ وقال لهُ: يا سيدي أتيتك قاصداً لأني أخبرت أنك ذو معرفة، وقد اشتريت هذه المسبحة على أنها عظم ناقة، وبعض العالم يقولون: إنها ليست بناقة. فأخذها الشيخ من يده وقال: أظنك الشيخ السعدي الشامي ؟ فقال: نعم. فتأمل الشيخ بالمسبحة قليلاً وقبض عليها فنزل منها الحليب إلى أن ملأ أحد بيوت المنقلة، وأعطاه إياها وقال: أشهد أنها ناقة، وهذا حليبها. فقال الرجل الذي هو جالس يلعب مع الشيخ: أظن هذا الحليب لا يخلو من السر. ووضع فمهُ عليهِ وشربهُ، فلم يستقر في جوفهِ إلا وقد مزق ثيابه، وقام مجذوباً لوقتهِ، فوقع الشيخ السعدي على يديهِ وطلب منهُ المدد، فدعا لهُ وانصرف.

ولهُ مثل ذلك كثير يعجز قلم الحصر عدها، ولما توفي ـ رحمهُ الله تعالى! ـ وقفت جنازتهُ عند قبور جميع الأولياء، إشارة إلى الزيارة، ولحدوه لجانب والده، في مدفنهم المذكور سابقاً، وألبسوا الكسوة فوق قبره المبارك إلى ولده النجيب الشاب التائب الحبيب السيد الشيخ محمد، وإنهُ كان في وقتهِ وحياة والده سيد أهل عصره في الشجاعة، وكان بعد أن

جلس على السجادة أشد الناس انكساراً وخضوعاً، لبس ثوب الحياء فكسي خلعة العناية، وطوى نفسهُ بطي التواضع، فنشر لهُ علم الولاية، ومكث بعد والده على السجادة برهة يسيرة، وتوفي (رحمة الله عليه!) ودفن في مدفنهم المتقدم ذكره.

ثم تولى المشيخة والسجادة أخوه الأستاذ الكامل، والسيد الواصل، المشهور بالأخلاق الحميدة، والكرامات العديدة، مجدد بنيان الطريقة بسر إرشاده، ومشيد أركان الحقيقة باجتهاده، شيخنا الشيخ السيد الحاج علي، نفعني الله ببركاتهِ! وكان حضرة السيد علي ـ المشار إليهِ ـ صاحب قلب ولسان، وجاه وشأن، شهرتهُ في النواحي الحلبية كافية عن ذكر أحوالهِ، وسيرته في خدمة الطريقة الرفاعية بترك التصدير والتظاهر في جميع أفعالهِ، أقرّ لهُ بعلو الهمة الخواص ببلدتهِ والعوام، واتفق على أمر الاعتقاد بحضرتهِ رأي النصارى والإسلام، نشر مطوي أسرار المسالك الصيادية في كل نادي، وفتح باب الحضرة الأحمدية للصادي والغادي، اختصرنا عن ذكر بعض كراماتهِ لكثرتها، واقتصرنا عن كتابة أوصاف حضرته لشهرتها، توفي ـ قدس سره! ـ في هذه السنة المباركة، في آخر جُمَادى الأولى، وصار لموتهِ بحلب الشهباء يومٌ عظيمٌ، ووقع في كل قلب من قلوب أهلها حزن وكرب جسيم، ونطق لسان فؤاد الأسف: بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأرخه كثير من فضلاء الشعراء، وفصحاء الأذكياء، وقد كنت في وقت حلول هذه المصيبة بدار السعادة اسلامبول المحمية، صانها الله من كل عارض ونازل، وخطر وبلية! فلما ورد هذا الخبر أصبحت في بيت الكدر مسجوناً، وفي مراكز الحزن مرهوناً، وطرقني طارق الفراق بالكدر الوفي، ولكمني عارض البعد بالمرض الخفي، وقلت شعراً:

إذا ذكرت نفسي زماناً تصرمت ... ليـاليـه بـالشهبـا وشمـلاً تجمعـا
هتفت بهاتيك الصحاب كأنني ... وليـد تمنـى فـي العشيـة مـرضعـا

* * *

وحصرت فكري قاصداً أن أندرج بسلك مادحيهِ، وأن أؤرخه على قدر الحال، فمنعني الهم والحزن والغم، فطلبت من بعض الأحباب تأريخاً لحضرته الكريمة، فأجاب لطفاً قائلاً بلسان التأسف على فراق هذا السيد السند، والمرشد المُعْتَقَد، شعراً:

زرْ من بني الصياد خير ولي ... من آل أشرف مرسل ونبي
وأَرق دموعاً أو نجيعاً أو دماً ... أسفاً على ذاك الفتى العلوي
قد كان في الشهباء ركن حقيقة ... بطريقة الصياد والمكي
حجبتهُ أطباق الثرى عن أعين ... تبكيهُ من حزن بكل عشي
خلت الزوايا من خباياها وقد ... ملئت برزء فراق خير تقي
فسحائب الرضوان تسقي لحده ... في كل هطال وكل روي
ولدى زيارتنا لهُ أرّخ نرى ... نور الرفاعي من مقام علي

١٢٨٩

وكان دفنهُ (رحمهُ الله ونفعنا بهِ!) في زاويتهِ التي عمرها بمحلة بنقوسا، فهنيئاً لها ضمت جسماً حسيناً وأسداً هاشمياً، أحوالهُ بسلوك الفضل منظومة، وكراماته بين الخلق معلومة.

ثم تولى المشيخة والسجادة بعده ولده النجيب اللبيب الأديب السيد محمد خير الله، وأنا أسأل الله بحرمة أجداده العظام وآبائهِ الكرام، أن يفتح لهُ باب التوفيق والفتوح، إنهُ قدوس سبوح!.

ومنهم الشيخ الإمام العالم الفاضل الهُمَام، شيخ وقتهِ، وفريد عصره، شمس الدين، محمد بن عجلان، وهو أخو الشيخ صدر الدين الرفاعي، صاحب الكرامات الظاهرة، والمناقب الفاخرة، والمقام الشهير، بمصر القاهرة لأمهِ.

أخذ عن عمهِ شقيق والده العارف بالله والدال عليهِ، شيخ المشايخ

العارفين، ومربي المريدين، الشيخ صدر الدين أحمد بن محمد الرفاعي، وهو أخذ عن والده الشيخ تاج الدين محمد بن أحمد الرفاعي، وهو أخذ عن الشيخ نجم الدين أحمد بن علي الرفاعي، وهو أخذ عن الشيخ قطب الدين أبي الحسن علي بن عبد الرحيم الرفاعي، وهو أخذ عن الشيخ شمس الدين محمد المعروف بـ رُمَّانة القُبّان الرفاعي، وهو أخذ عن الشيخ محيي الدين إبراهيم بن علي الرفاعي، وهو أخذ عن الشيخ مهذب الدين الرفاعي، وهو أخذ عن الشيخ سيف الدين علي بن عثمان الرفاعي، وهو أخذ عن الشيخ الإمام العارف المحقق مربي المريدين، ومرشد السالكين، وقطب الواصلين، العلم المشهور، والبيت المعمور، سيدنا وأستاذنا السيد أحمد بن الرفاعي، صاحب هذه الطريقة الغراء، التي نحن سالكون عليها، (قدس الله سره!) العالي، ونور ضريحهُ المتلالي!.

وأما نسب الإمام الفاضل السيد الشريف أبي البشائر، محمد بن عجلان لأبيهِ، فهو الشريف محمد، بن الشريف عجلان، بن الشريف علي، بن الشريف محمد، بن الشريف جعفر، بن الشريف حسن السجاع، ابن الشريف العباس، بن الشريف حسن، بن الشريف العباس، بن الشريف حسن، بن الشريف حسين، أبي الجن، ابن الشريف علي، بن الشريف محمد، بن الشريف علي، بن الشريف إسماعيل الأعرج، ابن الإمام الجليل جعفر الصادق، بن الإمام الجليل محمد الباقر، بن الإمام الجليل علي زين العابدين، بن الإمام الجليل الشهيد سيدنا الحسين، بن سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنها!) بنت سيد الأولين والآخرين، محمد (ﷺ)، وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين.

وإن ذرية السيد محمد بن عجلان ـ المذكور ـ بدمشق الشام لم تزل تحوي الفضائل والمفاخر، ويتوارثون نقابة الأشراف بها كابراً بعد كابر، وهم أعيان تلك الجهة وقاداتها، نفعنا الله بأجدادهم الطاهرين، وأفاض علينا من بركاتهم أجمعين!.

ترجمة السيد حسين برهان الدين رضي الله عنه!

ومنهم إمام العارفين، وقدوة الواصلين، قائد ركب الصالحين الكرام، مولانا السيد حسين برهان الدين، بن السيد عبد العلام من آل خُزَام، (قدس سره!).

هاجر من العراق مع أخويهِ السيد علي والسيد محمد إلى البلاد الشامية، في مستهل شهر جُمادى الأولى، لاثني عشر يوم خلت منهُ، سنة أربعة عشر ومئة بعد الألف، فلما وصلوا في سيرهم إلى معرة النعمان، خرجوا قاصدين زيارة جدهم مولانا السيد أحمد الصياد ـ قدس سره العزيز! ـ، ففي طريقهم مروا بقبيلة بني خالد، وقد نصبوا خيامهم على حافتي الطريق، وكان إذ ذاك شأن القبيلة المذكورة في تلك الديار عالياً، وقوتهم وكثرتهم ووحدة كلمتهم معلومة، وكان شيخ القبيلة الخالدية إذ ذاك رجل من المشاهير يقال لهُ: مراد بن جابر الناصر.

ومن المعلوم أن القبيلة المذكورة ينتهي نسبهم إلى الصحابي الجليل، سيف الله خالد بن الوليد (رضي الله عنهُ!)، وكان لشيخ القبيلة مراد بن جابر ـ المتقدم ذكره ـ بنت مقعدة لم تقم منذ ثلاثة أعوام، فلما مر السيد حسين برهان الدين وإخوتهُ بالقبيلة المذكورة، حسن اعتقاد كُلٍّ من القبيلة بهم وأتوْا بهم إلى صيوان شيخ القبيلة، وذكروا لهُ أن يطلب من السيد حسين ـ المشار إليهِ ـ أن يمر بيده على بنتهِ المقعدة، لعل الله أن يشفيَها ببركة السيد حسين (قدس سره!)، فطلب شيخ القبيلة من السيد حسين ـ نفعنا الله بهِ ـ أن يمر بيده المباركة على البنت المذكورة وأن يدعو لها، فقال السيد حسين (قدس سره!): لا أفعل ذلك إلا إذا عقدت لي عليها. فولى شيخ القبيلة وجههُ مغضباً لمَّا سمع كلام السيد، فقال لهُ أكابر عشيرتهُ وأصحاب رأيه: لا تغضب، وافعل ما أمر بهِ السيد، فإن عافاها الله فقد

صاهرت سيداً ووليّاً ولك الشرف بذلك، وإن لم تشف فهي عندك ولا يأخذها أحد. فعقد لهُ عليها.

ودخل السيد حسين (قدس سره!) خدر الست، وأخذ بيدها في الحال، وقال لها: قومي بإذن الله يا أم العيال. فقامت بإذن الله صحيحة قوية، فعظم فرح القبيلة، وكبر شأن السيد حسين برهان الدين لديهم، فتزوج مخطوبتَهُ وأقام في القبيلة، فقال كل من أخويهِ: لا بد من أن تأذن لنا بالحج، ففعل وذهب السيد محمد وأخوه، فلما وصلا إلى الشام توفي السيد محمد بالشام، ودفن بالصالحية، وبنى بعض معتقديهِ عليهِ قبة هناك، ويعرف مزاره بالشيخ محمد البغدادي عند أهل الصالحية.

وأما السيد علي فإنهُ تزوج من آل السيد فاتك الحسني بنتاً يقال لها: درة بنت السيد سليم، بن السيد ناصر، بن السيد فاتك، بن السيد وديان، ابن السيد ناصر، بن السيد حسن، بن السيد فلاح، بن السيد حسن، بن السيد ناصر، بن السيد جميل، بن السيد بريد، بن السيد كميل، بن السيد قعود، بن السيد بريد، بن السيد سعيد، بن السيد مال، بن السيد فاضل، ابن السيد جميل، بن السيد إبراهيم، بن السيد علي، بن السيد إبراهيم، بن السيد منصور، بن السيد علي، بن السيد حسين، بن السيد فارس، بن السيد نجيب، بن السيد علي النعيمي، بن السيد جميل، بن السيد فلاح، ابن السيد محمد، بن السيد عبيد، بن السيد طعمة النعيمي، بن الحسن، ابن الركن، بن المشرف، بن بنانة، بن القمقمي، بن محمد، بن أحمد، ابن عبد الله، بن موسى الجون، بن عبد الله المحض، بن الإمام الحسن المثنى، بن الإمام الحسن السبط رضي الله عنهُ، بن سيدتنا فاطمة الزهراء، رضي الله عنها، بنت سيد المخلوقين، حبيب الرحمن، سيدنا محمد (ﷺ).

وأقام معهم في بادية دمشق بالقرب من قرية حران، وأعقب ذرية مباركة تفرقت في تلك الأطراف، وهم الآن يعرفون لدى أهل دمشق الشام ونواحيها بعشيرة الصياد، وقد أطبق القبائل وأهل تلك النواحي على

حرمتهم والاعتقاد بهم، ودفن جدهم السيد علي المشار إليهِ بالقرب من حران في ذيل تل هناك، وكذلك أولاده رضي الله عنهم.

وأما السيد حسين برهان الدين جد العائلة الخُزَامية، وعقد سلسلتهم الزكية، ولد في سنة ست وتسعين وألف، وتوفي سنة ست وأربعين ومئة وألف، ولهُ من العمر خمسون سنة، تلقى العلوم والفنون العالية عن جماعة، منهم عمهُ السيد حسين المبارك الربعي الجليل المحدث القدوة العلامة، والشيخ العلامة الفاضل حسين السويدي البغدادي، والشيخ عبد المنعم البغدادي، وبرع وتفنن، وألف كتباً كثيرة، منها تخريج أحاديث الإحياء، و«الإتقان في علم تجويد القرآن»، و«الصراط الأقوم في بيان قصة معراج النبي ﷺ»، ورسالة صغيرة في التصوف سماها «حالة أهل الحقيقة»، ولهُ شعر لطيف، ولسان عذب ظريف، ومن شعره:

تركتم جفوني ساهراتِ اللياليا ... ودمعي على خدي يحاكي اللياليا
والفتمُ بين السهاد وناظري ... وفرقتمُ ما بين عقلي وباليا
وعذبتمُ قلبي بآلام هجركم ... وصيرتمُ جسمي نحيلاً وباليا
أيا جيرة هزوا رماح قدودهم ... وسلوا ظبا ألحاظهم لقتاليا
خذوا عن غرامي وانقلوا عن صبابتي ... وبثوا اشتياقي واشرحوا ما جرى ليا
لئن كان قتلي في شريعة حبكم ... حلالاً فقد حللتموا ما حلاليا
تولعت في مبدا غرامي فعندما ... تمكن من قلبي الهوى حال حاليا

* * *

ومن شعره (قدس سره!) أيضاً:

أشكو شكاية عاشق هَجَرَ الورى ... ونفى الكرى وحبيبه متباعد
يرجو من الأيام قُرب حبيبه ... والدهر إن شاء القضاء يُساعد

* * *

ومن شعره (قدس الله روحه!):

لم يترك البينُ لي صبراً ولا رمقاً يوم الرحيل فليت البين لا خلقا!
لئن تخلف قلبي عن ركائبهم من النحول فدمعي صار منطلقا
أستودع الله من سارت رواحلُهم وأودعوا مقلتيَّ الدمع والأرقا
إذا شكوت إليهم ما أكابده من الصبابة قالت أدمعي: صدقا!

* * *

ومن شعره في المناجات:

يا من تلوذ ببابهِ الألباب أبداً وتطلب قربَهُ الأحباب
وتهيم أسرار الورى بجمالهِ ولعزه تتواضع الأرباب
أُجبر كسيراً مذنباً هجر السوى ما أن لهُ إلا إليك مناب
قد أقعدتهُ ذنوبهُ ورمى بهِ دهرٌ وما أَرْخَتْ لديهِ عياب
لا يجتدي من غير فضلك مطمعاً إذ ليس فيهِ غير بابك باب
كن لي كما قد كنت لي يا سيدي في حضرة أسمائها الحجاب
فوسيلتي لك مصطفاك المجتبى سر الوجود الخاشع الأواب
صلى عليهِ مُسَلِّماً أبد المدى رَبُّ الأنام المنعمُ الوهاب

* * *

وبالجملة فقد كان السيد حسين ـ المشار إليهِ ـ نادرة زمانهِ، عِلماً، وعملاً، وكان على قدم عظيم من الأدب وحسن الأخلاق، وأجرى الله على يديهِ أمر الإرشاد في هذه الطريقة العلية، ولهُ فيها ما يزيد عن مئة خليفة، منهم الشيخ الفاضل والعالم العامل، أبو البركات محمد بن حسين السويدي البغدادي، والشيخ عبد الرحمن بن فرج المَوْصِلِي، والشيخ عبد الله بن إسماعيل النُّعَيْمِي، والشيخ علي الطفيح الرهاوي، والشيخ أبو محمد عردوك الخابوري، والشيخ الكبير طعمة الرفاعي البيتماني،

والشيخ محمود كبير الكف الجسري، والشيخ الولي الصالح المعروف بالدرويش محمد البسامي، والشيخ العالم الشريف العارف بالله الشيخ محمد العاري الأريحاوي، ابن السيد أحمد، بن السيد محمد، بن السيد إبراهيم، بن السيد إسماعيل، بن السيد الشرفي يحيى، بن السيد علي، بن السيد موسى، بن السيد أحمد تاج الدين، بن السيد محمد، بن السيد جلال أحمد، بن السيد علي، بن السيد قاضي جلال محمد، بن السيد أحمد، بن السيد محمد، بن السيد أبي السنا محمود، بن السيد إبراهيم، بن السيد أحمد، بن السيد محمد، بن السيد أمين يوسف، بن السيد الشرفي علي، بن السيد إسحاق، بن السيد محمد، بن السيد عبد الله، بن السيد جعفر، بن السيد موسى، بن السيد محمد، بن السيد يحيى، بن السيد إسحاق المؤتمن، بن السيد محمد التقي، بن السيد علي الرضا، بن سيدنا الإمام موسى الكاظم، بن سيدنا الإمام جعفر الصادق، بن سيدنا الإمام محمد البَاقِر، بن سيدنا الإمام علي الزاهر، زين العابدين، بن سيدنا وولي نعمتنا سيدنا الإمام الحسين، بن سيدنا وولي نعمتنا الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين!). اهـ.

ومن خلفائهِ ـ أيضاً ـ الشيخ أحمد الصيادي الملسي، وغيرهم ممن علت شهرتهم ونفذت كلمتهم.

وقد أقام (رضي الله عنهُ!) في الديار الحموية منزوياً في قبيلة بني خالد، معرضاً عن الخلق، وأعقب من زوجتهِ زيانة الخالدية مولانا السيد الكبير الشيخ علي الخُزَام، وسنذكر إن شاء الله ترجمتهُ، وأعقب منها ـ أيضاً ـ السيدة فاطمة، التي تزوج بها ابن عمهِ الشيخ أبو بكر الملكي الصيادي المندلاوي الكبير، نزيل قرية «كفر زيتا»، من أعمال حماة، ودفين جبل بيروت من أعمال الشام، وصاحب القبة والمزار المعروف هناك، والمقصود من الناس للتبرك والتوسل، فأعقبت السيدة فاطمة ـ نفعنا الله بها ـ من ابن عمها السيد أبي بكر ـ المشار إليهِ ـ الشيخ الجليل

المشهور، صاحب الكرامات المأثورة، والمناقب المشهورة المعروفة، السيد خير الله الكبير نزيل حلب، وشيخ مشايخها، صاحب العلم أبا محمد، الذي شهرتهُ في النواحي الحلبية غنية عن البسط والتعريف، دفين المقبرة الغُرابية بحلب.

وقد تزوج مولانا السيد حسين برهان الدين صاحب الترجمة ـ أيضاً ـ بالسيدة صالحة، بنت السيد يّس البَاني، فأعقب منها السيد يونس فأعقب السيد يونس، الشيخ الكبير صاحب الكرامات السيد عرفات، وذريته في قرية «كفر زيتا» موجودة، وشهرتهم بآل عرفات معلومة، وتزوج السيد حسين برهان الدين ـ المشار إليهِ أيضاً ـ بالشيخة الصالحة فاطمة، بنت الشيخ محمود الغابي الجنيدي، فأعقب منها السيد طالباً، والشيخ محمداً العجاج، نزيل «كفر سجنه»، وإليهِ ينسب آل الشيخ عثمان الذين منهم الشيخ الولي البركة المُعْتَقَد السيد رجب، صاحب الزاوية والشهرة بقرية «كفر سجنه» من أعمال معرة النعمان، وذريته فيها مشهورة، بارك الله بهم، وسَلَّكَهُمْ بفضلهِ أقوم الطريق، إنهُ ولي التوفيق.

ثم إن السيد محمداً العجاج نزيل «كفر سجنه» هاجر بنفسهِ في آخر عمره إلى قرية الزراعة من أعمال حمص، وبنى فيها زاوية، وتزوج بها، وأعقب ذرية مباركة، ومات بها (قدس سره!)، ودفن بزاويتهِ في الزراعة، وسكن أولاده بعده طرابلس الشام، وذريتهُ فيها معروفة للآن.

ترجمة السيد طالب أبي بكر بن السيد حسين رضي الله عنهما!

وأما السيد طالب أبو بكر ابن السيد حسين، فسكن حلب، وأقام بها في زاويتهِ بمحلة الأكراد بحلب، ونشر الطريقة الرفاعية بها، واشتهرت ولايتهُ لدى الخاص والعام، ومدحهُ أعيان الوقت، وفيهِ يقول المولى الولي الفاضل أحمد الشاكر أبو الصفا الدمشقي، نزيل حلب، ذاكراً

مزاياه، ومنها عما خصهُ بهِ الله:

أبانت لطرفي جلسة المتراقب … من الطيف ندباً لورعت حكم واجب
وليس عليها من وجوب وإنما … يصح مع البرهان حق السوالب
ليهنى لها قلبي مقاماً وأضلعي … ضراماً ودمعي مورداً للركائب
لئن سرها إن مت فيها صبابة … فيا حبذا فيها حصول مطالبي!
وآلت غداة البين إنك هالك … وما بينها إلاّ وصال الأجانب
قفا عند بان الجزع وَقْفة سائل … معالمهُ عن غيده والربارب
ولا تحبسا فيهِ قلوصكما فما … بهِ غير إرهاف القنا والقواضب
أضاءَ لنا حيث الإضا ومض بارق … يشير بكف البشر فوق المضارب
فما خال صحبي من سناه أخاله … لَمْعَتُها من ثغرها المتراطب
وأيقظهم من بانة الأيك صادح … يُرَجِّع في تغريده صوت نادب
ولم يشجهم ما قد شجاني صبابة … ولا فهموا من شجوه والرغائب
وليلة قرب نِلت فرصة أُنسها … ببدر تمام بات فيها مصاحبي
بحيث يدير الراح بدر كأنما … تجلت لنا شمس الضحى بالكواعب
سُلافةُ سرٍّ صانها الدهر أن ترى … بحجب خفاها عن كثافة شارب
فلو ظهرت للعين ما كان غيرها … ولكن تبدت خلف ستر العجائب
ولا غيرها في كل حال وإنما … تصاوير أوهام رعت للكواذب
تجلى سناها للكليم على طوى … فجاءَ كلام الحق من كل جانب
وعيسى بها أحيا وأبرأ أكمهاً … وأنشأ بالإيجاد طير الغياهب
وناولها جبريل بالقدح الهني … لمن نال بالمعراج أسنى المراتب
وفي ليلة الإسرى حديث قديمها … لهُ الرفع إسناداً بصدق المناقب
فوافى بها من قاب قوسين حضرة … بحيث شهود العين من غير حاجب
هي السر سرّ الغيب من سر أحمد الـ … ـرسول إلى تلك القلوب الرواتب
بها هام معروف الكمال مع السَّري … وللشبل منها صافيات المشارب

ومنهـا حبيـب والجُنَيْـد لبـازهـم … أدارا سُـلافـاً راحهـا بـالتجـاذب
ومذ عربد الحلاج فيها فجاد بالـ … ـحياة لهـا والأمـر ضـربـة لازب
وللقوم فيها فيض علم يَدِق عن … مـدارك أفهـام العقـول النـواضـب
تـرفـع عـزاً قـدرهـا وتميـزت … على خفض هاتيك الحروف النواصب
أقاموا عليها طلسم الكتم غَيْرة … وقد سلكوا فيها بأقوى المذاهب
وصانوا حماها عن نفوس ذميمة … فدست بتلبيس العمى والمعائب
ولما اجتلاها ابنُ الرفاعيِّ أحمدُ … فنال ارتفاعاً عندها غير شاحب
ومدت يد المختار وهي إشارة … لعهـد خفـي سـره غيـر غـائـب
فـلا زال منهُ السر سـار بنوره … لســر بنيـهِ طيبـاً لأطــائــب
إلى أن تلالا برق ذلك مشرقاً … على نجلهِ بدر الفضائل طالب
فتى سعدت فيهِ الليالي وأشرقت … بأنواره الأقطار بيض الجوانب
همام رقا بالمكرمات إلى العُلا … وساد بأصلِ طيبِ الغَرْسِ ناجب
وشهم يروع الليث لحظاً كأنما … أشار بسهم حالة الرأي صائب
فسل صافنات الأعوجية عنهُ إن … جهلت عُلاه أو صِفاح القواضب
وسل كل قوداءِ التليلِ إذا سعت … رحيبـة مـد البـاع بيـن السبـاسـب
إذا ما شجاها باسمْهِ صوت سابق … تحـن كمشتـاق لـذكـر الحبـائـب
وأرعن يحموم إذا الريح طالبت … لهُ عقباً أبقى لها في العواقب
أقـب بـروق البـرق صقـل أديمـه … لَهُ أبداً في السبق أخذ المقانب
إذا مـا سـرى بـالقـافليـن كـأنمـا … يسيرون في ظل من الأمن هائب
بكـلِ ببـابِ آلَ بـالآلِ رمضهـا … وقفر بعيد الأنس وحش الهواضب
فغير زئير الأسد لم يصغ سامع … لديها وتهدار القروم السلاهب
بـواد تُبيـد البـاسـل البـأس رهبـة … ولو كان عمرواً أو عياض بن ناشب
ولـو أن جيشـاً أم ذلـك دونـهُ … لأصبح نهبـاً لـلأسـود الكـوالـب
ويسري بهم سير الهلال كأنهم … بنو هاشم من تحت راية غالب

ألاَ إن تاج المجد نسج ابن هاشم وطالبةٌ من طالب غير خائب
بني هاشم لا فخر بعد فخاركم ولا نسب من بعدكم لمناسب
نجاركم من جوهر الفضل خالص بسيط عَلى أعراضكم بالمراتب
لكم كوثر في الجود جارٍ على الورى وَفـاهٍ وثـانٍ فيـهِ حتـف المحـارب
لكم دولة المجد الذي لم يقم بها سواكم لدى أعجامها والأعارب
عليـة مجـد لا ينـال سنـامهـا فتىً غيركم في جمعها والكتائب
بنـي بضعـة المختـار أي تنـافس لغيركم إن قام سوق التناسب ؟
فحبكـم فـرض علـى كـل مسلـم ومـدحكـم مفتـاح كنـز المـآرب
فإنَّ العَلي صلى عليكم برحمة وبارك رضواناً لرغم المغاضب
وفي قول: لا أسئلكمُ الحقُ ظاهرٌ وصيـة حـق فـي وداد الأقـارب
فيا أيها المولى الذي قد تنزهت خـلائقـهُ عـن عتب كـل معـاتـب
ومن قد بدا في وجههِ نور جده دليـلاً علـى أفضـالـهِ والتقـارب
سقى الله بالإحسان مربع بصرة وجاد حماها من ملث السحائب
وغُرتك الشهباء مذ لاح نورها على حلب الشهباء أهدت لراغب
إليـك بـأبكـار المعـانـي بضـائعـاً تجار الأماني بادرت بالمطالب
قلائد حمد في جيود الزمان لا تزال تبث الطيب بين الأطايب
ومدحيَ من أفضالكم فيض همة وإن يدعي فهمي لهُ في الرواغب
سـريـرة حِـب قـابلتهـا قلـوبنـا من الغيب صفواً قبل كون القوالب
ففضلكـم نـار الكليـم وغيـركـم إذا ما ادَّعى فضلاً كنار الحُباحب
وليس طريق الشعر لي مذهباً وقد عفى أفقه من نوء تلك الكواكب
إذا وفد الراجي بهِ يلق أوجهاً توارث من الشح الزري بعصائب
وإنك ممن يعرف الفضل حيث ما بدا ويفيد القصد حسن المكاسب
وحسبي بها حسن القَبُول وما الدُّنَا بـأمـر كبيـر أرتجيـهِ ولا أبـي
ومـا القصـد إلا منكـم بعـض نظـرة تكون حمىً لي من صروف النوائب

ودم راقياً في ذِرْوَةِ العزِّ سالماً   إلى كل عيد من خطوب العواقب
فإن وَصَلَتْ نعماكُمُ حَبْلَ شاكر   فقد عاد من أمناحكم غيرَ خائب

* * *

توفي السيد طالب أبو بكر الرفاعي الصيادي ـ المشار إليه ـ بحلب، سنة سبعة وسبعين ومئة وألف، ودفن في مقابر الصالحين بالجهة القِبْلية من حلب، بالقرب من الشيخ أبي الحسين النُّوري (رضي الله عنهُ!)، وأعقب لهُ بنتاً، اسمها مريم الزكية، ولم يعقب غيرها رحمةُ الله ونفعنا بهِ.

وقد أعقب السيد حسين برهان الدين ـ صاحب الترجمة ـ السيد سعد الدين أيضاً، فمات عقيماً، وأعقب إليهِ عبد الله، وهو الذي أبقاه بعده في العراق قبل هجرته، فأعقب السيدُ عبدُ الله ـ المشار إليهِ ـ السيدَ محمداً، فأعقب السيدَ عبدَ الله السيدَ كاظماً الفاضلَ المشهورَ، فأعقب السيد محمدَ خميس، فأعقب السيد محمدَ طاهر، والسيد كاظماً، بارك الله بهم وبأعقابهم أجمعين آمين.

وإن للسيد كاظم المشهور (رحمةُ الله!) من الشعر البليغ النفيس ما يزري بأجنحة الطواويس، منها هذه الرباعية الفريدة، في الحضرة الرفاعية الحميدة:

يا بن الرفاعي تدارك   لمن أتى واستجارك
شيخ العريجا أغثني   أصبحت في الحي جارك
يا بغية المتمني   أخذت قلبي مني
لا تلو طرفك عني   إني أروم انتصارك
يا أحمد الأصفياء   يا وارث الأنبياء
سلطنت في الأولياء   وما لمست عذارك
يا شيخ كل الوجود   يا بحر فضل وجود
كم للعدو الحقود   أوقدت للبطش نارك
سبقت أهل الكمال   وسدتهم بالمعالي

بكــل علــم وحــال أضحـى الكبـار صغـارك
كـم قـائـل بـالتسـاوي لجهـل خـافـي المطـاوي
وعنـد رفـض الـدعـاوي لـم يـدن قطـب غبـارك
وطــأت بــالإنكســار هــام مقــام الفخــار
والله فــي كــل دار أعـلا علـى النـاس دارك
قطعــت حــد التنـاهـي بعــزم ســر إلهــي
وكــان تــرك التبـاهــي والإفتقــار شعــارك
قبّلْــتَ كــف الــرسـول مــا بيــن كــل القفــول
بــذاك يــا بــن البتــول أعــلا أبــوك جــدارك
للعــارفيــن طــريــق للــوصــول أنــت حقيــق
بحــر ولكــن عميــق مــا جــاز شيــخ قــرارك
مَــدَدْتَ عصبــةَ أهلــك والــلائــذيــن بحبلــك
وفــي بنيــك لأجلــك تبــارك الله بــارك
أقطــاب كــل زمــان بنــوك حــزب الأمــان
وأنـــت لله بـــانـــي علــى الخشــوع أفتقــارك
طـاولـت حـزب الأعـالـي بكــل حــال وقــال
طــويــت دون الــرجــال فــوق الخضــوع إزارك
هــذا يــواليــه شطــح يغيــب فيــهِ ويَضــحُ
وأنــت لا زلــت تمــح بــالإنسكــار فخــارك
يــا بــن الــرســول أغثنــي فقــد تعــاظــم حــزنــي
فــإن تغــاضيــت عنــي يصيــر عــاريَ عــارك
صلــى الإلــه وسلــم علــى النبــي المعظــم
والآلِ مــا قــال مُغْــرمْ: يــا بــن الــرفــاعــي تــدارك

* * *

وله أيضاً على لسان الحال:

عج بها ليلاً إلى أرض البطاح   وأطعمنها عشب هاتيك النواح
وأنخها بين نمام وشيخ   وخُزَام وانشقا عرف الأقاح
وانهزنها لفيافي واسط   نهزة الفجر على قرب الصباح
وإذا ما نشطت فانشط بها   وأسمعنها صوت حي على الفلاح
وإذا ما أخذت من جانب الـ   ـماءِ ضحضاحاً وحنت للمراح
فانزلن عنها بوادٍ طالما   عفرت وجهاً بهِ شوس الرجاح
مدفن الغوث الرفاعي الذي   كرع الخمرة فرداً وهو صاحي
أحمد القطب الذي من بابهِ   انتشرت للقوم أعلام النجاح
شمسهم في كل عصر شيخهم   وفتاهم إن يقم سوق الصلاح
واحد الأفراد علماً وتقا   رأسهم حال اختتام وافتتاح
أسد الأقطاب جحجاحهم   إن علا في محنة غوش الصياح
كم لهُ من خارقات ما انقضت   أثبتت تصريفه رغماً للاحي
تخمد النار لعليا إسمهِ   وتراه مثلما حد السلاح
وانقلاب السم ماء شاهد   لعلاه بالبراهين الصحاح
واليد البيضا التي أحرزها   جاز فيها الحد من غير جناح
اقصرت باع فحول الأوليا   حين طالت لحمىً غير مباح
هكذا الهمة إن ما ذكرت   تغرق العمر بعزٍّ وانشراح
رضي الله تعالى عنهُ ما   عطرت ذكراه أردان الرياح!

* * *

ولهُ غير ذلك من القصائد النبوية، والمدائح التصوفية، ما لا يسعهُ هذا المقام رحمهُ الله آمين.

قلت: وإن لسيدنا الشيخ حسين برهان الدين من الدعوات المستجابة، والأحزاب المستطابة، ما يُمْدح شأنُها، ويلمع برهانها، منها هذا الحزب المبارك وهو:

حزب السيد حسين برهان الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من تحل بهِ عقدة المكاره، ويا من يفتأ بهِ حد الشدائد، ويا من يلتمس منهُ المخرج إلى روح الفرج، ذلت لقدرتك الصعاب، وتسببت بلطفك الأسباب، وجرى بقدرتك الفضاء، ومضت على إرادتك الأشياء، فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة، وبإرادتك دون نهيك منزجرة، أنت المدعو للمهمات، وأنت المَفْزَعُ في الملمات، لا يندفع منها إلا ما دفعت، ولا ينكشف منها إلا ما كشفت، وقد نزل بي يا رب ما قد تكابدني ثقلهُ، وألمَّ بي ما قد بهضني حملهُ، وبقدرتك أوردتهُ عليَّ، وبسلطانك وجهتهُ إليَّ، فلا مصدر لما أوردت، ولا صارف لما وجهت، ولا فاتح لما أغلقت، ولا مغلق لما فتحت، ولا ميسر لما عسرت، ولا معسر لما يسرت، ولا ناصر لمن خذلت، ولا خاذل لمن نصرت، فصلِّ على محمد، وعلى آل محمد، وافتح لي يا رب باب الفرج بِطَوْلك، واكسر عني سلطان الهم بحولك، وأنلني حسن النصر فيما شَكوت، وأذقني حلاوة الصنع فيما سألت، وهب لي من لدنك فرجاً قريباً، واجعل لي من عندك مخرجاً وحباً، ولا تشغلني بالاهتمام عن تعاهد فروضك واستعمال سننك، فقد ضقت مما نزل بي يا رَبِّ ذرعاً، وامتلأت بحمل ما حدث عليَّ هماً، وأنت القادر على كشف ما ابتليت بهِ، ودفع ما وقعت فيهِ، فافعل لي ذلك وإن لم أستوجبه منك يا ذا العرش العظيم.

* * *

ترجمة السيد علي الخُزَام

وقد كان أعظم أولاد السيد حسين برهان الدين قدراً وأشهرهم اسماً وذكراً، مولانا السيد علي الخُزَام، دفين قرية «حيش» من أعمال معرة النعمان، وصاحب المرقد والقبة المنورة بها، وسنذكر حالهُ تفصيلاً.

وأما السيد حسين فإنهُ اشتاق في نهاية أمره إلى زيارة أخيهِ السيد علي، المقيم بحران، ببادية دمشق، فذهب لزيارتهِ، فقبل وصولهِ توفي السيد علي (قدس سره!)، ثم بعد أن وصل السيد حسين إلى بيت أخيهِ أصابهُ مرض البطن، فتوفي بعد أخيهِ بأيام قلائل مبطوناً شهيداً، ودفن بجانب أخيهِ، ولهُ قبة هناكَ معروفة تزار، نفعنا الله بهِ وبأسلافهِ الطاهرين.

فلما جاء خبر موته (قدس سره!) انتصب بعده في القبيلة والناحية ولده الشيخ علي الخُزَام، فعلا قدره، وعظم أمره، واعتقده الناس، وأظهره الله بعنايتهِ، وأكرمهُ بولايتهِ، ورزقهُ الكشف والتمكين، والقوة واليقين، والتصرف الخارق، والسر البارق.

ولد (قدس سره!) كما ذكر الشيخ محمد الوفائي بمجموعة لهُ في سنة عشرين ومئة وألف، وتوفي سنة سبع وسبعين ومئة وألف، ولهُ من العمر سبعة وخمسون سنة.

قال الشيخ محمد الوفائي: كان الشيخ علي الخُزَام الصيادي الخالدي صاحب عزم وتصريف، وحال مكين، وبطش متين، ولهُ أحوال عجيبة، ومناقب غريبة، منها: أنهُ زار أختهُ والدة السيد خير الله الكبير بحلب، فمر يمشي في أحد شوارع حلب، وكان في الشارع جماعة فيهم بعض الحسدة للشيخ، ومنهم من لا يعرف الشيخ، فسأل عنهُ فقال رجل مصارع يكره الشيخ: أنا أعرفهُ. ووقع بعرض الشيخ، وذكره بالسوء، وولى وجههُ عن الطريق الذي مر بهِ الشيخ، وقال: ليتهُ يأت إليَّ في محل الصراع حتى

أصارعه وأكسر رجليهِ. فسكت الجماعة، وقام كلٌّ إلى بيتهِ، وذهب القائل إلى محل مكثه، فلما جاء الليل نام فرأى أنهُ تجرد للمصارعة، ودخل عليهِ الشيخ علي الخُزَام، فقال: تعال نتصارع. فقبض كلٌّ منهما على الآخر، فرفعهُ الشيخ بيده وضرب بهِ الأرض فانكسرت رجلتاه، فاستيقظ مكسور الرجلين بفراشهِ، فصاح على مضيفهِ وذكر لهُ القصة، وطلب منهُ أن يحمله إلى الشيخ، فحملوه على أعناق الرجال إلى الشيخ، فلما رآه قال ـ قدس سره! ـ مرتجلاً مواليّاً:

أمر تغضى وتحرف وجهك العباس   لأنك حسَيني ولأنك من بني العباس
إن كان قصدك تلاعبني فالعب باس   فكم ملاعب لرجلي حين ألعب باس

فبكى أمام الشيخ وتاب، وقَبّلَ رِجْلَهُ، فقال لهُ: قم بإذن الله. فقام الكسير المذكور صحيحاً، والحاصل كراماتهُ كثيرة، ومناقبه شهيرة، وزيارة قبره بركة، ولهُ على العائلة الخُزَامية الفضل واليد البيضاء؛ بلَّ الله ثراه، ورفع قدره وأعلاه، آمين.

وما أحسن ما قالهُ فيهِ المرحوم السيد كاظم الخُزَامي الصيادي طيب الله مرقده:

من عراق حوّل الركب لشام   وتذكر أهل هاتيك الخيام
واضرب الأينق ضرباً هيناً   فهي لا تحتاج ضرباً للشآم
واذكر الشيخ لها من بيدها   ومن الدراج مسكي الخُزَام
وأعنها بحويد شيق   يذكر الشيخ علي بن خُزَام
لترى إخفاقها تفري الفلا   وبهذا ما عليها من ملام
ذاك قطب الغرب مصباح الهدى   شبل شمس الشرق أستاذ الأنام
فلك دار بهِ دور العلا   فعلا حتى سما أعلا مقام
وإمام جُمِعَ المجدُ بهِ   من ذوي خال وأعمام كرام

وإلــى آبــائــهِ فــي مشـرق الـ أرض شأن ذاع في البيت الحرام
نســب طــاب وأصــل كلمــا لاح غاب الفجر في ذيل الظلام
وإذا رام محــب مــدحــه أخـذ القـرآن فـي سلـك النظـام
مـدحــةُ الله تعــالــى لهـمُ أقصرت عن شأوها باع الكلام
بــرســول الله منهــم حسـب جـاء يـروي مـن إمـام عـن إمـام
لـلإمـام ابـن الـرفـاعـيِّ الـذي قـد سـرت أسـراره حتـى القيـام
كــل يــوم منــهُ شــأن ولــهُ دولـة بيـن المـلا فـي كـل عـام
ولــهُ مــن آلــهِ جـرثـومـة هم أسود الغاب في يوم الصدام
كعلــيٍّ شيخنــا بحــر التقــى علـم المجـد ومـرفـوع العـلام
شـرفـت فيـهِ بنـو خـالـد والـ ـعصبـة الغـراء مـن آل خُـزَام
سيـد أوصـافـه مـن بعضهـا أنــهُ للملتجــي أعظـم حـام
وولــي كلمــا نــاديتــهُ وأبيــهِ قــام معنــا بــالمـرام
وإذا استعطفتـــهُ جـــاد وإن قلت: أدرك! جاء مسلول الحسام
وعلــى الأعــداء إن حــولتــهُ أحـرقتهـم منـهُ نـار الاصطـلام
علــوي أحمــدي عــارف بحر فضل بصنوف الخير طام
أنـا لا أخشـى مـن الـدنيـا ولـي منهُ عَيْنٌ دائماً تـرعـى مقـامـي
يـا ولـي الله يـا بـن السيـد الـ ـسنـد الصيـاد يـا شبـل الإمـام
أنـا ذاك المـرتجـي خـذ بيـدي عـلّ بيـن القـوم أحظـى بـانتظـام
وعســى أدخــلُ فــي مــوكبكـم بجـوار المصطفـى يـوم الـزحـام
وأرانـي بـالمعـالـي فـي الـدُّنـا ولدى الموت أرى حسن الختام
وعليكـــم آل طـــه أبـــداً صلـوات الله مـع أزكـى السـلام!

* * *

وقد تزوج السيد علي الخُزَام من قبيلة بني خالد، وأعقب السيد خُزَاماً، وُلِدَ على ما فهم من حساب تاريخ والده في سنة خمسة وستين

ومئة وألف، وتوفي على ما علم سنة تسع ومئتين وألف، ولهُ من العمر أربعة وأربعون سنة، وكان كريم الطبع، رحب الصدر.

أعقب السيد علي ولداً على ما علموه سنة ست وثمانين ومئة وألف، ونشأ على أحسن حال من التقوى والسخاء والكمال، وبقي على قدم استقامتهِ إلى أن توفي (رحمهُ الله!) في سنة سبع وأربعين ومئتين وألف، ولهُ من العمر إحدى وستون سنة، ودفن بمقبرة خان شيخون، أعقب السيد حسناً، فأعقب السيد خلفاً، والسيد سليمان، ولكل منهما ذرية مباركة.

وأعقب السيد خزام ـ أيضاً ـ السيد علياً، فأعقب السيد حسن وادي، والسيد حسيناً، والسيد موسى، فالسيد موسى مات عقيماً، والسيد حسين أعقب السيد علياً الخزام، والسيد محمداً، والسيد سليمان، فالسيد سليمان مات عقيماً، ولكل من السيد علي والسيد محمد ذرية، وهم في قرية الشعته من أعمال حماة الشام، مع قبيلة بني خالد.

ترجمة السيد حسن وادي الصيادي
رحمة الله عليه!

وأما السيد الجليل، والشيخ الفاضل الأصيل، شيخ العائلة الصيادية، وصاحب السجادة الرفاعية، مولانا الوالد، السيد الشيخ حسن وادي أفندي، (حفظهُ الله وأبقاه، وحرسهُ بعين الكرامة والعناية وحماه، آمين)، ولد طوّل الله عمره في سنة خمس وأربعين ومئتين وألف، قبل وفاة والده رحمهُ الله بسنتين، ونشأ بين أهله وأقاربه إلى أن بلغ عمره الثمانية عشر، فجذبتهُ يد العناية بنفحة من نفحات الرحمن، فدلتهُ إلى جناب شيخهِ الولي البركة الشيخ رجب الصيادي دفين «كفر سجنا» المتقدم ذكره، فالتفت بكليتهِ إليهِ، وأقبل بقلبه عليهِ، فأقامهُ خليفة عنهُ، فجلس على السجادة الرفاعية بزاويتهِ المعمورة بتقوى الله، المشهورة في قصبة خان شيخون،

الملحقة الآن بمعرّة النعمان، من أعمال حلب، واشتهر أمره، وسار في البلاد ذكره، وانتسب لهُ خلق كثير من القبائل والقرى والمدن، وانتفع بهِ جماعة كثيرة من الموحدين، ولهُ مناقب مأثورة، وعنايات مشهورة.

ومما منَّ الله بهِ عليهِ: أن يقرأ على قطعة من السكر، وإن لم يوجد فعلى أي شيء كانَ مما يصلح أكلهُ، ويطعمهُ للناس، فمن أكله لا يضره سم الحيات، وغيرها من المسمات، ولا يؤثر فيهِ ضرر الكلب العقور وغيره من الحيوانات المضرة بإذن الله، وإذا قرأ على السكر أو غيره باسم رجل وحفظ السكر من أن يلمس بيد أحد في صرة، وكان الرجل المقروء باسمهِ في بغداد والسكر في الشام، ولدغت الحية أو غيرها من المسمات، أو عض الكلب، إلا كلب ذلك الرجل، وهو في بغداد لا يضره أمرهم بإذن الله تعالى، وببركة الحضرة الرفاعية، وإذا سم رجل في بلدة، وكان الشيخ صاحب الترجمة في بلدة أخرى، وتعذر حمل المسموم إليهِ، وجاء رسول المسموم، وسمى نفسهُ باسم المسموم، فإن الشيخ ـ المشار إليه ـ يقرأ على قطعة من السكر أو غيرها من المأكولات كما تقدم، ويطعمها لرسول المسموم الذي سمى نفسهُ باسمهِ، ويضربهُ بيده ضربة خفيفة، فإن المسموم ـ بإذن الله ـ يبرأ من البلدة الأخرى كما هو مشهور في البلاد الحلبية وغيرها عنهُ.

ومن مناقبهِ الشريفة ـ أيضاً ـ أنَّ الله تعالى قد منّ عليهِ ببركة اليد الكريمة، فإذا وضع يده على عليل، أو من بهِ وجع، يشفيهِ الله على الغالب.

وأما سخاؤه وكرم طبعهِ ففي نواحيهم أشهر من أن يذكر، وأما علو مظهره ومعونة الله لهُ في أموره وتأييد ظهوره، فهي أشهر من نار [على] علم، وما عانده في أمرِهِ بقصدِ خفضِ شأنهِ أحدٌ، ولا تعدى عليهِ وعلى أهلهِ ومتبعيهِ المخلصين متعدٍّ إلا وأخذ بإذن الله، أو ذل وقهر، وكل ذلك معروف مشهور.

وكل ما حصل لهُ من الفتوح والبركة سببهُ الأجل كثرةُ الصلاة على النبي (ﷺ)؛ فإنهُ كثير الصلوات على سيد السادات، وهي ورده الأعظم، وطريقهُ الأقوم، وقد برزت عليهِ أنوارها، وظهرت آثارها، قصد لأخذ الطريقة العلية من أكثر الجهات والبلدان، وسارت بذكره الركبان، وانتسب إليهِ خلق لا يحصى عددهم، وزادت خلفاؤه عن المئة خليفة، سكن ـ حفظهُ الله ـ حلب الشهباء من سنين يسيرة، وعمر الزاوية الرفاعية فيها، وكثر بأطرافها مريدوه وإخوانه، وعلت شهرتهُ في حلب الشهباء ونواحيها، وحسن فيهِ اعتقاد الناس، ومدحه الفضلاء والبلغاء وأعيان الناس، ومن الجملة مدحه بالقصيدة الآتية الفاضل الكامل، سلالة الأماجد الأفاضل، السيد عبد القادر أفندي القدسي، أوحد أعيان حلب الشهباء، وابن المرحوم نقيبها المشهور، تقي الدين أفندي القدسي، وهي كما هي: درة يتيمة، وصحيفة كريمة:

إذا ضاقت بك الأيام فالجأ ... بحسن وسيلة لحمى الرسول
فإن حمى الرسول وحق ربي ... أمان كل آن للدخيل
وأقرب ما توسلت البرايا ... بهِ للمصطفى آل البتول
همُ الطهر الكرام بنو المعالي ... شموس الكون جيلاً بعد جيل
لهم جاه وعز مستفاض ... من المختار بالفيض الجزيل
هم الوراث للمختار طه ... همُ أهل الرداء المستطيل
وودهمُ بأمر الحق فرض ... وهذا أجر مولانا الرسول
إذا أديت حق الود فيهم ... فأبشر بالسعادة والقَبُول
ودونك سيد السادات شيخي ... فلذْ بجنابهِ العالي الجليل
هو الحسن الحسينيّ الخُزَامي ... خلاصةُ عترة العَلَم الطويل
لهُ شرف الحضور حضور قلب ... مع المختار غياث النزيل
فتى بيت الرفاعي الغوث روح الـ ... ـطريق وقلة الشرف الأثيل

ضيا هذا الزمان أبو الموالي ... سليل الآل مولود الفحول
إمام القوم زبدة آل طه ... ملاذ الملتجي باب الوصول
همام من بني الكرار شهم ... يقابل ذا الإساءة بالجميل
أمير من بني الصياد فرد ... تذل لهُ الرجال بكل قيل
عليّ القدر رحب الصدر مولى الـ ... أيادي صاحب الباع الطويل
فللمختار جدهمُ صلاة ... من الرحمن ترقى في نزول
وأصحاب وأولاد كرام ... غياث الناس في اليوم المهول
مدى الأزمان ما وافى محب ... بحسن وسيلة لحمى الرسول

* *

انتهى. وهو الآن ـ بحمد الله ـ على قدم استقامتهِ القديمة الأصلية، على أحسن حال، معرض عن غير الله، متوكل على الله، مسلم لهُ الحال، معتمد عليهِ تعالى في الأقوال والأفعال، أعقب حفظهُ الله أولاداً أمجاداً، الأحياء منهم أولهم: هذا الفقير، حيث إني بينهم الكبير، والسيد محمد نور الدين، ولقبهُ أبو المجد، والسيد عبد الرزاق، ولقبهُ أبو النصر، أبقاهم الله أجمعين، وحمانا وإياهم والمسلمين بمدده ونصره المبين آمين.

وهذا نسب جدهم صاحب الترجمة، السيد حسين برهان الدين ـ قدس سره! ـ إلى الجد الأعظم (ﷺ)، كما ضبطهُ العلامةُ الشيخ ناصر البغدادي في كتابهِ «معراج السالكين»، فهو: السيد حسين برهان الدين، بن السيد عبد العلام، بن السيد عبد الله شهاب الدين المبارك الزبيدي الرفاعي البَصْري، ابن السيد محمود الصوفي، بن السيد محمد برهان، بن السيد حسن الغواص ابن السيد الحاج محمد شاه، ابن السيد محمد خُزَام دفين الموصل، ابن السيد نور الدين، بن السيد عبد الواحد، بن السيد محمود الأسمر، ابن السيد حسين العراقي، ابن السيد إبراهيم العربي، ابن السيد محمود، بن

السيد عبد الرحمن شمس الدين، ابن السيد عبد الله قاسم نجم الدين المبارك، ابن السيد محمد خُزَام السليم، ابن السيد شمس الدين عبد الكريم، بن السيد صالح عبد الرزاق، بن السيد شمس الدين محمد، بن السيد صدر الدين علي، بن السيد عز الدين أحمد الصياد، بن السيد ممهد الدولة والدين عبد الرحيم الرفاعي، ابن الإمام ولي الرحمن السيد عثمان، ابن السيد حسن، بن السيد عَسَلَة، بن السيد الحازم، بن السيد أحمد، بن السيد علي المكي، ابن السيد رِفَاعَةَ ويقال لهُ: الحسن نزيل المغرب، ابن السيد المهدي، بن السيد أبي القاسم محمد، بن السيد الحسن، بن السيد الحسين أحمد، بن السيد موسى الثاني، ابن السيد إبراهيم المرتضى، بن الإمام موسى الكاظم، بن الإمام جعفر الصادق، بن الإمام محمد الباقر. ابن الإمام زين العابدين علي الأصغر السجاد، ابن الإمام الهُمام، عَلَم الإسلام، عين الأئمة الأعلام، سبط الرسول (عليهِ الصلاة والسلام!)، الذي أمتحن بأنواع المحن والبلا، أمير المؤمنين، مولانا الإمام أبي عبد الله الحسين الشهيد بكربلا، ابن إمام الأئمة، وأمير نحل هذه الأمة، سيد أئمة الأولياء، وقائد أزمة الأصفياء، الذي كل مقام شريف لهُ ممنوح، المشبه بكبار الأنبياء، كآدم وإبراهيم ونوح، الذي قدره كاسمهِ حسن وعليّ، أمير المؤمنين، الإمام أبي الحسن علي، رُزِقَهُ من زوجتهِ فاطمة سيدة نساء العالمين، بنت سيد المخلوقين، عليهِ أفضل صلوات رَبّ العالمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أجمعين. اهـ.

ترجمة السيد محمد مهدي الرَّوَّاس
(رضي الله عنهُ!)

ومنهم القطب العارف بالله، المقبل على الله، المعرض عن الناس، فرد زمانهِ، أبو البركات، مولانا وسيدنا، السيد محمد بهاء الدين مهدي الرواس (رحمهُ الله وقدس سره!)، بن السيد علي، بن السيد نور الدين،

ابن السيد أحمد، بن السيد محمد، بن السيد بدر الدين، بن السيد علي الرُّدَيْنِي، ابن السيد الكبير العارف بالله ولي الله الشيخ محمود الصوفي الصيادي الرفاعي (قدس سره!).

وُلد السيد محمد مهدي الرواس (رحمه الله!) في سنة عشرين ومئتين وألف، وتُوفي في سنة سبع وثمانين ومئتين وألف، ولهُ من العمر سبع وستون سنة، ولد في سوق الشيوخ، بُليدة من أعمال البَصْرة، سكنها أبوه بعد الطاعون الذي وقع في البصرة، وتوفي والده وبقي يتيماً ـ قدس سره! ـ، ثم توفيت أمهُ وقد بلغ من العمر خمس عشرة سنة، وكان قد قرأ القرآن على رجل هناك يقال لهُ: ملا أحمد، وكان من الصالحين، ففي سنة خمس وثلاثين ومئتين وألف جذبهُ القدر إلى السياحة، فخرج طالباً بيت الله الحرام، وجاور بمكة سنة، ثم تشرف بزيارة جده ـ عليهِ الصلاة والسلام! ـ، وجاور بالمدينة المنورة سنتين، وفيها اشتغل بطلب العلم على رجال الحرم النبوي.

ثم ذهب إلى مصر، ونزل في الجامع الأزهر، وبقي فيهِ ثلاث عشرة سنة، يتلقى العلوم الشرعية عن مشايخ الأزهر وفضلائهِ، حتى برع في كل فن وعلم، وهو على قدم التجرد والفقر والانكسار.

ثم عاد سائحاً إلى العراق، فاجتمع بالشيخ العارف بالله ولي الله السيد عبد الله الرَّاوِي الرفاعي، فأخذ عنهُ الطريقة، ولزم خدمتهُ والسلوك على يديهِ مدة، وأجازه (قدس سره!) وأقامهُ خليفة عنهُ، ثم طاف البلاد، وذهب إلى الهند، وخُراسان، والعجم، والتركستان، والكُرْدستان، وجاب العراق، والشام، والقسطنطينية، والأناضول، والروملي، وعاد إلى الحجاز، وذهب إلى اليمن، ونجد، والبحرين، وطاف البادية والحاضرة، واجتمع على أهل الأحوال الباطنة والظاهرة، وأكرمهُ الله بالولاية العظيمة، والمناقب الكريمة، والأخلاق الحميدة، والطباع الفريدة، والقطبية الكبرى، والمرتبة الزهرا، وقد تجرد بطبعهِ عن التصرف

والظهور، والتزم الطريق المستور، وعد نفسهُ من أهل القبور.

وكان كثيراً ما يعاود في سياحتهِ إلى بغداد، وكان يتجر لدفع الضرورة والتخلص من الاحتياج ببيع رؤوس الغنم المطبوخة، فإذا وجد منها ما يدفع الضرورة البشرية ترك البيع إلى أن تنفذ دراهمهُ، فيعود إلى البيع، وكان لا يمكث في بلدة سبعة أشهر قط، وأكثر إقامتهِ في البلاد تحت الثلاثة أشهر، وكان يلبس ثوباً أبيض، وفوقهُ دراعة زرقاء، وعباءة قصيرة من دون أكمام، وحزامهُ من الصوف الأسود، وعلى رأسهِ عرقية من الصوف الأبيض، ويحزم رأسهُ بعقال من الصوف الأسود، عملاً بالأثر الرفاعي، والسنة المحمدية، واختفاء عن ظاهر الشيخ.

وكان (قدس سره!) إمام الوقت، وشيخ العصر، عِلْماً، وعملاً، وزهداً، وأدباً، براهينهُ باهرة، وسريرتهُ طاهره، وقدمهُ متين، وعزمهُ مكين، وكشفهُ عجيب، وحالهُ غريب، منَّ الله عليَّ بالاجتماع عليهِ، والانتساب إليهِ، في بغداد دار السلام، في حضرة الباز الأشهب والطراز المذهب مولانا الشيخ عبد القادر الجِيْلي (قدس سره ورضي الله عنهُ!)، وتبركت بخدمتهِ، وتشرفت ببيعتهِ، وتنورت بمشاهدتهِ، وتعطرت بمشافهتهِ، وأخذت عنهُ الطريقة، ولبست منهُ الخرقة، وتلقيت عنهُ بعض علوم الشريعة والحقيقة، فهو شيخي ومعيني، وأستاذي وقرةُ عيني، وملاذي وعياذي، ومحل اعتقادي، وواسطة استنادي، بلى والله وهو الشيخ الجليل، العارف بالله، المتردي برداء الخفاء، المشغول بالله عن غيره، السائح، العابد، الزاهد، صاحب المعارف والعوارف، والبركات واللطائف، والعلم الغزير، والقلب المنير، والسر الصادق، والمدد البارق، والحال العجيب، والشأن الغريب، والعلوم العظيمة، والهمم الكريمة، والآداب المقبولة، والكلمات المنقولة، منها هذه الصلاة المباركة العجيبة المجرَّبة عند أهلها للفتح والوصول، وحصول مدد الرسول (ﷺ) وهي:

وجهي على تراب أعتابك يا رسول الله (٣) مرات، بسم الله الرحمن الرحيم، الصلاة والسلام من حضيرة القدس الأقدس عليك يا مَهْبِط سر نفس الجناب الإلهي المقدس، يا باب الرحمة الرحمانية الخاصة العامة، القائمة بكل شيء ومع كل شيء، وهي السبب في كل شيء، يا باب الله الأعظم، الذي هو عين الدخول على حضرة الله الأكرم، يا سر الله القديم، المنزه بلسان التعظيم، المخاطب برقائق حكم التكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

يا روح كل حقيقة، وروح الأشياء في حقيقة كل دقيقة، يا ينبوع مدد الله، يا أصل فيض فضل الله الجاري في ملك الله وملكوت الله، والممدود على كل شيء لله بإذن الله، يا كتاب الله الذي لا يرفض، يا رقيم سر القيوم الذي لا ينقض، يا آية القصد من كل مقصود، يا حركة الوجود في كل موجود، يا روح روح الحق الموجودة مع كل كائن، يا عَلَم سر القهر والجبر في كل غائب وبائن، يا لوح محفوظ سر حقائق علوم غيب الله في سموات الله وأرض الله، يا دولة قلم أمر الله الخاط بقدرة الله في صحائف ملك جناب الله، يا بدل الحقيقة الإلهية في المعاني المعنوية، وعين الذات المظهرية في باطن الرموزات العينية، يا آلة المنح والمنع، وكل رمز غيبي في العرش والفرش، وسطح القدرة وأرض المقادير، وجدران التقديرات، ودور الكائنات والمكونات، الكليات والجزئيات، العلويات والسفليات، الباطنيات والظاهريات، في كل ماض وآتٍ، باختلاف الحالات والدرجات، ومع الماضيات والحاضرات، والذاهبات والآتيات.

يا محمد الحقائق الذاتية، يا أحمد الدقائق الصفاتية، يآدم آدم، يا أبا العالم، يا عين الكل ولولاك لما كان يا روح الكل، ولأجلك خلق وكان، وكذا الظرف والمظروف والكون والمكان، أنا عبد أعتابك، ألوذ بجنابك، ألتجيء والتجأت داخلاً على باب إحسانك، يا سيد ملوك الدنيا

والدِّين، يا تاج هامات أماجد سلاطين النبيين والمرسلين.

التفتْ لي بعين عناية عطفك وكرمك وجودك الذي إن وقعت نقطة منهُ عن غير قصد مقصود على جبال الأرض وقطع شطحات مواقع الآخرة صيرتها جوهراً جُمانياً، وإن لمعت بوارق دهشة عواطف مننها بلا مراد على عَصَاة بدوي قلبتها مهنداً يمانياً، بحق عينك الطاهرة الشريفة المطلعة عليَّ وعلى كل شيء في الفوق الأعلى والتحت الأدنى الأقصى، وبفضلك عند ربك وبجاهك عليك لاحظني بعين إحسانك ومددك العالي، وانظرني بنظر حنانك ورحمتك ورأفتك، واصنع بشأن نبوتك ومحوبيتك عند حضرة رب العالمين ما أنت لهُ أهل، من الشيم المحمدية، والغارة الأحمدية، والغَيْرة المصطفوية، وامُرْ بفضلك صاحب الزمان وأهل حاشيتِهِ الأعيان أن يساعدوني في قضاء كل حاجة تحدث، أو حدثت لي من حوائج ديني ودنياي، فإنك قادر بإذن ربك على ما تشاء، والصلاة والسلام عليك وعلى آلك وأصحابك وأتباعك يا سلطان الأنبياء، يا ساكن البطحاء، يا سيد أهل الأرض والسماء، والحمد لله رب العالمين، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ولهُ أيضاً (قدس سره!) هذه الصيغة، وسماها «التوجه المحمدي»، وسره باقتبال القِبْلة، والآداب القلبية، والوضوء الجديد، وصلاة ركعتين، والنداء: يا صاحب قاب قوسين، يا جامع سر العين، يا كاشف وهم الغين، يا حامل عَلَم العَلَمين، يا واحد دار الدارين، يا أوحد من في الكونين، يا أول ثاني اثنين، يا مظهر سر الرمزين، يا نور كل قلب، ويا قرة كل عين، بحق عين قدسك الطاهرة، يا ملك ملوك الدنيا والآخرة، توجه بقلبك الرحيم، ولطفك العميم، وجودك المستديم، وتحنن عليَّ بقضاء حاجتي، وتعطف بفضلك عليَّ بنيل آرابي، وأكرمني بفضلك المخصوص الخاص لكي أتوجَّهَ إلى خدمة أعتاب فضلك وفيضك بالإخلاص، صلى الله عليك ما دار الدَّوَرَان، واختلف المَلَوان، وكر

الجديدان، ولمع الفَرْقدان، في كل وقت وزمن وآن، وعلى آلك وأصحابك أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

ولهُ (قدس سره!) هذه الصيغة ـ أيضاً ـ وهي:

اللهمَّ صلِّ على السيدِ الذي رفعت بهِ الكدر، ومنعت بهِ عن أمتهِ الشرك والضرر، والمحبةِ من خُلاصة ربيعةَ وعدنانَ ومُضرَ، وأسألك اللهم بهِ (ﷺ) وبأهلهِ وأحبابهِ وإخوانهِ وأولادهِ وبوارثه في السر والعلم والعمل، وبالقطب الغَوْث الفرد الجامع، وبنوَّابهِ وأهل حاشيتهِ، وبصاحب الخلافة النبوية من بعده، وبأصحاب دائرتهِ الواقفين في باب الخفاء، تحت برقع الستر، المنتظرين فتح باب فضلك بأمرك، وبحرمة العمال، والرجال، وأهل النوبة، والأبدال، والقائمين بمصالح العباد، وبأقطاب الهداية والإرشاد، وبصاحب القاف والواو، والإشارة المتممة للمقام برموز المعرفة بين أهل الديوان الأعلام، ادفعِ اللهمَّ ما كتبتهُ في غيبك لي من كل ما يؤذيني، واصرف عني الأذى، وامحُ بفضلك سطرَ الشين والشين من صحيفة قلبي، وارفع جزاء ذلك من علم جبهتي، وبَعِّدْ عني ما رسم في مركز الحضرة الغيبية من كل غم وهم وكرب وقطع وبلية، واجعل مركز ذاتي غيرَ المركز الذي أنا عليهِ الآن من الحال والأفعال، وحَوِّلِ الحال إلى أحسن حال، يا محول الأحوال، بحرمة من مال وقال، وقال وما مال، وبمدد أهل الحال، وبسر من طاف على ظهر الكعبة وجال، وبمدد التجلي الذي دكت لهُ الجبال، وافتح باب الخير والهداية والعناية والتوفيق لي، واكفني الحزن، ووفقني للقول الصالح الحسن، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ولهُ (قدس سره!) هذه الصيغة ـ أيضاً ـ وهي: السلام من السلام، والرحمة المخصوصة من ربك عليك يا سيد الأنام، يا عَلَم العَالَمَيْن، يا قمر الخافقين، يا مولى سادات الدارين، يا عين كل عين، أعنْ، أغثْ، التفتْ، تعطفْ، تكرمْ، تحننْ، تفضلْ عليَّ يا إمامَ المرسلين، يا من قال

لك مولاك: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾. يا غوثاه، يا مصطفاه، يا نبياه، يا سراج الحرمين، صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك الطاهرين أجمعين.

وكان يأمر بقراءة هذه الاستغاثة عند الضيق وهي:

يا قادراً قدرتُهُ أقدرُ من قدرةِ كلِ قديرٍ، عجلْ فرجي، يا مَنْ تيسيرُ العسيرِ عليك يسيرٌ يا قدير.

وكان يقرأ (قدس الله روحَهُ!) في كل يوم بعد صلاة الصبح هذا الاستمداد المبارك ثلاثاً، وفي يوم الجمعة بعد الصلاة سبع عشرة مرة: يا مدد الممدين، ومدة الممدودين، ومادة المادين، يا من أنت المدد، ومنك المدد، ومن غيرك لا مدد، أسألك بالمدد المدود منك إلى ممدوديك أن تمدني بمدد عظيم أحصل فيهِ مناي، وأقهر فيهِ أعدائي، وأحمي بهِ حمائي، وأجعلهُ حصني من أمامي وورائي، وأستجلب فيهِ صلاحي، وأستدفع بهِ قضائي، وأكون من الممدودين المُمدين، المستمدين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، تحت طي إشارة بشارة ستارة حقيقية دقيقة رمز: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. وأجتمع ببركة حركة عنوان بيان برهان سر طريقتها الخفية الجلية البهية المنشورة المطوية على الرجال الأربعين، وأحيا بمحيي سلك ملك فلك درك عز كنز عنايتها بمحيي القلوب الكائنة في صدور سدد أفئدة العارفين، فهنالك يفتح الباب، ويكشف الحجاب، وتحصل الآراب، وتذهب الأتعاب، ويلذ الخطاب، ويذهب الخطأ، ويأتي الصواب، بعناية قدسك يا معطي يا وهاب، وصلى الله على الحقيقة الجامعة لمبدء السر، ومنتهى الأمر، وعلى الآل والأصحاب، ما مرض مريض وطاب، وطلع نجم وغاب، وسلم تسليماً كثيراً.

ولنذكر من شعره العالي هذه القصيدة، وهي مما يدلك إليها النبيه على مقامهِ الجليل، ومكانة مكانهِ النبيل، وها هي:

طف بوادي القدس من نادي تِهَامه وافرش الخدين في أطلال رامه
وانـزل الفيحـاء فيحـا المنحنـى حيثما أعلا الندا الطامي خيامه
ولـــــك الله إذا وافيتهـــــا وأنخت الركب فيها بالسلامه
خـذ سـلامـاً لأصيحـاب الحمـى من كئيب حرَّك الركب غرامه
واذكـر السقـم الـذي أودى بـهِ عَلَّهم إن يـرحمـوا يومـاً سقـامـه
غلبتـهُ يـومَ بـانـوا شِـدَّةٌ أوقعـت فيـهِ فمـا شَـدَّ حـزامـه
وهـو لا زال كمـا هـم علمـوا ثـابـت الأقـدام زيـن الاستقـامـه
هجـرت أخـلاقـهُ حـال امـرء جمـل يـومـاً وفـي الثـانـي نعـامـه
بـاعهـم نفسـاً نـأت عـن غيرهـم وعليهـم حملـت عـبء المـلامـه
وإذا قـالـوا لهـا: مـوتـي جـوىً أنشـدت للمـوت حبـاً وكـرامـه
يـا أخـا الـركبـان بـالله التفـت أن تعي من موثق الوجد كلامه
مـسّ عنـي تـرب ذيـاك الحمـى وأجـل فـي بـابـهِ وجهـاً وهـامـه
بـاب رحـب نـزل الـروح بـهِ وبـهِ القـرآن قـد سـل حسـامـه
مـوطـن الإيمـان والعلـم الـذي لمعت منهُ على الكون العلامه
حضـرة الـرحمـة مضمـار الهـدى مَهْبط الـوحي وميزاب الكرامه
مشهـدٌ كَـمْ شـوهـدت مـن ركنـهِ دولـة الغيـب وأعـلام الإمـامـه
كيف لا والمصطفى من هاشم فيـهِ ثـاوٍ ؟ شـرَّف الله مقـامـه!
خيـر مـن مـسَّ بنعليـهِ الثـرى وأجـل الخلـق. قَـدْراً وشهـامـه
والنبـي العـربـي المجتبـى والـذي ظُهـراً أظلتـهُ الغمـامـه
سل تراب الغار عن ما نسجت عنكبـوت الغـار ليـلاً مـذ أقـامـه
وسـل البـاب الـذي شـرفـهُ كيف حامت حول ركنيه الحمامه
وسـل المـاء الـذي مـن كفـهِ فـاض والجيـش بـهِ نـال مـرامـه
لا تسـل عـن معجـزات ظهـرت منـهُ جلّـت وهـي تبـدو للقيـامـه
كـان فـي الـدِّيـن ربيعـاً عمـره صـامـــهُ لله بـــالله وقـــامـــه

وهـو نـور أزلـيٌّ طـرزه صار في وجه وجود الكون شامه
جحفل الرسل الذي قِدْماً أتى زيـن الله بمجـلاه ختـامـه
بـابـهُ لـلأنبيـا بـاب الـرجـا وترى كل الورى يبغي استلامه
وهو ركن المجد مرفوع الذرى حصن علم الغيب مكنون الدّعامه
طُـويَ العـالـم فـي جبتـهِ وعلى العرش علت منهُ العمامه
لـو دعـا البحـر لـوافـى سـائغـاً أو دعى المنقض من ميت أقامه
شـرفـت جبـريـل منـهُ خـدمـة حـولـت فيـهِ عـن الـديـن لثـامـه
وبـهِ الـرحمـن أعـلا صـولـة الـ ـحق جهـراً وبـهِ شـاد نظـامـه
مضمـر مـن حضـرة القـرب بـدا ما استطاع الطمس في الغيب اكتتامه
علـة الخلـق ومـن هـذا نـرى أوجب الله على الخلق احترامه
وعلـى يـافـوخ إنسـان العُـلا شيـد الجبـار بـالعـز مقـامـه
ولـهُ فـي مقعـد الصدق ابتنـى منـزلاً صيـره دار الإقـامـه
ذلـك اللـوح الإلهـي الـذي كتبت أيدي العمى فيهِ الرقامه
وهـو قلـب غـرس الـذكـر بـهِ مـا رأى حـراسـهُ آنـاً منـامـه
سجـد الأقمـار عـزّاً لاسمـهِ علَّ أن تحسب منهُ في القلامه
أينهـا مـن ذلـك النـور الـذي عدل المولى من الوجه قوامه
فعليـه الله صلـى سـرمـداً وعلـى آل حسـوا منـهُ مـدامـه
وعلـى الأصحـاب مـا حـادٍ حـدى : طف بوادي القدس من نادى تِهَامه

* * *

وقال (قدس الله روحهُ!) وقد ورد عليهِ وارد الكرم:

ظهـر السبـع مـن بطيـن الغـاب وبـدا صـائـلاً بغيـر نقـابِ
وتجلـى الهـلال فـي بهـرجـان الـ ـليـل يبـدي ضيـاه لـلأحبـابِ
هـذه آيـة سمـاويـة السـرّ علـت نشـأة بطـي الحجـابِ

فلك الغيب دار منها فلما ... تمم الدور مال للانحجابِ
مظهر بارع بمعنى خفي ... ومقام مجمل بالثوابِ
نصبت لي بسدتيهِ الكراسي ... وكؤوسي تنورت بالشرابِ
ومقام افتخار دولة عزي ... ساد معنى ففاق فخر جنابي
دهشة أحمدية ذات مهيا ... ومحيا بدا لذي الألبابِ
فأنا القطب في دُكيكين طبخي ... وأنا الغوث في رثيث ثيابي
وأنا الشيخ والرجال تلامي ... ـذي وعلمي فشا إلى الطلابِ
وأنا الفرد في الزمان بشأني ... وأنا المرشد الشريف انتسابي
وأنا السيد المعلى جلالي ... سار جيش الشيوخ حول ركابي
وقفول العراق تمشي بظلي ... واستظل الزمان تحت قِبابي
قلمي آمر وحكميَ جارٍ ... أذعن الدهر طائعاً لكتابي
دولتي في الجنوب والغرب دارت ... وبأقصى الشرقين طول رحابي
وبمنتهى السدين صولة بأسي ... وبمعلا الدورين سمر حرابي
دارت الطالبون حولي لأني ... كعبة للرجال والأقطابِ
حرم طيب بهِ يأمن الدا ... خل جهراً من شوبة الأتعابِ
وطريقي باب الوصول إلى الله ... ـهِ وفيضي يجري إلى الأنجابِ
دولة لا تزال تنفث سرّاً ... بعد موتي والسرّ تحت ترابي
وخفائي لا شك عين ظهوري ... وبُعيد التستير يُفتح بابي
سترى لي في دورة الشام والشهـ ... ـباء نوراً يعلو بنور شهابي
وترى لي مظاهراً تتسامى ... وتسامي الشيوخ في كل بابِ
وترى نوبتي تضج وإسمي ... يتباهىٰ بذكره نوابي
وترى الحال في زُوَيَّة ذِكري ... وترى المرتجين في أعتابي
إن ترم نفحتي عليك بسلكي ... فسلوكي المفتاح للأبوابِ
وطريقي نور التجلي وسيري ... عقدة الوصل من يد الوهابِ

طف ببابي ولا تمل عن مداري وانح نحوي واسمع لذيذ خطابي
لا تمل نحو جاهل أشغلتهُ عن عُلانا دُنياه بالاكتسابِ
ذمك الكاذبون جهلاً فخاضوا فرأيناهمُ بسوء المآبِ
سُلبوا الدِّين بعد ذاك وراحوا ومآل الرواح بالأعطابِ
كم يقولون: ما لهذا ضمير إنما فخره بلين الثيابِ
فسمعنا منهم وعنك أجَبْنا لا يضر السحاب نبحُ الكلابِ
إن تكن عامراً مع الله خلِ شخصَ دنياك تحت طي الخرابِ

* * *

وقال لي (قدس الله سره!) وقد كان يتفضل عليَّ ببعض إشارات معنوية، وقد طرق خاطري هم عظيم لبعض أمور خطرت في سري، فقطع حديثهُ الأول، ورمقني بعينهِ المباركة متبسماً، وقال: فتح عليَّ ببيتين خطاباً لك. ثم أنشد:

إنَّ باديك الذي أكننتَهُ هو بادٍ ظاهرٌ في حاضركَ
أجل قلباً في حمانا إننا نحن قمنا بالذي في خاطرك

* * *

ولو أردنا بسط ما رأيناه من كراماتهِ، وحفظناه من غرائب كلماتهِ، لطال المطال، واتسع المجال، وإنا نرى بالذي ذكرناه لأرباب البصائر كفاية، نفعنا الله بهِ وبإخوانهِ أهل العناية آمين.

وليعلم أننا التزمنا ذكر بعض المشاهير المتقدمين والعصريين، من أعيان الذرية الأحمدية، المتشرفين بالخِرْقة المباركة الرفاعية.

* * *

ذكر بعض رجال طريقة السيد أحمد الكبير الرفاعي (قُدس سره!)

وقد آن أن نشرع في ذكر بعض رجال طريقتهِ، الآخذين بوثيقتهِ، من أعيان المسلمين، وأكابر هذا الدين، ممن علت شهرتهم، وزكت سيرتهم وسريرتهم، ولم نعتبر في التقديم والتأخير الصغيرَ منهم أو الكبير؛ فإنَّ الله أعلا مناصبهم، وأجل مراتبهم، وأعزهم جميعاً، ومنحهم جاهاً رفيعاً، وإنَّ أجل زمرة أتباعهِ وأصحابهِ وأشياعه جماعة، منهم: الشيخ أبو شجاع الشافعي الفقيه المحدث المشهور، والشيخ الإمام العالم العابد الحجة عمر أبو الفرج، بن أحمد، بن سابور، بن علي، بن غُنمة، الفَارُوثي، الواسطي، الشيخ الكبير، شيخ وقتهِ في العلوم الشرعية، وإليهِ انتهت رئاسة العلم والطريق بواسط، وبطاح العراق، وهو جد سلطان المحدثين عز الدين أبو العباس أحمد الفَارُوثي.

قال ابن كثير عند ذكر حوادث سنة أربع وتسعين وست مئة: توفي الفارُوثي، الشيخ الإمام العالم، العابد الزاهد، الخطيب، عز الدين أبو العباس، أحمد بن الشيخ محيي الدين إبراهيم، بن عمر أبي الفرج، بن أحمد، بن سابور، بن علي، بن غُنمة الفَارُوثي الواسطي، ولد سنة أربع عشرة وست مئة، وسمع الحديث، ورحل فيهِ، وكانت لهُ فيهِ يد جيدة، وفي التفسير والفقه، والوعظ والبلاغة، وكان ديناً، عالماً، ورعاً، زاهداً، وقد قدم إلى دمشق. إلى أن قال ابن كثير: كان فيهِ بر وإيثار، ولهُ أحوال صالحة.

وذكر أنهُ تقدم يوماً إلى محراب، فسجد ابن هشام ليعقد النية، فالتفت عن يمينهِ وقال: اخرج فاغتسل. فلم يخرج أحد، ثم ثانية وثالثة، فلم يخرج أحد، فقال: يا عثمان اخرج فاغتسل. فخرج رجل فاغتسل، ثم عاد وجاءَ إلى الشيخ يعتذر إليهِ، وكان الرجل صالحاً، وذكر أنهُ أصابهُ قبض

من غير أن يرى شخصاً، فاعتقد أنه لا يجب عليهِ غسل، فلما قال الشيخ ما قال اعتقد أنهُ يخاطب غيره، فلما عينهُ علم ذلك. ثم قال ابن كثير: وكان قد دَرَّسَ بالنجيبية وبدار الحديث الظاهرية، وترك البلد وسافر إلى وطنهِ، فمات بهِ بكرة يوم الأربعاء مستهل ذي الحجة، وكان يوماً مشهوداً بواسط، وَصُلِّي عليهِ بدمشق وغيرها رحمهُ الله!.

ثم قال ابن كثير بعد كلمات أخر: خلف ألفي مجلد ومئتي مجلد، وحدث بالكثير، وسمع منهُ البرزالي كثيراً صحيح البخاري، وجامع الترمذي، وسنن ابن ماجه، ومسند الشافعي، ومسند عبد، ومعجم الطبراني الصغير، ومسند الدارمي، وفضائل القرآن لابن عبيد، وثمانين جزءاً غير ذلك. انتهى.

قلت: وأما مؤلفاتهُ في الحديث والتفسير والتصوف فهي كثيرة جداً، عددها العلماء في كتبهم، وهو صاحب «النفحة المسكية في السلالة الرفاعية الزكية»، وقد ذكر فيها: أنَّ جده الشيخ عمر الفَارُوثي -رضي الله عنهُ!- كان من حجاج العام الذي مدت فيهِ يد النبي (ﷺ) من قبره الشريف، للسيد أحمد الكبير الرفاعي (رضي الله عنهُ!)، ومناقب سيدنا الشيخ عمر الفَارُوثي، ومناقب ولده وحفيده مسطورة في كتب العلماء والصوفية كثيرة جدّاً، اكتفينا منها بهذا المقدار.

ترجمة السيد أحمد البدوي الحسيني
رضي الله عنه!

ومنهم الغوث الأكبر، والأسد الغضنفر، أبو الفتيان، وقطب أهل العرفان، مغيث الأسير، مولانا السيد أحمد البدوي الحسيني الشهير، (قدس الله سره العزيز!).

لبس الخرقة من الشيخ برّي، وهو لبسها من الشيخ علي بن نعيم

البغدادي، وهو لبسها من سيدنا السيد أحمد الرفاعي الكبير ـ رضي الله عنهُ! ـ.

قال الشيخ عبد الوهاب الشَّعْراني في «طبقاتِهِ الوسطى» عند ذكر الرجال: ومنهم شيخ الخرقة أبو العباس، أحمد البدوي، الحسيب النسيب، ـ رضي الله عنهُ! ـ، وشهرتهُ في مصر والشام والحجاز واليمن والهند والسند والروم والغرب تغني عن تعريفهِ، ولكن نذكر لك ـ يا أخي ـ جملة من أحوالهِ على سبيل التبرك فأقول وبالله التوفيق: اِعلم أنَّ مولدَه بمدينة فاس بالمغرب؛ فإنَّ أجداده الشرفاء، انتقلوا أيام الحجاج إلى أرض المغرب، لما كثر القتل في الأشراف، ولمّا بلغ سبع سنين، سمع أبوه قائلاً يقول لهُ في منامهِ: يا علي انتقل من هذه البلاد إلى مكة؛ فإن لنا في ذلك شأناً. وذلك في سنة ثلاث وست مئة، قال الشريف حسن أخو سيدي أحمد: فما زلنا ننزل عند عرب، ونرحل من عرب، ويتلقوننا بالترحيب والإكرام، حتى دخلنا مكة في مدة أربع سنين، فتلقانا شرفاء مكة كُلُّهم، وأكرمونا، وجلسنا عندهم في أرغد عيش، حتى توفي والدنا سنة سبع وعشرين وست مئة، ودفن في باب المعلى، وقبره هناك ظاهر، يزار في زاوية.

قال الشريف حسن: فأقمت أنا وإخوتي، وكان أحمد أصغرنا سناً، وأشجعنا قلباً، وكان لكثرة ما يتلثم سميناه بالبدوي، فاقرأتهُ القرآن مع ولدي الحسين، ولم يكن في فرسان مكة أشجع من أخي أحمد، حتى كانوا يسمونهُ في مكة العطاب، فلما جاءَتهُ المواهب الإلَهية، وحدث عليهِ حادث الوله، تغيرت أحوالهُ، واعتزل عن الناس، ولازم الصمت، فكان لا يكلم الناس إلا بالإشارة، فلما حصلت لهُ الجمعية استغرقتهُ إلى الأبد، ولم يزل حالهُ يتزايد حتى كان من أمره ما كان، ثم إنهُ في شوال سنة ثلاث وثلاثين وست مئة رأى في منامهِ ثلاث مرات قائلاً يقول لهُ: قم واطلب مطلع الشمس، فإذا وصلت مطلع الشمس، فاطلب مغرب الشمس، ثم

سرْ إلى طندتا؛ فإن بها مُقَامَك أيها الفتى. فاستيقظ من منامهِ، وشاور أهلهُ، وسافر إلى العراق، فتلقاه أشياخها الأحياء والأموات، فلما زارهم وأقام عندهم مدة، خرجنا بعد ذلك قاصدين طندتا، فأحدق بنا الرجال من سائر الأقطار يعارضوننا، فأومأ إليهم سيدي أحمد فوقعوا ثم رجعوا هاربين، ومضينا إلى «أم عَبيدة»، فزرنا سيدي أحمد بن الرفاعي، وذهب سيدي أحمد البدوي إلى فاطمة بنت بري، وكانت امرأة لها حال عظيم، وجمال بديع، وكانت تسلب الرجال الواردين على العراق أحوالَهم، فسلبها سيدي أحمد، وتابت على يديه، وأخذ عليها العهد أنها لا تتعرض لأحد بعد ذلك اليوم، وكان قد اجتمع معها قبائل كثيرة من العرب عوناً لها على سيدي أحمد، فرجعوا كلهم إلى أماكنهم، وكان يوماً مشهوداً بين الأولياء.

ثم إن سيدي أحمد سمع قائلاً يقول لهُ: سرْ إلى طندتا، وربِّ الرجال، وذلك في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وست مئة، فدَخل (رضي الله عنهُ!) إلى مصر أولاً، ثم قصد «طندتا» فدخل في الحال مسرعاً إلى دار ابن شحيطة شيخ البلد، فصعد إلى سطوح غرفتهِ، فأقام فوق السطح نحو اثنتي عشرة سنة، وكان طول نهاره وليلهِ واقفاً شاخصاً ببصره إلى السماء، وقد انقلب سواد عينيهِ بحمرة تتوقد كالجمر، وكان يمكث الأربعين يوماً فأكثر لا يأكل ولا يشرب، ولا ينام، ذكره الحافظ ابن حجر (رحمهُ الله!)، ثم إنه نزل من السطح إلى ناحية فيشا المنارة، فصحب بها عبد العال، وعبد المجيد، فأما عبد المجيد فسألهُ أن يكشف لهُ عن لثامهِ ليرى وجههُ، فقال سيدي أحمد: يا عبد المجيد، كل نظرة بِنَفْس. فقال: يا سيدي أرني وجهك ولو مت. فكشف اللثام عن وجههِ فخر عبد المجيد ميتاً.

وأما عبد العال فعاش إلى أن مات سيدي أحمد، واستخلف بعده، وربى الرجال، وفرقهم في نواحي البلاد، وكان سيدي أحمد يربي بالنظر،

فإنَّ سيدي عبد العال يأتيه بالرجل الجاهل الخالي من المدد فينظر إليهِ نظرة فيملؤه مدداً، ويقول لهُ: قل لهُ يسكن البلد الفلاني. هكذا تربيتهُ للرجال، كان يقلب أعيانهم بالنظر من غير مجاهدة، وكل ذلك كان بالسطح الذي كان فوقهُ في دار ابن شحيطة، ومن هنا كان الناس يقولون: فلاناً من أصحاب السطح. ويقولون: سيدي أحمد السطوحي.

قالوا: ولما دخل سيدي أحمد «طندتا» كان هناك سيدي حسن الصائغ الأخناي، وسيدي سالم المغربي، وكان سيدي حسن يقول: لما قرب مجيء سيدي أحمد ما بقي لنا إقامة هنا، صاحب البلاد قد جاء لها. فكان الناس لا يعرفون مراده، فلما دخل سيدي أحمد خرج سيدي حسن إلى أخنا، فأقام بها إلى أن مات، وقبره ظاهر يزار إلى الآن.

وأقام سيدي سالم المغربي فسلم لسيدي أحمد إلى أن مات بطندتا، وقبره قريب من مقام سيدي أحمد، وأنكر بعضهم على سيدي أحمد فسلب وانطفىء اسمهُ، وانتصر جماعة من خطباء «طندتا» لسيدي وجه القمر صاحب الإيوان العالي بها، وبنوْا لهُ منارة، فجاء سيدي عبد العال ورفسها برجلهِ، فغارت إلى وقتنا هذا، ولما دخل سيدي أحمد إلى مصر، خرج الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات هو وعسكره فتلقوْا سيدي أحمد وأكرموه غاية الإكرام، وأنزلهُ في دار الضيافة، وكان ينزل لزيارتهِ لما أقام بناحية «طندتا»، وكان يعتقده اعتقاداً عظيماً. انتهى.

وليُعْلم أنَّ سيدي أحمد البدوي أخذ البيعة في بدايتهِ عن الشيخ عبد الجليل بن عبد الرحمن النَيْسَابوري، ومنهُ بسبعة وسائط، تنتهي بيعتهُ إلى الإمام داود الطائي، إلى الأستاذ حبيب العجمي، إلى سيد التابعين الحسن البَصْري، إلى ابن عم المصطفى الإمام علي المرتضى كرم الله وجههُ!.

وإنما سلوكه وبلوغه النهاية وإيصالهُ الغاية وقع على يد الشيخ بري الرفاعي (قدس الله سره!) كما تقدم، قال الإمام الشَّعْراني في «طبقاتهِ الوسطى»: وقد رأيت سؤالاً وجوابهُ لشيخ الإسلام الحافظ الشيخ شهاب

الدين ابن حجر، في سيدي أحمد البدوي، فأحببت ذكره هنا ليعتمد العلماء عليهِ؛ فإن أصحاب كتب الرقائق يحكون في مؤلفاتهم ما لم يصح، بخلاف المحدثين (رضي الله عنهم!) فأقول وبالله التوفيق: قدَّم بعض الفضلاء سؤالاً صورتهُ: ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الإسلام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث (نفع الله به المسلمين!) في سيدي أحمد البدوي؟ فقال (رضي الله عنهُ!): هو أبو الفتيان، أحمد بن علي، بن إبراهيم، بن محمد، بن أحمد، وأقام بمكة المشرفة، ومات بها أبوه، سنة سبع وعشرين وست مئة، ودفن بباب المعلى، وقبره الآن ظاهر يزار، وعرف بالبدوي، لملازمتهِ اللثام ولبس لثامين، حتى كان لا يفارقهما، وعرض عليهِ التزويج فامتنع لإقبالهِ على العبادة، وكان قد حفظ القرآن كلهُ، ثم قرأ شيئاً من الفقه على مذهب الإمام الشافعي (رضي الله عنهُ!)، واشتهر بين الناس بالعُطَّاب، لكثرة عطبهِ لمن يؤذيهِ، ثم لازم الصمت، حتى كان لا يتكلم إلا بالإشارة، ثم اعتزل الناس جملة لما ظهر عليهِ الوله، ثم لما دخل المحرم سنة ثلاث وثلاثين وست مئة، ذكروا أنه رأى في النوم قائلاً يقول لهُ ويبشره: بأنهُ سيكون لهُ شأن عظيم، وحالة حسنة بمصر.

ثم إن أخاه حسن بن علي، رحل إلى العراق، وأخذه معهُ، ولازم سيدي أحمد الصيام حتى كان لا يفطر إلا كل أربعين يوماً، فكان يمكث الأربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، وكان أكثر أحوالهِ شاخصاً ببصره إلى السماء، وعيناه كالجمرتين، ثم رحل إلى مصر سنة أربع وثلاثين وست مئة، فدخل إلى ناحية «طندتا» من الغربية في أسفل مصر، فأقام بها على سطح دار لا يفارقه لا ليلاً ولا نهاراً، وكان إذا عرض لهُ الحال يصيح صياحاً عظيماً متصلاً، وكان يكثر من الصياح في أغلب أوقاتهِ، وأما صفتهُ (رضي الله عنهُ!) فكان طويلاً، غليظ الساقين، عَبْلَ الذراعين، كبير الوجه، ولونهُ بين البياض والسمرة، ويؤثر عنهُ كرامات كثيرة، وخوارق شهيرة، من أشهرها قصة المرأة التي أسر ولدَها الفِرَنْجُ،

فلاذت بهِ، فأحضره إليها في قيوده، ومرَّ بهِ رجل يحمل قربة لبن، فأشار الشيخ بأصبعهِ إلى القربة فانقدت، فانسكب اللبن، وخرجت منهُ حية عظيمة ميتة قد انتفخت.

قال شيخ الإسلام (رحمهُ الله!): ويؤثر عنهُ شعراً لكنهُ مع كونهِ موزوناً غير معرب. قال: وقد لازم جماعة من أهل تلك البلاد خدمتهُ - رضي الله عنهُ! -، وبنوْا على قبره مقاماً، واشتهرت كراماته، وكثرت النذور التي تحمل إليهِ من البلاد، وعظم أمره، وأثنوْا عليه، وميزوه عن أشياخ عصره، وقام بأتباعه صاحبهُ الشيخ الصالح عبد العال، فسموه خليفة الشيخ أحمد، وعمّر بعده طويلاً حتى مات سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة، واشتهر أتباعه بالسطوحية، وحدث لهم بعد مدة عمل المولد الشريف النبوي عنده، وصار يوماً مشهوداً، تقصده الناس من النواحي البعيدة، قال: وشهرة هذا المولد في عصرنا تكفي عن وصفهِ، وقد قام جماعة من العلماء وممن يتزين من الأمراء في إبطالهِ، فلم يتهيأ لهم ذلك إلا في سنة إحدى وخمسين وثمان مئة. انتهى ما ذكره الحافظ ابن حجر (رحمهُ الله!) في جوابهِ.

وقد رأيت - أيضاً - بخط سبطهِ الإمام العالم، المحدث العدل الرضي، أبي المحاسب، يوسف، ترجمة لسيدي أحمد البدوي، حين سئل فقال: هو أحمد بن علي، بن إبراهيم، بن محمد، بن أبي بكر البدوي، المعروف بالسطوحي، (رضي الله عنهُ!)، أصلهُ من بني بري، قبيلة من عرب الشام، تسلك على يد الشيخ بري، أحد تلامذة الشيخ أبي نعيم، أحد مشايخ العراق، وأحد أصحاب سيدي أحمد بن الرفاعي، ومولده بفاس، سنة ست وتسعين وخمس مئة، وطاف البلاد، وأقام بمكة والمدينة، ثم بمصر، ثم دخل «طندتا» سنة أربع وعشرين وست مئة، وأخذ عنهُ الشيخ المُعَمَّرُ عبد العال كما سيأتي بيانهُ في ترجمتهِ بعد إحدى وستين شيخاً من هذه الطبقات، وبيان جميع من بلغنا أنهُ من أصحاب

السطح، وأتباعهم المفرقين في أقاليم الأرض، ومما بلغني من جماعة من أهل بيروت، قالوا: أسرتنا الفرنج وكنا اثني عشر رجلاً، فأقمنا في بلاد الفرنج يستخدموننا في الأعمال الشاقة، حتى كدنا نموت، فألهمنا الحق تعالى يوماً أننا قلنا: يا سيدي أحمد يا بدوي، إنَّ الناس يقولون: إنك تأتي بالأسرى إلى بلادهم، وقد سألناك بالنبي (ﷺ) أن تردنا إلى بلادنا. قالوا: ففي ذلك اليوم نزلنا مركباً ليس فيها أحد، وقذفنا، فلم يشعر بنا الفرنج، حتى سرنا في البحر نحو ميلين، فخرجوا وراءنا فلم يدركونا، إلى أن وصلنا بلادنا ببركة سيدي أحمد البدوي ـ رضي الله عنهُ! ـ. انتهى بحروفهِ من «الطبقات الوسطى».

وقد تخرج بصحبة سيدي أحمد (رضي الله تعالى عنهُ!) جم غفير، وحزب عظيم، من أكابر الأولياء، وكان (رضي الله عنهُ!) يربي بالنظر.

قال السخاوي (رحمهُ الله!): كان سيدي أحمد البدوي إذا نظر المريد نظرة مخصوصة يوصلهُ بتلك النظرة إلى مقام الشهود، وأما كيفيةُ اتصال نسبهِ بالمصطفى (عليه الصلاة والسلام) فهو ـ رضي الله عنهُ! ـ: سيدنا السيد أحمد البدوي، بن علي، بن إبراهيم، بن محمد، بن أبي بكر، بن إسماعيل، بن عمر، بن علي، بن عثمان، بن حسين، بن محمد، بن موسى، بن يحيى، بن عيسى، بن علي، بن محمد، بن الحسن، بن علي، ابن محمد، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، بن الإمام علي زين العابدين، بن السبط سيدنا الحسين، بن سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء، بنت رسول الله (ﷺ).

قال الشيخ الشَّعْراني (قدس سره!) عند تعداد أصحاب سيدي أحمد: ومنهم سيدي الشيخ عبد العال، خليفة سيدي أحمد البدوي ـ رضي الله تعالى عنهما! ـ، كان من أجل أصحاب سيدي أحمد، وهو صاحب البشت الأحمر، الذي يلبسهُ الخليفة في المولد كل سنة، وهو الذي بنى مقام سيدي أحمد والمِئذَنة، ورتب السماط والإشائر، وأصغر الخبز،

وهو من أكبر أصحاب السطح الذين صحبوا سيدي أحمد، وهو مقيم فوق سطح دار ابن شحيط، شيخ طندتا؛ فإنهُ (رضي الله تعالى عنهُ!) أقام فوق السطح اثنتي عشرة سنة، وقيل: عشر سنين، ولذلك سمي السطوحي، وسمي أكابر أصحابه السطوحية.

وكان صورة صحبتِهم لهُ كما أخبرني بذلك شيخنا الشيخ محمد الشناوي الأحمدي (رضي الله تعالى عنهُ!): أنَّ سيدي عبد العال كان يأتي إلى سيدي أحمد البدوي بالذي يبول في ثيابه، فينادي سيدي أحمد من فوق السطح، فيأتي فينظر إلى ذلك الشخص نظرة واحدة فيملؤه مدداً، ثم يقول لسيدي عبد العال: أرسلهُ إلى البلد الفلانية. فيكون فيها مُقَامهُ إلى أن يموت، وكان سبب اجتماع سيدي عبد العال بسيدي أحمد، أن سيدي أحمد قبل دخوله «طندتا» مَرَّ على ناحية فيشا المنارة، وعيناه متورمتان، فطلب من سيدي عبد العال بيضة من بيض الدجاج يجعلها على عينيه، وسيدي عبد العال صغير يلعب مع الصغار، فقال لسيدي أحمد: وتعطيني هذه الجريدة الخضراء الذي معك. فقال سيدي أحمد: نعم. فذهب سيدي عبد العال إلى أمهِ فقالت: ما عندنا بيض. فرجع إلى سيدي أحمد وقال: ما وجدت شيئاً لك يا عم. فقال سيدي أحمد: ارجعْ تجدِ الصومعة كلَّها بيضاً فرجع إلى أمهِ فأخبرها بذلك، فنظرت إلى الصومعة فوجدتها ملئت بيضاً، فخرجت مع ولدها إلى سيدي أحمد، ورأت ولدها يتبعهُ لا يستطيع أن يمنع نفسهُ عن اتِّباعه، فقالت: يا بدويَّ الشؤم علينا، فقال: قولي يا بدوي السعادة، سيصير لولدك هذا شأن عظيم. فقالت: من أين عرفت ولدي؟ فقال لها: من يوم أخذه الثور في قرونهِ وشرد، فما أخذه من قرونهِ إلا أنا. فتذكرت أنها كانت وضعت سيدي عبد العال، وهو في القماط، في معلف الثور، فجاء الثور ليأكل فدخلت قرون الثور في قماطهِ، فحملهُ وهج الثور، فلم يستطع أحد أن ينزله من قرونهِ، فمد سيدي أحمد يده وهو في ناحية الدهنا، قريباً من اليَنْبُوع، فخلصهُ،

ووضعهُ على مسطبة الدهنا، فاعترفت أمةُ بذلك واستغفرت، ومضى سيدي أحمد إلى طندتا. إلى أن كان ما كان (رضي الله تعالى عنهُ!).

ومما شهدتهُ من كراماتهِ في سنة سبع وأربعين وتسع مئة، أن شخصاً راود امرأة عن نفسها في قبتهِ، فسَمَّرَهُ ويَبَّسَ أعضاءه، فكان يصيح حتى كاد أن يموت، فأخبروني بهِ، فمضيت إلى قبره وأمرت بعض الفقراء أن يسأل سيدي عبد العال في الصفح عنهُ، فقرأ الفاتحة، ودعا فانتشرت أعضاؤه، وتاب إلى الله من ذلك اليوم، وصار من الفقراء الملاح، وكراماته كثيرة مشهورة في بلاده وبين فقراء الأحمدية، وغيرهم ـ رضي الله تعالى عنهُ! ـ. اهـ.

وممن تخرج بصحبة السيد أحمد البدوي (قدس سره العزيز!) الشيخ الصالح الشيخ عبد المجيد، أخو سيدي عبد العال، وهو الذي ذكر الإمام الشعراني عنه أنه طلب رؤية وجه سيدي أحمد، وكان سيدي أحمد بلثامين، لا يرى الناس منهُ إلا عينيهِ، فقال: يا عبد المجيد كل نظرة برجل. فقال: يا سيدي رضيت. فكشف سيدي أحمد لهُ اللثام فرآه فخر ميتاً. انتهىٰ.

ومنهم الشيخ عبد الوهاب الجوهري، قال: الشعراني في «طبقاتهِ»: كان (رضي الله عنهُ!) من أجل أصحاب سيدي أحمد البدوي، وكراماته ـ رضي الله عنه! ـ كثيرة مشهورة في بلاده، ومنهم الشيخ عز الدين المَوْصِلِي، (رضي الله تعالى عنهُ!).

كان نائباً في طرابلس، هاجر إلى سيدي أحمد، لما كان بالعراق، فصحبهُ وخرج عن الدنيا، وكراماته كثيرة، مات بالموصل ـ رضي الله عنهُ! ـ.

ومنهم الشيخ الجليل والعَلَم الطويل، أحمد بن علوان اليمني (رضي الله عنهُ!)، صحب سيدي أحمد البدوي بمكة أوائل جذبه، وهو

شيخ الطريقة العلوانية المشهورة في اليمن والحجاز، وكراماته مستفيضة مستمرة إلى عهدنا هذا.

ولو أردنا تعداد أصحاب سيدي أحمد وكراماتهم ومناقبهم، للزم أن نفرد لهم كتاباً مخصوصاً، وقد اكتفينا بشهرتهم لكونها غنية عن الإيضاح (رضي الله عنهم أجمعين!).

وقد سبق لك أنَّ سيدي أحمد البدوي (رضي الله عنهُ!) أخذ الطريقة عن سيدي برّي، عن سيدي علي بن نعيم، عن سيدي أحمد الرفاعي (رضي الله عنهم!).

وقد ذكر الشيخ الحجة أبو المحاسن الشاذلي الفاسي في سنده أنَّ الشيخ الإمام والقطب العارف الهُمام مولانا الشيخ أبا الحسن الشاذلي، شيخ الخرقة الشاذلية (رضي الله عنهُ!)، صحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني، وتلقى الطريقة عن الشيخ عبد السلام بن مشيش، وتخرج بصحبة الشيخ العارف بالله سيدنا بري خليفة الشيخ علي بن نعيم البغدادي، أحد خلفاءِ الأستاذ الكبير سيدي أحمد الرفاعي ـ رضي الله عنهُ! ـ، ولبس خرقتهُ، وتأدب بآدابهِ، كذا ذكره أبو المحاسن ـ قدس سره! ـ. في سنده.

ولا يخفى ما كان عليهِ الشيخ أبو الحسن الشاذلي من علو المرتبة، وقد ترجمهُ الشيخ تاج الدين بن عطاء الله بأنهُ قطب الزمان، وحجة الله على الصوفية، وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي (رضي الله عنهُ!).

وشهرة سيدي أبي الحسن، وكثرة أصحابهِ، وعلو مناقبهِ، غنية عن التفصيل، ومن كلامهِ: من أكرمه الله عز وجل بكرامة الإيمان، ومتابعة السنة، واشتاقَ إلى غيرها، فهو مفتر كذاب. ومنهُ ـ أيضاً ـ: من دعا الناس إلى غير ما دعا لهُ رسول الله (ﷺ) فهو بدعي. ومن كلامهِ: إذا انتصر

الفقير لنفسهِ وأجاب عنها رجع إلى وراء. قلت: وقد سبقهُ في هذه شيخ مشايخهِ، أستاذ الطائفة، أبو العَلَمين، السيد أحمد الكبير الرفاعي (رضي الله عنهُ!) فإنهُ قال: الفقير إذا انتصر لنفسه تعب، وإذا سلم الأمر لمولاه، نصره من غير عشيرة ولا أهل. اهـ.

ومن أتباع سيدنا الإمام أحمد الرفاعي، بل من أجل أصحابهِ، سيدنا الولي الجليل الشيخ أبو الفتح الواسطي (رضي الله عنهُ!)، قال الشيخ الشَّعْراني (قدس سره!) في «طبقاتهِ الوسطى»: إن الشيخ أبا الفتح الواسطي (رضي الله عنهُ!) هو من أجل أصحاب سيدي الشيخ أحمد بن الرفاعي (رضي الله عنهُ!)، وهو الذي أشار عليهِ بالإقامة في مدينة الإسكندرية، وربى بها الرجال، كالشيخ عبد السلام القليبي، والشيخ عبد الله البلتاجي، والشيخ تاج الدين بكوم النجار، والشيخ بهرام الدميري، والشيخ جامع الفضلين الدنوشري، وغيرهم من مشايخ بلاد الغربية، وكلُّ مَنْ في الغربية من المشايخ فهم من تلامذتهِ وتلامذة تلامذتهِ، ـ رضي الله تعالىٰ عنهُ! ـ، وكان عالماً بالشريعة والحقيقة، وعقدوا مجلس المناظرة أول مجيئهِ من بلاد المشرق، فقطع العلماء بالحجج، فأذعنوا لهُ إلا شخصاً من خطباء إسكندرية، فبقي على إنكاره عليهِ، فبينما هو يخطب إذ تذكر أنهُ جنب، فمد لهُ الشيخ كمهُ فوجده كالزُّقَاق، فدخل قبة، فانتهى إلى نهر جار، فاغتسل فيهِ، ورجع فإذا هو على المنبر، فأذعن للشيخ، واعتقده، وصار من أجلّ تلامذتهِ، ومناقب الشيخ كثيرة مشهورة، ولم أجد لهُ كلاماً في الطريق فأذكره، ونقلوا عنهُ أنهُ لم يضع جنبهُ إلى الأرض منذ دخل الطريق، وكان إذا مرض يستند إلى مخدة ـ رضي الله تعالى عنهُ! ـ، مات باسكندرية وقبره بها ظاهر يزار. اهـ.

وقال الشعراني. (قدس سره!). ـ أيضاً ـ في «مِنَنِهِ الكبرى»: كان الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور يقول: إنَّ جماعة أبي الفتح الواسطي بمدينة الإسكندرية الذين كانوا يحضرون ورده كل يوم خمسة آلاف، منهم

الشيخ عبد العزيز الدِّيْرِيني (رحمهُ الله!)، والشيخ عبد الله البلتاجي، والشيخ عبد السلام القليبي، والشيخ عبد الله الجِيْلي، والشيخ ضرغام المسيري، وغيرهم.

وكان الشيخ أبو الفتح من أعظم تلامذة سيدي أحمد بن الرفاعي (رضي الله تعالى عنهُ!)، وكان يتكلم على أرباب الأحوال، ويقول: اسمعوا هذا الكلام الذي لهُ خمسة آلاف سنة، ما تكلم بهِ أحد غيري، وكان الشيخ أبو الفتح الواسطي مع كثرة تلامذتهِ الزائدين علىٰ الألوف لا يصحب إلا أرباب الأحوال، ومناقبهُ كثيرة أكثر من أن تحصى، ـ رضي الله تعالى عنهُ! ـ. انتهى.

ومنهم الشيخ الجليل العلامة، والإمام النبيل الفهامة، إمام علماء الشريعة الأعيان، ورئيس أكابر الصوفية أهل الشأن، مولانا الشيخ عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الشافعي المعروف بالدِّيْرِيني، تخرج بصحبتهِ الرجال، وانتمى إليهِ صدور العلماء الأبطال، وممن لبس خرقته الشيخ صدر الدين يحيى السبكي (رضي الله عنهُ!)، وغيرُه.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «طبقاتهِ الوسطى» حين ذكره: إن الشيخ عبد العزيز الديريني، كان شيخاً زاهداً ورعاً، زائد الأحوال والكرامات الخارقة، والمصنفات الكثيرة الشائعة، في الفقه، والتفسير، والأصول، وغير ذلك، ولهُ نظم كثير شائع، وكان مقيماً ببلاد الريف، يقصده الناس للزيارة من سائر الأقطار، وكانوا يرسلون لهُ مشكلات لمسائل من مصر فيجيب عنها بأحسن جواب، وكان كل كتاب صنفه في بلد يتركهُ فيها ولا يحملهُ معهُ، قال الشيخ الإمام الحجة قاضي القضاة، شيخ الإسلام، تاج الدين عبد الوهاب السبكي (قدس سره!) في «طبقاتهِ» راوياً عن عم أبيهِ الشيخ صدر الدين يحيى السبكي ـ قدس سره! ـ: إن الإمام الهُمَامَ عبد العزيز الديريني (قدس سره!) كان يقول:

الله ربـــي وحسبـــي ... الله أرجـــو وأحمـــد
وشـافعـي يـوم حشـري ... خيـر الخـلائـق أحمـد
صلـــى عليـــهِ إلٓهـــي ... أوفـــى صـــلاة وأحمـــد
ومـــالـــك والحنفـــي ... والشـــافعـــي وأحمـــد
وسيـدي ابـن الـرفـاعـي ... قطـــب الحقيقـــة أحمـــد
هـــذا مقـــال الـــدميـــري ... عبـد العـزيـز بـن أحمـد

* * *

ومن حكم سيدنا الشيخ عبد العزيز الديريني (رضي الله عنهُ!) ما نقلهُ ابن العماد في «كشف الأسرار» أيضاً من قولهِ:

وفيـك سـر نسخـة الـوجـود ... فـانظـرْ فـأنـت أقـرب الشهـود
فـالحزن فـي النفـوس والأفـراح ... مثـالهـا الظلمـة والإصبـاح
ومثلـهُ المعـرفـة المحققـه ... كالشمس في حالة صحو مشرقه
والعلـم يبـدو مثـل نـور البـدر ... والفهـم كـالنجـوم حيـن تسـري
والغيـم والسحـاب مثـل الجهـل ... والعقــلاء لاحتيـــاج العقـــل
وربمـا يخشـى مـن الكسـوف ... في الشمس مثل البدر في الخسوف
وشبهـوا الـركـون لـلآمـال ... بـالشـامـخ الـراسـي مـن الجبـال
وشبهـوا الأسـرار فـي البـواطـن ... كـأنهـا جـواهـر المعـادن
وشبهـوا الـودق فـي الأعضـاء ... مثـل العيـون فـي انبعـاث المـاء
وشبهـوا الجهـر مـع الإسـرار ... كـالبـرق فـي الآفـاق والبحـار
ثـم اختـلاف البخـل والسخـاء ... كحـالـي الشـدة والـرخـاء
ثـم الضيـا فـي العيـن والحـراره ... والـدم كـالـربيـع فـي النضـاره
والحـرّ واليبـس لـدى الشبـاب ... كـالعسـف والصفـراء بـالتهـاب
والبـرد واليبـس لـدى الشتـاء ... مثـل اختـلاف الشيـخ بـالسـوداء

والبرد واليبس لدى الخريف كبلغم المكتهل الضعيف
والريق والدمع الغزير الجاري كالعذب والملح من البحار
ودمعة الأحزان تجري مالحه ودمعة الأفراح تبدو صالحه
تشابه البرزخ للبحرين حلو وملح جريا من عين
والشعر من موضعهِ المخصوص كالأرض في النبات بالتخصيص
والنار في الطحال مثل المعده والكبد اللطيفة المنفرده
كالنار في لهيبها فإن عرض في حرها نقص فأسباب مرض
وشبهوا الأنفاس بالرياح ويعجز الفهم عن الأرواح
فانظرْ وفكرْ في جميع العالم ورددِ الفكرة في المعالم
وكُلُّ ما سوى القديم العالم فهو المسمى جملة بالعالم
فإن من ينظر في البناء يراه محتاجاً إلى بَنَّاءِ
والفكر في عجائب الصنائع يتقنهُ علم وجود الصانع
الواجب الوجود وهو الله وما لنا مدبر إلا هو
الظاهر المعروف بالدليل الباطن العالي عن التمثيل
الأول القديم لا بداية لكونهِ فما لهُ نهاية
إذ كل حادث فلا يستغني عن صانع منزه عن وهن
الآخر الباقي بلا نهاية وكل منته لهُ بداية
والواجب الذي استحال ضده فلا يجوز نفيه ورده
والمستحيل لا يجوز عقلاً وجوده فلا يكون أصلاً
والجائز الممكن بالتصوير وجوده والنفي بالتقدير
وعدم القديم مستحيل إذ الوجود وضعهُ المعقول
فالتزمِ التنزيهَ للخلاق واستعمل التنزيه في الأخلاق
واترك خصال الشرّ كي لا تشتبه بالمعتدين والقباح فانتبه
ككبر إبليس فمكر الثعلب وحدة الليث وخبث العقرب

والحرص في الكلب وجهل النمر — وشره الخنزير حين يجري
والغدر في الذئب وظلم الحية — وحمق الضباع في البرية
فمن نفى المذموم بالرياضة — طهر من أسراره رياضة
حتى يصير موطناً للغرس — ولاجتناء ثمرات الأنس
فنزهِ القصدَ عن انتقاص — كالعجب والرياء بالإخلاص
ونزِّهِ العهدَ عن الخيانه — بصحة الوفاء والأمانه
وطهرِ الباطنَ ثم الظاهر — واعمل بما يرضي الإلّه القادر

* * *

فهذه الأبيات قد اشتملت على بعض ما في الإنسان من جميع المخلوقات، فما من مخلوق إلا وفي الإنسان خصلة منهُ، إما صورية، وإما معنوية. انتهى.

وذكر الشيخ الشّعْراني في «طبقاتهِ» راوياً عن عمهِ الشيخ عبد الرحمن: أنهُ لما حضرت والده الوفاة دعا بكتاب «طهارة القلوب» للشيخ عبد العزيز الدِّيْرِيني، وقال لأخي أحمد: اقرأْ لي أحوال القوم عند طلوع روحهم. فصار يقول وهو يتنهد: سبقونا على خيل دهم، ونحن ورائهم على حمير.

قلت: وكتاب الشيخ عبد العزيز المسمى بطهارة القلوب، كتاب لم تكتحل عين الزمان بثانيهِ، لرقة ألفاظهِ وعذوبة معانيهِ، رتبهُ على نمط عجيب، وأسلوب غريب، أتى بهِ بالموعظة الحسنة، ففتح بهِ أقفال القلوب، واجتذب الناس إلى علام الغيوب، ومن كلامهِ فيه في قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾: المؤمن حقاً من كانت هذه صفاتهُ: الوجل عند ذكر الله، والخشوع عند سماع كتاب الله، والتوكل على الله، ولزوم طاعة الله، والجود بما أعطاه الله، ففي الصحيح عن رسول الله (ﷺ)

أنهُ قال: لا يدخل النار من بكى من خشية الله، حتى يلج اللبن في الضرع. وقال رسول الله (ﷺ): لا يدخل النار عين سهرت في سبيل الله، لا يدخل النار عين غضت عن محارم الله، لا يدخل النار عين بكت من خشية الله. قرأ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهُ! ـ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾. فلما بلغ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ خرَّ مغشياً عليهِ، وسمع مرة أخرى قارئاً يقرأ سورة الطور فوقف، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ استند إلى الحائط ساعة، وذهب إلى منزلهِ فمرض شهراً، والناس لا يدرون ما سبب مرضهِ.

وكان سفيان الثوري إذا جلس مع الناس كأن النار أحاطت بهِ، لِمَا يرى من شدة خوفهِ وجزعهِ، ولمّا نزل قولهُ تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ صاح سلمان الفارسي صيحة، ووضع يده على رأسهِ، وهام على وجهِ ثلاثة أيام، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فوالله لو يعلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوتهُ، وصلى حتى ينكسر صلبهُ.

واجتمع أصحاب الحديث يوماً على باب الفُضيل (رحمهُ الله!) فاطلع عليهم من كوة، وهو يبكي ويرجف، فقال: عليكم بالقرآن، عليكم بالصلاة، هذا زمان بكاء وتضرع، ودعاء كدعاء الغريق، هذا زمانُ آحفظ لسانَك، وأخفِ مكانك، وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، ودع ما تُنكر. وهذا أخذَهُ الفضيلُ من حديث عقبة بن عامر لمّا ذكر النبيُّ (ﷺ) اختلاف الزمان فقال: ما النجاة يا رسول الله؟ قال: أمسك عليك لسانك، وليسعْكَ بيتُك، وآبكِ على خطيئتك.

وكان الفضيل يوماً يمشي فقيل لهُ إلى أين؟ قال: لا أدري!. وكان والهاً من الخوف، ووقف قوم بعابد وهو يبكي، فقالوا لهُ: ما يبكيك؟ قال: روعة تجدها الخائفون في قلوبهم. قالوا: وما هي؟ قال: روعة النداء بالعرض على الله عزَّ وجل. وجاءت مولاة لعمر بن عبد العزيز

فقصت عليهِ أنها رأت في المنام كأن الصراط قد مُدَّ على جهنم، وهي تفور على أهلها، وذكرت أنها رأت رجالاً مروا على الصراط فأخذتهم النار، قالت: ثم رأيتك يا أمير قد جيءَ بك. فوقع عمر مغشياً عليهِ وبقي زماناً يضطرب، وهي تصيح في أُذنهِ: رأيتك واللهِ قد نجوت. قال أبو طارق: شهدت ثلاثين رجلاً أتوْا إلى مجلس الذكر صِحاحاً، فتصعدت قلوبهم من خشية الله، فماتوا كُلُّهم في مجلس واحد.

قصوا عليَّ حديثَ مَنْ قتلَ الهوى إن التـأسـي روحُ كـلِ حـزيـن

* * *

التَّدبُّرُ في كلام اللهِ وثمرته

قال منصور بن عمار: دخلت الكوفة فبينما أنا أمشي في ليلة مظلمة إذ سمعت بكاء رجل بصوت شجي من داخل دار، وهو يقول: إلٓهي وعزتِك وجلالِك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولكن عصيتك بجهلي، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟ واذنوباه، واغوثاه، يا الله. قال منصور: فأبكاني كلامهُ وبكاؤه، فوقفت وقرأت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾. فسمعت للرجل اضطراباً شديداً وصياحاً، فوقفت حتى انقطع الصوت، ومضيت، فلما أصبحت أتيت إلى الدار، فوجدت الرجل قد مات، والناس في تجهيزه، وعجوز تبكي، فسألت عنها؟ فقيل لي: هي أمُهُ. فتقدمت إليها وسألتها عن حالهِ، فقالت: كان يصوم النهار، ويقوم الليل، ويكتسب الحلال، فيقسم كَسْبَهُ أثلاثاً، ثلث يفطر عليهِ، وثلث ينفقهُ عليَّ، وثلث يتصدق بهِ، فلما كان البارحة مرَّ بهِ إنسان، وهو يقرأ، فسمع آية من القرآن ففارق الدنيا.

وسمع مسروق بن محمد قارئاً يقرأ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾. فَشَهَقَ شَهْقَةً لحق منها الآخرة، وسمع يحيى البكّاء رجلاً يقرأ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾. فصاح صيحة مرض منها أربعة أشهر، يعاد من أطراف البَصْرة. انتهى.

وذكر الإمام العلامة أبو العباس، أحمد بن العماد، الأقفهسي (نفعنا الله بهِ!) في كتابهِ «كشف الأسرار» أنَّ سيدنا الشيخ عبد العزيز الديريني (رضي الله عنهُ!) قال: وإنما تحصل القسوة من مبالغة دواعي الشهوة؛ فإنَّ الشهوة والصفرة لا يجتمعان في الخاطر، والذي يخطر في القلب إن كان باعثاً إلى الخير فهو من جهة الملك، ويسمى إلهاماً، وإن كان باعثاً على الشر فهو من جهة الشيطان، ويسمى وسوسة، فالخاطر معفو عنهُ بالإجماع، وإذا خطر في قلب الشخص الزنا، أو السرقة، أو فعل معصية، فتارة يعرض الإنسان عنهُ، وتارة يهمّ بفعلهِ، فإذا همَّ بفعلهِ فتارة يعزم عليهِ ويصمم، وتارة ينحل عزمهُ وينصرف عنهُ همهُ، فإن صرف عنهُ همهُ ولم يعزم لم يؤاخذ، وإن عزم على الفعل وصمم ولم يفعل فقد اختلفوا في تأثيمهِ، فقيل: لا إثم عليهِ لقولهِ (ﷺ): إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت بهِ أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل. وهذا لم يتكلم ولم يعمل بهِ إلى الآن، والصحيح أنهُ يأثم بالتصميم والعزم على الفعل، كما يأثم المصر على فعل المعصية، ولقولهِ (ﷺ): إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قيل: يا رسول الله هذا من القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنهُ كان حريصاً على قتل صاحبهِ. فانظرْ كيف دخل النار بالحرص على القتل، وإن لم يقتل.

وأجيب عن الأول بأنهُ إنما أثم لأنهُ قد عمل بما صمم عليهِ فإنهُ شهر السلاح على أخيهِ، فدخل في قولهِ (ﷺ) ما لم تتكلم بهِ أو تعمل. فيكون آثماً بذلك، فبنوْا على هذا الخلاف ما لو اشترى سلاحاً للتجارة، ثم قصد إمساكهُ لقطع الطريق، فإن قلنا: لا يأثم بالتصميم، سقطت عنه زكاة

التجارة، كما لو نوى إمساكه للفتنة، وإن قلنا: يأثم، لم ينقطع حول التجارة، ذكر ذلك في الكفاية، إذا علمت ذلك فالمصلي إذا خطر بقلبهِ خاطر وصرفهُ عنهُ بهمةٍ واشتغل بالصلاة، لم يؤاخذ بذلك، ولا يكون ذلك قادحاً في حصول هذا الأجر، ويشهد لذلك قولهُ (ﷺ): لا يحدث فيهما نفسهُ. وإنما يحدث نفسهُ إذا كان فاعلاً للحديث، أما إذا كانت نفسهُ تحدثهُ وهو لا يجيبها ولا يحدثها، ويصرف همهُ عنها، لم يضره ذلك. انتهى.

ومواعظهُ (رضي الله تعالى عنهُ!) كثيرة، وكراماته شهيرة، مات في حدود الست مئة (رضي الله تعالى عنهُ، وعن أولياء الله أجمعين!).

وأتباع الشيخ أبي الفتح الواسطي، تلميذ سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي (رضي الله عنهُ!) كثيرون، منهم: الشيخ أبو السعود ابن أبي العشائر الواسطي، أخذ عنهُ سيدي داود الأعزب، وسيدي خضر الكردي، الذي تلمذ لهُ الملك الظاهر أبو الفتوحات، نزل بمصر، وأقام فيها حتى مات، قال الشيخ الشعراني: هو شيخ الخرقة السعودية في مصر وقراها. ثم قال: وكان من أجلاء المشايخ، وكان السلطان بمصر ينزل إلى زيارتهِ، ويتأدب بين يديهِ كآحاد الناس، وكان الناس يسمعون عند خلع نعلهِ أنيناً كأنين المريض، فسألوه عن ذلك؟ فقال: هي نفسي أخلعها عند النعال، فتئن عند زوال تكبرها ورياستها. وصام في المهد ـ رضي الله تعالى عنهُ! ـ، ومات بالقاهرة في يوم الأحد تاسع شوال سنة أربع وأربعين وست مئة، وقبره بالقَرَافة ظاهر، يزار كل يوم أربعاء، وكلَّ يوم سبت، ولهُ كرامات وخوارق مذكورة في «الطبقات الكبرى».

وكان يقول: المريد الصادق كتابهُ قلبهُ. وكان يقول: من كان شغلهُ الطلب لطريق الله يوشك أن لا يضل، ومن كان الله شغلهُ يوشك أن لا يقف. قال: والطلب شغل الظاهر، والمطلوب شغل الباطن، ولا يستقيم ظاهر إلا بباطن، كما لا يسلم لأحد باطن إلا بظاهر.

وكان يقول: لا تأمن من الغش ممن يغش نفسهُ. وكان يقول: من رأيتهُ يميل إليك لإجل نفعهِ منك فلا تركن إليهِ فإنهُ بئس الصاحب. وكان يقول: من مدح الدنيا في مجلسك ففر منهُ، ومن أغفلك عن مولاك فأعرض عنهُ. وكان يقول: عليك بالاشتغال بالله؛ فإن لم تقدر على ذلك فاشتغل بما يقربك إليهِ، ولا أرى لك عذراً في ترك ما يقربك إليهِ؛ لأنها أول الدرجات.

وكان يقول: صلاح القلب في التوحيد والإخلاص، وفساده في الشرك والرياء. وكان يقول: إذا لم تستقمْ في نفسك فكيف تقوّم غيرك ؟! وكان يقول: أستغفرُ اللهَ عددَ أنفاسي في تقصيري في كل عبادة تقربت بها إليهِ. وكان يقول: جميع الأخلاق المحمودة تنشأ من القلب، وجميع الأخلاق المذمومة تنشأ من النفس. وكان يقول: ما وصل أولياء الله إلى ما وصلوا بالأعمال، وإنما وصلوا بالأدب في الأعمال. وكان يقول: الأصول الذي يبني عليها المريد أساسه أربعة: اشتغال اللسان والقلب بالذكر، وجبر القلب على مراقبة الرب، ومخالفة النفس والهوى من أجلهِ، وتصفية اللقمة من الشبهات، وهي القطب، وبها تذكو الجوارح.

وكان يقول: المراقبة لله هي مفتاح كل سعادة، وبها يطهر القلب. وكان يقول: لا يستقيم لمريد أمره في الطريق إلا بإدخال النفس في كل شيء يغمها ويؤلمها من الطاعات، وذلك حتى تذل وترجع مطيعة لصاحبها؛ فإن النفس إذا استولت على الإنسان أسرتهُ، وصارت الولاية لها على القلب، فإن تحركت تحرك القلب، وإن سكنت سكن القلب. وكان يقول: من أعرض عنهُ الخلق كلهم فتغير منهُ شعرة فهو واقف معهم مشرك بربهِ، ومن ابتلي بكل مرض فتغير منهُ شعرة فهو واقف مع نفسه في حجاب عن ربهِ، ومن تغير في حال الذل ولم يكن كما هو في حال العز فهو محب للدنيا بعيد من حضرة ربهِ.

وكان يقول: كلُّ ما أشغل القلب عن ذكر الله فهو دني، وكلُّ ما أوقف

- القلوب عن طلبهِ فهو دني، وكلُّ ما أنزل الهم بالقلب فهو دني، والأمر وراء ذلك كُلِّه. وقد ذكرنا من كلامهِ جملة صالحة في «الطبقات الكبرى»، وهو من أوسع الأولياء دائرة في علم السلوك، ـ رضي الله تعالى عنهُ، ورحمهُ رحمة واسعة بمنهِ وكرمهِ! ـ. انتهى.

قال الشَّعْراني (قدس سره!) في «طبقاتهِ الوسطى»: ومنهم الشيخ علي المليجي (رضي الله عنهُ!)، هو من أجلّ أصحاب الشيخ أبي السعود ابن أبي العشائر، وكان معاصراً لسيدي أحمد البدوي، وهو أول المشايخ، يعمل مولده كل سنة قبل جميع أشياخ الغربية، ويحضره خلائق وتجار وغيرهم، وكان سيدي أحمد البدوي إذا أرسل سيدي عبد العال في حاجة إلى مصر يقول: إذا وصلت إلى ناحية جمزور فاخلع نعلك؛ فإن من هناك خيامَ المليجي ضربت، فلا تمش بيّن خيامهِ بنعل.

وطلب سيدي أحمد شخصاً يبني عنده في مقامهِ فأبى، وكان يبني عند سيدي علي المليجي في مقامهِ الذي عمره لهُ السلطان محمدُ بن قلاون، فسقطت يد البَنَّا حين خالف سيدي أحمد، فجاء البَنَّا بيده في قُفَّة النجاري مقطوعة، فأخذها سيدي علي، وبصق عليها، فالتصقت بإذن الله تعالى، وأرسل يقول لسيدي أحمد: ليس الرجل من يفصل، وإنما الرجل من يوصل. وهو يباسطهُ في الكلام، وكان (رضي الله تعالى عنهُ!) يقول: عليكم بكثرة الاحتمال للناس في سائر أصناف الأذى؛ فإن الرجل لا يكمل عندنا إلا بذلك. وكان يقول: لا ينبغي لفقير أن يمد يده قط لشبهة؛ فإن كُلَّ لقمة منها تقلب قلب الفقير وتدنسهُ شاء أم أبى. وكان يقول: الفقير في حجر تربية الحق، كاليتيم في حجر وليهِ، فإياك أن تؤذي أحداً من الفقراء، فإنك تحارب الله تعالى. وكان يقول: إذا قلت البركة في رزقك، فاعلم أن ذلك من غفلتك عن الله عز وجل.

ودخل لزيارتهِ السلطان محمد بن قلاون مرة على غفلة، وكان طعام الشيخ نحو قدح من العدس، بشيء من الدهن، فقال للسلطان وجماعته:

قد عملنا لكم غداكم فلا تطبخوا شيئاً، فغطى الشيخ القدر، وصار يغرف منها حتى كفى عسكر السلطان كلَّهُ، فلما استعجب الناس من ذلك قال: وعزة ربي أقدر بفضل الله أغرف منها للناس إلى يوم القيامة ـ رضي الله عنهُ! ـ.

وكان من أجل أصحاب سيدي عبد العزيز الديريني، وكان ينسج القطن، ويجعل على كل خيط انقطع نقطة زعفران، واشتهر عنهُ أنهُ كان ينزل سوق مليج يبيع فيهِ الخام، ثم يأتي بفواكه من الشام، ومن بلاد المشرق، فبلغ ذلك سيدي عبد العزيز فقال: يا علي! الفقير في هذه الدار كالشخص في بيت الخلاء، فيجب عليهِ رد الباب حتى تقضى حاجتهُ في هذه الدار. فقال: أنا أمشي لا أحس بنفسي إلا في الإسكندرية، أو الشام، ولم أقصد ذلك. فقال: هذا عذر لا يكفي من مثلك، إنما الرجل من يعرف حركاته وسكناته. فتاب سيدي علي من ذلك، وستر كراماته حتى مات، (رضي الله عنهُ!). انتهى.

ومنهم: الشيخ عبد الله البلتاجي (رضي الله تعالى عنهُ!)، هو من أجل مشايخ عبد العزيز الديريني، وكان إماماً في العلوم النقلية والكشفية، صاحب التصريف الكبير والأنفاس، ولهُ كرامات كثيرة، جمعت في مجلد ضخم، وكان سيدي عبد السلام القليبي يهدي لهُ كل سنة حمل حمارته بصلاً، فيُحَمِّلُها لهُ فاكهة من فواكه الشام، وليس ببلاده حينئذ فواكه.

وزاره سيدي يوسف العَجَمي مرة فضاعت حمارة الشيخ يوسف، فقال لهُ وهو في القبر: يا عبد الله، رد لي حمارتي، وإلا لم أعد أزورك. فطلع الشيخ عبد الله من القبر، وأتاه بالحمارة من البرية، وقد جعل برذعتها على رأسهِ، وقال يا يوسف: إذا جئت لزيارتنا مرة أخرى فقيد حمارتك بقيد من حديد. وهو متبسم.

وكان يقول: لا يبلغ الرجل عندنا مراتب الكمال إلا إن علم جميع شرائع الأنبياء، ثم يستخرجها كلها من القرآن العظيم.

وكان يقول: كل فقير لا يؤثر إخوانهُ على نفسهِ في جميع الأعراض فرّوا منهُ بقلوبهم. وكان يقول: من لم ينظر في أخلاق السلف الصالح وما كانوا عليهِ شقي، ولا ينفعه عمل. وكان يقول: كل فقير كان لهُ فراش للنوم فهو والبهائم سواء. وكان يقول: من أكل من أطعمة الناس آسود قلبهُ، ولا تفي أعمالهُ بجلائهِ، فالصادق من أكل من عمل يده والسلام. وكان لهُ بنت فقالت أمها: لا أزوج بنتي إلا لشيخ الإسلام. فقال الشيخ: قد خطبها مني فلان التاجر، وأنا أستحي أن أزوجها لغيره. فقالت: لا بد من تزويجها لشيخ الإسلام. فقال الشيخ: نوليه لأجلك شيخ الإسلام. فاستبعد الناس ذلك، فبلغ الخبر السلطان أن صهر الشيخ من العلماء الكبار، فأرسل وراءه وولاه شيخ الإسلام بمصر، وقال لهُ الشيخ: كل سؤال جاءك فانظر تَجِدِ الجواب مكتوباً في الحائط أمامك. فلم يزل شيخ الإسلام إلى أن مات بعد ثلاث سنين، وكراماتهُ كثيرة مشهورة في بلاد الغربية وغيرها، (رضي الله تعالى عنهُ، ورحمهُ رحمة واسعة؛ بمنهِ وكرمهِ!).

ومنهم: الشيخ عبد السلام القليبي (رضي الله عنهُ!)، كان من اكابر الأئمة الراسخين في علم الظاهر والباطن، وظهر لهُ كرامات لا تحصى، وتواترت الأخبار أنهُ كان يعدي من نحو أبيار على حجر، إذا لم يجد المعدية، وفي بعض الأوقات كان ينزل البحر بثيابهِ، فيمشي تحت الماء إلى ذلك البر، من غير أن تبتل ثيابهُ، وكان يقول: من لم يقرأ كتب الشريعة، والخلاف العالي بين المذاهب، لا يُقتدى بهِ في الطريق. وكان يقول: من شرط الفقير ملازمة باب الحق دون الخلق. وكان يقول: من غفل عن الله نَفَساً واحداً عُدَّ من الغافلين. وكراماتهُ مشهورة في بلاد الغربية، (رضي الله تعالى عنهُ، ورحمهُ الله!). انتهى. بحرفهِ من «الطبقات الوسطى».

قلت: ومن بعض من ينتسب إلى الأعتاب الرفاعية بواسطة ولي الله

الشيخ أبي الفتح الواسطي (رضي الله عنهُ!)، سيدنا شيخ الإسلام، وإمام رجال عصره الكرام، مَعْدِن الفضل والعرفان والكمال، مولانا الشيخ أحمد بن جلال، قال في خاتمة كتابهِ «جِلاء الصدى» ما نصهُ: حَلاَلي أن أمتثل أمر التحدث بالنِّعم، وأنشر بهِ على رأسي أرفع عَلَم، مما قد منَّ الله عليَّ بهِ من تشبهي بأهل الإرادة، وتشبثي بذيل السادة، بما قد وصل من سلسلتي إلى حضرة ولي الله تعالى على الإطلاق، قطب الإرشاد، وغوث العباد بلامين ولا اختلاف، الخاضع لديهِ أعناق ذوي الكمال، عُجْماً وعُرْباً، والطامح إليهِ أحداق أولي الآمال بُعْداً وقرباً، الذي في ممالك الولاية نفذت أحكامه، وانهزمت عساكر الغَواية، حيث بدت أعلامه، الذي شراح كمالهِ كليلة، وبضائع المدائح في ساحات جلالهِ قليلة، الرافع ألوية الهدى في الطريقة، والجامع بين أنوار الشريعة وأسرار الحقيقة، الشيخ الإمام المقتدى، رأس مَنْ إلى الحق اهتدى، مفيض الفيوض القدسية، والمفاض عليهِ من بحر الكرم الوافي، زين الحق والحقيقة، والصدق والطريقة، والملة والشريعة والدين، أبي بكر، ابن محمد، بن علي الخوافي، خلد الله تعالى ظلال جلال تربيتهِ وإرشاده، وأشرق بإشراق أنوار هدايته أقطار بلاده، وذلك أنهُ أخذ الطريقة عن شيخهِ شيخ المشايخ، ذي المجد السامي، والعز الشامخ، الإمام المشهور، والعلم المنشور، قطب الأقطاب، وغوث الأحباب، أوحد الدعاة إلى الله الباري، نور الحق والدين، عبد الرحمن القُرشي المصري.

وهو قد تربى بتربية الشيخ الإمام المحقق العارف، مجمع المعاني والمعارف، ظهير الحق والدين، عيسى الأبيدري المصري الأحمدي، وهو أخذ الطريقة عن شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، مرشد الأنام إلى الملك السلام، عبد السلام القليبي، وهو عن الشيخ الإمام، والمرشد الهُمَام، صاحب البارقة، رفيع المنزلة والمقام، العارف بالله، والداعي بالله إلى الله، أبي الفتح الواسطي، وهو عن قائد أزمة الطريقة، وسيد أئمة

الحقيقة، سراج طرائق الصدق بالاتفاق، وصباح معارف أهل الحق على الإطلاق، سلطان العارفين بالله الخبير، محيي الحق والدين، أبي العباس، السيد أحمد الكبير. اهـ.

هذا وإنَّ أتباع الشيخ أبي الفتح الواسطي (رضي الله عنهُ!) لا تحصى، ومناقبهُ لا تُستقصى، ـرضي الله عن أشياخه وأسلافهِ، وأتباعه في طريقهِ وأخلافهِ آمين!ـ.

وإنَّ من أجل الطريقة الرفاعية، الشيخ الإمام، بقية آل الرسول الكرام، ذا الجناحين، ومفخر آل الحسين، الشيخ الشريف، أبا بكر بن عبد العيدروس العَلَوي الحسيني.

أخذ الطريقة الرفاعية عن شيخهِ الإمام الهُمَام، الشيخ عبد الله بن أحمد ابن مخزمة، وهو عن الشيخ أبي شكيل محمد بن مسعود بن شكيل الأنصاري، عن القاضي الشيخ محمد بن سعيد كين، عن الشيخ أحمد الرداد، عن الشيخ إسماعيل بن أحمد الجبرتي، عن الشيخ محمد بن أبي بكر الضجاعي، عن الشيخ إبراهيم بن عبد الله الضجاعي، عن الشريف الشيخ محمد بن الشيخ حسين السمرقندي، عن السيد حسين بن السيد أحمد الرفاعي، عن أبيهِ السيد أحمد الرفاعي، عن الشيخ تاج الدين بن السيد شمس الدين محمد الرفاعي، عن السيد أحمد بن السيد محمد الرفاعي، عن السيد أحمد بن السيد علي الرفاعي، عن السيد علي الرفاعي، عن السيد محمد الرفاعي، عن القطب الأقرب السيد إبراهيم الأعزب، عن عمهِ الأجل سيدنا السيد مُمَهِّد الدِّين عبد الرحيم، عن أخيهِ السيد الجليل سيف الدِّين علي بن عُثمان، عن سيدنا الغوث الأجل السيد أحمد الرفاعي الكبير (رضي الله عنهُ!).

ولا يخفى أنَّ مؤلفات الإمام أبي بكر العيدروسي (قدس سره!) في علوم الشريعة والحقيقة كثيرة جداً، وقد خدم الحضرة الرفاعية بكتاب مخصوص، أَلفهُ في مناقب سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي، وشرفهِ

وأحوالِهِ، وكراماتِهِ وأقوالِهِ، سماه «النجم الساعي في مناقب الغوث الرفاعي». وله الهمم العظيمة والمآثر الكريمة.

قال في «المشرع الروي في مناقب آل عَلَوي»: أبو بكر بن عبد الله العيدروس، ابن أبي بكر، بن عبد الرحمن (رضي الله عنهُ!)، السيد الكبير، عديم المثيل والنظير، وحيد زمانهِ على الإطلاق، وحائز قصبات السبق على أقرانهِ بالاتفاق، الذي لم ينسج الدهر بعده بمثالهِ، وعجز من بعده أن ينسج على منوالهِ، رافع راية المجد والكرم، والمقلد بمواهبهِ رقاب الأمم من العرب والعجم، سيد السادات الأشراف، ومنتقى جوهرها الشفاف، أفرد ترجمته بالتأليف العلامة محمد بن عمر بحرق في كتابهِ «مواهب القدوس في مناقب ابن العيدورس» إلى أن قال: ولد (رضي الله عنهُ!) سنة إحدى وخمسين وثمان مئة بتَرِيْم المحروسة، وقد ذكر العلامة محمد بحرق بعد أن وصف الشيخ أبا بكر العيدروسي العَدَني ـ المشار إليه ـ بقطبانية وقتهِ، وعَدَّدَ لهُ المناقب الكثيرة، والكرامات الوفيرة، قال: توفي يوم الثلاثاء لإربع عشرة خلت من شوال، سنة أربع عشر وتسع مئة ببندر عَدَن المشهور، قال في «المشرع الروي»: وقبره بهِ كالشمس الضاحية، يقصد للزيارة من كل ناحية، ورثاه جماعة من الأدباء بمراثي عظيمة.

وعَدَن: بلد مشهور بساحل الهند، من ناحية اليمن، سميت باسم عَدَن ابن سنان، بن إبراهيم الخليل عليهِ الصلاة والسلام. إلى آخر ما قال، وهو كما لا يخفى رجل سيد كبير، وإمامٌ فضلُهُ شهير، ـ رضي الله عنهُ وعن أسلافهِ الطاهرين أجمعين! ـ.

* * *

* *

*

ترجمة شيخ الإسلام شمس الدين الجَزَري رضي الله عنه!

ومنهم: شيخ الإسلام، ومقتدى الأئمة الأعلام، الإمام الهُمَام، سيدنا الشيخ شمس الدين الجَزَري (رضي الله عنهُ!)، تلمذ لهُ أكابر الرجال، وتلقى عنهُ الطريقة فحول وقتهِ الأبطال، وممن أخذ عنهُ شيخ الإسلام الشيخ كمال الدين إمام الكاملية، وتخرج بصحبتهِ جماعة كثيرون، وانتهت إليهِ مشيخة الإقراء والقراءات السبعة، وكان على جانب عظيم من التبحر في علوم الشرع.

قال الشيخ الشَّعْراني (قدس سره!) حين ترجمهُ: ومنهم الشيخ الصالح العالم الزاهد، الشيخ شمس الدين الجَزَري، الشافعي، الغمري، (رضي الله تعالى عنهُ!)، كان على قدم عظيم في ضبط اللسان والجوارح، لا يكاد كاتب الشِّمال يجد شيئاً يكتبهُ الجُمُعَةَ وأكثر، وكان وقتهُ كلُّهُ معموراً بالعِلْم والعمل والأوراد، وما سمعتهُ قط يذكر أحداً بسوء، ولا يأكل لأحد من المتهورين في مكاسبهم طعاماً، وكان يحسب مالهُ، ويخرج زكاتهُ على التمام والكمال، وكان كثير الصدقة سرّاً، ويتفقد جيرانه بالطعام كُلَّ ليلة، وكان حُلْوَ اللسان، كثيرَ الحياء، كثير الأدب، كثير الحِلْم والعِلْم، وبالجملة فقد كان عديمَ النظير في عصره، وأوصافهُ كثيرة، (رضي الله تعالى عنهُ ورحمهُ!).

ترجمة عَلَم الإسلام الإمام جلال الدِّين السُّيوطي رضي الله عنه!

ومنهم: شيخ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث، الحافظ الكبير، والإمام الشهير، ولي الله، الشيخ جلال الدين السيوطي (رضي الله عنه!)، شهرتهُ بين المسلمين في المشرق والمغرب غنية عن تعريفهِ، أخذ

الخلافة، ولبس الخرقة الرفاعية من سيدي الشيخ كمال الدِّين إمام الكاملية (رضي الله عنه!)، وهو أخذها عن الشيخ شمس الدين الجَزَري، وهو أخذها عن الشيخ زين الدِّين المراغي، وهو أخذها عن عز الدين أحمدَ الفَارُوثي الواسطي، عن أبيهِ، عن جده، عن شيخ الشيوخ مولانا وسيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي (رضي الله عنهم أجمعين!).

قال الإمام الشعراني (قدس سره!) عند ذكره في «طبقاتهِ»: ومنهم شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى، الشيخ جلال الدين السيوطي ـ رحمهُ الله تعالى! ـ، وقد كان (رضي الله تعالى عنهُ!) يقول: قد أشاع الناس عني أنني أدعيتُ الاجتهاد المُطْلق، كأحد الأئمة الأربعة، وذلك باطل عني، وإنما مرادي بذلك المجتهد المُنْتَسِب؛ فإنَّ الاجتهاد على نوعين: أحدهما المجتهد المطلق المستقل، وهذا النوع قد فقد من القرن الرابع، ولا يتصور وجوده الآن، ولم يَدَّعِهِ أحد بعد الإمام الشافعي إلا ابن جرير خاصة، النوع الثاني: المجتهد المطلق المُنْتَسِب، وهذا هو المستمر إلى أن تقوم الساعة، وفي أصحاب الشافعي من أهل هذا النوع كثير، كالمُزَني، وابن سريج، والقفال، وابن خزيمة، وابن الصباغ، وإمام الحرمين، وابن عبد السلام، وتلميذه ابن دقيق العيد، والشيخ تقي الدين السبكي، وولده عبد الوهاب؛ فإنهُ كتب مرة لنائب الشام: أنا مجتهد الدنيا على الإطلاق، ولا يقدر أحد يرد عليَّ هذه الكلمة.

فكُلُّ هؤلاءِ مجتهدون منتسبون، وكذلك القول في أصحاب الإمام مالك، كابن وهب، وأضرابه، بلغوا الاجتهاد المطلق في مذهب مالك، وكذلك أبو يوسف، ومحمد، بلغا الاجتهاد المطلق في مذهب أبي حنيفة.

قال الشيخ جلال الدين: ومع ذلك فلم يخرج هؤلاء عن تبعيتهم لإمامهم، فمن أنكر الاجتهاد مطلقاً فهو جاهل. انتهى. فَنَزِّلْ ـ يا أخي ـ هذا على ما ننقلهُ عنهُ في شأن الاجتهاد كذلك، وقد كان الشيخ جلال

الدِّين (رحمهُ الله تعالى!) على قدم السلف الصالح من العلماء العاملين، والأكابر من العارفين، وكان (رضي الله تعالى عنه!) لهُ مكاشفات غريبة، وخوارق وعلوم جمة، ومصنفات جيدة كثيرة الفوائد، أرسل لي ورقة مع والدي بإجازتهِ لي بجميع مروياتهِ ومؤلفاتهِ، ثم لما جئت إلى مصر قبيل موتهِ اجتمعت بهِ مرة واحدة، فقرأت عليهِ بعض أحاديث من الكتب الستة، وشيئاً من «المنهاج» في الفقه تبركاً، ثم بعد شهر سمعت ناعيَه ينعي موتهُ، فحضرت الصلاة عليهِ عند الشيخ أحمد الأباريقي بالروضة، عقب صلاة الجمعة، وفي سبيل المؤمنين، وعند الجامع الجديد بمصر العتيق، (رضي الله تعالى عنهُ!).

وقد جمع الشيخ عبد القادر الشاذلي بعض مناقبهِ في جزء، وها أنا ملخص لك عيونَهُ، فأقول وبالله التوفيق:

كان الشيخ جلال الدين (رحمهُ الله تعالى!) مجبولاً على الخصال الجميلة: من صفاء الباطن، وسلامة السريرة، حَسَنَ الاعتقاد، زاهداً، ورعاً، مجتهداً في العِلْم والعمل، لا يتردد إلى أحد من الأمراء والملوك وغيرهم مدة حياتهِ (رضي الله تعالى عنه!)، وكان يظهر كلما أنعم الله تعالى عليهِ من الأخلاق والعلوم، ولا يكتم منها إلا ما أمر بكتمهِ عملاً بقولهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. وكان من لا يعرف مقصده يقول: فلان عنده دعوى عظيمة. وسيأتي ما يشهد لهُ أوائل ختم هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وكان (رضي الله تعالى عنهُ!) يفتي بتحريم الاشتغال بعلم المنطق، وينقل تحريم ذلك عن شيخهِ عَلَم الدِّين البلقيني، وألف كُرَّاسة في ذلك سماها «الغيث المُغْدِق في تحريم المنطق»، وكتبهُ جماعة، قال: وهذه الواقعة أول وقائعي التي قام الناس عليَّ فيها.

وكان يقول: ينبغي للمدرس أن يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك، وسورة الإخلاص، والمعوِّذَتين، والفاتحة، كلما يريد أنْ يُدرِّس، وينقل

فعل ذلك عن شيخ الإسلام علم الدين صالح البلقيني (رحمهُ الله تعالى!)، وكان يقول: أخذت علم الحديث عن ست مئة نَفْس، وقد نظمهم في أرجوزة، قال: وهم أربع طبقات: الأولى، من يروي عن أصحاب الفخر ابن البخاري، والشرف الدمياطي ووزيره، والحجار، وسليمان بن حمزة، وأبي أحمد بن الشيرازي، ونحوهم.

الثانية: من يروي عن السراج البلقيني، والحافظ أبي الفضل العراقي، ونحوهما، وهي دون التي قبلها في العلو.

الثالثة: من يروي عن الشرف بن الكويك، والجمال الحنبلي، ونحوهما، وهي دون الثانية.

الرابعة: من يروي عن أبي زرعة العراقي، وابن الجزري، ونحوهما. وهذه لتكثير العدة، وتكبير المعجم، ولم أرو عنها شيئاً لا في الإملاء، ولا في التخريج، ولا في التأليف.

وصنف (رحمهُ الله تعالى!)، في مكة لما حج وجاور كُرَّاسة على نمط عنوان الشرف في يوم واحد، تحتوي على نحو، ومعاني، وبديع، وعروض، وتاريخ، وكان يقول: لما حججت شربت ماء زمزم على نية أن أكون في الفقه كالشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحفظ للحديث كالحافظ ابن حجر.

وكان يقول: انقطع إملاء الحديث بالديار المصرية بعد الحافظ ابن حجر عشرين سنة، فابتدأت في إملاء الحديث مستهل سنة اثنين وسبعين وثمان مئة، في جامع ابن طولون. قال: وأول من أملا الحديث فيهِ الربيع ابنُ سليمان صاحب الإمام الشافعي (رضي الله تعالى عنهُ!). قال: وإنما اخترت الإملاء يوم الجمعة بعد الصلاة اتباعاً للحفاظ المتقدمين، كالخطيب البغدادي، وابن السمعاني، وابن عساكر، خلاف ما كان عليهِ العراقي، وولده، وابن حجر، فإنهم كانوا يملون يوم الثلاثاء. قال: وكان

بداية اقتدائي به سنة إحدى وسبعين وثمان مئة، وخالفني أهل عصري في خمسين مسألة، فألفت في كل مسألة مُؤَلَّفاً، بينت فيهِ وجه الحق. قال: ولما بلغت مرتبة الترجيح لم أخرج في الإفتاء عن ترجيح النووي، وإن كان الراجح عندي خلافهُ، ولما بلغتُ إلى مرتبة الاجتهاد المطلق، لم أخرج في الإفتاء عن مذهب الإمام الشافعي (رضي الله تعالى عنه!) كما كان القفال يفتي بعد بلوغه درجة الاجتهاد المطلق، فكان يفتي بمذهب الإمام الشافعي، لا باختياره، ويقول: السائل إنما سألني عن مذهب الإمام الشافعي، لا عن ما عندي أنا من العلم، مع أني لم أختر شيئاً خارجاً عن المذاهب إلا يسيراً جدّاً، وبقية ما اخترتهُ هو من المذهب، إما قول آخر للشافعي قديم، أو جديد، أو وجه في المذهب لبعض أصحابهِ، وكل ذلك راجع إلى المذهب، وليس بخارج عنهُ.

ولهُ من المؤلفات أربع مئة وستون مُؤَلَّفاً، مذكورة في كتاب فهرسة كتبهِ من عشر مجلدات إلى ما دونها، وانتشرت مؤلفاتهُ في البلاد الحجازية، والشامية، والحلبية، وبُصْرى، والروم، وبلاد التكرور، والمغرب، والهند، واليمن، وغيرها، وكان يقول: مما أنعم الله بهِ عليَّ هؤلاء الجماعة الذين انتصبوا لعدواتي، وآذوني، وذلك ليكون لي أسوة بالأنبياء والمرسلين، وقد كان أبو الحسن الشاذلي يقول: لمَّا علم الله ـ عزَّ وجل ـ ما سيقال في أنبيائهِ وأصفيائهِ من الزور والبهتان، قضى على قوم بالشقاء، فنسبوا لهُ زوجة وولداً، ونسبوا الأنبياء إلى السحر والجنون، حتى إذا ضاق ذرع الولي من كلام قيل فيهِ، نادتهُ هواتف الحق: أما ترضى أن تكون لك أسوة بي، وبأنبيائي فيما نسب إليَّ وإليهم من البهتان؟ فهناك يسكن قلب الولي، فالحمد لله رب العالمين.

وكان يقول: قد رزقني الله تعالى التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريق المتأخرين من العجم وأهل الفلسفة. قال:

ودون هذه السبعة في المعرفة: أصول الفقه، والجدل، والتصريف، والفرائض، والإنشاء، والترسل، والقراءات، والطب، والحساب. وكان يقول: قد بلغت مقام الكمال في جمعي آلات الاجتهاد المطلق المنتسب، وصرحت بذلك تحدثاً بنعمة الله (عزّ وجل) لا فخراً بالدنيا، وأي قدر للدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر، وقد أزف الرحيل، وبدأ الشيب، وذهب العمر؟ ولو أني أردت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً يحتوي على أدلتها وتفاصيلها وفروعها لفعلت، كل ذلك بفضل الله تعالى لا بحولي وقوتي. وكان يقول: قد استنكر جماعة بلوغي مرتبة الاجتهاد المطلق في الفقه، والحديث، والعربية، لظنهم انفرادي بذلك بعد الأئمة المجتهدين، وغاب عنهم أنها كانت مجتمعة في الشريف تقي الدين السبكي (رحمهُ الله تعالى!)، وقبلهُ جماعة اتصفوا بالاجتهاد المطلق، لكن في الفقه فقط. وقال: الجامعون بين هذه الثلاثة علوم فقليل، ولم تجتمع في أحد بعد السبكي غيري.

قال: ولا يظن أن من لازم الاجتهاد المطلق أن يكون مجتهداً في الحديث، مجتهداً في العربية، لأنهم قد نصوا على أنهُ لا يشترط في الاجتهاد المطلق التبحر في العربية، بل يكتفى فيها بالتوسط، ونصوا في الحديث على ما يؤدي إلى مثل ذلك، والاجتهاد في الحديث هو الرتبة التي إذا بلغها الإنسان سمي في عُرف المحدثين بالحافظ، وقد وصف بالاجتهاد المطلق من لم يوصف بالحافظ، كالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وأبي نصر ابن الصباغ، وإمام الحرمين، والغزالي، وقد روي هؤلاء من مؤلفاتهم أحاديث احتجوا بها، وهي منكرة، نبه عليها ابن الصلاح وغيره كالنووي، فعلم أنّ خفاء بعض الأحاديث، لا يَقْدَح في مقام الاجتهاد، أو ليس من شرط المجتهد أن يحيط علماً بكُلِّ حديث في الدنيا، وقد علق الإمام الشافعي الأخذ بعدة أحاديث خفيت عليهِ على صحتها بعده، وقد صحت عند غيره، بل وقع ذلك لأكابر الصحابة،

كعمر بن الخطاب، فكان يقضي بأشياء تخالف الحديث، حتى يحدثوه بها فيرجع عن أقضيتهِ.

قال: وقد بلغ الشيخ أبو محمد الجويني رتبة الاجتهاد المطلق، وألف كتابهُ «المحيط»، والتزم فيهِ الوقوف مع الحديث، وعدم التقيد بالمذهب، فوقع للإمام البيهقي منهُ ثلاثة أجزاء في حياة المصنف، فتعقب فيهِ أوهاماً حديثية، وأرسل بذلك إلى الجويني من جملتها: الشيخ أهل أن يجتهد، ويتخير، ولكن يحتاج إلى ثبوت الحديث الذي احتج به؛ فإنه غير ثابت.

فانظر كيف سلم له رتب الاجتهاد مع خفاء أمر الأحاديث عليه. قال: وقد كان سراج الدين البلقيني مجتهداً مطلقاً، وكان من حفاظ الحديث أيضاً، ووصفهُ تلميذه الحافظ ابن حجر بالحفظ، وذكره في طبقات الحفاظ، ولكن لم يكن في الرتبة العليا من الحفظ والنقد، بل كان معاصره الحافظ أبو الفضل العراقي أحفظ منهُ، وأجل في الفن الحديثي والنقد بكثير، وكانت عربية البلقيني وسطى، وأما بقية من جاء من المجتهدين بعد السبكي إلى اليوم فلم يكن فيهم من يبلغ رتبة البلقيني في الحديث.

وأما قبل السبكي فاجتمع الاجتهاد في الأحكام والحديث بخلق منهم. ابن تيمية، وابن دقيق العيد، والنووي، وقبلهُ أبو شامة، وقبلهُ ابن الصلاح، وأما قبلهُ من المتقدمين فكثير جداً، وأما الاجتهاد في العربية فلم يجيء بعد ابن هشام من يصلح لإن يوصف بهِ غيري، إلا ما بلغني عن العماري، وقبل ابن هشام خلائق، كأبي حيان، والأيدي، وابن الصائغ، وابن مالك.

قال: وغالب الناس لا يعرفون الاجتهاد في الحديث والعربية، وإنما يعرفون الاجتهاد في الشريعة فقط، وقد قال الإمام الرازي في «المحصول» ما نصهُ: المعتبر في الإجماع وكُلّ فن من كان من أهل الاجتهاد في ذلك، وإن لم يكونوا من أهل الاجتهاد في غيره. انتهى. وألف الشيخ كتباً في بيان الاجتهاد المطلق منها «إرشاد المهتدين إلى نصرة المجتهدين»، ومنها

«تيسير الاجتهاد وبيان ما لهُ من الإسناد»، ومنها «الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض». وأطال في ذلك، ثم قال: فالعبرة في مسائل الكلام بالمجتهد في الكلام، وفي مسائل الفقه، بالتمكن من الاجتهاد في مسائل الفقه، فلا عبرة بأهل الكلام إذا تكلموا في الفقه، ولا بأهل الفقه إذا تكلموا في علم الكلام، بل من تمكن في الاجتهاد في الفرائض دون المناسك، يعتبر وفاتهُ، وخلافهُ في الفرائض دون المناسك، وقال أبو الحسين البَصْري: لا يجوز التقليد في أصول الفقه، كما لا يجوز الاجتهاد في أصول الدين، ولا يكون كل مجتهد فيهِ مصيباً، بل المصيب فيهِ واحد، بخلاف الفقه في الأمرين، قال: والمخطىء في أصول الفقه غير معذور، بخلاف الفقه فإنهُ معذور غير ملوم، فهذه ثلاث قواعد خالف فيها الفقه؛ لأن أصول الفقه ملحق بأصول الدين، ومطالبهُ قطعية. انتهى.

فانظر ـ يا أخي ـ إلى كلام الإمام، وأبي الحسين، كيف أطلقا الاجتهاد والمجتهد في أصول الفقه وسائرالفنون. ثم قال: ويشكل على هذه الاجتهادات الثلاث، فأما الاجتهاد في العربية فهو أن يُحيط بنصوص أئمة الفن من سيبويه إلى زمانهِ هذا، ويحفظ غالب شعر العرب الذين يحتج بأشعارهم في العربية، ولا يضرّ خفاء بعض ذلك عليهِ، وليس المراد حفظها عن ظهر قلب، وإنما المراد أن يكون لهُ اطلاع على دواوينهم، بحيث يعرف محل الاستدلال بذلك من الكتب، ويكون مع ذلك محيطاً بقواعد النحاة التي بنوا تصرفاتهم عليها، غير القواعد المذكورة في واضحات الكتب؛ فإن تلك كالأصول لهذه القواعد، وهذا لا يعرفهُ الآن إلاَّ متبحر في الفن.

قال: وقد ألفت في هذه القواعد كتاباً يجمع أصول النحو على مصطلح قواعد الفقه، وأما الاجتهاد في الحديث فقال الحافظ المُزَني: أقل مراتب الحافظ أن يكون الرجال الذين يعرفهم ويعرف تراجمهم

وأحوالهم وبلدانهم أكثر من الذين لا يعرفهم، ليكون الحكم للغالب، وأما ما يحكى عن المتقدمين من قولهم: كنا لا نعد صاحب حديث من لم يكتب عشرين ألف حديث. فهو بحسب زمانهم.

وكان الحافظ ابن حجر يقول: الشروط التي إذا اجتمعت في الإنسان سمي حافظاً، هي الشهرة بالطلب، والأخذ من أقوال الرجال، والمعرفة بالجرح والتعديل، والمعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم، وتمييز الصحيح من السقيم، حتى يكون ما يستحضره من ذلك أكثر مما لا يستحضره، مع استحضار الكثير من المتون، فهذه الشروط مَنْ جَمَعَها فهو حافظ. قال: وكان الحافظ ابن حجر يحفظ ما يزيد على مئتي ألف حديث، وكان الشيخ عثمان الديمي يحفظ عشرين ألف حديث. قال: وأما أنا فأحفظ مئتي ألف حديث، ولو وجدت أكثر لحفظتهُ، ولعلهُ لا يوجد على ظهر الأرض الآن أكثر من ذلك، وأما الاجتهاد في الفقه فقد ألفنا فيهِ كتباً.

ولهُ (رضي الله تعالى عنهُ!) سبع سؤالات، أوردها علىٰ علماء العصر، ولم يجيبوه عليها، وهي: ما تقول علماء العصر المدعيين للعلم والفهم في هذه الأسئلة المتعلقة بـ أ، بْ، ت، ث إلى آخرها؟ وما هذه الأسماء ؟ وما مسماها ؟ وهل هي أسماء أجناس أو أسماء أعلام ؟ فإن كان الأول فهل هي منقولة أو مرتجلة ؟ وإن كان الأول فممّ نقلت أمن حروف أم أفعال أم أسماء أعيان أم مصادر أم صفات ؟ وإن كانت جنسية فهل هي من أعلام الأعيان أو المعاني ؟ السؤال الثاني: من وضع هذه الحروف ؟ وفي أي زمن وضعت ؟ وما مستند واضعها ؟ هل هو العقل أو النقل ؟.

الثالث: هل هذه الحروف مختصة باللغة العربية أم عامة في جميع اللغات ؟.

الرابع: هل الألف والهمزة مترادفان أم مفترقان ؟ وعلى الثاني فما الفرق وأيهما الأصل ؟.

الخامس: لمَ أجمع علماء اللغة والعدد وغيرهم من المتكلمين على المفردات على الابتداء بحرف الهمزة ؟ وهل أمر اتفاقي أو لحكمة ؟ .

السادس: كلمات أبجد هوز إلى آخرها هل هي مهملة أو مستعملة ؟ وما عني بها ؟ وما أصلها ؟ وكيف نقلت إلى المراد بها ؟ وما ضبط ألفاظها ؟ .

السابع: ما حكمها في الابتداء والوقف والمنع، والصرف، والتذكير، والتأنيث، والإعراب، والبناء، والنقط، والرسم، وعند التسمية بها ؟ وما حكمها شرعاً عند نقشهَا على ثوب أو بساط أو حائط أو سيف ؟ وهل لها من الحرمة ما للحروف المجتمعة أم لا ؟ ومن أجاب عن هذه الأسئلة فهو من الرجال، وإلا فلا مزية لهُ على الأطفال، ومن عجز عن معنى أ، ب، ت، ث، فلا ينبغي لهُ أن يقرر أبحاثاً. انتهى ما نقلتهُ من خطه (رحمهُ الله تعالى!).

وكان الشيخ شمس الدين الكردي السمنودي يقول: عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً، وكان مع ذلك يُملي الحديث، ويجيب عن المتعارض منهُ بأجوبة حسنة من غير تكلف. وكان يقول: ما أجبت قط من مسألة جواباً إلا وأعددت جوابها بين يدي الله عز وجل إن سئلت عنهُ. وكان إذا عارضهُ أحد في أجوبتهِ يردفها بأجوبة غيره حتى يبهر العقول، وغسل قبيل موتهِ عدة كتب، لا يعلم أهل عصره لها نظيراً، وسرق بعض المعاصرين لهُ كتاباً ونسبهُ لنفسهِ، ولم يكن عند الشيخ غيره، فألف كتاباً في ذلك سماه «البارق في قطع السارق»، ثم قال: ولعمري إنَّ المؤلِّف إنما يطلب أجره من الله في تأليفهِ، فكيف يطلب منهُ أجر ما لم يعلمهُ ؟ .

وكان (رضي الله تعالى عنهُ!) أعلمَ زمانهِ بعلوم الحديث وفنونهِ، حافظاً، متقناً، يعرف غريب ألفاظهِ، واستنباط الأحكام منهُ، وقد بيض ابن حجر لعدة أحاديث لم يعرف من خرَّجها، ولا مرتبتها، فَخَرَّجَها

الشيخ، وبين مرتبتها، من حَسنٍ وضعيف وغير ذلك، وأخبرني الشيخ سليمان الخضري الصُّوفي، قال: أرسل شيخ الإسلام تقي الدين الأوجاقي معي عدة أحاديث بَيَّضَ لها الحفاظ، ولم يعرفوا مرتبتها إلى الشيخ جلال الدين وقلب رواتها، فردهم الشيخ إلى من لهم رواية عنهُ، وبين مرتبتها، فذهب شيخ الإسلام إليهِ وقبل يده، وقال: والله ما كنت أظن أنك تعرف شيئاً من هذا، فاجعلني في حِلٍّ، فطالما تغذيت، وتعشيت بلحمك ودمك.

وأخبرني الشيخ سليمان ـ أيضاً ـ قال: رأيت بينما أنا جالس في الحيضرية على باب الإمام الشافعي (رضي الله تعالى عنهُ!) إذ رأيت جماعة عليهم بياض، وعلى رؤوسهم عمامة من نور، يقصدونني من ناحية الجبل، فلما قربوا مني فإذا هم النبي (ﷺ) وأصحابهُ، فقبَّلْتُ يده، فقال النبي (ﷺ): امضِ معنا إلى الروضة. فذهبت مع النبي (ﷺ) إلى بيت الشيخ جلال الدين، فخرج إلى النبي (ﷺ) وقبَّل يدَه، وسلَّمَ على أصحابهِ، ثم أدخلهُ الدار، وجلس بين يديهِ، فصار الشيخ جلال الدين يسأل النبي (ﷺ) عن بعض الأحاديث، وهو يقول لهُ هاتِ يا شيخَ السُّنة. انتهى.

وذكر الشيخ عبد القادر الشاذلي (رحمهُ الله تعالى!) عن الشيخ أنهُ رأى هذه الرؤيا بعينها وقال لهُ النبي (ﷺ): هات يا شيخ الحديث. كما سيأتي، وكان (رضي الله تعالى عنهُ!) كثيراً ما يجيب السائل على البديهة، ثم يقول: الذهن خَوّان افتح الكتاب الفلاني، وعدّ من الصفحة الفلانية كذا وكذا سطراً، تجذ المسألة (إن شاء الله تعالى) كما قلت. فيفتح الكتاب فيجد الأمر كذلك، وكان (رضي الله تعالى عنهُ!) يقول: بنجاة أبوَي النَّبي (ﷺ)، وأنهما في الجنة، ووافقهُ على ذلك من أهل عصره الشيخ عثمان الديمي، وخالفهُ الحافظ السخاوي، وصنف الشيخ جلال الدين في ذلك ست مؤلفات، وذكر فيها من وافقهُ على ذلك من الحفاظ، وكان (رضي الله تعالى عنهُ!) يجتمع بالنَّبي (ﷺ) يَقَظَةً، وأخبرني الشيخ عبد

القادر الشاذلي أنهُ رأى بخط الشيخ جلال الدين ورقة، كتبها لبعض أصحابهِ حين سألهُ أن يقضي لهُ حاجة عند السلطان الغوري: يا أخي إني أرى النَّبي (ﷺ) يقظة، وأخاف أن أجالس الغوري، فيحجب عني عقوبة لي، ولكن أسأل لك النَّبي (ﷺ). قال: فقلت لهُ يا سيدي فكم رأيت النَّبي (ﷺ) يقظة؟ فقال: بضعاً وسبعين مرة. قال: وقد ألف الشيخ كتاباً في ذلك سماه «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك»، وذكر فيهِ من كان يجتمع بالنَّبي (ﷺ) في اليقظة لا في المنام، من الأولياء والصحابة والعلماء.

وقد أطال الإمام الشَّعْراني (قدس سره!) في ترجمة الإمام السيوطي (رضي الله عنهُ!) وذكر من مناقبهِ وكراماتهِ شيئاً كثيراً، ثم قال: ومناقب الشيخ كثيرة مشهورة، ولو لم يكن له من الكرامات إلا إقبال الناس في سائر أقطار الأرض على كتابة مؤلفاتهِ ومطالعتها لكان في ذلك كفاية، لما اشتملت عليهِ من العلوم والمعارف، فمِمَّا انفرد به من التأليف ولم يسبق إليه: كتاب «المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة»، و«انموذج اللبيب في خصائص الحبيب»، وكتاب «تزيين الأرائك في إرسال نبينا إلى الملائك»، وكتاب «نشر العَلَمين في إحياء الأبوين»، وكتباً كثيرة تعلم من كتاب الفهرسة.

مات (رضي الله تعالى عنهُ!) في سحر ليلة الجمعة، تاسع عشر جُمادى الأولى، سنة إحدى عشر وتسع مئة، وكان مرضه سبعة أيام، بورم شديد في ذراعه اليسار، يقال: إنهُ خلط أو انحدار، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة، وعشرة أشهر، وثمانية عشر يوماً، وكان لهُ مشهد عظيم، ودفن بحوش قوصون، خارج باب القرافة ـ رضي الله تعالى عنهُ! ـ، وقبره ظاهر، وعليهِ قبة، ـ رضي الله تعالى عنهُ، ورحمهُ رحمة واسعة بمنهِ وكرمهِ، آمين! ـ.

ترجمة الشيخ عبد الوهاب الشَّعْراني قدس سره!

ومنهم: الشيخ الإمام، والبحر الطام، كنز المعارف الربانية، وجامع الفيوضات القدسية، شيخ الإسلام، وعلامة الأنام، القطب العارف الرباني، مولانا الشيخ عبد الوهاب الشَّعْراني (رضي الله عنهُ!)، ابن الشيخ أحمد، بن الشيخ علي، بن الشيخ أحمد، بن الشيخ علي، بن الشيخ محمد، بن الشيخ زوفا، بن الشيخ موسى أبي العمران، ابن السلطان أحمد، بن السلطان سعيد، بن السلطان قاشين، بن السلطان محيا، بن السلطان زوفا، بن السلطان ريان، بن السلطان محمد، أول ملوك درنى في المغرب، بن سيدي موسى، بن السيد الأمير، والإمام الكبير، شبل أسد الله، وولي الله، سيدنا محمد بن الحنفية، رُزِقَتْهُ من صلب الإمام الأعظم، والبحر المطمطم، ليث بني غالب، صنو رسول الله، الإمام علي بن أبي طالب، (رضي الله عنهُ وعنهم أجمعين!).

ولد في بلاد الريف، وحفظ القرآن وهو ابن ثمان سنين، وواظب على الصلوات الخمس في أوقاتها، من ذلك الوقت، قال (رضي الله عنهُ!) في «مِنَنِهِ»: لا أتذكر أنني أخرجت صلاة عن وقتها إلى وقتي هذا، إلا نسياناً مرة واحدة، فنسيت الظهر في طريق الحجاز، حتى دخل وقت العصر من غير نية تأخير، وكثيراً ما كنت أصلي بالقرآن كلِّهُ في رَكْعة وأنا دون البلوغ، فالحمد لله رب العالمين.

ولد (رضي الله عنهُ!) سنة تسع وتسعين وثمان مئة، ودخل مصر افتتاح سنة إحدى عشر وتسع مئة، وعمره إذ ذاك ثنتا عشرة سنة، فأقام في جامع سيدي أبي العباس الغمري، واشتغل بطلب العلم، فحفظ كتاب «المنهاج» للنووي، ثم «ألفية» ابن مالك، ثم «التوضيح» لابن هشام، ثم «جمع الجوامع»، ثم «ألفية العراقي»، ثم «تلخيص المفتاح»، ثم

«الشاطبية»، ثم «قواعد ابن هشام»، وغير ذلك من المختصرات، وحفظ كتاب «الروض» إلى باب القضاء، وطالعهُ، ودَرَّسَهُ للناس نحو مئة مرة، وقرأ أكثر كتب الشرع وشروحها على مشايخهِ في العلم، وهم نحو خمسين شيخاً، وتبحر في جميع العلوم، وانتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي، وتبحر في فقه المذاهب الأربع، حتى صار يشار إليه بالبَنَان، وحل مشكلات كلمات الصوفية، وذبَّ عنهم، ونصر الشريعة والطريقة، وألف كتباً كثيرة في الشريعة، غالبها ابتكره ولم يسبق إليهِ.

قال (رضي الله عنهُ!) في «مننهِ»: ومما مَنَّ الله (تبارك وتعالى) بهِ عليَّ تأليفي كتباً كثيرة في الشريعة، وغالبها ابتكرتهُ ولم أسبق إليهِ، وذلك ككتاب «البحر المورود في المواثيق والعهود»، وكتاب «كشف الغمة عن جميع الأمة»، جمعت فيهِ أدلة المذاهب الأربعة، من غير عزو إلى من خرجها من الحفاظ، اكتفاء بعلم أهل كل مذهب، بمن خرج دليلهم، ثم صنفت بعده كتاب «المنهج المبين في بيان أدلة المجتهدين»، عزوت فيهِ كل حديث إلى من رواه، فكان كالتخريج لأحاديث كتاب «كشف الغمة»، وكتاب «البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير»، وكتاب «مشارق الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية»، جمعت فيهِ أحاديث الترغيب والترهيب، وجعلتهُ على قسمين: مأمورات، ومنهيات، فدخل في المأمور المندوب، ودخل في المنهى المكروه، وهو كتاب نفيس.

وصنفت كتاب «لواقح الأنوار القدسية في مختصر الفتوحات المكية»، وكتاب «قواعد الصوفية»، وكتاب «مختصر قواعد الزركشي»، وكتاب «منهاج الوصول إلى علم الأصول»، جمعت فيهِ بين شرح الجلال المحلي لجمع الجوامع، وحاشية ابن أبي شريف، وكتاب «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر»، وكتاب «الجوهر المصون في علوم كتاب الله المكنون»، وهو مشتمل على نحو ثلاثة آلاف علم منثورة على سور القرآن، وكتاب «طبقات الصوفية»، وهي من أبي بكرٍ الصديق ـ رضي الله

عنهُ! - إلى ختام سنة ستين وتسع مئة، ذكرت فيهِ مناقب كل من كان لهُ كلام أحفظهُ في الحقيقة أو الشريعة لا غير، وذكرت فيهِ العلماء الأحياء والفقراء الأحياء، الذين وقع لي بهم صحبة.

ومما صنفتهُ كتاب «مفحم الأكباد في بيان مواد الاجتهاد»، وكتاب «لوائح الخذلان على كل من لم يعمل بالقرآن»، وكتاب «حد الحسام على من أوجب العمل بالإلهام»، وكتاب «التتبع والفحص على حكم الإلهام إذا خالف النص»، وكتاب «البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف»، وكتاب «رسالة الأنوار في آداب العبودية»، وكتاب «كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان»، وهي نيف وسبعون سؤالاً في التوحيد، سألني عنها علماء الجان، وكتاب «فرائد القلائد في علم العقائد»، وكتاب «الجواهر والدرر»، جمعت فيهِ ما سمعتهُ من العلوم والأسرار من سيدي علي الخواص (رحمهُ الله تعالى!)، وكتاب «الكبريت الأحمر في بيان علوم الكشف الأكبر»، وكتاب «الاقتباس في علم القياس»، وكتاب «تنبيه المغترين في القرن العاشر، على ما خالفوا فيهِ سلفهم الطاهر»، وغير ذلك مما سارت بهِ الركبان إلى بلاد التكرور والمغرب، فالحمد لله رب العالمين.

وأشهر من أن يذكر، وأكثر من أن يحرر، كرامات الإمام الشَّعْراني، ومناقبهُ وعلمهُ وفضلهُ وعُلُوُّ شأنهِ ورفعة مكانهِ وما هو عليهِ من مكارم الأخلاق الذي شهدت لهُ بها المنن، وأقر لهُ بها كل منصف وصاحب خُلُق حسن.

لبس الخِرْقة الرفاعية من يد الشيخ جلال الدين السيوطي، وسند الإمام السيوطي إلى الإمام أبي العَلَمين السيد أحمد الرفاعي يتصل بخمسة وسائط، وقد اقتدى خلقاً بالإمام أبي العَلَمين، مولانا السيد أحمد الرفاعي الكبير (رضي الله عنهُ!)، وأفنى عمره في العبادة والذكر والتأليف والتصنيف والانتصار إلى الشرع الشريف، وقد ناهز السبعين، وتوفي

(رضي الله عنهُ!) بمصر، وقبره بها ظاهر يزار، ويقصد للبركة، وكتبه وآثاره الشريفة تُتلى بالتبجيل والتعظيم في جميع الأقطار، ـ رضي الله عنهُ، وعن أشياخه وإخوانه أولياء الله أجمعين! ـ.

ترجمة الشيخ علي أبي علوك الشهرزوري البغدادي (قُدِّس سرُّه!)

ومنهم: الشيخ علي أبو علوك الشهرزوري البغدادي، وينتهي نسبهُ إلى الشيخ عبد العزيز بن القطب الغوث الصمداني، مولانا الشيخ عبد القادر الجِيْلاني (رضي الله عنهُ!).

سكن كركوك التي هي شهرزور، وأقام بها حتى مات، وإجازتهُ (رضي الله عنهُ!) تنتهي إلى السيد مهدي نقيب البَصْرة، ابن السيد محمد الرفاعي، والسيد مهدي أخذ عن أبيهِ، وهو ـ أيضاً ـ أخذ عن أبيهِ السيد عبد الخضر، عن أبيهِ السيد شعبان الرفاعي، عن أبيهِ السيد محمد الثاني، عن أبيهِ السيد صالح، عن أبيهِ السيد عبد الرحمن، عن أبيهِ السيد عبد الله، عن أبيهِ السيد حسن، عن أبيهِ السيد حسين، عن أبيهِ القطب الكبير، والعارف النِّحْرير، السيد يوسف، عن أبيهِ الولي الأقرب، مولانا السيد رجب، عن أبيهِ الولي الأمجد، تاج العارفين، مولانا السيد شمس الدِّين محمد، عن جَدِّه سيد الأولياء، وقائد ركب الأصفياء، مولانا السيد أحمد الرفاعي الكبير، (رضي الله عنهُ!).

توفي الشيخ علي أبو علوك (قدس سره!) في حدود الخمسين بعد المئتين والألف، ودفن بمقبرة المصلى في كركوك، وبنوْا عليهِ قبة عظيمة، ويوجد حتى الآن في العراق من أدركه ورآه، شيَّد مراسم الطريقة الرفاعية، وأعلا منار الخِرْقة الأحمدية، وكادت كراماتهُ تبلغ حدّ التواتر في البلاد الشرقية، ولهُ ذرية في كركوك وبغداد ونواحيها، وزوايا متعددة، وتلاميذ وأتباع لا تُحصى، نفعنا الله بهِ وبأسلافهِ الطاهرين آمين.

ترجمة الشيخ أحمد الترمانيني
رحمه الله تعالى!

ومنهم: وقد أدركناه ورأيناه مراراً، العالم العلامة، والحبر الفهامة، صاحب المنهج الرابح، وبقية السلف الصالح، شيخ العلماء بحلب الشهباء، الشيخ أحمد الترمانيني (رحمهُ الله!).

سافر في طلب العلم من قريتِهِ ترمانين منْ أعمال حلب، وأقام بمصر في الجامع الأزهر مدة مديدة، وتلقى العلومَ الشرعية عن فحول مشايخ الجامع، وبرع في كُلِّ علم، وأقبل على الله معرضاً عن الأغيار، وتمسك بالسنة السنية في الأخلاق والأطوار، وعاد بعد أن تبحر في العلوم الدِّينية إلى البلاد الحلبية، وسكن حلب الشهباء حتى مات فيها بعد التسعين والمئتين وألف، وكان قد ولي أمر التدريس في جامعها الكبير، وقرأ عليهِ معظم علماء البلد، واعتقده الوالد والولد.

أخذ الطريقة الرفاعية مأموراً بالرؤيا المنامية من شيخهِ المرحوم الشيخ محمد الحلوي الحلبي، خليفة الشيخ العارف بالله السيد حسن الحريري الرفاعي الحموي، جَدِّ العائلة الحريرية الموجودة بحماة الآن، وشهرة الشيخ أحمد الترمانيني في البلاد الحلبية وغيرها من النواحي العربية غنية عن التعريف (رحمهُ الله رحمة واسعة!).

ترجمة الشيخ الحاج محمد وفا (قُدِّس سرُّه!)

ومنهم: العالم الفاضل، والنِّحْرير الكامل، صاحب المناقب المشهورة، والمآثر المذكورة، الشاعر الأديب، واللسن الأريب، ناصر الفقراء، وقدوة المشايخ والعلماء، الشيخ الحاج محمد وفا بن الشيخ محمد الرفاعي الحلبي.

أخذ الطريقة الرفاعية عن أبيهِ، وأبوه أخذها عن شيخ وقتهِ، عين الذرية الصيادية، وشيخ المشايخ الرفاعية، الأستاذ العارف بالله، صاحب العلم، مولانا السيد خير الله بن السيد أبي بكر الصيادي الرفاعي، شيخ المشايخ بحلب الشهباء، وجَدِّ آل خير الله الذي شهرتهم في البلاد الحلبية وغيرها كالشمس في رابعة النهار.

أقام الشيخ محمد وفا ـ المذكور ـ منار الطريقة الرفاعية بعد أبيهِ، وجدّد مراسمها، وأخذ عنهُ الجم الغفير، طاف البلاد، وذهب إلى دار السعادة قسطنطينية، وسافر قبلها إلى بغداد، ويقال: إنهُ تشرف بزيارة الغوث الرفاعي (رضي الله عنهُ!). وكان صاحب جاه عظيم عند الحكام، ومحفوظ الحرمة والشأن عند الخاص والعام، ومع كُلِّ شهرتهِ وما عليهِ، حفظ ذمة العهد لأشياخه آل خير الله، وببركتهم أعزه الله وحماه، وقد شيد الله قدره، وتمم في بلاده أمره، ولم يزل رفيع المكانة مرموقاً بأبصار التعظيم حتى مات، ودفنوه بمقبرة الصالحين بحلب، وقد ناهز السبعين، ووفاته ـ أيضاً ـ في حدود السبعين بعد المئتين وألف، ولهُ ذرّية معروفة بحلب، منهم المرحوم الشيخ محمد بهاء الدِّين مفتي حلب، خَلَف أباه في المشيخة في زاويتهم، وقد أجازني في بعض الأوراد الرفاعية، تولى منصب الفتوى بحلب حتى مات، وكان على جانب عظيم من حسن الخلق، وظرافة الطبع، والوجاهة في البلدة، وقد أسمعني كثيراً من شعر والده صاحب الترجمة.

قلت: وإنَّ لهُ أرجوزة تشتمل على أُلوف أبيات، ذكر فيها الأولياء والعلماء الصالحين المدفونين بحلب، ونظم قصة المولد الشريف على نمط عجيب، وطراز غريب، تألفه الطباع، وتلتذ بهِ الأسماع، ولهُ في الحضرة الرفاعية القصائد الكثيرة، والمدائح الشهيرة، ومن مدائحهِ فيهِ، مِدْحَة يتداولها الناس في الأذكار بحلب وهي:

كـــل الأنـــام عيـــال   عليـك يـا بـن الـرِّفـاعِـي
يـا بحـر كـل المـزايـا   ويـا مجيـب الـدواعـي

ومن أدوارها

هـذا الـولـي الحقيـق   إمـام كـل طـريـق
شيخـي بعهـد وثيقـي   قطـب الـوجـود الـرفـاعـي

ومنها

هـذا الـذي قـد أرانـا   نـور الطـريـق عيـانـا
قلنـا لـهُ مـذ دعـانـا: لبيـك يـا بـن الـرفـاعـي

* * *

وغير ذلك من المنظومات والمؤلفات الكثيرة، ـ رحمهُ الله تعالى آمين! ـ. اهـ.

ذِكْرُ رجالٍ دون ترجَمَتِهم لبسوا الخِرْقةَ الأحمديةَ (قدس الله سرَّهَم!)

وهنا جملة صالحة، نذكر فيها من تشرف بلبس الخرقة الأحمدية، من يد سيدنا القطب الغوث الكبير الرفاعي (رضي الله عنهُ وعنهم أجمعين!) بشرط ترك ترجمتهم لشهرتها، ولكوننا إذ أردنا استقصاء ذكرهم وتراجمهم، يطول المطال، ويضيق المجال، ويلزم لذلك عدة مجلدات؛ لأنَّ مآثرهم لا تُحصى، ومناقبهم لا تُستقصى.

فمنهم كما ذكره ابنُ الحاج في «أم البراهين»: سيدنا الشيخ حيوة بن قيس الحراني (رضي الله عنهُ!) المتصرف في قبره، كما ثبت عند القوم كافة، قال ابن الحاج: بايعهُ مع جماعة من الرجال على نهر دقلى، ولبس خرقتهُ (رضي الله عنهما!).

ومنهم: الشيخ المُحَدِّث الجليل، عبد العظيم المُنْذري، والشيخ العارف بالله إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الكازِرُوني الصديقي، صاحب «شفاء الأسقام»، والشيخ الحجة، الولي الأشهر، مجرد الأكبر، والشيخ عماد الدِّين الزَّنجي، بفتح الزاي، نسبة لقرية من أعمال واسط، يقال لها: زَنْج.

وقد كان عماد الدِّين هذا من حُجَّاب الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي، قبل النفحة والانتساب للحضرة الرفاعية، ومنهم: ـ أيضاً ـ الولي المشهور في البِقاع الدمشقية، الشيخ حسن القطناني الراعي، من أهل «قطنة» قرية من أعمال دمشق، أخذ عنهُ الخلافة، ولبس منهُ الخرقة عام حجه الذي مُدَّت لهُ فيهِ يد النبي (ﷺ)، كما ذكر ذلك ابن الحاج في «أم البراهين».

ومنهم: الشيخ عبد المحسن الواسطي، ابن شيخهِ سيدنا الشيخ علي الواسطي، والشيخ تقي الدِّين الواسطي، والشيخ صالح بن بكران، والشيخ منصور البطائحي الصغير، والشيخ أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن سيد بونة الخزاعي المغربي، وقد ذكر ما عليهِ من العِرْفان، وعُلُوِّ الشأن الشيخ محيي الدِّين العربي في «فتوحاتهِ» وغيرها من كتبهِ.

ومنهم: ـ أيضاً ـ الشيخ حسين بن الربيع، والشيخ محبوب النقيب، والشيخ الولي الشهير، سعد الله البرزباني، والشيخ مِقْدام الحدادي، والشيخ عبد الخبير الحربوني، والشيخ أبو بكر خطيب السعدية، العلامة الشهير، والشيخ فرج المغني، والشيخ أبو القاسم الصلحي، والشيخ علي ابن نعيم، المشهور العارف، والشيخ محمود الحيران الرومي، أمير آقشهر من بلاد الترك ودفينها، المتجرد، المولع، الموله (رضي الله عنهُ!).

ومن خلفائهِ ـ أيضاً ـ الشيخ براق أحد أكابر التركستان، والشيخ أحمد اليسوي، شيخ الختن والخطا، وبلاد التركستان الملاصقة للجين

الأقصى، وفد عليهِ بتلامذتهِ وجماعة من مريديهِ إلى «أم عبيدة»، وأنتسب إليهِ، ولبس خرقتهُ، وأمره بالعود إلى بلاده، فعاد ونشر الله على يده أعلام الطريقة، كما ذكر ذلك الشريف العَدَني في كتابهِ «النجم الساعي».

ومنهم: الشيخ قنبر الحبشي (رضي الله عنهُ!)، والشيخ أبو البدر العاقولي الواسطي ثم البغدادي، الذي ذكر الشيخ محيي الدِّين مآثره وعرفانه في «فتوحاته» مراراً، ومنهم: الشيخ محمد الأكبر الدوراقي، والشيخ مسعود الأنادولي التركي، والشيخ منصور القَزْوِيني، والشيخ عمر الهروي، والشيخ عجلان الحُسيني المكي، والشيخ تقي الدِّين الفقيه النهروندي، وغيرهم، ـ رضي الله عنهُ وعنهم أجمعين، ونفعنا بهِ وبهم وبجميع عباده الصالحين! ـ.

وقد صح أنَّ خلفاءه وخلفاءهم بلغت عدتهم المئة والثمانين ألفاً حال حياتهِ (رضي الله عنهُ!).

قال سيدي أبو طه البَصْري: وعزةِ الله تعالى إنَّ لسيدي أحمد في الجن مُرداً وخُلفاً كما لهُ في الإنس، وكذلك خلف قاف، وفي البحر، والبر، لهُ مُرْدٌ من السباع، والحيات، والهوام، والدواب، والطيور، والسمك، والحيتان.

وقال سيدي مجرد الأكبر (رضي الله عنهُ!): كنت أمشي تحت جبل قاف، فجاء وقت الصلاة فتوضأت وصليت، وقرأت الورد الشريف، ثم ذكرت اسم سيدي أحمد، فلما أتممت جاءت حية عظيمة، وفي فمها درة، فألقتها أمامي، ثم أنطقها الله، فقالت: خذ هذه الهدية مني لحضرة سيدي أحمد. فتعجبت وقلت: أتعرفين سيدي أحمد؟ فقالت: عجيب هذا!! أهلٌ على بساط الأرض من رَطْب ويابس من يجهل سيدي أحمد الرفاعي؟! بَلِّغْهُ سلامي، فأنا من مردائِه. انتهى.

والفروع الرِّفاعية المنسوبة للحضرة الأحمدية كثيرة جدّاً، وأتباعه

(رضي الله عنهم!) لا يحصى عددهم، وقد ذكرنا منهم البعض تبركاً بذكرهم، وانتشاقاً من عِطْرهم، وآن الآن أن نختم هذا الباب، وإلى الله المرجع والمآب.

* * *

الباب العاشر

في ذكر بركة التشبث بأذيالهِ الفاخرة وفيهِ ذكر جماعة من إخوانهِ ساداتنا الأولياء أهل السرائر الطاهرة

لا يخفى أنَّ بركة المحبة، تلحق المحب بالمحبوب، وتوصل الطالب إلى المطلوب، وتجعل البعيد قريباً، وتنتج لصاحبها من كنوز العناية نصيباً، وتقوده إلى التخلق بأخلاق من أحبهم، وتلزمهُ أن يتبع شريف آثارهم، وأن يكون من حزبهم وأنصارهم، وانظر ما جاء في حديث البخاري عن أنس (رضي الله عنهُ!) أنَّ رجلاً يسأل النَّبي (ﷺ) عن الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟. قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله (ﷺ). فقال: أنت مع من أحببت. قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النَّبي (ﷺ): أنت مع من أحببت. قال أنس: فأناأحب النَّبي (ﷺ)، وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. اهـ.

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾.

قال في «الكشاف»: الوسيلة كل ما يُتَوسل بهِ، أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل بهِ إلى الله تعالى، من فعل الطاعات، وترك المعاصي، وأُنشد للبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ألا كل ذي لب إلى الله واسل

* * *

انتهى. وقد ظهر لك من الحديث المتقدم، أنَّ محبة الله ورسولِه والصالحين، من أعظم الطاعات، وأقرب القربات، قال في «الكشاف» عند تفسير قولهِ تعالى: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾: ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائهِ ولا يخذلهم.

قلت: وإن من نَصْرِهِ (سبحانهُ وتعالى!) لأنبيائهِ وعباده الصالحين، ومن عدم خذله لهم، أن يستر مجيئهم في الدنيا من الخزي والهوان، وأن يصونهم في الآخرة ويحميهم من القطيعة والنيران، وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك لا شك، فهل من وسيلة إلى الله أعظم من محبة الله ورسوله والعباد الصالحين، وقد روى العارف بالله الشيخ أحمد الصاوي الخلوتي، في رسالتهِ «الأسرار الرحمانية»: أنَّ الفقيه محمد بن الحُسين البَجلي (رضي الله عنهُ!) قال: رأيت النَّبي (ﷺ) في المنام فقلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: وقوفُك بين يدي ولي الله كحلب شاة، أو كشيّ بيضة، خير لك من أن تعبد الله حتى تتقطع إرْباً إرْباً. فقلت لهُ: حياً كان أو ميتاً؟ فقال: حياً كان أو ميتاً.

وقد علمت أنَّ من ذاق محبة النَّبي (ﷺ) ذاق محبة الله تعالى، إذلا وسيلة في الدارين بين الأولين والآخرين أعظم وأقرب منهُ ـ عليهِ الصلاة والسلام! ـ، ولا تصح الوُصْلة الكاملة إليهِ (ﷺ) إلا بمحبتهِ الخالصة، وصِدق اتِّباعه والاقتداء بهِ، والعمل بشريعتهِ، والتخلق بأخلاقهِ الكريمة، وقد تبين لكل مُنصف أنَّ أساس طريقة الإمام الرفاعي (رضي الله عنهُ!) الإلزام بالتخلق بالأخلاق المحمدية، وكسر شوكة النَّفْس بالكلية، والاستغراق المحض بمحبة نبينا سيد البرية ـ عليهِ أفضل الصلاة والتحية! ـ، ومع ذلك فهو من أجل عباد الله الصالحين، ومن أعظم الأولياء المقربين، ومن أكابر أهل بيت رسول الله الطاهرين، وقد جرت العادة في طريقتهِ المباركة، وجُرِّبت وصحت وثبتت، أنَّ من تشبث بذيل

ولايتهِ، وأخلص في محبتهِ، وطَهَّرَ السريرة بالانتساب إليهِ، يربح وينجح، ويُستر بإذن الله، ولا يُفضح.

قال الشيخ أبو بكر العدني (رضي الله عنهُ!) في كتابهِ «النجم الساعي»: إن الشيخ أحمد الزاهد، كنز العارفين (رضي الله عنهُ!) ذكر بعد كلمات بَشَّرَ بها عن ظهور السيد أحمد الكبير الرفاعي (رضي الله عنهُ!) ما نصه: يكون محبوه ومريدوه وإخوانهُ كُلُّهم مُرادين من جانب إرادة الحق تعالى، إذا حضر واجد منهم مجلساً سلب قلوب أهلهِ، وجلب محبتهم إليهِ بإذن الله تعالى، ثم قال: وتكون فقراءه ومريدوه موازينُهم في طريق الفقر أرجحُ موازين الفقراء وأهل الأحوال، ومن أجْل هذا يَسَّرَ الله لهم هذا المقام الكريم، ولا تنقطع فقراءه ولا مريدوه إلى يوم القيامة بإذن الله تعالى، بل تزيد طريقتهُ وسلوكهُ لأجل حرمة سيد المرسلين (عليهِ أفضل الصلاة والسلام!)؛ فإنهُ من أولاده ـ رضي الله عنهم أجمعين! ـ، وهذه من مِنن الله عليه، ومن فيوضات إحسانه الواردة إليه، فمحبته (رضي الله عنه!) لِنَسَبهِ فيها محبة رسول الله، ومحبتهُ لولايتهِ وأخلاقه فيها محبةُ الله ورسولِ الله، ومحبة رسول الله محبة الله بلا ريب، وما أحسن ما قلت في هذا المعنى بفضل الله:

إليـــك يـــا أشـــرف خَلْـــق الله وجهت قلباً لم يكن با للأهي
حبيبـك معـراج وصـولـي إنـهُ حـــب حبيـــب الله حـــب الله

❋ ❋ ❋

وما شاع وذاع وتقرطت بدراري رواياتهِ الآذان، والتذت الأسماع، ما ثبت للحضرة الرفاعية من التصرف والإغاثة بإذن الله، لأتباعهِ ومحبيهِ إلى زماننا هذا، وإلى كُلِّ زمان، جيلاً بعد جيل، براها الراؤن، ويعترف بها العارفون والمحجوبون، ورحم الله الأخرس البغدادي حيث قال من قصيدة مدح بها نقيب الرفاعية بالبَصْرة، يشير إلى المناقب الأحمدية:

وكـم رام الحسـود لهـا جحـوداً ولكـن لا سبيـل إلـى الجحـود!

❋ ❋ ❋

وقال آخر من قصيدة قدمها للعتبة الأحمدية:

لـهُ مـدد قـد أطفـأ النـار نـوره وعزم بهِ ما السيف إن سلّ باترُ
يذل الأفاعي حينما يذكر ٱسْمهُ وتخضع أُسد الغاب وهي كواشرُ
يَمدُّ ويحمي الملتجي لطريقهِ سواء بها بَرّ ومن هو فاجرُ

❊ ❊ ❊

ويعجبني قول الأديب الفاضل النبهاني فيهِ (رضي الله عنهُ!):

أحمد قطب رحى العليا أبو الـ ـعَلَمينِ الهاشمي غوث الزمانِ
روضة العرفان أصل الاهتدا فرع خير الخلق من أنس وجانِ
جنة من كل غـرّ بعدت وجناها لأولي الألباب داني
خفقت في كل أرض راية من هداه فاستنار الخافقانِ
وبدت أسراره مشرقة فزهى بالنور منها المشرقانِ
هو باب الله بعد المصطفى بابهُ باب الأماني والأمانِ
من يساميه علاء وعلا ولهُ فوق الثريا عَلَمانِ
في تخوم الأرض في أَوْج السما لم تزل أسراره في سريانِ
ذو كرامات سمت واشتهرت ظاهرات للورى في كل آنِ
فيمين المصطفى مدت لهُ إذ دعاها وتجلت للعيانِ
حبذا يا حبذا لما بدت فاشتفت إذ قبلتها الشفتانِ
هو فيها واحد في دهره قل لمن ينكر: هل عندك ثاني ؟!
ذاك فضل الله يؤتيهِ لمن شاء لا يثنيه جل الله ثاني
وسواها كم شؤون حازها واضحات فادحات كل شاني
حكم الله بدعوى فضلهِ وعليها شاهدان الثقلانِ
سل وحوش البر والبحر معاً فهما عما حواه ينبيانِ
ما سمعنا قبلهُ من عارف سره عم جميع الحَيَوانِ

نـاده واهجـم علـى ليـث الثـرى   تلقــهُ فــي غــابــهِ كــالثعبــانِ
نـاده واقبـل علـى الأفعـى تقـف   وتنـاولهـا تجـذهـا غصـن بـانِ
والجمــادات لمــن يعقــل قــد   بينــت عــن ســره خيــر بيــانِ
بــردت نــار الغضــا مــن ذكــره   وغـدا كـالمبرد السيـف اليمـاني

إلى أن قال:

بحــر أســرار أتــى مــن نسلــهِ   ألــف بحــر شــامــل كــل مكــانِ
هــم بنــو الصيــاد مــن حُبُهــمُ   والشَّقَــىٰ ضــدان لا يجتمعــانِ
يــا فــؤادي بِهِــمُ أستمســك فهــم   عــروة العــز ومقــراض الهــوانِ

إلى آخرها

* * *

والحاصل أنَّ بركة التمسك بذيل الإمام الرفاعي، والثبات على قدمهِ واتِّباعهِ، أمر يشهد لهُ نور الفتوح، وعلوُّ المظهرية الذي لا زال في ذريتهِ ومحبيهِ وأتباعه، ويكفيك ما رواه الإمام الحجة، المحدث الجليل، أبو الفرج عمر الفاروثي الواسطي (قدس سره!) عن بعض أولياء عصره أنهُ رأى النَّبي (ﷺ) في المنام مُثنياً على السيد أحمد الكبير (رضي الله عنهُ!) قائلاً في شأنهِ: كان أحمد بن الرفاعي عروس المملكة، عَلَماً يَقتدي بهِ الخلائق فيهتدون، ويصلون إلى الله تعالى، سيرتهُ فناء الفناء بالله تعالى، وكان يربي بحالهِ أكثر مما يربى بمقالهِ.

وذكر الإمام أحمد بن جلال في كتابهِ «جِلاء الصدى» عن الشيخ الأصهب الدمشقي (قدس سره!) أنه قال: إنَّ الله ختم بالسيد أحمد الرفاعي الولاية، كما ختم بمحمد (ﷺ) النبوة. اهـ.

قلت: وقد أَوَّلَ الشيخ ابن جلال وغيره هذه الكلمة الجوهرية، والحكمة الأصهبية، بأنهُ لا يكون بعد السيد أحمد الرفاعي من الأولياء،

من يجمع الحال والخُلُق المحمدي، ويكون لهُ هذا التمكين في متابعتهِ (عليهِ الصلاة والسلام!) مثلهُ ـ رضي الله عنهُ! ـ.

وقد شهدت لهُ بهذا الشأن أخلاقُهُ العلية، وسيرتهُ الزكية، ورحم الله ابن الحاج فإنهُ قال فيهِ ـ رضي الله عنهُ! ـ:

مفاخره تأبى عن الحَصر إنها إذا مَرَّ منها مفخر جاءَ مفخرُ
تــوارثــهُ أتبــاعــه فكمــالــهُ وآثــاره فيهـم إلـى الحشـر تظهـرُ

* * *

قال الشيخ عمر الهروي الأنصاري: سُئلت مِن الإمام الكبير محمد بن عبد البصري، شيخ الأستاذ أبي النجيب السُّهْرَوَرْدِي (رضي الله عنهما!) عن مرشد يلحقني بأهل الله، ويوصلني إلى الله، فقال: عليك بالسيد أحمد بن أبي الحسن الرفاعي (رضي الله عنه!)؛ فإنهُ سُلّم الرجال إلى الله، والبركةُ فيهِ وفي أتباعه إلى يوم القيامة، وإنهُ لشيخ كسر نواميس النفوس ببركة انكساره إلى الله تعالى، وهو وجه لا يُخزيه الله في أتباعه أبداً، والعصر الذي يكون فيهِ السيد أحمد لا يلتجأ فيهِ إلى غيره، وأقول لك: إنَّ القوم عرفوا الوِجْهة التي اتجهها، وما عرفوا منتهاه في السير.

وفي هذه الرواية ومثلها كُتُب القوم طافحة، والأدلة على مضمونها من أخلاقهِ العلية وآثاره المرضية واضحة، وانظر كيف قال ـ رضي الله عنهُ! ـ: الشيخ من تظهر آثارُه بَعْدَه. وما ألطف ما قالهُ فيهِ شيخنا الأستاذ السيد محمد مهدي الرَّوَّاس (قُدِّس سرُّه!):

أبو العلمين الغوث ذو الدولة التي سرى سرها العالي إلى ساعة الأُخرى
ينـادونـهُ شـرقـاً وغـربـاً عـواجـز فتشملهم من روحه الهمة الكبرى
فهمتــه الكبــرى إلــى الله سُلَّــمٌ وتفتق رَتْقَ الكرب همتهُ الصغرى

* * *

ويعجبني ما قالهُ الأستاذ نور الدين حبيب الله الحَدِيْثي فيهِ ـ رضي الله عنهُ! ـ:

بيتـان حـج العـارفـون إليهمـا   بيـت الـرسـول وشبلـه ببطـاحِ
أعني بهِ المولى الرفاعيَّ الذي   خُلِقـت أنـاملـهُ مـن الأربـاحِ

* * *

وذيلهما الأستاذ الرواس (قُدِّس سرُّه!) ببيتين أبدع فيهما وهما:

فسلـوكـه بـاب لكـل مُـوحِّـد   وطـريقـه للـوصـل كـالمفتـاحِ
هو في رجال الله سلطان الحمى   عكفـت عليـه عسـاكـر الأرواحِ

* * *

وذيل بيتي مولانا السيد محمد مهدي (قدس سره!) تلميذه الشيخ العارف محمد العبدلي بهذين البيتين:

وافا حُميًا الغيب وهو خويضع   وافتـضّ قبـل القـوم كـأس الـراحِ
شموه سادات الرجال فعربدوا   وتـراه بعـد الـذوق أكمـل صـاحِ

* * *

وذيـل هـذيـن البيتيـن السيـد الشـريـف العـارف محمـد الـرَّاوِي (رحمهُ الله!):

فاسلك طريقتهُ وكن من حِزْبه   وأبشـر فـإنـي أنصـح النُّصَّـاحِ
هو كالصباح الأبلج الصافي الضيا   إن كان بعض القوم كالمصباحِ!

* * *

وأنا ذيلتهما تبركاً بهؤلاء السادة فقلت:

هـو كعبـة العشـاق فـالـزم ركنـهُ وأبشـر بنـور القلـب والأفـراحِ
ولـك الـدليـل بـزمـرة مغبـوطـة تَبِعَتْـهُ فـالتحفـت بِبُـرد فـلاحِ

* * *

وذكر الشيخ أبو بكر العَدَني في كتابهِ «النجم الساعي» عن سيدي إبراهيم الأعزب أنهُ قال: كنت عاشر عشرة من الفقراء مع السيد الكبير في عام حججنا فيهِ، فصلى بنا السيد الكبير الصبح بمكة يوم العيد، وطفنا معهُ بالبيت، ثم توجهنا إلى عرفات، فرأينا الخضر (عليهِ السلام!) مع سبعة أنفار من الرجال فسلموا كلُّهم على السيد الكبير، وصار لهم مجلساً عظيماً بالاجتماع بالسيد الكبير، فلما تم المجلس بتمام النهار، قال الخضر ـ عليهِ السلام! ـ: يا أبا الصفا قد جاءت لك من جانب الحقِّ خِرْقةٌ وتاج فاقبلها، والْبَسِ التاج. وكان ذلك التاج من القطن الأبيض، واسمهُ طاقية، والخرقة كانت من أشياء كثيرة متعددة مختلفة الألوان، فكان فيها قطعة من قطن، وقطعة من صوف، وقطعة من شعر، وفيها من اللون العسلي، والأحمر، والأزرق، والكحلي، والأسود، وفيها من قطع الجلد الملونة، ومن قطع الحرير، وفيها شيء من جلد السبع، وقطعة من السندس، قد اجتمع فيها نحو من ثمانين قطعة ملونة، فسأل السيد الكبير من الخضر (عليهِ السلام!) عن سبب اختلاف هذه الألوان، وأنواع الحقائق الذي بهذه الخرقة؟ قال الخضر ـ عليهِ السلام! ـ: هي إشارة إلى أنَّ الله تعالى خلقك أعلى مقاماً من سائر المشايخ، وأن رتبة مشيختك جامعة لسائر رتبهم، وإشارة إلى أنَّ عسكر فقراءك أكثر من فقرائهم، ومريديك أكثر من مريديهم، وأنهُ أجيز لهم أن يَلْبسوا أي شيء أرادوا من الخرق على أي لون أرادوه، وهذا الشيء خاص بهم دون غيرهم.

ونقل عن الشيخ الجليل، والولي الأصيل، الشريف السيد، علي أبي

الحسن الرفاعي، أنهُ قال: بينما السيد الكبير جالساً يوماً بالخلوة، وإذا بالنداء من جانب العلي، والهاتف يقول: يا أبا الصفا! إنَّ الله ـ سبحانهُ وتعالى! ـ قد أعطى لك قضاءَ ثلاثِ دَعَوَات، فاسأل ما تريد؛ فإنك عنده من المقبولين. فعند ذلك توجه السيد الكبير متأدباً للتضرع وقال: يا رب أسألك أن ترحم وتغفر لكل مريد لي، وأسألك يا رَبِّ أن ترحم كل من واسى أولادي، وأسألك يا رب أن ترحم كل من كان محباً مُودّاً إليَّ ولأهل بيتي. فعند ذلك سمع نداء أحاطهُ يسمع صوتاً ولا يرى شخصاً، والقائل يقول: يا رفاعي قد استجبنا لك بمقتضى قولنا: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾. اهـ.

وقد جرب جماعة كثيرة في مهماتهم التوسل بجاههِ إلى الله بعد التوجه إلى الشرق جهة مرقده المبارك، ففرج الله تعالى كربهم، وذكر مولانا الشيخ سراج الدين (قدس سره!) في «بهجتهِ»: أن من أهمهُ أمر فليتوضأ، ويصلي لله تعالى ركعتين بالافتقار والإخلاص، ثم يصلي على النبي (ﷺ) مئة مرة، ثم يتوجه إلى جهة الشرق نحو البَصْرة، وفلاة «أم عَبِيْدَة» محل مرقد الغوث الرفاعي (قدس سره!)، ويخطو ثلاث خَطَوات ويقول: اللهم إني أتوسل إليك بكلامك القديم، وبرسولك العظيم، وبوليك وعبدك السيد أحمدَ بن أبي الحسن الرفاعي، وبحرمة ولايتهِ عندك، فإنك اصطفيتَهُ إليك، ودللتَهُ عليك، وقَرَّبْتَهُ منك، وأصلحت لهُ شأنهُ، فأغثني بحرمتهِ وبحرمة وجههِ وجاههِ عندك، وبحرمة جده نبيك وحبيبك ورسولك نبي الرحمة (ﷺ)، إنك على كل شيء قدير، ثم يقرأ الفاتحة ويهديها إلى روح الإمام الرفاعي (رضي الله عنهُ!) ويذكر حاجتهُ، ويقول بعدها:

أيظلمني الزمان وأنت فيهِ ... وتأكلني الذئاب وأنت ليث
ويروى من بنانك كل ظامي ... وأظمأ في حماك وأنت غيث

* * *

يا سيدي يا أحمد الأصفياء، يا سيد الأولياء، يا أبا العلمين، يا زكي النسبين، (رضي الله عنك!) أغثني ببركة ولايتك، فإنهُ لا ينقطع حبل ولاية الله، ولا تبديل لكلمات الله، ثم يلتفت إلى القِبْلة ـ أيضاً ـ، ويصلي على النبي (ﷺ) مراراً، ويختم بالفاتحة للحبيب الأعظم ـ عليهِ الصلاة والسلام! ـ، فإنها تقضى حاجتهُ بإذن الله.

وقد شوهد هذا الشأن من آباء سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي (رضي الله عنهُ!)؛ فإن الناس قديماً وحديثاً يتوسلون عند زيارة قبورهم بهم إلى الله، فيفرج الله كروبهم ببركتهم، ويقضي لهم حوائجهم، وهكذا ـ واللهِ ـ عادة الله في أوليائهِ وأحبابهِ.

ذكر الإمام العلامة، والمحدث الكبير الفهامة، الحافظ الشيخ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، المعروف بالخطيب البغدادي (رحمهُ الله!) في كتابهِ «تاريخ بغداد» عند ذكر مقابر بغداد ما نصهُ: ذكر مقابر بغداد المخصوصة بالعلماء والزهاد، بالجانب الغربي في أعلا المدينة مقابر قريش، دفن بها موسى بن جعفر، بن محمد، بن علي، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب (عليهِ السلام!)، وجماعة من الأفاضل معهُ. اهـ.

أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الاسترابادي قال: أخبره أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول: ما همني أمر فقصدت قبر موسى ابن جعفر فتوسلت بهِ إلاَّ سهل الله سبحانهُ لي ما أُحب.

قلت: وهنا طاب لي أن أقول بهذا الباب:

توسلنا بسيدنا الرفاعي … فشمنا ثورة الأسد الغضنفرْ
وحَلَّ لنا الإلَه بهِ قيوداً … وأعقب عسرنا الأمر الميسرْ
عجبنا من تصرفهِ فقالوا … أناس إن شأن ذويهِ أكبرْ

تُــراثــاً عــن أبٍ غــوثٍ وجــدٍ　　لحضرة جده موسى بن جعفرْ
لزين العابدين إلى الحسين الـ　　ـشهيد لأمـهِ الـزهـرا وحيـدرْ
إلى المختار تاج الرسل فانظرْ　　مكـارمَ عُصبـةٍ للحشـر تظهـرْ

* * *

انتهى. ولنرجع إلى ما قالهُ الخطيب البغدادي في «تاريخهِ» قال: أخبرنا محمد بن علي الوراق، وأحمد بن علي المحتسب، قالا: أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرنا السكوني، أخبرنا محمد بنْ خلف، قال: وكان أول من دفن في مقام قريش، جعفر الأكبر بن المنصور، وأول من دفن في مقابر باب الشام، عبد الله بن علي، سنة سبع وأربعين ومئة، وهو ابن اثنين وخمسين سنة، ومقبرة باب الشام أقدم مقابر بغداد، ودفن بها جماعة من العلماء المحدثين والفقهاء. اهـ. وكذلك بمقبرة باب التبن، وهي على الخندق، بإزاء قطيعة أم جعفر. اهـ.

حدثني أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفرا الحنبلي، قال: حدثني أبو طاهر بن أبي بكر قال: حكى لي والدي عن رجل كان يختلف إلى أبي بكر بن مالك أنهُ قيل لهُ: أين تحب أن تدفن إذا مت؟ فقال: بالقطيعة، وإن عبد الله بن أحمد بن حنبل مدفون بالقطيعة. وقيل لهُ ـ يعني لعبد الله ـ في ذلك قال: وأظنهُ كان أوصى بأن يدفن هناك. فقال: قد صح عندي أن بالقطيعة نبياً مدفوناً، ولأن أكون في جوار نبي، أحب إليَّ من أن أكون في جوار أبي. اهـ. ومقبرة باب حرب خارج المدينة، وراء الخندق، مما يلي طريق قطر، بل معروفة بأهل الصلاح والخير، وفيها قبر أحمد بن محمد بن حنبل، وبشر بن الحارث، وينسب باب حرب إلى حرب بن عبد الله، أحد صحابة أبي جعفر المنصور، وإليه ـ أيضاً ـ تنسب المحلة المعروفة بالحربية. اهـ.

أخبرنا أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري الضرير قال:

أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلمي بنيسابور قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت عبد الله بن موسى الطلحي يقول: سمعت أحمد بن العباس يقول: خرجت من بغداد فاستقبلني رجل عليهِ أثر العبادة، فقال لي من أين خرجت؟ قلت: من بغداد، هربت منها لما رأيت فيها الفساد، خفت أن يخسف بأهلها. فقال: ارجع، ولا تخف، فإن فيها قبورَ أربعةٍ من أولياء الله عز وجل، هم حصن لهم من جميع البلايا. قلت: من هم؟ قال: ثَمَّ الإمام أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخي، وبشر الحافي، ومنصور بن عمار. فرجعت وزرت القبور، ولم أخرج تلك السنة. قال الخطيب: أما قبر معروف، فهو في مقبرة الدير، وأما الثلاثة الآخرون، فقبورهم بباب حرب. اهـ.

حدثني الحسن بن أبي طالب قال: أخبرنا يوسف بن عمر القواس: أخبرنا أبو مقاتل محمد بن شجاع: أخبرنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال: حدثني أبو يوسف بن حيان ـ وكان من خيار المسلمين ـ قال: لما مات أحمد بن حنبل، رأى رجل في منامهِ كأن على قبره قنديلاً، فقال: ما هذا؟ فقيل لهُ: أما عَلمت أنهُ نُوِّرَ لأهل القبور قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم، قد كان فيهم من يُعذَّب، فَرُحِم. انتهى.

أخبرنا أبو الفرج الحسين بن علي بن عبيد الله الطناجيري: أخبرنا محمد بن علي بن سويد المؤدب: أخبرنا عثمان بن إسماعيل بن بكر السكري قال: سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن الدورقي يقول: مات جار لي فرأيتهُ في الليل، وعليه حلتين قد كسي، فقلت أيْشٍ قصتك ما هذا؟ قال: دفن في مقبرتنا بشر بن الحارث، فكُسي أهل المقبرة حلتين حلتين. وبنواحي الكرخ منها مقابر عدة، منها مقابر باب الكناس، مما يلي تراثاً، دفن فيها جماعة من كبراء أصحاب الحديث. اهـ. ومقبرة الشونيزي فيها قبر سَرِي السَّقَطِي وغيره من الزهاد، وهي وراء المحلة المعروفة بالتوثه، بالقرب من نهر عيسى بن علي الهاشمي، سمعت بعض

شيوخنا يقول: مقابر قريش كانت قديماً تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير، والمقبرة التي وراء التوثه تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير، وكانا أخوين يقال لكل واحد منهما: الشونيزي، فدفن كل واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين، ونسبت المقبرة إليهِ. اهـ. ومقبرة باب الدير، وهي التي فيها قبر معروف الكَرْخي. اهـ.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري قال: أخبرنا محمد بن الحسين السلمي قال: سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا علي الصغار يقول: سمعت إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف الترياق المجرب. اهـ.

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي قال: حدثنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري قال: سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج. ويقال: إنهُ من قرأ عنده مئة مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وسأل الله تعالى ما يريد، قضى الله تعالى حاجتهُ. اهـ.

حدثني أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري قال: سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد بن جميع يقول: سمعت أبا عبد الله بن المحاملي يقول: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة، ما قصده مهموم إلا فرج الله همهُ. اهـ. وبالجانب الشرقي مقبرة الخيزران، فيها قبر محمد بن إسحاق بن سار، صاحب السيرة، وقبر أبي حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه، إمام أصحاب الرأي. اهـ.

أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الضميري قال: أخبرنا عمر بن إبراهيم المقري قال: حدثنا مكرم بن أحمد قال: حدثنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم: حدثنا علي بن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة، وأجيء إلى قبره في كل يوم - يعني زائراً -، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين، وجئت إلى قبره، وسألت الله تعالى الحاجة عندها، فما يبعد عني حتى تقضى. اهـ. ومقبرة عبد الله بن

مالك دفن بها خلق كثير من الفقهاء والمحدثين والزهاد والصالحين، وتعرف بالمالكية. اهـ.

ومقبرة باب النردان فيها ـ أيضاً ـ جماعة من أهل الفضل. اهـ. وعند المصلى المرسوم كان بصلاة العيد قبر يعرف بقبر النذور، ويقال: إنهُ المدفون فيهِ رجل من ولد علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهُ! ـ يتبرك الناس بزيارتهِ، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجتهِ. اهـ.

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال: حدثني أبي قال: كنت جالساً بحضرة عضد الدولة، ونحن مخيمون بالقرب من مصلى الأعياد، في الجانب الشرقي من مدينة السلام، نريد الخروج معهُ إلى همدان، في أول يوم نزل المعسكر، فوقع طرفهُ على البناء الذي على قبر النذور، فقال: لِمَ هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل: قبر، لعلمي بطيرتهِ من دون هذا، فاستحسن اللفظة وقال: قد علمت أنهُ قبر النذور، وإنما أردت شرح أمره. فقلت: هذا يقال: إنهُ قبر عبيد الله بن محمد، بن عمر، بن علي، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب، ويقال: إنهُ قبر عبيد الله بن محمد، بن عمر، بن علي، بن أبي طالب، وإن بعض الخلفاء أراد قتلهُ خفياً، فجعلت لهُ هناك رثبة وستر عليها وهو لا يعلم، فوقع فيها وهيل عليه التراب حياً، وإنما شهر بقبر النذور، لأنهُ ما يكاد يُنذر لهُ نذر إلا صح، وبلغ الناذر ما يريد، ولزمهُ الوفاء بالنذر، وأنا أحد من نذر لهُ مراراً لا أُحصيها كثرةً نذوراً على أُمور متعذرة فبلغتها، ولزمني النذر، فوفيت بهِ، فلم يتقبل هذا القول، وتكلم بما دل أن هذا إنما يقع منهُ اليسير اتفاقاً، فيتسوف العوام بأضعافهِ، ويسيرون الأحاديث الباطلة فيهِ، فأمسكت، فلما كان بعد أيام يسيرة، ونحن معسكرون في موضعنا، استدعاني في غدوة يوم وقال: اركب معي إلى مشهد النذور. فركبت وركب في نفر من حاشيتهِ إلى أن جئت بهِ إلى الموضع، فدخلهُ وزار القبر، وصلى عنده ركعتين، سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجاة، بما

لم يسمعهُ أحد، ثم ركبنا معهُ إلى خيمه، وأقمنا أياماً، ثم رحل ورحلنا معهُ، يريد هَمَذَان، وبلغناها، وأقمنا فيها معهُ شهوراً، فلما كان بعد ذلك استدعاني وقال لي: أَلَست تذكر ما حدثتني بهِ في أمر مشهد النذور ببغداد؟ فقلت: بلى. فقال: إني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتماداً لإحسان عشرتك، والذي كان في نفسي في الحقيقة، أن جميع ما يقال فيهِ كذب، فلما كان بعد ذلك بمديدة، طرقني أمر خشيت أن يقع ويتم، وأعملت فكري في الاحتيال لزوالهِ، ولو بجميع ما في بيوت أموالي، وسائر عساكري، فلم أجد لذلك مذهباً، فذكرت ما أخبرتني بهِ في النذر لقبر النذور، فقلت: لمَ لا أُجرب ذلك! فنذرت إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل إلى صندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاحاً، فلما كان اليوم جاءتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر، فتقدمت إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف ـ يعني كاتبهُ ـ أن يكتب إلى أبي الريان ـ وكان خليفتهُ ببغداد ـ يحملها إلى المشهد، ثم التفت إلى عبد العزيز وكان حاضراً، فقال لهُ عبد العزيز: قد كتبت بذلك ونفذ الكتاب. اهـ.

هذا ما قالهُ الخطيب البغدادي (رحمهُ الله!) في هذا الباب، ومنهُ يعلم لديك أنَّ السلف الصالح (رضي الله عنهم!) صح عندهم التوسل بأهل بيت رسول الله، وأولياء الله، واتخذوا زيارة مقابرهم، والتوجه إليهم، والتوسل إلى الله بجاههم، ذريعة لقضاء حوائجهم، وبلوغ آرابهم، ونعم الوسيلة! فإنهم أهل الحبل الموصول، والجاه المقبول، وقد جرَّب الناس بالمشرق والمغرب، وسائر الديار، زيارة مقابر أهل البيت الأخيار، فوجدوها باباً لدفع الأكدار، وسُلَّماً لبلوغ الأوطار، ولله در القائل:

جئت بطيبة والغري وكربلا ... والطوس والزورا وسامراء

مازرتهم في حاجة إلا انقضت ... وتبديل الضراء بالسراء

* * *

وقد سبق لك أنَّ السيد أحمد الكبير (رضي الله عنهُ!) بعد الأئمة الإثني عشر (رضي الله عنهم!) من أجَلِّ أعلام بيت رسول الله (ﷺ)، ويليق أن يقال فيهِ: ورث براهين معاليهم، وصار الإمام الثالث عشر فيهم، كيف لا وقد انطبعت بهِ المروءة والفتوَّة، وقام هيكلهُ المبارك بأخلاق النبوة؟ وانظر ما قالهُ الإمام الشيخ حسن البيرقي المندلاوي (قدس سره!) فإنهُ قال: طالعنا سير كبار الأمة طبقة بعد طبقة، فما رأينا في طبقة الأصحاب أكرم خلقاً من سيدنا الإمام أبي بكر الصديق (رضي الله عنهُ!)، وما رأينا في طبقة الأئمة أكرم خلقاً من الإمام محمد بن إدريس الشافعي (رحمهُ الله!)، وما رأينا في طبقة الأولياء وأشياخ الخِرْقة أكرم خلقاً من السيد أحمد الكبير الرفاعي (قدس الله سره العزيز!).

قلت: ويحسن هنا قول الشيخ العلامة الحجة صدر الدِّين السبكي (رحمهُ الله!) في الحضرة الرفاعية:

يا بن الرفاعي يا من شمس دولتهِ ... لها بكل فجاج الكون عنوانُ

لو كنت في زمن المختار شافعنا ... لجاء في خلقك الممدوح قرآنُ!

* * *

فمن كانت أخلاقهُ محمدية، وأعراقهُ نبوية، وهمتهُ عَلَوية، وشيمهُ فاطمية، ولهُ الجاه المقبول عند الله والرسول، فكيف لا يلزم على كل مُخلص ذي عقل سليم أن يندرج في سلك أتباعه، وأن يكون من حزبهِ وأشياعه؟ وهذه أحواله المباركة، وأطواره وبراهينهُ الظاهرة، وآثاره تتقلب مع الأيام تقلب الشمس الطالعة البهية، وتتلمع في حنادس الليالي تلمع الأقمار المضية.

ويؤيد ذلك ما ذكره الشيخ أبو بكر العدني (قدس سره!) في كتابه «النجم الساعي» ناقلاً عن سيدي أحمد الزاهد كنز العارفين أنهُ قال: من

كرم العزيز (سبحانهُ!) على السيد أحمد الكبير الرفاعي (رضي الله عنهُ!) أنَّ كراماتِهِ كل يوم وكل عصر في ازدياد بإذن الله تعالى، وأنَّ كرامات الأولياء يتصرفون بها في حال حياتهم خاصة، فإذا ماتوا انفصلت عنهم؛ إلاَّ السيد أحمد الكبير؛ فإن كراماتِه معهُ حياً ميتاً لا تنفصل عنهُ. اهـ.

قلت: ويفهم من قول سيدنا أحمد الزاهد انفصال تصرف أكثر الأولياء بعد مماتهم، ولكن جاههم لا يرد، وبركة التوسل بهم محققة لا تجحد، نفعنا الله بهم أجمعين!.

ونقل العَدَني عن الشيخ أبي بكر الهوازني، أنهُ سئل من الشيخ الزاهد كنز العارفين عن أجل المرشدين، فقال: خمسة أولهم سيدي أحمد الرفاعي، وثانيهم أبو عاصم معروف الكرخي، وثالثهم أبو القاسم الجُنَيْد البغدادي، ورابعهم أبو يزيد البِسْطَامي، وخامسهم الغوث أحمد بن خَلَف البَلْخي. ثم قال: إنَّ الله سخر للسيد أحمد الكبير الرفاعي الأرض، فإنهُ يقدر بإذن الله أن يقطع مسافة مئة عام منها بخطوة أو بطرفة عين، وهو يعرف سائر لسان الطيور، مثل سليمان بن داود (عليهما السلام!)، وإذا وضع رجلهُ على الأرض، وفي الأرض دفين، يناديه الدفين من تحت رجليهِ ويعلمهُ بحالهِ، ويقول لهُ: يا وليّ الله! أخرجني، واصرفني في مصالح الفقراء. فكان يضرب الأرض برجلهِ، ويقول: الدنيا ملعون ما فيها! وإنَّ الله تعالى سخر لهُ جميع الأضداد، من الوحوش، والطيور، والحشرات، وسخر لهُ الجن، والعفاريت، والمردة، وعلمهُ الله جميع لغاتهم، وإنَّ الله وهبهُ وأعطاه من الكرامات بقدر كرامة كل وليّ، وهو أفاض ذلك بإذن الله لمريديهِ، وخلفائهِ، ولذلك ترى الكرامات فيهم، وتظهر أخلاق القوم عليهم، ولا تنقطع منهم.

ثم قال الشيخ الزاهد للشيخ أبي بكر الهوازني: يا أبا بكر تعلق بأذيالهِ، وكن من أهل مجلسهِ، ولا تفارق محياه، وتَشَفَّعْ بهِ إلى الله تعالى؛ فإن الله لا يرد شفاعتك بهِ؛ لأنهُ من أكرم أهل البيت على الله تعالى عز وجل. اهـ.

وقد شاهد أكابر الرجال، وفحول الأبطال، بركة التمسك بأذيالهِ، وذاقوا لذة الاغتراف من بحر كمالهِ، وعلموا أن طريقةُ طريق النجاح والأمان، وأن محبتهُ من أعظم الأسباب المقربة إلى الرحمن، ولذلك ألزموا أنفسهم وأهليهم ومحبيهم الأخذ بعهده ووثيقتهِ، والتمسك ببيعته وطريقتهِ، وانظر ما قالهُ الأستاذ السيد سراج الدين البغدادي في أبياتهِ هذه:

إذا ذكر الغوث الرفاعي رأيتَنا سُكارى بكأس خمره من فم العرشِ
إمام رجال الله في سُدة الورى وسلطانهم في الغيب والعرش والفرشِ
هو السطر إن خطت على اللوح نقطة لجملة أهل الله في مبدأ النقشِ
ومعتقدي إن قام داع باسْمِه ونادى أُلَبيه وإن كنت في النعشِ
فيا منشدي زدني هياماً بذكره وكرره كي يحلو بتكراره عيشي
وكن من طريق ابن الرفاعي فإنهُ طريق رفيع الباب خال من الغشّ
هزبر إذا ما كبشُ قومٍ طغى بهم بضربتهِ يستدخل الرأسَ في الكرشِ

* * *

ولا يغيب عنك ـ يا أخي ـ أنَّ ساداتنا أهلَ الله (رضي الله عنهم!) كُلَّهم وسائل إلى الله، وأدلاءُ على الله، والخير لمن اتَّبعهم محقق مجزوم، والفضل والفيض الإلهي في طريق متابعتهم حصولُه معلوم، وستأتيك نبذة صالحة نختم فيها هذا الباب، ونجعلها تبركاً حسن الخاتمة لهذا الكتاب، نذكر فيها مآثر بعض الأولياء الكرام، وأشياخ الطريق الأعلام، الذين أرشد الله بهم المسلمين، وجعلهم المجددين لأمر هذا الدين، فَسُقْ نفسك أن تظفر بسهم من بركة إرشادهم، واطبع بلوح قلبك كلمة حُبهم ووِدادهم، ولا تنس منهم أهل الخفاء والاستتار، والتباعد عن الظهور والاشتهار، فإنهم طائفة تجردوا عن الأكوان بالكلية، وأقبلوا على الله بخلوص النية، وقد أحسن من قال فيهم:

لله تحت بساط الغيب طائفة أخفاهم عن عيون الناس إجلالا
هم السلاطين في أطمار مسكنة جرّوا على فلك الخضراء أذيالا

❊ ❊ ❊

ولا يصدنك عن أصحاب المظاهر منهم أمرُ ظهورهم، وما هم عليهِ من التحلي بحلية أهل الدنيا، فإنَّ الشرط بحفظ القلب، وعدم الغفلة عن الرب، وإن القلوب محل نظر خالق البريات، وبارىء المسموكات، وكذلك يقول سيد السادات: إنما الأعمال بالنيات. ويحسن أن نذكر هذا البيت وهو لنا:

ما على هيئة القوالب عيب إن تكن هيئة القلوب صحيحه

❊ ❊ ❊

واعمل يا أخي بحرمة أهل الوقت؛ فإنَّ من حُرِمَ حُرْمةَ أهلِ الوقتِ، وقتُهُ كلُّهُ مقتٌ؛ لأنهم خلف هؤلاء السلف، وأما المتقدمون (رضي الله عنهم!) فإنهم حَلَق السلسلة الموصلة إلى الحضرة المحمدية المبجلة، ولهم بسبب قُربهم منهُ (عليهِ الصلاة والسلام!) على أخلافهم زيادة التبجيل والاحترام، ولهذا أردنا أن نزين خاتمة الكتاب بذكرهم، وأن نعطر صحائفهُ بعطرهم، وأن نوضح لك أنهم أئمة الهدى، وأن الفلاح رفيق من بهم اقتدى، وأن شيخهم في الخِرْقة والطريقة، وأستاذهم في البيعة والوثيقة، سيد التابعين، ومُقتدى أكابر أهل الله العارفين، المرشد الأكمل، شيخ الكُلِّ في الكُلِّ، رئيس الطوائف، وإمام كل عارف، خليفة ابن عمِّ النبي القرشي، ووارث مُضمر العَلَم العَلَوي، إمام العلماء والصوفية، سيدنا أبو سعيد الحسن البَصْري (رضي الله عنهُ!).

لبس الخِرْقة من الإمام علي بن أبي طالب (كرّم الله وجههُ ورضي الله عنهُ!)، كما صحح ذلك الحافظ جلال الدِّين السيوطي (رحمهُ الله!)، كان والده من أهل نينان، فسبي، فهو مولى للأنصار، قال سفيان الثوري

(رضي الله عنهُ!): الحسن البَصْري، أجل أصحاب علي بن أبي طالب (عليهِ السلام!). وكان يصلي خلف عليّ، وكان ليلة قتلهِ ـ كرّم الله وجههُ! ـ يصلي خلفهُ، وهو أحد أعيان الفقهاء بعد العبادلة ـ رضي الله عنهم! ـ، وكان يغلظ على الظالمين النصح، ولا يخاف في الله لومة لائِم، ولما مرض الحجاج مرض موته، وسلط الله تعالى عليه الزمهرير، فكانت الكوانين تجعل حولهُ مملوءة ناراً وتدنى منهُ حتى تحرق جلده، وهو لا يحس بها، فشكى ما يجده إلى الحسن البَصْري فقال لهُ: قد نهيتك أن تتعرض للصالحين.

ثم لما مات الحجاج سجد الحسن شكراً لله تعالى وقال: اللهمّ كما أمتهُ فأمت عنا سنتهُ. ولما قَتَل الحجاج سعيد بن جبير المخزومي (رضي الله عنهُ!) قال الحسن البَصْري ـ رضي الله عنه! ـ: اللهم أنت على فاسق ثقيف، واللهِ لو أن من بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتلهِ لكبهم الله تعالى في النار. فما كان بعد قليل إلا ودمر الله الحجاج، وأنفذ فيهِ سهم دعاء الإمام الحسن البَصْري (رضي الله عنه!)، قال الزهري (رحمه الله!): العلماء أربعة: ابن المُسَيَّب بالمدينة، والحسن البَصْري بالبَصْرة، والشعبي بالكوفة، ومكحول بالشام (رضي الله عنهم!).

ولد الإمام الحسن البَصْري لسنتين بقيتا من خلافة عمر ـ رضي الله عنهُ! ـ، وتوفي سنة عشر ومئة، قال أهل الطبقات فيهِ: كان إماماً، قدوة، صالحاً، زاهداً، فاضلاً، جامعاً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، حُجة، مأموناً، عابداً، ناسكاً، جميلاً، وسيماً، وكان من سادات التابعين، وكبرائهم، وجمع من كل فن: من عِلْم، وزهد، وورع، وعبادة، أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري (رضي الله عنهُ!)، وأُمه مولاة أم سلمة زوج النَّبي (ﷺ) (رضي الله عنها!)، وربما غابت أمهُ في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة (رضي الله عنها!) ثديها تعللهُ بهِ إلى أن تجيء أمهُ، فيدر ثديها عليهِ، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك.

ذكر الإمام الشَّعْراني في «طبقاتهِ الوسطى»: أنَّ الحسن البَصْري (رضي الله عنهُ!) صلى الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة، وكان أكثر مشيهِ حافياً، وكان لهُ هيبة عظيمة، وكان يقول: واللهِ لو كنتُ ممن أعان على قتل الحسين أو رضي بهِ وعُرضت عليَّ الجنة ما دخلتُها حياءً من رسول الله (ﷺ)، وخوفاً أن ينظر لي نظرة غضب. وقال: كان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الله لومة لائم.

وذكر اليافعي (رحمهُ الله!) في «تاريخهِ»: أنَّ عمر بن هبيرة الفزاري ولي العراق في أيام يزيد بن عبد الملك، وأضيفت إليهِ خراسان، فاستدعا الحسن البَصْري، ومحمد بن سيرين، والشعبي، وذلك في سنة ثلاث ومئة، فقال لهم: إن يزيد خليفة الله تعالى استخلفهُ على عباده، وأخذ عليهم الميثاق بطاعتهِ، وأخذ عهودنا بالسمع والطاعة، وقد ولأني ما ترون، فيكتب إليَّ بالأمر من أُموره فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر، فقال ابن سيرين والشعبي: قولاً فيهِ بقية. فقال ابن هبيرة: ما تقول يا حسن؟ فقال: يا بن هبيرة، خفِ الله تعالى في يزيد، ولا تخف يزيد في الله ـ عز وجل! ـ؛ فإن الله تبارك وتعالى يمنعك من يزيد، ولا يمنع يزيد من الله (جل وعلا!)، ويوشك أن يبعث إليك مَلَكاً فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصر إلى ضيق قبر، ثم لا ينجيك إلا عملُك، يا بن هبيرة، إياك أن تعصي الله تعالى، فإنما جعل الله (عز وجل!) هذا السلطان ناصراً لدِين الله (عز وجل!) وعباده، فلا تركن دين الله تعالى وعبادة بهذا السلطان؛ فإنهُ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فأجازهم ابن هبيرة، وأضعف جائزة الحسن. فقال الحسن: سفسفنا لهُ، فسفسف لنا. والسفسافُ: الرديُّ من العطية.

وروي أنهُ كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن (رضي الله عنهما!) يقول لهُ: إني قد ابتليت بهذا الأمر، فانظر لي أعواناً يعينوني عليهِ. فكتب إليه الحسن كتاباً يقول في أثنائهِ: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء

الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله والسلام.

ورأى الحسن يوماً رجلاً وسيماً، حسن الهيئة عليهِ، فسأل عنهُ ؟ فقيل لهُ: إنه يتمسخر للملوك، ويحبونهُ. فقال: لله أبوه! أو قال: لله درُّه! ما رأيت أحداً يطلب الدنيا بما يشبهها إلا هذا. قلت: يعني أن الدنيا رذيلة، فأَخْذُها بالرذائل أنسبُ من أخذها بالفضائل، وكان أكثر كلامهِ حكماً وبلاغة، ولما حضرتهُ الوفاة أغمي عليهِ قبل موتهِ ثم أفاق، فقال: لقد نبهتموني من جنات وعيون، ومقام كريم.

وقال رجل قبل موتهِ لابن سيرين: رأيت كأن طائراً أخذ حصاة بالمسجد. فقال: إن صدقت رؤياك مات الحسن. فلم يكن إلا قليلاً حتى مات الحسن، فتبع الناس جنازتهُ، فلم تقم صلاة العصر بالمسجد، وما عُلِمَ أنها تُرِكتْ فيهِ مذ كان الإسلام إلا يومئذ، لأنهم تبعوا الجنازة حتى لم يبق من يصلي في المسجد.

قلت: ولهُ (رضي الله عنهُ!) مع الحجاج وَقعات عظيمة، واجههُ فيها بكلام صادع، وسَلمهُ الله تعالى من شره، ومما روى من تفخيم الحجاج لهُ، أنهُ جاء ذات يوم راكباً على برذون أصفر، فأم الجامع، فلما دخلهُ رأى فيهِ حلقات متعددة، فقصد حلقة الحسن، فلم يقم لهُ، بل وسع لهُ في المجلس، فجلس إلى جنبهِ، قال الراوي: فقلنا اليوم ننظر الحسن، هل يتغير عن عادتهِ في كلامهِ وهيئتهِ، فلم يغير شيئاً من ذلك، بل أخذ على نسق عادتهِ من غير زيادة ولا نقص، فلما كان في آخر المجلس، قال الحجاج: صدق الشيخ عليكم بهذه المجالس، فقد قال رسول الله (ﷺ): إذا مررتم برياض الجنةِ فارتعوا. ولولا ما ابتلينا بهِ من هذا الأمر لم يغلبونا عليها. أو قال: لم يسبقونا إليها. ثم افتر عن لفظ أعجب بهِ الحاضرون، ثم نهض فمشي طريقَه. انتهى.

وقد أطبق القوم على أن إمام طريق التصوف من التابعين الحسن البَصْري (رضي الله عنهُ!)، وقد انتهت إليهِ أسانيد الصوفية على الغالب،

قال محمد بن الحسن: كان الحسن البَصْري قدوة وإماماً في الشريعة والطريقة والسُّنة. وقال غيره من القوم: اجتمعت سيرة الهداية في الحسن البَصْري، فمن أحب اتِّباع سُنة رسول الله (ﷺ) والعمل بما كان عليهِ أصحابه (رضي الله عنهم!) فليقتدي بهِ، فإنهُ نعم القدوة! وكان يقول: أكرمْ إخوانك، هو الذي يدوم لك وده، وليس بأخيك من احتجت إلى مداراتِهِ.

وكان إذا جلس بين الناس يجلس ذليلاً كالأسير، وإذا تكلم يتكلم كلام رجل قد أمر بهِ إلى النار، وكان يقول: من لبس الصوف تواضعاً لله زاده نوراً في بصره وقلبهِ. ومن لبسهُ إظهاراً للزهد في الدنيا والتكبر بهِ على الإخوان في نفسهِ كُوِّر في جهنم مع الشياطين.

وكان يقول: ما كل الناس يصلح للبس الصوف؛ لأنهُ يطلب صفاء ومراقبة لله (عز وجل!). وقيل لهُ مرة: ما سبب لباسك الصوف؟ فسكت، فقيل لهُ: ألاَ تجيب؟! فقال: إن قلت: زهداً في الدنيا، زكيت نفسي، وإن قلت: فقراً وضيقاً شكوت ربي، والله تعالى أعلم.

ولو أردنا تتبع آثاره، لضاق الوقت، وفي هذا كفاية، ـ رضي الله عنهُ! ـ.

ترجمة داود بن نصير الطائي الكوفي أبي سليمان رضي الله عنه!

ومن أكابر القوم الأعيان، وأشياخ الطريق أهل العرفان، مولانا الإمام الكبير، والزاهد العارف الشهير، خليفة الحسن البَصْري، الإمام أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي (رضي الله عنهُ!)، قال الخطيب البغدادي في «تاريخه»: داود بن نصير، أبو سليمان الطائي، الكوفي، سمع عبد الملك بن عمير، وحبيب بن أبي عمرة، وسليمان الأعمش، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، روى عنهُ إسماعيل بن عُليّة،

ومصعب بن المقدام، وأبو نعيم الفضل بن دُكين، وكان داود ممن شَغَلَ نفسهُ بالعلم، ودرس الفقه، وغيره من العلوم، ثم اختار بعد ذلك العزلة، وآثر الانفراد والخلوة، ولزم العبادة، واجتهد فيها إلى آخر عمره، وقدم بغداد في أيام المهدي، ثم عاد إلى الكوفة، وبها كانت وفاتهُ.

وجدت في كتاب محمد بن العباس بن الفرات الذي سمعهُ من أبي الحسن إسحاق بن عباس، قال: أخبرنا محمد بن يونس الكديمي، قال: سمعت أبا نُعيم يقول: كنت ببغداد عند داود الطائي، وبها المهدي عشرين ليلة، فسمع صوتاً فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا أمير المؤمنين يا أبا سليمان. قال: وهو هاهنا. اهـ.

أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، قال: أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن شبويه، قال: سمعت علي بن المَدِيْني يقول: سمعت ابن عُيَيْنَة يقول: كان داود الطائي ممن عِلم وفَقه. قال: وكان يختلف إلى أبي حنيفة، حتى يقلب في ذلك الكلام. قال: فأَخذ حصاة فحذف بها إنساناً، فقال لهُ: يا أبا سليمان طال لسانك، وطالت يدك! قال: فاختلف بعد ذلك سنة لا يسأل ولا يجيب، فلما عَلِم أنه يصبر عمد إلى كتبهِ فغرقها في الفرات، ثم أقبل على العبادة وتخلا.

قال: وكان قد زاره صديق لهُ وكان يعلم أنهُ يجيئهُ في آية من القرآن يفسرها ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾. فأتاه يصلي إلى جنبهِ، فلما انفتل قال: يا أبا سليمان: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾. فقال: يا أبا الصلت انقطع الجواب فيها مرتين. اهـ.

أخبرنا ابن رزق، قال: أخبرنا جعفر الخلدي، أخبرنا محمد بن عبد الله الحضرمي، أخبرنا محمد بن يزيد، حدثنا وكيع، قال: قيل لداود الطائي: حدثنا. قال: أُريد أقعد مثل المكتب مع قوم يتحفظون سقط كلامي. اهـ.

أخبرنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن فضالة النَيْسَابوري بالري، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن الفضل بن محمد بن سليمان السلمي، قال: أخبرنا أبو عمران موسى بن العباس الجويني، أخبرنا جعفر بن الحجاج الرَّقي، أخبرنا عبيد بن جناد قال: سمعت عطاء يقول: كان لداود الطائي ثلاث مئة درهم، فعاش بها عشرين سنة ينفقها على نفسهِ. قال: وكنا ندخل على داود الطائي، فلم يكن في بيتهِ إلا بارية ولبنة يضع عليها رأسهُ، وإجانة فيها خبز، ومطهرة يتوضأ منها، ومنها يشرب. اهـ.

أخبرنا الحسن بن أبي طالب، قال: أخبرنا علي بن عمرو الحريري ابن علي بن محمد بن كاس النَّخَعي أخبرهم قال: أخبرنا أحمد بن أبي أحمد الحنبلي، حدثنا محمد بن إسحاق البكاي، قال الوليد بن عقبة الشيباني قال: لم يكن في حَلَقة أبي حنيفة أرفع صوتاً من داود الطائي، ثم إنهُ تزهد واعتزلهم، وأقبل على العبادة. اهـ.

أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي، أخبرنا أحمد بن أبي الحوارى، قال: قال أبو سليمان ـ يعني الداراني ـ: ورث داود الطائي من أُمِه داراً، فكان ينتقل في بيوت الدار، كلما تخرب بيت من الدار، انتقل منهُ إلى آخر، ولم يعمره، حتى أتى على عامة بيوت الدار. قال: وورث من أبيهِ دنانير، فكان يتقوت بها حتى كُفِّنَ بآخرها. اهـ.

أخبرنا أحمد بن عمر بن روح، قال: أخبرنا المعافي بن زكريا الجريري، أخبرنا محمد بن القاسم الأنباري، حدثني أبي، حدثني موسى ابن عبد الرحمن، حدثني محمد بن حسان قال: قال لي عمي: قَدِم محمد ابن قحطبة الكوفة فقال: أحتاج إلى مؤَدب يؤَدب أولادي، حافظ لكتاب الله، عالم بسُنة رسول الله (ﷺ)، وبالآثار، والفقه، والنحو، والشعر، وأيام الناس. فقيل لهُ: ما يجمع هذه الأشياء إلا داود الطائي.

وكان محمد بن قحطبة ابن عم داود، فأرسل إليهِ يعرض ذلك عليهِ، ويسني لهُ الأرزاق والفائدة، فأبى داود ذلك، فأرسل إليهِ بدرة عشرة آلاف درهم، وقال لهُ: استعن بها على دهرك. فردها، فوجه إليهِ بدرتين مع غلامين لهُ مملوكين وقال لهما: إن قبل الدرتين فأنتما حران. فمضيا بهما إليهِ، فأبى أن يقبلهما، فقالا لهُ: إنَّ في قبولهما عِتْقَ رقابنا. فقال لهما: إني أخاف أن يكون في قَبُولهما رهق رقبتي في النار، رداها إليه، وقولا لهُ: إن تردهما على من أخذتهما منهُ أولى من أن تعطيني أنا. اهـ.

أخبرنا ابن رزق، قال: أخبرنا جعفر الخالدي، أخبرنا محمد بن عبد الله الحضرمي، أخبرنا محمد بن حسان، قال: سمعت إسماعيل بن حسان يقول: جئت إلى باب داود الطائي، فسمعتهُ يخاطب نفسهُ، فظننت أن عنده أحداً، فأطلت القيام على الباب، ثم استأذنت فدخلت، فقال: ما بدا لك في الاستئذان؟ قلت: سمعتك تتكلم، فظننت أن عندك أحداً. قال: لا، ولكن كنت أخاصم نفسي، اشتهت البارحة تمراً، فخرجت فاشتريت لها، فلما جئت بهِ اشتهت جزراً، فأعطيت الله عهداً أن لا آكل تمراً ولا جزراً حتى ألقاه. اهـ.

وقال الحضرمي: أخبرني عبد الله بن أحمد بن شبوية قال: سمعت علي بن الحسن الشقيقي قال: قال عبد الله بن مبارك: قيل لداود الطائي ـ وحائطهُ قد تصدع ـ فقيل لهُ: لو أمرت برمهِ. فقال داود: كانوا يكرهون فضول النظر. اهـ.

أخبرنا عبد الغفار بن محمد المؤَدب، أخبرنا عمر بن أحمد الواعظ، أخبرنا محمد بن جعفر المطيلري، أخبرنا الحسن بن علي العبدي قال: أخبرنا أبو حفص قال: سمعت ابن أبي عديّ يقول: صام داود الطائي أربعين سنة ما عَلِم بهِ أهله، وكان خرازاً، وكان يحمل غداه معهُ، ويتصدق بهِ في الطريق، ويرجع إلى أهلهِ يفطر عشاء لا يعلمون أنهُ صائم. اهـ.

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عمر بن عبد العزيز، بن محمد، بن

الواثق بالله، حدثني جدي، حدثني خلف بن عمر، وحدثني محمد بن عبد المجيد الدوري، حدثني الوليد بن عقبه قال: رأيت داود الطائي وقال لهُ رجل: ألا تسرح لحيتك؟ قال إني عنها مشغول. اهـ.

أخبرنا أبو الحسن على بن القاسم بن الحسن، الشاهد بالبصرة، أخبرنا أبو روق الهزاني، حدثنا أبو سعيد السكري قال: احتجم داود الطائي، فدفع إلى الحجام ديناراً، فقيل لهُ: هذا إسراف، فقال: لا عبادة لمن لا مروءة لهُ. اهـ.

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن الحسن بن علي بن المنذر القاضي، أخبرنا جعفر بن محمد نصير الخواص، أخبرنا أحمد بن محمد بن مسروق، أخبرنا محمد بن الحسين البرجلاني، أخبرنا أبو سعيد، قال: أخبرنا سهل بن بكار قال: قالت أُخت لداود الطائي: يا داود لو تنحيت من الشمس إلى الظل. قال: هذه خطأ، لا أدري كيف تكتب. اهـ.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد، بن عبد الله الأصبهاني، أخبرنا جعفر الخلدي، أخبرنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: أخبرنا هارون بن سوار المقرئ قال: سمعت شعيب بن حرب يقول: دخلت على داود الطائي فأكربني الحر في بيتهِ، فقلت: لو خرجنا إلى الدار نتروح. فقال: إني لأستحي من الله أن أخطو خطوة لذة. اهـ.

أخبرنا محمد بن الحسين بن إبراهيم الحقاف، قال: أخبرنا أبو ميسرة قميع بن ميسرة بن حاجب الزهيري، أخبرنا أحمد بن مسروق، أخبرنا محمد بن الحسين البرجلاني، حدثني هريم، حدثني أبوه أبو الربيع الأعرج قال: دخلت على داود الطائي ببيته بعد المغرب، فقرب إليَّ كُسيرات يابسة، فعطشت، فقمت إلى دن فيهِ ماء حار، فقلت: رحمك الله! لو اتخذت إناء غير هذا يكون فيهِ الماء! فقال لي: إذا كنت لا أشرب إلا بارداً، ولا آكل إلا طيباً، ولا ألبَسُ إلا ليناً، فما أبقيت لآخرتي؟! قال: قلت أوصني. قال: صم الدنيا، واجعل إفطارك فيها الموت، وفرّ من

الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى إن صحبت، فإنهم أقل مؤونة، وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسبك هذا إن عملت بهِ.

أخبرني الأزهري قال: أخبرني محمد بن العباس الخزاز، أخبرني أبو مزاحم موسى بن عبيد الله، حدثني أبو بكر بن مكرم قال: سمعت محمد ابن عبد الرحمن الصيدافي يقول: رحل أبو الربيع الأعرج إلى داود الطائي من واسط ليسمع منهُ شيئاً ويراه، فأقام على بابهِ ثلاثة أيام لم يصل إليهِ، قال: كان إذا سمع الإقامة خرج، فإذا سلم الإمام وثب فدخل منزلهُ. قال: فصليت في مسجد آخر، ثم جئت وجلست على بابهِ، فلما جاءَ ليدخل من باب الدار قلت: ضيفٌ رَحِمَك الله! قال: إن كنت ضيفاً فادخل. قال: فدخلت فأقمت عنده ثلاثة أيام لا يكلمني، فلما كان بعد ثلاث قلت: رحمك الله! أتيتك من واسط وإني أحببت أن تزودني شيئاً قال: صم الدنيا، واجعل فطرك الموت. فقلت: زدني رحمك الله! قال: فرّ من الناس كفرارك من الأسد، غير طاعن عليهم، ولا تارك لجماعتهمْ. قال: فذهبت أستزيده فوثب إلى المحراب وقال الله أكبر. اهـ.

أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق قال: أخبرنا أحمد بن سليمان النجاد، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، حدثني محمد بن الحسين، حدثني رُستم بن أُسامة، حدثني أبو خالد الأحمر قال: قال داود الطائي: ما حسدت أحداً على شيء إلا أن يكون رجلاً يقوم الليل، فإني أحب أن أرزق وقتاً من الليل. قال أبو خالد: وبلغني أنه كان لا ينام الليل، إذا غلبتهُ عيناه احتنى قاعداً. اهـ.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين، حدثني إسحاق بن منصور قال: حدثتني أم سعيد بن علقمة النَّخَعي ـ وكانت أُمهُ طائية ـ، قالت: كان بيننا وبين داود الطائي حائط قصير، كنت أسمع حسهُ عامة الليل لا يهدأ. قالت: وربما سمعتهُ يقول: همك عَطّل عليّ الهموم، وخالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني، وحال بيني

وبين اللذات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب. قالت: وربما ترنم بآلائهِ فأرى أن جميع نعيم الدنيا جُمع في ترنمه، وكان يكون في الدار وحده، وكان لا يصبح فيها. أي لا يسرج. اهـ.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أحمد بن محمد الجواليقي، أخبرنا جعفر بن محمد الخالدي، أخبرنا أحمد ـ يعني ابن محمد بن مسروق ـ، أخبرنا محمد بن حسين، أخبرنا قبيصة بن عقبة، حدثتني جارية لداود ـ يعني الطائي ـ قالت: مكث داود عشرين سنة لا يرفع رأسهُ إلى السماء. قال قبيصة: قد رأيتهُ كان متخشعاً جداً. اهـ.

وأخبرنا الحسين بن الحسن الجواليقي، أخبرنا جعفر الخالدي، أخبرنا أحمد ـ هو ابن مسروق ـ، أخبرنا محمد ـ يعني ابن الحسين ـ، حدثني عمرو بن طلحة القناد قال: ورث داود الطائي من ابن عم لهُ لم يكن وارثاً غيره نحواً من مئة ألف درهم، وعَرَضاً وغيره، فقال: قد جعلت ما أصابني من ميراثي منهُ صدقة على أهل الحاجة والمسكنة. اهـ. قال عمرو: فقسمت واللهِ في الأحياء عن آخرها درهماً. قال عمرو: وحدثني جماد بن أبي حنيفة قال: قلت لهُ: لو أبقيت بعضها لخلة تكون. قال: إني احتسبت بها صلة الرحم. اهـ.

أخبرنا محمد بن الحسين القطان قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، أخبرنا محمد بن هشام المستملي قال: سمعت أبا عبد الرحمن المذكر وأنا حَدَث قال: كان داود الطائي يحيي الليل صلاة، ثمْ يقعد بحذاء القبلة فيقول: يا سواد ليلة لا يضيء، ويا بُعد سفر لا ينقضي، ويا خلوتك بي. يقول داود: ألم تستح ؟. اهـ.

أخبرنا ابن رزق قال: أخبرنا جعفر الخالدي، أخبرنا محمد بن عبد الله الحضرمي، أخبرنا علي بن حرب، أخبرنا إسماعيل بن زبان قال: قالت داية داود لهُ: يا أبا سليمان، أما تشتهي الخبز ؟ قال: يا داية، بين مضغ الخبز وشرب الفتيت، قراءة خمسين آية. اهـ.

أخبرنا الحسين بن علي الضميري، أخبرنا الحسين بن هارون القاضي قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، أخبرنا قاسم بن الضحاك، أخبرنا معاوية بن سفيان المازني، عن دثار بن محارب قال: حدثني أبي محارب ابن دثار قال: لو كان داود الطائي في الأمم الماضية، لقص الله علينا من خبره. اهـ.

أخبرني عبد الله بن يحيى السكري قال: أخبرني محمد بن عبد الله الشافعي، أخبرني جعفر بن محمد بن الأزهر، أخبرني ابن الغلابي قال: قال أبو زكريا يحيى بن معين: وداود الطائي ثقة. اهـ.

أخبرنا الحسن بن أبي بكر، قال أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله القطان، أخبرنا عبدوس ـ وهو عبد الله بن روح المدايني ـ، أخبرنا عبيد الله بن محمد الغيشي، أخبرنا سلمة بن سعيد قال: باع داود الطائي جارية لهُ، قال: فقال لهُ بعض إخوانهِ: لو دفعت إليَّ ثمنها فضاربت لك بهِ عشت في فضلها، وكانت هي على حالها؟ فلما ولىّ دعاه فقال: هاتِها عسى أن لا أُفنيَها حتى أموت. قال: فواللهِ ما أفناها حتى مات! قال: وبقي منها شيءٌ، فاشترينا لهُ كفناً. اهـ.

أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل القطان قال: أخبرنا علي بن إبراهيم المستملي قال: أخبرنا أبو أحمد بن فارس، أخبرنا البخاري قال: داود بن نصير الطائي، أبو سليمان، مات بعد الثوري، قالهُ لي علي، وقال لي ابن أبي الطيب، عن أبي داود: مات إسرائيل وداود في أيام وأنا بالكوفة. وقال أبو نُعيم: مات سنة ستين ومئة. اهـ.

وأخبرنا ابن الفضل قال: أخبرنا جعفر الخالدي، أخبرنا محمد بن عبد الله الحضرمي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن نمير قال: مات داود الطائي سنة خمس وستين ومئة. انتهى. ومناقب الإمام داود الطائي ومآثره أكثر من أن تُحصر، وفيما ترجمةُ بهِ الخطيب كفاية.

﴿ترجمة أبي القاسم الجُنَيْد﴾

ومنهم الشيخ الإمام، مقتدى الإسلام، مفتي الفريقين، وشيخ الطائفتين، أبو القاسم، الجُنيد بن محمد، بن الجنيد، النهاوندي الأصل، البغدادي، القواريري، الخزاز، قال السبكي في «طبقاتِهِ» حين ذكر الجنيد: سيد الطائفة، ومقدم الجماعة، وإمام أهل الخِرْقة، وشيخ طريقة التصوف، وعَلَم الأولياء في زمانهِ، وبهلوان العارفين. وقد أطنب الإمام السبكي وأطال في ترجمة الإمام الجنيد، وكتب كثيراً من مناقبهِ وكلماتهِ، وسنذكر ـ إن شاء الله ـ في هذه الترجمة البعض منها، وها أنا أذكر لك ـ يا أخي ـ ما ترجمهُ بهِ الأستاذ اليافعي (قدس الله سره!) في «تاريخهِ»؛ فإنهُ أتقن وأجاد، وشفى الفؤاد، وهذه ترجمتهُ بحروفها.

قال عند ذكر حوادث سنة ثمان وتسعين ومئتين: وفيها توفي أُستاذ الطريقة، وحامل لواء الحقيقة، سيد الطائفة، تاج العارفين، قطب العلوم، أبو القاسم الجنيد بن محمد، القواريري، الخزاز، بالخاء المعجمة، والزاي المشددة المكررة، (قدس الله تعالى روحهُ!)، وقيل: سنة سبع. وقيل: سنة تسع. صحب خالهُ السَّرِي السَّقَطِي، والحارث بن أسد المحاسبي، وغيرَهما من أجلة المشايخ، وممن صحبهُ من أَجلَّة الأئمة، وأعلام الأُمة، أبو العباس بن شريح، الفقيه الشافعي، النجيب في العلوم، المفحم للخصوم، كان إذا تكلم في الأصول والفروع تكلم بكلام يعجب الحاضرين، يقول لهم: أتدرون من أين لي هذا؟ هذا من بركة مجالستي أبا القاسم الجُنيد. وأصل الجنيد من نهاوند، ومولده ومنشأه العراق، وكان شيخ وقتهِ، وفريد عصره، وكلامهُ في الطريقة وأسرار الحقيقة مشهور مُدَوَّن، تفقه على أبي ثور، صاحب الإمام الشافعي، وقيل: بل كان فقيهاً على مذهب سفيان الثوري.

وسئل عن العارف من هو؟ فقال: من نطق عن سرك وأنت ساكت.

وكان يقول: مذهبنا هذا مقيد بالأصول: الكتاب والسنة. ورُؤي يوماً في يده سُبْحة، فقيل لهُ: أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة؟ فقال: طريق وصلت بهِ إلى ربي لا أُفارقه. وقال (رضي الله عنهُ!): قال لي خالي السَّرِي: تكلم على الناس. وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس، فإني كنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيت ليلة في المنام رسول الله (ﷺ) وكانت ليلة جمعة، فقال لي: تكلم على الناس. فانتبهت وأتيت باب السَّري قبل أن أصبح، فدققت الباب، فقال لي: لم تصدق حتى قيل لك! فقعدت في غدٍ للناس بالجامع، وانتشر في الناس أن الجُنَيْد قعد يتكلم على الناس، فوقف عليَّ غلام نصراني متنكراً، وقال: أيها الشيخ، ما معنى قول رسول الله (ﷺ): اتقوا فراسة المؤمن فإنهُ ينظر بنور الله تعالى؟. فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسي وقلت لهُ: أسلم فقد حان وقت إسلامك. فأسلم الغلام.

قلت: والناس معتقدون أن في هذا للجنيد كرامة، وأقول: فيهِ كرامتان ثنتان، إحداهما اطّلاعه على كفر الغلام، والثانية اطلاعه على أنهُ سيسلم في الحال، وكل ذلك بإطلاع الله تعالى لهُ تفضيلاً وإكراماً وتخصيصاً وإنعاماً، وإن لم يكن ذلك مطرداً، فقد يعطى الكرامة المفضول ويمنع الفاضل.

وعن أبي القاسم الجنيد (رضي الله عنهُ!) أنهُ قال: ما انتفعت بشيء انتفاعي بأبيات سمعتها. قيل لهُ: وما هي؟. قال: مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تُغني من دار فأنصت لها فسمعتها تقول:

إذا قلتُ: أهدى الهجرُ لي حُلَل البَلا ... تقولين: لولا الهجر لم يطب الحبُّ
وإن قلت: هذا القلب أحرقهُ الهوى ... تقولي: بنيران الهوى يُشرقُ القلبُ

* * *

فصعقت وصحت، فبينما أنا كذلك إذا أنا بصاحب الدار قد خرج، فقال: ما هذا يا سيدي؟ فقلت: مما سمعت. فقال: أشهد أنها هبة مني لك. فقلت: وقد قبلتها وهي حُرة لوجه الله تعالى، ثم دفعتها لبعض أصحابنا بالرِّباط، فولدتِ لهُ ولداً نبيلاً، ونشأ أحسن نشوء، وحج على قدميهِ ثلاثين حجة على الوَحْدَة، وأخبار الجنيد (رضي الله عنهُ!) كثيرة، ومناقبه شهيرة، وسيرتهُ حميدة، وكراماتهُ عديدة، قيل: توفي آخر ساعة من نهار الجمعة، وقيل: غير ذلك، ودفن بالشونيزيه عند خالهِ السَّرِي، وكان عند موتهِ قد ختم القرآن الكريم، ثم ابتدأ بقرآتهِ فقرأ سبعين آية من سورة البقرة، ثم مات، وإنما قيل له: الخزاز؛ لأنهُ كان يعمل الخز، وإنما قيل لهُ: القواريري؛ لأن أباه كان قواريرياً.

قلت: وذكر بعض المشايخ أنهُ لما صنف عبد الله بن سعيد بن كلاب كتابه الذي رد فيهِ على جميع المذاهب قال: هل بقي أحد؟ قيل لهُ: نعم، بقي طائفة يقال لها الصُّوفية. قال: فهل لهم من إمام يرجعون إليهِ؟ قيل: نعم الأستاذ أبو القاسم الجُنَيْد. فأرسل إليهِ يسألهُ عن حقيقة مذهبهِ، فرد الجنيد عليهِ الجواب، بأنَّ مذهبنا إفراد القِدم عن الحَدث، وهجر الإخوان والأوطان، ونسيان ما يكون وما كان. فلما سمع ابن كلاب هذا الجواب، تعجب من ذلك وقال: هذا شيءٌ أو قال: كلام لا يمكن فيهِ المناظرة. ثم حضر مجلس الجنيد (رضي الله عنهُ!) وسألهُ عن التوحيد فأجابهُ بعبارة مشتملة على معارف الأسرار والحِكم فقال: أعد عليَّ ما قلت. فأعاده لا بتلك العبارة، فقال هذا شيءٌ آخر فأعده عليَّ. فأعاده بعبارة أخرى، فقال: ما يمكننا حفظ ما تقول فأمْلِه علينا. فقال: لو كنت أُجريه كنت أُمليه. فقال بفضلهِ واعترف بعُلُوِّ شأنهِ.

قلت: وإلى قولهِ كنت أجريه أمليه: إشارة على لسان حال صاحب الحال الجاري على لسانهِ كلام بغير اختيار، على طريق التغزل بسلمى،

وشبهها، حيث أقول حاكياً لكلام شيخنا (قدس الله تعالى روحه!) في حال غيبتهِ بالحال الوارد عليه:

وما قلت قولاً غير أني أعرتها لساني فأومت للهوى يتكلم
فأسرارها منها علمت وعندما سكرت جليسي سرها منهُ يعلم

* * *

أعني يعلم الجليس السر الجاري على لسان المتكلم، بواسطة الهوى المشار إليهِ بالتكلم، من جهة المحبوب المُكْنَى عنهُ بسلمى تستراً.

وروي عن بعض مشايخ الصوفية الأجِلَّة أنه قال: قال لي الكعبي من كبار أئمة المعتزلة: رأيت لكم شيخاً ببغداد، يقال لهُ: الجنيد، ما رأت عيني مثلهُ، كان الكتبة يحضرونهُ لألفاظهِ، والفلاسفة لدقة كلامهِ، والشعراء لفصاحتهِ، والمتكلمون لمعانيهِ، وكلامهُ ناء عن فهمهم.

وكان (رضي الله عنهُ!) من صغره ناطقاً بالمعارف والحِكم، حتى إنَّ خالهُ السَّرِي سأل عن الشكر والجنيد يلعب مع الصغار، فقال لهُ: ما تقول يا غلام؟ قال: الشكر أن لا تستعين بنعمهِ على معاصيهِ. فقال السَّرِي: ما أخوفني عليك أن يكون حظُّك في لسانك. قال الجُنَيْد: فلم أزل خائفاً من قولهِ هذا حتى دخلت عليهِ يوماً وجئتهُ بشيءٍ كان محتاجاً إليهِ، فقال لي: أبشر فإني دعوت الله (عز وجل) أن يسوق لي ذلك على يد مفلح. أو قال: مُوَفَّق. اللهمَّ إنا نسألك التوفيق، ونعوذ بك من الخذلان والتعويق، بجاه نبيِّك الكريم (عليهِ أفضل الصلاة والتسليم).

وعن الأستاذ أبي القاسم الجنيد المشار إليهِ (رضي الله عنهُ!) أنهُ قال دخلت الكوفة في بعض أسفاري، فرأيت داراً لبعض الرؤساء، وقد شف عليها النعيم، وعلى بابها عبيد وغلمان، وفي بعض رواشنها جارية تغني وتقول:

ألاَ يـا دارُ لا يـدخلْـكِ حُـزن ولا يعبـث بسـاكنـك الـزمـانُ
فنعـم الـدار أنـت لكـل ضيـف! إذا مـا الضيـف أعـوزه المكـانُ

❊ ❊ ❊

قال: ثم مررت بها بعد مدة، فإذا الباب مُسود، والجمع مبدد، وقد ظهر عليها كآبة الذُّل والهوان، وأنشد لسان الحال:

ذهبت محاسنها وبان شجونها والـدهـر لا يبقـي مكـانـاً سـالمـا
فـاستبـدلـت مـن أنسهـا بتـوحـش ومـن السـرور بهـا عـزاء راغمـا

❊ ❊ ❊

قال: فسألت عن خبرها؟ فقيل لي: مات صاحبها، فآل أمرها إلى ما ترى. فقرعت الباب الذي كان لا يُقرع، فكلمتني جارية بكلام ضعيف، فقلت لها: يا جارية أين بهجة هذا المكان؟ وأين أنواره؟ وأين شموسه؟ وأين أقماره؟ وأين قُصّاده؟ وأين زُوّاره؟ فبكت ثم قالت: يا شيخ كانوا فيهِ على سبيل العارية، ثم نقلتهم الأقدار إلى دار القرار، وهذه عادة الدنيا تُرَحِّل من سكن فيها، وتسيء إلى من أحسن إليها. فقلت لها: يا جارية! مررت بها في بعض الأعوام، وفي هذا الروشن جارية تغني: ألاَ يا دار لا يدخلك حزن. فبكت وقالت: أنا والله تلك الجارية، لم يبق من أهل هذه الدار أحد غيري، فالويل لمن غرّتهُ دُنياه! فقلت لها: فكيف قرّ بك القرار في هذا الموضع الخراب؟ فقالت لي: ما أعظم جفاك! أما كان هذا منزل الأحباب؟! ثم أنشأت:

قالوا: أتفنى وقوفاً في منازلهم ونَفْسُ مثلك لا يفنى تحملُها؟
فقلت والقلب قد ضجت أضالعهُ والـروح تنزع والأشـواق تبـذلُهـا
: منازل الحِبِّ في قلبي مُعظَّمة وإن خلا من نعيم الوصل نازلُها
فكيـف أتـركهـا والقلـب يتبعهـا حُباً لمن كان قبل اليوم ينزلُها؟!

❊ ❊ ❊

قال: فتركتها ومضيت، وقد وقع شعرها من قلبي موقعاً، وازداد قلبي تولعاً. انتهى.

وقد اتفق العلماء، على أنَّ طريقة الإمام الجنيد، طريقة مُتَّبعة، ومذهبةُ مذهب سالم، وقد أوجبوا الاقتداء بهِ (رضي الله عنهُ!).

أخذ الطريقة ولبس الخرقة من يد خالهِ السَّرِي السَّقَطِي -رضي الله عنهُ!-، وهو لبسها من يد الإمام معروف الكَرْخي، وهو لبسها من يد الإمام داود الطائي (رضي الله عنه!)، وهو لبسها من يد الإمام الحسن البَصْري (رضي الله عنهُ!)، وهو لبسها من يد سيد الأئمة، وإمام الأمة، سيدنا الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنهُ وكرم الله وجههُ!)، كما صحح ذلك الحافظ الجلال السيوطي (قدس سره!)، وهو لبسها من يد ابن عمه سيد الأولين والآخرين، إمام النبيين والمرسلين، سيدنا ونبينا ومولانا محمد الرسول الأمين، صلى الله عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ أجمعين.

ومن هنا يتبين لك طريق الإمام الجنيد بمن اتصل وإلى مَن وصل؛ فإنَّ شيخهُ وخالهُ السَّرِي السَّقَطِي (رضي الله عنهُ!) ترجمهُ العلماء والأولياء بالمكانة العظمى، والمرتبة العليا، وقالوا: كان أوحد أهل زمانهِ في الورع والزهد والأحوال السنية وسائر مقامات الطريق، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، وإليهِ انتمى أكثر المشايخ.

قال الجنيد (قدس سره!): ما رأت عيني أعبد من السَّرِي، أتت عليهِ ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضجعاً إلاَّ في علة الموت. وشيخ السَّرِي سيدنا الشيخ معروف بن فيروز الكَرْخي (رضي الله عنهُ!)، قال فيهِ علماء الشرع والطريقة: إنهُ أجلُّ مشايخ زمانهِ، ورعاً، وزهداً، وفتوَّة، ويُستسقى بقبره إلى الآن، خدم الإمام علي بن موسى الرضا، وكان من مواليهِ، وتأدب بآدابهِ، وصحب داود الطائي، ولبس خرقتهُ، وتخرج بصحبتهِ، وهو شيخ سلسلة القوم، وإنَّ الإمام الجنيد (قدس سره ونفعنا الله به!)

ورث هؤلاء الرجال، وشرح مُضمر فضلهم، وكشف كنوز عرفانهم، وجمع لهم مذهباً، وبنى لهم طريقاً يتوصل الناس بهِ إليهم -رضي الله عنهم!-.

قام نائباً عن السلف، وإماماً للخَلَف، وأخباره كثيرة، ومناقبهُ شهيرة، وكلماتهُ اللطيفة كادت توري زند العشق، ومحبة الله في قلب كل من سمعها من أهل عصره وغيرهم، ذكر منها الإمام السبكي في «طبقاتهِ» نبذة صالحة، منها ما قالهُ: أخبرنا المسند عِزُّ الدّين أبو الفضل محمد بن ضياء الدين أبي الفدا إسماعيل قراءةً عليهِ وأنا أسمع قال: أخبرنا أبو الحسن بن النجاري، أخبرنا أبو حفص ابن طيرزد، أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، أخبرنا هناد بن إبراهيم أبو المظفر القاضي النَّسَفِي قال: سمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفارسي يقول: كان الجنيد بات ليلة العيد في موضع غير الموضع الذي كان يعتاده في البرية، فلما أن صار وقت السحر، إذا بشاب ملتف في عباءة وهو يبكي ويقول:

بحرمة غربتي كم ذا الصدود ... ألا تَعْطِفْ عليَّ ألا تجودْ ؟
سرور العيد قد عم النواحي ... وضري في ازدياد لا يبيدْ
فإن كنتُ اقترفت خلال سوء ... فعذري في الهوى أن لا أعودْ

* * *

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قراءة عليهِ وأنا أسمع قال: أخبرنا المشايخ أبو بكر بن إسماعيل بن أنماطي وأختهُ رقية وغيرهما حضوراً عن أبي بكر بن أبي سعد الصغار قال: أخبرنا أبو منصور عبد الخالق بن زاهر السجادي قال: أخبرنا الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد المؤذن قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن باكونه قال: أخبرنا نصر بن أبي نصر قال: أخبرنا جعفر بن نصير قال: سمعت الجنيد قال: حججت على الوَحْدَة، فجاورت بمكة، فكنت إذا جن الليل دخلت

الطواف فإذا بجارية تطوف وتقول:

أبى الحُب أن يخفى وكم قد كتمتهُ فأصبح عندي قد أناخ وطَنَّبا
إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره فإن رمت قرباً من حبيبي تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا بهِ لهُ ويسعدني حتى ألذ وأطربا

* * *

قال: فقلت لها: يا جارية أما تتقين الله في مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا الكلام ؟! فالتفتت إليَّ وقالت! يا جُنَيْد!:

لولا التقى لم ترني أهجر طيب الوسن
إن التقى شَرَّدني كما ترى عن وطني
أقر من وجدي بهِ محبة هيمني

* * *

ثم قالت: يا جُنيد! تطوف بالبيت أم بِرَبِّ البيت ؟ فقلت: أطوف بالبيت. فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك في خَلْقك! كالأحجار يطوفون بالأحجار.

ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربهُ إليك وهم أقسى قلوباً من الصخرِ
وتاهوا فلم يدروا من التيه منهمُ وحلوا بحل القرب في باطن الفِكرِ
فلو أخلصوا في الود غابت صِفاتهم وقامت صفات الود للحق بالذكرِ

* * *

أخبرنا الحافظ أبو العباس بن المظفر بقراءتي عليهِ قال: أخبرنا أحمد ابن هبة الله بن عساكر بقراءتي عليهِ قال: أخبرنا إسماعيل بن عثمان القاري إجازة قال: أخبرنا هبة الله بن عبد الواحد بن عبد الكريم القُشَيْرِي سماعاً عليهِ إملاء قال: سمعت الشيخ أبا سعيد محمد بن عبد العزيز الصغار قال:

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي قال: سمعت منصور بن عبد الله قال: سمعت أبا عمر الأنماطي قال: قال رجل للجنيد: على ماذا يتأسف المحب من أوقاتهِ؟ فقال: على زمان بسط أورث قبضاً، أو زمان أُنس أورث وحشة. ثم أنشأ يقول:

قد كان لي مشرب يصفو بقربكم   فكدرتهُ يد الأيام حين صفا

* * *

وبهِ إلى هبة الرحمن القُشَيْرِي قال: أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن قال: أخبرنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني قال: سمعت أبا الحسن علي بن هارون ومحمداً وأبا بكر محمد بن أحمد المفيد يقولان: سمعنا أبا القاسم الجنيد بن محمد غير مرة يقول: طريقنا مضبوط بالكتاب والسُّنة، من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، ولم يتفقه، لا يقتدى بهِ.

وأخبرنا ـ أيضاً ـ أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الخلاطي قراءة عليه وأنا أسمع بالقاهرة قال: أخبرنا نفيس الدِّين عبد الرحمن بن عبد الكريم بن أبي القاسم قال: أخبرنا والدي قال: أخبرنا أبو الفضل عبد الله ابن أحمد الطوسي قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفراني البغدادي قراءة عليه في المحرم سنة سبع وخمس مئة قيل لهُ: أخبركم أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن عبد الله الحافظ المعتلي قال: أخبرنا أبو الحسين علي بن هارون بن محمد، وأبو بكر محمد بن أحمد المفيد قالا: سمعنا أبا القاسم الجنيد بن محمد ـ رحمة الله عليهِ! ـ يقول: تفقهت على مذهب أصحاب الحديث، كأبي عبيد، وأبي ثور، وصحبت الحارث المحاسبي، وسَرِي بن المغلس (رحمة الله عليهم!)، وذلك كان سبب فلاحي، إذ عِلْمنا هذا مضبوط بالكتاب والسُّنة، ومن لم يحفظ القرآن، ويكتب الحديث، ويتفقه قبل سلوكهِ، فإنهُ لا يجوز الاقتداء بهِ. اهـ.

أخبرنا الشيخ الوالد (رحمهُ الله!) قراءة عليهِ وأنا أسمع قال: أخبرنا عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة ح وقال: أخبرنا يحيى بن يوسف المصري قراءة عليهِ وأنا أسمع قالا: قال: أخبرنا عبد الوهاب بن ظافر بن رواح، قال ابن جماعة سماعاً وقال شيخنا إجازة قال: أخبرنا الحافظ أبو طاهر السِّلَفِي قال: أخبرنا أبو الحسن الخلاف قال: أخبرنا أبو الحسن الحمامي ابن أبي بكر أحمد بن جعفر الحنبلي: سمعت أبا القاسم ابن بكر قال: سمعت الجنيد يقول: بُني أمرنا هذا على أربع: لا نتكلم إلا عن وجود، ولا نأكل إلا عن فاقة، ولا ننام إلا عن غَلَبة، ولا نسكت إلا عن وحشة.

ذكر نخب وفوائد عن أبي القاسم الجنيد (رضي الله عنهُ!)، هل الأفضل للمحتاج أن يأخذ من الزكاة، أو صدقة التطوع؟ قال الغزالي في «الإحياء»: اختلف فيهِ السلف، وكان الجنيد والخواص وجماعة يقولون: الأخذ من الصدقة أفضل؛ لئلا يضيق على الأصناف، ولئلا يخل بشرط من شروطها. وقال آخرون: الزكاة أفضل لأنها إعانة على واجب، ولو ترك أهل الزكاة أخذها أثِموا؛ ولأن الزكاةَ لا سُنة فيها. قال الغزالي: والصواب أنهُ يختلف بالأشخاص، فإن عرض لهُ شبهة في استحقاقهِ لم يأخذ الزكاة، وإن قطع باستحقاقهِ ينظر إن كان المتصدق إن لم يأخذها هذا لم يتصدق فليأخذ الصدقة، فإن إخراج الزكاة لا بد منهُ، وإن كان لا بد من إخراج تلك الصدقة يخير. قال: وأخذ الزكاة أشد في كسر النفس. انتهى. وفي هذا كفاية، فإن مناقب الإمام الجنيد (رضي الله عنهُ!) مِثْلُ السَّحاب تتابعت أنواءُهُ.

* * *

* *

*

ترجمة السيد عبد القادر الجِيْلاني (قدس سره!)

ومن أشياخ الخِرْقة، وقادات الطريقة، وسادات فرسان الحقيقة، الإمام العارف الرباني، والغوث الكبير الصمداني، الباز الأشهب، والطراز المذهب، الجامع لأشتات المعاني، شيخ الإسلام، أبو محمد، محيي الدِّين، عبد القادر الحسني، الجِيْلاني ـ قدس الله سره ورضي الله عنهُ! ـ.

هو ابن أبي صالح جنكي دوست موسى، بن عبد الله، بن يحيى الزاهد، بن محمد، بن داود، بن موسى، بن عبد الله، بن موسى الجون، بن عبد الله المحض، بن الحسن المثنى، بن الإمام علم الإسلام، سبط رسول الملك العلام، صاحب الشرف المخلد، ثاني أئمة أهل البيت، الحسن، أبي محمد، ابن أسد الله الغالب، أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، كرم الله وجههُ، ورضي الله عنهُ وعنهم أجمعين!.

وُلِد (نفعنا الله به!) سنة سبعين وأربع مئة، وتوفي سنة إحدى وستين وخمس مئة، ودفن ببغداد، واشتهر أمره في المشرقين والمغربين، ورمقتهُ بباصرة التعظيم والتبجيل كُلُّ عين، لمعت أنوار إرشاده في العراق، فعمت بأشعتها الآفاق، تخرج بصحبة الشيخِ العارفِ بالله، قدوةِ المحققين، أبي الخير، حماد بن مسلم الدباس، ولبس الخرقة من يد القاضي أبي سعيد يعلى بن المبارك، بن علي المخزومي، ولقي جماعة من أعيان زهاد زمانهِ، واجتمع على عظماء العارفين بالعجم والعراق، قدم بغداد على ما في البهجة القادرية المسماة بـ«بهجة الأسرار»: سنة ثمان وثمانين وأربع مئة، قال مؤلِّف البهجة الهمداني بعد أن ذكر مَقْدَمه المبارك إلى بغداد: قام (رضي الله عنهُ!) في أخذ العلوم الشرعية، وفي تلقي الفنون الدينية، حتى فاق أهل زمانهِ، وتميز من بين أقرانه. وذكر عند ذكر

نسبهِ أنهُ سُئل عن مولده فقال: لا أعلمهُ حقيقة، لكني قدمت بغداد في السنة التي مات فيها التميمي، وعمري إذ ذاك ثماني عشرة سنة.

قلت: والتميمي هذا هو أبو محمد، رزق الله بن عبد الوهاب، بن عبد العزيز، بن الحارث، بن أسد، توفي سنة ثمان وثمانين وأربع مئة، وبإسناده قال: ذكر أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافعي الجِيْلي الحنبلي (رضي الله عنهُ!) أنَّ مولد الشيخ محيي الدِّين عبد القادر (رضي الله عنهُ!) سنة إحدى وسبعين وأربع مئة بجِيْلان، وأنهُ دخل بغداد سنة ثمان وثمانين وأربع مئة، ولهُ من العمر ثماني عشرة سنة، قيل: وهو (رضي الله عنهُ!) منسوب إلى جِيْل، بكسر الجيم، وسكون الياء، وهي بلاد متفرقة، وهي وراء طَبَرِسْتان، وهناك ولد في نيف، قصبة منها، ويقال فيها ـ أيضاً ـ قرية على شاطىء دجلة، على مسيرة يوم من بغداد، مما يلي طريق واسط، ويقال لها ـ أيضاً ـ جيل بالجيم، ومن ثم يقال كيل العجم، وكيل العراق، وأبو العبر ثابت بن منصور الكيلي، من كيل العراق، والجيل ـ أيضاً ـ قرية تحت المدائن، وقال الرواة ـ أيضاً ـ جِيْلان منسوب إلى جَدِّه جيلان، وأبو عبد الله الصومعي من جملة مشايخ جِيْلان، ورؤساء زهادهم، لهُ الأحوال السنية، والكرامات الجيلية. انتهى بحروفهِ.

وقال في «البهجة» أيضاً: كان شيخنا شيخ الإسلام محيي الدِّين، عبد القادر الجِيْلي (رضي الله عنهُ!) نحيف البدن، ربع القامة، عريض الصدر، عريض اللحية، طويلاً، أسمر، مقرون الحاجبين، حفياً، ذا صوت جَهْوَرِي، وسمت بهيّ، وقدر عليّ، وعلم وفيّ، ـ رضي الله عنهُ! ـ.

وقال في «البهجة» وبإسناده قال: أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي قال: كتب لي عبد الله النجاري البغدادي ونقلتهُ من خطهِ قال: قال لي الشيخ محيي الدِّين عبد القادر الجِيْلي (رضي الله عنهُ!) أُمر وأُنهى في النوم واليقظة، وكان يغلب عليَّ الكلام، ويزدحم على قلبي، فإن لم أتكلم أكاد أختنق، فلا أقدر أن أسكت، وكان يجلس عندي

إثنان أو ثلاثة يسمعون كلامي، وحتى تسامع الناس بي، وازدحم الخلق عليَّ، فكنت أجلس بالمصلى بباب الحلبة، ثم ضاق على الناس الموضع، فحمل الكرسي إلى خارج البلد، وجعل في المصلى، وكان الناس يأتون على الخيل، والبغال، والحمير، والجمال، يقفون بما وراء الحلقة، والمجلس كالسور، وكان يحضر المجلس نحواً من سبعين ألفاً.

وقال في «البهجة» أيضاً: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الخضر الحسيني المَوْصِلِي قال: سمعت أبي كان يقول: الشيخ محيي الدِّين عبد القادر (رضي الله عنهُ!) يتكلم في مجلسهِ بأنواع العلوم، ولا تنبت ما يقول، وكان إذا صعد الكرسي لا يبصق، ولا يتمخط، ولا يستنخع، ولا يتكلم، ولا يقوم أحد هيبة لهُ، وكان يقوم إلى وسط المجلس، فيقول: مضى القال وعظنا بالحال. فيضطرب الناس اضطراباً شديداً، ويتداخلهم الحال والوجد، وكان من بعض كراماتهِ أن أقصى الناس في مجلسهِ يسمع صوتهُ كما يسمع أدناهم منهُ على كثرتهم، وكان يتكلم على خواطر الناس في المجلس، ويواجههم بالكشف، وكان إذا قام فوق الكرسي نقوم لجلالتهِ، وإذا قال: اسكتوا. سكتوا، حتى لا يسمع منهم إلا أنفاسهم هيبة لهُ، وكان الناس يضعون أيديَهم في مجلسهِ فتقع على رجال بينهم يدركونهم باللمس ولا يرونهم، ويسمعون وقت كلامهِ في الفضاء حساً وصياحاً وربما يسمعوا وجبة ساقطة من الجوّ إلى أرض المجلس، وذلك رجال الغيب، وغيرهم.

وذكر أنَّ الشيخ محيي الدِّين عبد القادر (رضي الله عنهُ!) كان يوماً يتكلم فتداخل الناس فترة فنظر إلى السماء وقال:

لا تسقني وحدي فما عودتني ... أني أشح بها على جلاسي
أنت الكريم! وهل يليق تكرماً ... أن يعبر الندماء دور الكاس ؟

* * *

قال: فاضطرب الناس اضطراباً شديداً وتداخلهم أمر جليل، ومات في المجلس واحد، وقيل اثنان. انتهى.

قلت: وقد ظهر أمر الشيخ عبد القادر (رضي الله عنهُ!) وعلا صيتهُ، وكبر شأنهُ، وانتمى إليهِ معظم رجال عصره، وشهد لهُ أكابر وقتهِ بالصولة، والهمة، والسلطنة، والقطبية، والغوثية، وشهرتهُ في العرب والعجم غنية عن تعريفهِ، وقد أفرده رجال من الصلحاء بكتب مخصوصة، ذكروا فيها مناقبهُ وعجائب أحوالهِ الشريفة، وما كان عليهِ من عظيم المنزلة، ورفيع المرتبة، والوجاهة، وعُلُوِّ الهمة، وإقبال الخلق عليهِ، والتفات القلوب إليهِ، وقد جاهد نفسهُ (رضي الله عنهُ!) كل الجهاد، وأقبل على الله وأعرض عن العباد.

دخل بغداد في التاريخ المتقدم الذي ذكره صاحب «البهجة»، وتفقه على جماعة من أعيان علماء العراق حينئذ، وهم أبو الوفا علي بن عقيل، وأبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكوداني، وأبو الحسن محمد بن القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد الفرا، وأبو سعيد بن المبارك المخزومي، وسمع الحديث من جماعة، منهم أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني، وأبو سعيد بن عبد الكريم بن حبيش، وأبو الغنائم محمد بن علي بن محمد بن ميمون، وغيرهم، وقرأ الأدب على أبي زكريا التِّبْرِيزي، (رحمهم الله أجمعين!)، ثم بعد ذلك كُلِّه طرقهُ وارد الحال، فخرج إلى البراري، وترك العمران، واشتغل بالمجاهدة.

قال في «البهجة» وبإسناده إلى الشيخ محيي الدِّين عبد القادر (رضي الله عنهُ!): كان يقول على الكرسي ببغداد: مكثت خمساً وعشرين سنة متجرداً سائحاً في براري العراق وخرابهِ، وأربعين سنة أصلي الصبح بوضوء العشاء، وخمس عشرة سنة أصلي العشاء ثم أستفتح القرآن وأنا واقف على رجل واحدة، ويدي في وتد مضروب في حائط خَوْفَ النوم، حتى أنتهي إلى آخر القرآن عند السَّحَر.

وكنت ليلة طالعاً في سُلَّم فقالت لي نفسي: لو نمت ساعة ثم قمت. فوقفت موضع خطر لي هذا وانتصبت على رجل واحدة واستفتحت القرآن حتى انتهيت إلى آخره، وأنا على هذه الحالة، وكنت من الثلاثة أيام إلى الأربعين يوماً لا آكل ولا أجد ما أقتات بهِ، وكان يأتيني إبليس في صورة فأصيح عليه فيذهب، وكانت الدنيا تأتيني في زخارفها وشهواتها في صورة حِسان وقِباح، فأصيح عليها فتفرّ هاربة.

وأقمت في البرج المسمى الآن ببرج العجم أحد عشرة سنة، ولطول إقامتي فيهِ سمي ببرج العجمي، وكنت بايعت الله (عز وجل!) فيهِ أن لا آكل حتى أُلَقَّم، ولا أشرب حتى أُسقى، فبقيت مدة أربعين يوماً لا آكل ولا أشرب شيئاً، فبعد الأربعين يوماً جاءَ رجل ومعهُ خبز وطعام فوضعهُ بين يدي ومضى وتركني، فكادت نفسي تقع على الطعام من شدة الجوع، فقلت: واللهِ لا حلت عما عاهدت ربي (تبارك وتعالى!) عليهِ، فسمعت صارخاً من باطني ينادي: الجوع! فلم أرتع لهُ، فاجتاز بي الشيخ أبو سعيد المخزومي فسمع الصارخ، فدخل عليَّ فقال: ما هذا يا عبد القادر؟ قلت: هذا قلق النفس، وأما الروح فساكنة إلى مولاها (عز وجل!). قال: تعال إليَّ إلى باب الأزج. ومضى وتركني على حالي، فقلت في نفسي: ما أخرج من هذا إلا بأمر، فجاءني أبو العباس الخَضِر وقال: قُمْ وانطلق إلى أبي سعيد. فجئتهُ فإذا هو واقف على باب داره وينتظرني، فقال: يا عبد القادر ألَم يكفك قولي لك تعال، حتى أمرك الخَضِر بما أمرتك؟! ثم أدخلني داره، فوجدت طعاماً مهيئاً، فجلس ولقمني حتى شبعت، ثم ألبسني الخِرْقة بيده، ولازمت الاشتغال عليهِ، وكنت قبل ذلك في سياحاتي، فأتاني شخص ما رأيتهُ قط، فقال لي: هل لك في الصحبة؟ قلت: نعم. قال: بشرط أن لا تخالفني. قلت: نعم. قال: إجلس هنا حتى آتيك، وغاب عني سنة، ثم عاد إليَّ وأنا في مكاني ذلك، فجلس عندي ساعة، ثم قام وقال: لا تبرح من مكانكِ حتى أعود إليك. فغاب

عني سنة أخرى، ثم جاء وأنا في مكاني، فجلس عندي ساعة، ثم قام وقال: لا تبرح من مكانك حتى أعود إليك. فغاب عني سنة أخرى ثم عاد ومعهُ خبز ولبن، فقال: أنا الخَضِر، وقد أمرتِ أن آكل معك. فأكلنا، ثم قال: قُمْ وادخل بغداد. فدخلنا جميعاً، فقيل للشيخ: من أين كنت تقتات تلك السنين الثلاث؟ قال من المنبوتات. انتهى.

قال الإمام الشَّعْراني (قدس سره!) في «طبقاتهِ الوسطى»: إنَّ سيدنا الشيخ عبد القادر الجِيْلاني (رضي الله عنهُ!) كان يقول: عثر الحُسين الحَلاَّج عثرة فلم يكن في زمنهِ من يأخذ بيده، وأنا لكُلِّ من عثر مركوبه من جميع أصحابي ومريدي ومحبي إلى يوم القيامة، آخذ بيده كلما عثر حياً وميتاً، فإنَّ فرسي مسرج، ورمحي منصوب، وسيفي مشهور، وقوسي موتور لحفظ مريدي، وهو غافل.

وكانت والدة الشيخ عبد القادر تقول: لما وضعت ولدي عبد القادر، كان لا يرضع ثدييه في نهار رمضان، فكان الناس إذا شكوا في هلال رمضان بعد أن كَبِرَ يرجعون إليهِ، فإن صام صاموا، وإن أفطر أفطروا، لِمَا رأوا من حفظهِ واعتناء الحق بهِ حال رضاعهِ. وكان (رضي الله عنهُ!) يلبس لباس العلماء، ويتطيلس، ويركب البغلة، وترفع الغاشية بين يديهِ، وإذا تكلم جلس على كرسي عال، وربما خطى في الهوى على رؤوس الأشهاد، ثم يرجع إلى جلوسهِ على الكرسي، وكان يقول: اتبعوا ولا تبتعدوا، وأطيعوا ولا تمزقوا، واصبروا ولا تجزعوا، وانتظروا الفرج ولا تيأسوا، واجتمعوا على ذكر الله ولا تفرقوا، وتطهروا بالتوبة عن الذنوب ولا تلطخوا، وعن باب مولاكم لا تبرحوا.

وكان يقول: كونوا بزابين على باب قلوبكم، وأدخلوا ما يأمركم الله بإدخالهِ، وأخرجوا ما يأمركم الله بإخراجهِ، ولا تدخلوا الهوى قلوبكم فتهلكوا. وكان يقول: احذروا ولا تركنوا، وخافوا ولا تأمنوا، وفتشوا ولا تغفلوا فتطمئنوا، ولا تضيفوا إلى أنفسكم حالاً، ولا مقاماً، ولا تدعوا

شيئاً من ذلك، ولا تخبروا أحداً بما يطلعكم الله عليهِ من الأحوال؛ فإنَّ الله تعالى كُلَّ يوم هو في شأن، في تغيير وتبديل، يَحُولُ بين المرء وقلبه، فيزيلكم عما أخبرتم الناس بهِ، ويعزلكم عما تخيلتم ثباتهُ، فتخجلوا عند من أخبرتموه بذلك، بل احفظوا ذلك ولا تتعدوا بهِ إلى غيركم، فإن كان الثبات والبقاء فاشكروا ربَّكم عليهِ، فإنهُ موهبة منهُ، وإن كان غير ذلك كان فيهِ زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب.

وكان يقول: لا تختر جلب النعماء ولا دفع البلوى؛ فإنَّ النعماء واصلة إليك بالقسمة استجلبتها أم لا، والبلوى حالَّة بك ولو كرهتها، فسلم لله في الكُلِّ، ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾، فإن جاءتك النعماء فاشتغل بالذكر والشكر، وإن جاءَتك البلوى فاشتغل بالصبر والموافقة، وإن كنت أعلى من ذلك فبالرضا والتلذذ بها، واعلموا أن البلية لم تأت المؤمن لتهلكهُ، وإنما أتتهُ لتختبره.

وكان يقول: لا تشكو ضرّاً نزل بك لغير الله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾. واحذر أن تشكو ربَّك وأنت مُعافى، أو تشكو ضيق رزقك وعندَك قوتُ يوم، فربما غضب الحق عليك فأزال عنك العافية، وعَسَّر عليك أسباب الرزق عقوبة لك على كفرانك النعم.

وكان يقول: لا يصلح لمجالسة الحقِّ تعالى إلا المطهر من رجس الزلات، ولا يفتح أبوابهُ تعالى إلا لمن خلى عن الدعاوى والهوسات، ولما كان الغالب على الناس عدم التطهر ابتلاهم بالأمراض كفارة وطهوراً، ليصلحوا لقربهِ ومجالستهِ، شعروا بذلك أم لم يشعروا.

وكان يقول: دوام البلاء خاص بأهل الولاية الكبرى، وذلك ليكونوا دائمين العكوف على خطابهِ ومناجاتهِ. وكان يقول: لا تظلموا أحداً ولو بسوء ظنكم، فإنهُ لا يُجاوز رَبّكم ظُلْمُ ظَالِمٍ.

وكان يقول: إياكم أن تحبوا أحداً أو تكرهوه إلا بعد عرض أفعالهِ على

الكتاب والسنة، كيلا تُحبوه بالهوى، وتبغضوه بالهوى، واعلموا أنهُ لا يجوز لكم هجر أحد على الظن والتهمة. وكان يقول: إذا رأى الحقُّ مَيْلَ وَلِيِّهِ إلى ولد أو مال أراحهُ منهما غَيْرَةً عليهِ. وكان يقول: قد يلاطف الله تعالى عبده المؤمن ويفتح قبالة قلبهِ بابَ الرحمة والمنة والإنعام، فيرى بقلبهِ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من مطالعة الغيوب والتقريب، والكلام اللطيف، والوعد الجميل، والدلال، وإجابة الدعاء، وغير ذلك، من النعم السابغة على المقربين، ثم في لمح البصر يغير عليهِ ذلك الحال، ويفتح عليهِ أنواعِ البلاياوالمحن في النفس والمال والولد والإخوان، ويزول عنهُ جميع ما كان فيهِ من النعم فيصير متحيراً منكسراً إن نظر إلى ظاهره رأى ما يسوءه، وإن نظر إلى باطنهِ رأى ما يحزنهُ، وإن سأل الله كَشْفَ ما بهِ من الضر، لم يرج إجابة، وإن طلب الرجوع إلى الخلق، لم يجد إلى ذلك سبيلاً، وإن عمل بالرخص تسارعت إليهِ العقوبات، وتسلطت الخلائق على جسمهِ وعرضهِ بالأذى، وإن طلب الإقالة من ذلك لا يُقال، وإن رام الطيبة والتنعم حل بهِ البلاء، ولم يعط ذلك، وحيئذ تأخذ النفس في الذوبان، ويشدد عليهِ البلاء حتى تفنى أوصاف بشريتهِ، ويبقى روحاً فقط، وهناك يسمع النداء من قلبهِ: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾. وردَّ الله تعالى عليهِ جميع الخِلع، وأَزْيَدَ منها، وتولى الحقُّ تربيتهُ بنفسهِ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾. فإياكم والاغترار بصفاء الأوقات، فإنَّ في طيها آفاتٍ.

وكان يقول: ما سأل أحد أحداً من الخلق دون الحق، إلا لجهلهِ بالحق وما تعفف متعفف إلا لوفور علمه بالحق. وكان يقول إنما كان الحق تعالى لا يجيب في كُلِّ ما سُئل رحمةً بهِ وشفقة أن يغتر بذلك، فيتعرض للمكر به، ويغفل عن آداب الخدمة، وكما أنهُ تعالى دعاه إلى فعل كل مأمور فلم يفعل، كذلك دعا العبدُ ربّهُ فلم يجبهُ جزاءً وفاقاً. وكان يقول: من علامة ابتلاء العبد على وجه العقوبة، عدمُ الصبر عند وجود البلاء، والجزعُ

والشكوى إلى الخَلْق، وعلامةُ ابتلائهِ على وجه التكفير لخطاياه، وجودُ الصبر الجميل من غير شكوى ولا جزع ولا ضجر ولا نقل في أداء الأوامر، وعلامةُ الابتلاء على وجه رفع الدرجات، وجود الرضى والموافقة، وطمأنينة النَّفْس، والسكون تحت جريان الأقدار حتى تنكشف.

وكان يقول: من علامة حب الآخرة الزهد في الدنيا، ومن علامة حب الله الزهد فيما سواه. وكان يقول: ما دام في قلب العبد شهوة لشيء يكرههُ الله فهو عدوّ الله. وكان يقول: كلما جاهدتَ النَّفْس وقتلتَها في الطاعات كلما حييت، وكلما أكرمتها ولم تهنها في مرضات الله ماتت، قال: وهذا هو معنى حديث: رجعنا من الجهاد الأصغر ـ يعني في الكفار ـ إلى الجهاد الأكبر ـ يعني جهاد النفس ـ. وكان يقول: من علامة خوف المؤمن من ربّه (عز وجل!) أن يفتش كُلَّ ما دخل جوفهُ، ولا يعتمد على ما قُسم، فيفوتهُ أجر التفتيش. قال: ومن هنا ورد: المؤمن فتاش، والمنافق لقاف.

ومناقبهُ (رضي الله عنه!) كثيرة في «البهجة» وغيرِها، وفي هذا القَدْر كفاية، والله تعالى أعلم. انتهى.

ويلذ ليَ أن أختم ترجمتَهُ العَطِرة، بقصيدتهِ هذه التي وردت على لسانهِ المبارك، حالة ورودهِ على بحر الكرم، واستغراقهِ بجلائل النِّعَم وهي:

ما في المناهل منهل مستعذب ... إلا ولـي فيـهِ الألَـذّ الأطيـبُ
أو في الوصال مكانة مخصوصة ... إلا ومنـزلتـي أعـز وأقـربُ
وهبت ليَ الأيام رونق صفوها ... فحلت مناهلها وطاب المشربُ
وغـدوت مخطوباً لكُـلِّ كـريمـة ... لا يهتـدي فيهـا اللبيب ويخطبُ
أنا من رجال لا يخاف جليسهم ... ريب الزمان ولا يرى ما يرهبُ!
قـوم لهـم فـي كـل مجـد رتبـة ... علـويـة وبكـل جيش مـوكـبُ

أنـا بلبـل الأفـراح أملي دوحهـا طرباً! وفي العلياء باز أشهبُ!
أضحت جيوش الحب تحت مشيئتي طـوعـاً ومهمـا رُمْتُـهُ لا يَعْـزُبُ
أصبحـت لا أمـلاً ولا أُمنِيَّـة أرجـو ولا مـوعـودةً أتـرقـبُ
لا زلت أرتع في ميادين الرضا حتـى وُهِبتُ مكانـة لا تُـوهَـبُ
أضحى الـزمـان كحلـة مرقـومـة تزهو ونحن لها الطراز المذهبُ
أفَلَت شموس الأولين وشمسنا أبـداً على فلـك العُـلا لا تغـربُ

* * *

ولو أردنا شرح فضائلهِ وكلماتهِ ومناقبه وكمالاتهِ، لضاق الوقت، ولكن اكتفينا عن ذلك بشهرتهِ اللامعة، التي هي كالشمس الطالعة، رضي الله عنهُ! وعن أولياء الله أجمعين!.

وقد تقدمت ترجمة القطب الثالث، أحد أشياخ الخِرْقة، وأعيان الطريقة، وأسود الحقيقة، القطب الغوث العَلَوي، مولانا السيد الشيخ أحمد البدوي (رضي الله عنهُ!)، وقد فصلناها في بابها.

ترجمة السيد إبراهيم الحسيني الدُّسوقي (قُدِّس سرُّه!)

وهذه ترجمة الأستاذ الكبير، والقطب الغوث الشهير، حامل لواء المعالي، وقائد ركبان الأعالي، الواقف على متن المنهاج الحقيقي، مولانا السيد إبراهيم الحسيني الدُّسوقي (رضي الله عنهُ!).

وهو إبراهيم بن أبي المجد، بن قريش، بن محمد، بن النجا، بن عبد الخالق، بن القاسم، بن جعفر، بن عبد الخالق، بن أبي القاسم الزكي، ابن علي، بن محمد الجواد، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي الزاهر، بن زين العابدين، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب (رضي الله عنهُ!)، القرشي، الهاشمي، رضي الله عنهم أجمعين!.

أخذ الطريقة، ولبس الخِرْقة من الشيخ نجم الدِّين محمود الأصفهاني، وتخرج بصحبة الشيخ نور الدِّين عبد الصمد النظري، وبصحبة الشيخ أبي الحسن الشاذِلي (رضي الله عنهم!)، ثم برع واشتهر، وبرز بإذن الله إلى الوجود وظهر، وشهد لهُ رجال وقته بالولاية الكبرى، والقطبية العظمى، وانتهت إليهِ رئاسة الطريق في وقتهِ، قال الشَّعْراني ـ قدس سره! ـ في «طبقاته الوسطى» حين ذكره: قد ترجمهُ بعضهم بأنهُ أحد الأئمة الذي أبرز الله لهم المغيبات، وخرق لهُ العادات، وأوقع لهُ الهيبة في القلوب، وانعقد على فضلهِ إجماع المشايخ، وكان مقصوداً بحل المشكلات، وكشف خفيات الموارد ـ رضي الله عنهُ! ـ.

وترجمهُ بعضهم أيضاً: بأنهُ الشيخ الكامل الراسخ، أحد أعيان المشايخ الواصلين، وصاحب الكرامات والخوارق في حياتهِ وبعد مماتهِ، انتهت إليهِ رئاسة الكلام على خواطر الخَلْق، وتلمذ لهُ خلائق من العلماء والصلحاء والقضاة، وكان لهُ أربعون خادماً من أرباب الأحوال، وجاءه مرةً سبعةٌ من القضاة يمتحنونهُ، فلما وصل مركبهم إلى البرّ بناحية دسوق أرسل النقيب لهم، وقال لهُ: اِدفعهم خلف جبل ق. فوجدوا نُفوسهم هناك، فأقاموا سنة يأكلون من حشيش الأرض، حتى تغيرت أجسادهم، وخلقت ثيابهم، ثم تذكروا ما وقعوا فيهِ، فتابوا هناك، فأرسل لهم النقيب فدفعهم، فوجدوا نفوسهم على ساحل دُسوق، ومسح الله تعالى من قلوبهم تلك الأسئلة كُلَّها، واعترفوا بما كانوا جاؤوا لأجله، فقال لهم الشيخ: قولوا ما عندكم من المسائل. فضحكوا وقالوا: يكفينا ما جرى لنا!. وأخذ عليهم العهد، وصاروا من تلامذتهِ حتى ماتوا.

وترجمهُ بعضهم: بأنهُ الشيخ الكامل، صاحب الأفهام العِرْفانية، والعلوم اللَّدُنِّيَّة، والأسرار الربانية، من كان لهُ المقام العالي في قلوب العلماء والملوك، والمهابة في الصدور، وقُصِد للزيارة والتبرك من سائر

الآفاق، وأمر التمساح أن يلفظ الصبي الذي ابتلعهُ فخرج التمساح ولفظهُ بحضرة الناس (رضي الله عنهُ!).

وترجمهُ بعضهم: بأنه الشيخ الكامل، الراسخ، من أجلاء مشايخ مِصْر، والسادات العارفين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأفعال الفاخرة، والأحوال الخارقة، والمقامات السنية، والهمم الفخيمة، صاحب الفتح الموفق، والكشف المخرق، والتصدر في موطن القدس، والترقي في معارج المعارف، والتعالي في مراقي الحقائق، كان لهُ الباع الطويل في التصرف النافذ، واليد البيضاء فيَ أحكام الولاية، والقدم الراسخ في درجات النهاية، والطور السامي في الثبات والتمكين، وهو أحد مَن مَلك أسراره، وقهر أحوالهُ، وغلب على أمره، وهو أحد أركان الطريق. انتهى.

وترجمهُ بعضهم: بأنهُ صاحب المحاضرات القدسية، والمعراج الأعلى في المعارف، والمنهاج الأسنى في الحقائق، والطور الأرفع في المعالي، والقدم الراسخ في أحوال النهايات، واليد البيضاء في عِلْم الموارد، والباع الطويل في التصرف النافذ، والكشف الخارق عن حقائق الآيات، والفتح المضاعف في معنى المشاهدات، وهو أحد من أظهره الله (عز وجل!) إلى الوجود، وأبرزه رحمةً للخَلْق، وأوقع لهُ القَبُول التام عند الخاص والعام، وصَرَّفه في العالم، ومَكَّنهُ في أحكام الولاية، وقلب لهُ الأعيان، وخرق لهُ العادات، ونَطَّقهُ بالمغيبات، وأظهر على يديهِ العجائب، وصَوَّمهُ في المهد.

وكان يقول: أسلم التفسير ما كان مروياً عن السلف الصالح، وأنكر عند الناس ما فتح الله بهِ على قلب العبد في كُلِّ عصر، ولو تحرك تحركَ قلوبنا لما نطقت إلا بما ورد عن السلف، فإذا حرك قلوبَنا واردٌ استفتحنا بابَ ربِّنا، واستأذنا وسألناه الفَهْمَ في كلامهِ، فنتكلم في ذلك الوقت بقدر

وزيارة قبره بركة، والتمسك بأذيالهِ ومحبتهِ نعمة، وسيرتهُ ـ رضي الله تعالى عنهُ! ـ مبسوطة في كتب القوم، نفعنا الله بهِ وبهم أجمعين!.

ترجمة الشيخ أبي النجيب عبد القاهر السُّهْرَوَرْدِي (رضي الله عنه!)

ومن أشياخ الخِرْقة، الشيخ الإمام، والجِهْبِذ الهُمام، صدر الشيوخ والعلماء، أحد أعيان مشايخ الطائفة الكبراء، مولانا الشيخ، أبو النجيب، عبد القاهر السُّهْرَوَرْدِي، شيخ الطائفة السُّهْرَوَرْدِية (رضي الله عنهُ!)، يلقب بضياء الدِّين، وينتهي نسبهُ المبارك إلى الإمام أول الخلفاء الراشدين الأعلام، ناصر دِين الله، وخليفةِ رسولِ الله، سيدنا وولي نعمتنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنهُ!).

قال الإمام الشَّعْراني (قدس سره!) حين ترجمهُ في «طبقاتهِ الوسطى»: انعقد عليهِ إجماع المشايخ والعلماء بالاحترام، وكان لهُ القَبُول التام في الصدور، والمهابة في القلوب، وتخرج بصحبتهِ جماعة من أكابر المشايخ، كالشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي، والشيخ عبد الله بن مسعود الرومي، واشتهر في الآفاق، وقُصِد من كُلِّ قُطر، وكان يقول: التصوف أولهُ عِلْم، وأوسطهُ عَمل، وآخره مَوْهبة، فالعلم يكشف عن المراد، والعمل يعين على الطلب، والموهبة تبلغ غاية الأمل.

وكان يقول: أفضل المقامات عندنا عَدُّ الأنفاس، فلا يقع لهُ نَفَس واحد في غَفْلَة عن الله تعالى. وكانت مجاهداتهُ ومجاهدات أصحابهِ فوق الحد، ولهُ كلام عالٍ في الطريق، لا يذوقهُ إلا الكمل، فتركناه.

سكن بغداد إلى أن مات بها سنة ثلاث وستين وخمس مئة، ودُفن بمدرستهِ على شاطىء الدِّجْلة، وقبره بها ظاهر يزار، ـ رضي الله عنهُ، ورحمهُ رحمة واسعة بمنهِ وكرمهِ! ـ. اهـ. ومناقبهُ أكثر من أن تذكر، (رضي الله عنهُ، وعن أولياء الله أجمعين!).

وأما بقية مشايخ الخِرْقة (رضي الله عنهم!) فإنهم فروع هذه الأصول الكريمة، وأغصان هذه الأشجار المباركة العظيمة، فلذلك اكتفينا بذكر الأصول العالية، عن الفروع المباركة التالية، ولا يغيب عنك أن مبدأ هذا الباب، في ذكر بركة التشبث بذكر مولانا السيد أحمد الرفاعي ـ رضي الله عنهُ! ـ، وقد شرطنا حالة عقد الباب أن نذكر جماعة من إخوانهِ سادتنا الأولياء (رضي الله عنهم!)، فوفينا (بحمد الله!) ما وعدنا بهِ، وأوضحنا ما شرطناه، وهنا يلذ لي أن أختم هذا الباب، وأن أطرز حاشية ختم هذا الكتاب، بقصيدة خاطبت بها نَفْسي، مستنداً إلى الله، ومتوكلاً عليهِ ـ جل علاه! ـ، وأُتبعها بقصيدتين، إحداهما بمدح حضرة سيد الكونين ـ صلى الله تعالى عليهِ وسلم! ـ، والثانية بمدح سيدي أبي العَلَمين (رضي الله عنهُ!)، على أن ختم الكتاب يحسن بذكر النبي الأواب، وآل بيتهِ الأنجاب.

وهذه القصيدة الأولى:

سلم لربك يا محمد ... واترك مقالة من تعنَّدْ
وارض الزمان بحكمهِ ... فهو الكريم بكل مشهدْ
وهو الرحيم بخلقهِ ... وسواه لا يرجى ويقصدْ
وهو اللطيف وغيره ... حاشاه لا يُدعى ويُعبدْ
كم مرة ناديتهُ ... فحماك إحساناً وأيَّدْ
ودعوتهُ لملمةٍ ... فَأَزالها والعين تشهدْ
وقرعت ليلاً بابهُ ... فكفاك نار أذىً توقدْ
ولكم هرعت إليهِ من ... خطب فصانك أن تُبدَّدْ
ولكم رفعت يداً لهُ ... فأجاب قبل إعادة اليدْ
وبكيت في أبوابهِ ... فأعان حيث الدمع في الخدْ
وأتيتهُ مُتضرعاً ... فوقاك بالحُسنى من الردْ
وقصدتهُ بمعائب ... فعفا وكانت لا تُعددْ

وقــــرعــــت ســــدة فضلــــهِ فــأتــى الفتــوح وغَيَّــب السـذْ
وغــرقــت فــي إحســانــهِ حتــى غــدوتَ لــذاك تُحســدْ
ومــع الجميــل إســاءة وقبــائــح جــازت عــن الحـدْ
وتــرى عــواطفــه عليـ ـك سُتُــورهــا لا زال تمتـدْ
وتنــام فــي مهــد الــرضــا وبمــوطــئ العــز الممهـدْ
فــي شــامــخ الــركــن الــذي بجيــوش نُصــرتــهِ تــأيــدْ
وتــراك أعجــز عــاجــز ورفيــع مجــدك قــد تشيــدْ
وعِــداك دومــاً بــالعنــا وبطــالــع النحــس المنكــدْ
بسهــام قــدرتــهِ غــدوا صــرعــى وشملهــمُ مُبــددْ
أفهــل أغــرت عليهــم خيــلاً أو استحكمــت مــرصــدْ ؟
أو رُمْتَهــم بمكــائــد دَقَّــت فهــد الــدهــر مــاهــدْ ؟
أو صُلــت إذ لاقيتهــم بــالقــاطــع العضــب المهنــدْ ؟
لا والــذي رفــع السمــا وكســا العُــلا ثــوب الــزبــرجــدْ
وعليــهِ صــف ســلاســل الـ ـأقمــار بــالطــراز المعقــدْ
فتنــوعــت أفــلاكــه وجلــت مــن الأبــراج مقعــدْ
وعلــى الثــرى مَــد النبــا تُ لآلأ حَسُنَــت وعسجــدْ
بَسَطَــت علــى وجــه البسيـ ـطــة دونهــا الــدُّر المنضــدْ
قــد أينعــت أغصــانهــا وبــدوحهــا القمــريّ غَــردْ
وهــو الــذي لجنــابــهِ شكــل الــوجــود لجــا ووحــدْ
وعظيــم قُــدْرتــهِ بمجـ ـلــى كــل مــوجــود تفــردْ
للفضــل يُشكــر دائمــاً وعلــى عميــم الجــود يُحمــدْ
أعــلاك قــدراً يــا محمـ ـد بــالعطــا المحض المــؤيــدْ
وأذل زمــرة بــاغضيـ ـك وحــاسديــك ومــن تمــردْ
وحبــاك منــهُ عنــايــة وجليــل عــون ليــس يُجحــدْ

فـاصبـر علـى مـا أنـت فيـــهِ ففضـل ربِّـك لا يقيـذْ
حــاشـاه ينسـى المـرتجـي إن أتهـم المثـوى وأنجـذْ
بـــل كـــل ذرات الــوجـــود بفيـض بحـر نـداه تمتـذْ
أنسيــت إذ حملتـــك أمُّـــك قبـل أن تـأتـي وتُـوجـذْ ؟
كيـف اعتنـا بـك رحمـة فبـرزت لا بـالجهـد والجـذْ
وأتيــت عــريـانـاً علــى ضعـف فقيـد الـرأي والكـذْ
فغشـاك بـالستـر الـذي أدلاك مـن بطـن إلـى يـذْ
وبقيــت محفــوظ الجنــاب بـأنعـم زادت عـن العـذْ
وربيــت فــي مهـد الهـدى خلقـاً علـى الـدِّيـن المؤيـذْ
والنعمـــة العظمـــى خُلِقـــت مـن أمـة الهـادي الممجـذْ
وشملــت مـن نظـر الرسـول فصـرت مـن أتبـاع أحمـذْ
وأخــذت إِسْـم طـريقـه بسلـوك مجـد لا يقلـذْ
وعلــوت فيــهِ مـراتبــاً جـذبـت لـك الشـرف المخلـذْ
وسـرت بـك الـركبـان فـي مـدح بـأقصـى الأرض يُنشـذْ
وحُسِبْـت صـدراً فـي زمـان فيــهِ مثلـك لا يُسَيَّـذْ
صعـب المـزاج علـى الكـرام كـأنـهُ للغـدر مـرصَـذْ
عســرت ليــاليـهِ ففيــهِ أبيـض الأيـام أسـوذْ
والمخلصــون بــهِ علــى خطــر عظيـم لا يحـذْ
وبــهِ الفــواجــر والكــرام بليلــة تشقــى وتسعــذْ
والكــاذبــون الصــادقــون ووجـه عبـد السـوء فـرقـذْ
وعلــوت فيــهِ جبـاهـهـم رغمـاً وقلبـك مِثْـلُ جلمـذْ
وبعصمـــة المـولــى كُفيـــتَ شُـرورَهـم وعلـت لـك اليـذْ
فــانظــر لنعمــة خــالــق سبقـت إليـك بعـالَـم المـذْ
واشكـــر إلَهـك راضيــاً واذكـر نـدا الفضـل المجـدذْ

وافـــزع إليـــهِ ولا تخـــف ... مـــن غيـــره واصبـــر لتـــرشـدْ
واربـــط بـــهِ القلـــب السليـ ... ـمَ مَـداً وصـلِّ علـى محمـد ﷺ

* * *

وهذه القصيدة الثانية المحمدية:

مـاالـذي أصنـع بـالنفـس الأبيـه ... تطلب المجد ولا تخشى المَنيةْ
وتـــرى أن المعـــالـــي تُبتغـــى ... بكمـــالات وأخـــلاق زكيـــةْ
مـا عليهـا لـومع البعـض ارتـدت ... لمنـال القصـد أثـوابـاً دنيـةْ
طُبِعـت قِـدمـاً مـع الخَلـق علـى ... همـم لـو سـاعـد الحـظ عليـةْ
تعشـق المعـروف للنـاس وإن ... قـوبلـت عنـهُ بـأنـواع الأذيـةْ
وتكـف السـوء عـن حُسّـادهـا ... لرضا الرحمن عن خالص نيةْ
وتُحـب البـذل مـن مـا وجـدت ... وتـرى النقـص إذا أبقـت بقيـةْ
ولـــديهـــا والـــذي صـــورهـــا ... هـي والنـاس جميعـاً بـالسـويـةْ
وعلـى مـا حملـت مـن عـزة ... عـرفـت كـالقـوم حـد البشـريـةْ
نشتهـي طـائفـة الفقـر ومـا ... عنـدهـا للثـوب والمـال مـزيـةْ
شـرفـت نهجـاً فلمـا عَظُمـت ... رتبـة صـارت مـن المـال خليـةْ
أخلصـت طبعـاً ولمـا رضيـت ... عَـدَّهـا أهـل النهـى نَفْسـاً رضيـةْ
قنعـت فـالتحفـت ثـوب الغنـى ... كُـلُّ نفـس قنعـت تلـك غنيـةْ
واعنـــائـــي هـــذه متعبتـــي! ... إنمـا النفـس إذا عَـزَّت بليـةْ
تكـــره الـــذل وتـــرجـــو أنهـــا ... تبلـغ العليـا بخلـق وسجيـةْ
مـا درت أن الأمـانـي أصبحـت ... تحـت مطـوى ضلـوع أشعبيـةْ
وزمـــان يـــالـــهُ مـــن زمـــن ... أهلـهُ سـاؤوا بحُكـم الأغلبيـةْ
كـــاد يخلـــو مـــن كـــرام وإذا ... ذكـروا قيـل: أمـور أوليـةْ!
وإذا طـــالبـــت أهليـــهِ الـــوفـــا ... فاذكر الحمى ولا تذكر حميةْ!

وقضا الحاجات للناس بهم تحتهُ للطعن أسرار خفيهْ
طمست شمس المروآت وهل تطلع الشمس إذا الوقت عشيهْ ؟!
ولكم ينظر بالشخص الحيا وإذا غاب لهُ لسعة حيهْ!
صاح إن كنت زكي النفس لا تبغي للنفس الأماني الدنيويهْ
وإذا ضاقت بك الحال فقف راجياً بالعتبات النبويهْ
وضع الخد على الباب الذي ظِلهُ لاذت بهِ كُلُّ البريهْ
والق عنك الحمل مثلي عند من شرفت فيهِ البِطاح اليثربيهْ
مصطفى الحق إمام الأنبيا من سمتَ فيهِ البطون القرشيهْ
عَلَم الإرشاد والهادي إلى سُبل الحق وكشاف الرزيهْ
سيد الخلق الملاذ المرتجى مدة الدهر إلى كُلِّ قضيهْ
سيف رَبِّ العرش مصباح الهدى صبحُهُ معنى الصفات الأزليهْ
هيكل الحِكمة ناسوت الرضا مقتدى كُلِّ وليّ ووليهْ
رحمة الله التي قد وسعت كُلَّ شيء غوث من يمم حيهْ
مَفْزَع الأكوان معقود اللوا مطلق الأمة من قيد الخطيهْ
لا يرى العبد مهما أبداً إن غدا مولاه أو كان وليهْ
هو باب الله والبحر الذي أُضمرت فيهِ المعاني الأقدسيهْ
وهو المرجو في يوم غد حينما تبدو من الذنب الخبيهْ
وهو المدعو للخطب إذا بَعُدَ الأهل وفُل العصبيهْ
وهو المأمول إن ضاق الفضا وتوالت كُرَب الدهر العديهْ
أَوَيُنسى مالهُ من مدد وأياد في البرايا أحمديهْ؟!
وبراهين بدت مفحمة جاحديها دونها الشمس المضيهْ ؟
وهو للخلق وكل الأنبيا علة للخلق كانت سببيهْ
ولهُ القرآن أعلى شاهد قائم بالمعجزات الأبديهْ
أخرس الفصح بما في سلكه نظم آلاء عقوداً جوهريهْ

فكأن العرب عجمٌ حينما ... تنجلي منهُ المعاني العربيهْ
ولهذا المجتبى من آدم ... فوق وصف الناس أوصاف سنيهْ!
وعلى أخلاقهِ صح الثنا ... بكتاب الله يا نعم المزيهْ!
ولنا من بابهِ السامي الذُّرا ... نفحات الغوث تأتي عبهريهْ
وعلى مرّ الليالي ذيله ... فوقَنا منهُ مروط سندسيهْ
يا أجلّ الرسل يا من باعه ... موصلي فضلاً لآمالي القصيهْ
راعني بالعطف في الدنيا وقلْ: ... لك منا العيشة الحلوى الهنيهْ
ومن النار احمني إني أرى ... لن يرى النار امرؤٌ كنت نبيَّهْ
وأجرني سيدي من دفتر ... قد أحاط الوزر منهُ كل طيهْ
وأغثني رحمة من زمن ... بك فيهِ رتبتي أضحت عليهْ
فأنا المسكين يا مولى الورى ... عبدُك المحتاجُ إحسانَ العطيهْ
جاء للأعتاب والليل لهُ ... ضجة في عالَم الملك قويهْ
فتدارك يا رسول الله بالـ ... ـهمة العليا وبالأيدي النديهْ
وعليك الله صلى سرمداً ... بسلام ضمنهُ أزكى التحيهْ
وعلى آلك والصحب الأُولى ... وعلى فاطمة الطهر النقيهْ
وعلى أبنائها مَنْ فيهمُ ... منك صحت لذوي الدِّين الوصيهْ

* * *

وهذه القصيدة الثالثة الرِّفَاعِيَّة:

صاح يممْ إن رمت نيل الأماني ... ساحةَ السيد الرفيع المكانِ
أحمد الأولياء غوث البرايا ... كعبة السالكين حِرز الأمانِ
شيخنا الجِهْبِذ الكبير الرفاعي ... عَلَم العارفين كنز المعاني
من بلثم اليد الشريفة وافىٰ ... رُتبة دون ظِلها الفرقدانِ
نظرتها الأقران حين تجلت ... من خِباها بمقلة الحيرانِ

رفعــة أقصــرت مطــال المعــال عــن عُــلا طَـوْلهـا مـدى الـدورانِ
يا حويدي الأظعان إن سرت ليلاً وفـرى العيـس وجنـة القيعـانِ
غنِّها بالإخلاص في حالة البُعـ ـد تــراهــا تَهِـمُّ بــالطيـرانِ
مـن لقلـب مشـت عليهِ المطـايا حين أَمَّت سُوح البِطاح الحِسانِ
ومحتــهُ أخفــافهــا ومُلــح الــ ـوجـد منهُ لا زال في عُنفـوانِ
جـذبتـهُ مـن واسـط نفحـات أخمـرتـهُ بحـب تلـك المغـانـي
يــا خليلــي والمــودة دِيــن علــلانـي بـذكـرهـا علـلانـي
إنَّ فيهـا رُوحـي وسرَّ فتـوحـي ودليلــي لحضــرة الــرحمــنِ
وطريقي إلى الرسول وذُخري ومغيثــي إذا الــزمــان دهــانــي
فـارس الغيـب قطـب دائـرة القو م إمـام الـورى عظيـم الشـانِ
سيـد الصـالحيـن فـي كـل عصـر شيـخ أقطـابهـم بكـل أوانِ
بعـده القـوم كـالنجـوم بليـل وهـو بيـن الجميـع كـالـزِّبْـرِقـانِ
أكبـرتـهُ أخـلاقُـهُ حيـن حـاكـى حـالُـهُ حـالَ جَـدِّه العـدنـانـي
إن يعادي فصدمة الدهر بؤساً أو يُـوَالـي فصـالحـات الـزمـانِ
أعجزت في الورى مناقبهُ الزُّهـ ـر حسـابـاً عـزائـم الأذهـانِ
هـو فـي منصـب الـولايـة والأقـ ـطـاب جيـش يُحـفُّ بـالسلطـانِ
أيّ بــأس لــهُ إذا ذكــر احتــا طـت وفـود الخمـود بـالنيـرانِ ؟
أيّ بـأس لـهُ إذا قلـت: غـوثـاً! فُلَّ عزم العضب الصقيل اليماني ؟
نـال بـالانكسـار عِـزاً لـهُ استُصْـ ـغِـر كِسـرى مُشيـد الإيـوانِ
ورَقى في حضائر القدس متناً مـا رقـاه مـن المشـايـخ ثـانِ
هيبـة حفهـا شمـوس شـؤون رُصِّعـت بـالمـرِّيـخ والميـزانِ
تُـرْجِـعُ الطـرف خـاسئـاً وكليـلاً مـن حسـود بـورطـة الـوِزر عـانِ
تلــك آيــات رفعــة بينــات قمعـت زيـغ عصبـة الشيطـانِ
حملت مِن أحوال أحمد أحكا مَ سلـوك الـرسـول والقـرآنِ

وأتتنـــا تجـــر ذيـــل ابتهـــاج ... طَـــرَّزتـــهُ جـــواهـــر العِـــرفـــانِ
أرشـــدتنـــا إلـــى الإلـــه فقمنـــا ... بمـــروط اليقيـــن والإيمـــانِ
يـــا لـــهُ مـــن إمـــام هـــدي كبيـــر ... قـــد تجلـــى بـــرهـــانـــهُ للعيـــانِ
فعليـــهِ الســـلام مـــن حضـــرة القـــد ... س يـــوافـــي مَثـــواه بـــالـــرضـــوانِ
مـــا تـــدلّـــى علـــى أريكتـــهِ الفيـــ ... ـــحاء عِطْـــر الثنـــا مـــن الأكـــوانِ
وعلـــى حـــزبـــه وأتبـــاعـــهِ الغُـــ ... ـــر أسـود الهيجـاء فـي الميـدانِ

* * *

اللهم إني أسألك بحرمة وَجْهِ نبيِّك إمامِ كُلِّ إمام، وبحرمة أنبيائك العظام، والأصحاب الأعلام، والأولياء الكرام، وبحرمة أسمائك كُلِّها، يا ذا الجلال والإكرام، أن تتفضل علينا وعلى المسلمين بدوام الرضا، وحسن الختام، والحمدُ لك كما تُحب وترضى، وعلى نبيِّك وآلِهِ وأصحابِهِ أفضلُ الصلاةِ والسَّلام.

* * *

* *

*

سيصدر بعون الله تعالى

بخدمة وتحقيق الأستاذ شَرَف الدِّين

حسن بن عبد الحكيم عبد الباسط

١ ـ «صِحاح الأَخبار». لشيخ الإسلام السيد محمد سراج الدِّين الرفاعي ثم المخزومي. وهو من أوسع كتب الأنساب الأحمدية الرفاعية، وأنفعِها في ذكر العِترة الصيادية.

٢ ـ «الرَّوْض البَسّام». للإمام السيد أبي الهدى الصيادي الرفاعي. وهو كتاب لم تكتحل عين الطرْيقة الرفاعية بثانيه، لما حواه من علوم النَّسَب، وذِكْرِ البُطون القُرشية التي في الشام.

* * *

المحتوى العام

لما جاء في

«تراجم مُنَمْنَمَات»

فِهْرِسُ القصائد والأبيات الشِّعْرية(١)

الشطرة الأولى	القائل	الصفحة
دع عنك مطموس الفؤاد بليله	السيد الرَّوَّاس	١
ورثوا السيادة كابراً عن كابر	ذُهلت عن قائلها مع عِلْمي به قَبْلُ	٢
لنا الرفرف المرفوع في سدرة العُلا	بدر الدين بن أبي العشائر	٤
عج بالضوامر نحو أم عبيدة	الشيخ يعقوب بن بدران الأنصاري	٥
ليس إلا الله يرجى فضله	السيد الرَّوَّاس	٦
يا بني الدنيا استريحوا	« «	٧
وَحِّدِ الله ولا تشركْ به	« «	٧
لما حضرت على بساط شهودي	« «	٩
آمنت بالله الوجودُ كلُّه	« «	٩
يا ربِّ قد سهر العيون تقرباً	« «	١١
طار قلب من ربه فتدلت	« «	١١
هل العناية إلا أن ترى رجلاً	« «	١٢
هذا الجناب الذي تشفى به الكُرَب	السيد تاج الدين أبو بكر	١٤
هو الله لا نحصي لآلائه شكراً	الشيخ يوسف النبهاني	١٧
علم الإمام الأَنْفَسِ	الشيخ عبد القادر القصاب	٢٢
إن الإمام القرشي الشافعي	« «	٢٥
إن الكرام بريشهم لعبيدهم	السيد الرَّوَّاس	٢٥
يا جاهلاً حكمة المطوي في القَدَر	« «	٢٥

(١) هذا الشكل (ـ) يفيد بأن قائله غير معلوم عندي إلى وقت كتابة هذا الفِهْرِس.

الشطرة الأولى	القائل	الصفحة
كيف لا تزد هي بنا العلياء	السيد أبو الهدى	٢٧
نزه جنابك عن مقال القاصر	« «	٣٢
نور النبوة في أسرة وجهه	الأستاذ أحمد عزت باشا المَوْصِلي	٣٥
ليس على الله بمستنكر	(ـ)	٣٦
أساميا لم تزده معرفة	(ـ)	٣٦
قوم من الشم الأنوف تورثوا	(ـ)	٣٧
أهلاً وسهلاً بك من ماجد	الأستاذ أحمد عزت باشا المَوْصِلي	٣٩
أنكرت وجدك عشت من مُتَعَمِّد	السيد الصياد	٤١
لي في سماء الحمى الشرقي أقمار	السيد الرَّوَّاس	٤٤
كتبت غيباً على ما قام في الأزل	« «	٤٦
إن باديك الذي أكننتَه	« «	٥٠ـ٢٣٩
بجناحنا طِرْ ما عليك جُناح	« «	٥١
يا من وطينه آدم في مائها	« «	٥١
أصبحت عيناً في مقام نيابتي	« «	٥١
لما حضرت على بساط شهودي	« «	٥٢
لما رفعت على بُرج الضحى علمي	« «	٥٢
لواء المجد والتعظيم يعقد	السيد أبو الهدى	٥٣
بالله يا ليلة الزُّلفى لنا عودي	« «	٥٤
هذا طريق ظواهر الشرع الذي	« «	٥٥
أَعَزُّ روايات المكارم حجة	« «	٥٥
بدأت ببسم الله والشكر والحمد	« «	٥٦
اضرب الدُّف وجانب جاهلاً	السيد الرَّوَّاس	٥٨
صاحب أولي الذوق واغنم من مجالسهم	« «	٦١
إن البراهين وأطوارها	« «	٦١
تحت رفارف الدُّجى	« «	٦٢

الشطرة الأولى	القائل	الصفحة
اكشف حجاب الليل بالسَّهرِ	السيد الرَّوَّاس	٦٢
أرى شيخون تُنْبِتُ لي نباتاً	« «	٦٢
إن معنى الهيام بالأولياء	« «	٦٣
بالقرب من مَتْكين نشر لوائي	« «	٦٥
جدي بواسط أوسط القوم الأُلى	« «	٦٥
مَتْكين بصرتنا وأحمدُ أحمدُ	« «	٦٦
بيت الرفاعي المؤيد غابه	« «	٦٧
حي القوافل ممن جاء أو ذهبا	« «	٦٨
نُعظِّم من شرقي حيش لقبلة	« «	٧٠
لنا بفيفاء أرض الشام بادية	« «	٧١
يمِّمْ يمين الحمى الشرقي من حلب	« «	٧٢
عوجا إلى الوادي المقدس بالشُّرى	« «	٧٢
شيخ براوة عنه العارفون رَوَتْ	« «	٧٤
براهين أهل الله في كل حضرة	« «	٧٥
نحن الرفاعية الأعلام ما برحت	« «	٧٥
ستقول عابثة النفوس فصاحة	« «	٧٦
طريق المهدوية فيه سكر	« «	٧٧
إن ما برزت على المنـ	« «	٧٧
الحمد لله انجلت أيامُنا	« «	٧٩
في حضرة الغيب سطر	« «	٨٠
ماذا يترجم لي لسان القائل ؟	« «	٨٠
أنا الفتى من بني الصياد لي نسب	« «	٨٢
من تملَّى بكلامي	« «	٨٣
أنا كنز مطلسم جهلتني	« «	٨٣
القوم لم تغفلهم الأشياء	« «	٩٢

الشطرة الأولى	القائل	الصفحة
أما والنجوم المشرقات من العُلا	السيد الرَّوَّاس	٩٥
أُحيبابَ قلبي والهوى شأن عبدكم	السيد الرَّوَّاس	٩٥
إني ابتليت من الزمان بمعشر	السيد أبو الهدى	٩٧
تهجم أوغاد علينا وعجزهم	« «	٩٧
كتاب كريم في مطاويه حِكمة	« «	١٠٠
عمن تشا استغنِ تكن نظيره	« «	١٠٠
خذ مذهب العرفاء والأحباب	« «	١٠٤
شريعة المختار للطرائق	السيد حسين برهان الدِّين	١٠٩
نشر شعري في مضمر التسطير	السيد أبو الهدى	١٠٩
أشار لنا داعي القبول فأدنانا	« «	١١١
من أراد الله فليفن بنا	« «	١١٢
سل المجد إن المجد أعدل شاهد	« «	١١٤
لكم آل الرسول جعلت ودي	« «	١١٥
معاني السر من هذا الوجود	« «	١١٦
كم مَدَّ رِجْلاً بعد مد	« «	١١٦
قلبي عليك يذوب وهو حديد	« «	١١٦
من لم يكن مُعَظَّماً لجَدِّه	« «	١١٧
إلى كم يذوب الصَّب بالصد يا هند ؟	« «	١١٧
إني من القوم الذين أبوهمُ	« «	١١٨
يا أمة الحق أي ذنب	« «	١١٨
حي المناهج من أطلال نُعمان	« «	١١٩
أَجِلْ طرف اعتبارك في الزمان	« «	١٢١
إني أغار عليك مني	« «	١٢٤
طرق الخيال منازلاً بالبان	« «	١٢٥
الموت أهون عند رَبِّ شهامة	« «	١٢٦

الشطرة الأولى	القائل	الصفحة
سرُّ فرقان المعاني	السيد أبو الهدى	١٢٦
وجوه ألفناها وشطَّ بها النَّوى	السيد أبو الهدى	١٢٦
نسب كأن عليه من شمس الضحى	الإمام عز الدِّين أحمد الفاروثي	١٣٠
آياتك مجدك ما لها تبديل	الإمام قاسم بن محمد بن الحاج	١٣١
قوموا لنقضي طيب عيش فاتنا	السيد علي بن عثمان	١٣٢
إذا عاينته من بعيد ترجلت	(ـ)	١٣٣
ما للعواذل في هواك ومالي	السيد علي بن عثمان	١٣٤
حياكم الله وأحياكم	« «	١٣٥
رجال إذا الدنيا دجت أشرقت بهم	تُنسب للسيد عبد الرحيم بن عثمان	١٣٩ـ١٥٥
ترى تخلف الأيام مثلي لكم فتىً ؟!	السيد إبراهيم الأعزب	١٤١
أيكم يجعل الجبان شجاعاً	« «	١٤١
حسبت وشاة الحي إن لم يرحموا	« «	١٤١
تكشف غيم الهجر عن قمر الحب	(ـ)	١٤٥
رماني بالصدود كما تراني	(ـ)	١٥٠
إن كنت أضمرت غدراً أو هممت به	السيد إبراهيم الأعزب	١٥٠
مجال قلوب العارفين بروقه	« «	١٥١
لاحظته حين أراني ولاحظني	« «	١٥١
كيف عنك المقام يا درة الحي	الشيخ سعيد الطنتطواىء	١٦٢
عبد أهل الطريق خدام ذي الحي	السيد الصياد	١٦٢
صاحبت أهلك في هواك وهم عِدًا	« «	١٦٣
روحي الفدا للنازلين بمهجتي	للشيخ منصور الرباني البطائحي	١٦٣
الناس في زمن الإقبال كالشجرة	السيد شمس الدِّين محمد بن عبد الرحيم	١٦٧
الحب بحر لا يروم قراره	« «	١٦٧

الشطرة الأولى	القائل	الصفحة
والله ما طلعت شمس ولا غربت	ربما نُسبت له أيضاً	١٦٨
بعدَكم ما الدار طيبة	للسيد شمس الدِّين محمد أيضاً	١٦٨
بي منك نيران الهوى تلسع	للسيد شمس الدِّين محمد أيضاً	١٦٨
سيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهم	(ـ)	١٧٠
أسفي عليك أضرني	السيد صدر الدين	١٧٧
لعبث نهلة الغرام بفكري	« «	١٧٧
خيام بني سعد وسكانها لهم	« «	١٧٨
قسماً بفيحاء البطحاء ومن بها	« «	١٧٨
عظموا ذكر حبيبي	« «	١٧٨
عبد الكريم العراقي الإمام له	(ـ)	١٨١
صدر العراق وشيخه	محمد بن مهنا	١٨٢
سبحانك أنت الله المؤمن المُهَيمن	السيد سراج الدين	١٩٢
تدل من الأكوان للحضرة الكبرى	« «	١٩٣
أهاجها حادي المطي فما لها	السيد عبد الغفار الأخرس	١٩٩
إذا ذكرت نفسي زماناً تصرمت	السيد أبو الهدى	٢٠٦
زُرْ من بني الصياد خير ولي	(ـ)	٢٠٧
تركتم جفوني ساهراتِ اللياليا	السيد حسين برهان الدِّين	٢١١
أشكو شكاية عاشق هجر الورى	« «	٢١١
لم يترك البين لي صبراً ولا رمقاً	« «	٢١٢
يا من تلوذ ببابه الألباب	« «	٢١٢
أبانت لطرفي جلسة المتراقب	الشيخ أحمد الشاكر	
	أبو الصفا الدِّمشقي	٢١٥
يابن الرفاعي تدارك	السيد كاظم الرفاعي	٢١٨
عج بها ليلاً إلى أرض البطاح	« «	٢٢٠
أمر تغضى وتحرف وجهك العباس	السيد علي الخُزَام	٢٢٣

الشطرة الأولى	القائل	الصفحة
من عراق حول الركب لشام	السيد كاظم الرفاعي	٢٢٣
إذا ضاقت بك الأيام فالجأ	السيد عبد القادر القدسي	٢٢٧
طف بوادي القدس من نادي تِهامة	السيد الرَّوَّاس	٢٣٦
ظهر السبع من بطن الغاب	السيد الرَّوَّاس	٢٣٧
الله ربي وحسبي	الشيخ عبد العزيز الديريني	٢٥٣
وفيك سر نسخة الوجود	« «	٢٥٣
قصوا عليَّ حديثَ من قتل الهوى	(ـ)	٢٥٧
كل الأنام عيال	الشيخ محمد وفا	٢٨٥
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم	للبيد	٢٨٨
إليك يا أشرف خَلْق الله	السيد أبو الهدى	٢٩٠
وكم رام الحسود لها جحوداً	السيد عبد الغفار الأخرس	٢٩٠
لد مدد قد أطفأ النار نوره	(ـ)	٢٩١
أحمد قطب رحى العليا أبو الـ	الشيخ يوسف النبهاني	٢٩١
مفاخره تأبى عن الحصر إنها	الإمام قاسم بن محمد بن الحاج	٢٩٣
أبو العَلَمين الغوث ذو الدولة التي	السيد الرَّوَّاس	٢٩٣
بيتان حج العارفون إليهما	حبيب الله الحَدِيْثي	٢٩٤
فسلوكه باب لكل موحد	السيد الرَّوَّاس	٢٩٤
وافا حُميًا الغيب وهو خُويضع	محمد العبدلي	٢٩٤
فاسلك طريقته وكن من حزبه	السيد الرَّاوِي	٢٩٤
هو كعبة العشاق فالزم ركنه	السيد أبو الهدى	٢٩٥
أيظلمني الزمان وأنت فيه ؟	الشيخ عبد الرحمن الدعيبيني	٢٩٦
توسلنا بسيدنا الرفاعي	السيد أبو الهدى	٢٩٧
جئت بطيبة والغري وكربلا	(ـ)	٣٠٢
يابن الرفاعي يا من شمس دولته	الإمام صدر الدِّين الشُّبكي	٣٠٣
إذا ذكر الغوث الرفاعي رأيتَنا	السيد سراج الدِّين	٣٠٥

الشطرة الأولى	القائل	الصفحة
لله تحت بساط الغيب طائفة	(ـ)	٣٠٦
ما على هيئة القوالب عيب	السيد أبو الهدى	٣٠٦
إذا قلتُ: أهدى الهجرُ لي حُلل البَلا	يُنسب لجارية	٣١٩
وما قلت قولاً غير أني أعرتها	السيد الرَّوَّاس	٣٢١
ألا يا دارُ لا يدخلْك حزن	ينسب لجارية	٣٢٢
ذهبت محاسنها وبان شجونها	ينسب للإمام الجنيد	٣٢٢
قالوا: أتفنى وقوفاً في منازلهم ؟	تنسب الأبيات لجارية	٣٢٢
بحرمة غربتي كم ذا الصدود	(ـ)	٣٢٤
أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته	تنسب الأبيات لجارية	٣٢٥
لولا التقى لم ترني	للجارية نفسها	٣٢٥
يطوفون بالأحجار يبغون قربه	نفسها	٣٢٥
قد كان لي مشرب يصفو بقربكم	ينسب للإمام الجنيد	٣٢٦
لا تسقني وحدي فما عودتني	للسيد عبد القادر الجِيْلاني	٣٣٠
ما في المناهل منهل مستعذب	« «	٣٣٦
سلم لربك يا محمد	السيد أبو الهدى	٣٤٣
ما الذي أصنع بالنفس الأبيه	« «	٣٤٦
صاحِ يمم إن رمت نيل الأماني	« «	٣٤٨

* * *

الموضوعات والأبحاث

تَقْدِمة

فذلكة ٣

ترجمة السيد تاج الدين بن السيد شمس الدين أحمد، بن السيد شمس الدين محمد الكبير ١٣

ترجمة السيد أبي الهدى الصيادي ٣٥

ترجمة السيد عز الدين أحمد الصياد الكبير ٤٣

ترجمة الإمام السيد محمد مهدي الصيادي «الرَّوَّاس» ٤٧

صيغة مباركة له للصلاة على جَدِّه(ﷺ) ٥٢

مقدمة ديوان «معراج القلوب» للسيد الرَّوَّاس ٨٧

مقدمة لطيفة لشيخنا الإمام الوالد الماجد لهذا الكتاب ٩٦

مقدمة السيد أبي الهدى لكتابه «قلادة الجواهر» ٩٩

كلمة ماتعة للسيد حسين برهان الدين في أفضلية الأولياء والطرق إلى الله تعالى ١٠٧

باب في ذكر بعض أعيان ذرية السيد أحمد الرفاعي، ومشاهير أصحابه وأتباعه وأهل خرقته على سبيل الاختصار، وذكر جماعة من رجال الوقت شاع ذكرهم في الآفاق، وانتشر صيتهم في الغرب والعراق ١٢٧

ذكر زوجتيْ الإمام الكبير السيد أحمد الرفاعي، وذريته المباركة، وذكر ذرية بنتيه الشريفتين ١٢٧

ذكر ذرية السيد علي بن عثمان من زوجه السيدة نفيسة بنت محمد بن القاسمية . ١٢٧

ذكر ذرية السيدة زينب بنت الإمام الكبير من السيد عبد الرحيم بن عثمان ١٢٨

ذكر ذرية السيد شمس الدين محمد بن السيد عبد الرحيم ١٢٨

ذكر ذرية السيد أحمد قطب الدين بن السيد شمس الدين محمد الكبير ١٢٨

ذكر ذرية السيد أحمد بن السيد عبد الرحيم ١٢٨
ذكر ذرية السيد أبي الحسن علي الملقب بعبد المحسن ١٢٨
ذكر ذرية السيد شرف الدين أبي بكر بن السيد علي الملقب بعبد المحسن ١٢٨
ذكر ذرية السيد عز الدين أحمد الصغير ابن السيد عبد الرحيم ١٢٩
ذكر ذرية السيد عز الدين أحمد الكبير الملقب بالصياد ١٢٩
ذكر ذرية السيد محمد أبي الحسن بن السيد عبد الرحيم ١٢٩
ترجمة السيد علي بن عثمان ١٣٠
ترجمة السيد عبد الرحيم بن عثمان ١٣٦
ترجمة السيد إبراهيم الأعزب ١٣٩
ترجمة السيد أحمد عز الدين الملقب بالصياد ١٥٢
حزب الجوهرة للسيد الصياد ١٥٧
سبب شهرة سيدنا السيد عز الدين بـ «الصياد» ١٦٤
ترجمة السيد أحمد أبي القاسم ابن السيد عبد الرحيم ١٦٥
ترجمة السيد شمس الدين محمد الكبير بن السيد عبد الرحيم ١٦٦
ترجمة السيد أبي الحسن علي الملقب بعبد المحسن بن السيد عبد الرحيم ... ١٦٨
ترجمة السيد نجم الدين أحمد الأخضر ابن السيد علي ١٧٠
ترجمة السيد صالح بن السيد أحمد الرفاعي الكبير ١٧٣
ترجمة السيد عبد السلام بن السيد عثمان ١٧٤
ترجمة السيد عز الدين أحمد بن السيد عبد الرحيم ١٧٥
ترجمة السيد صدر الدين علي بن السيد أحمد الصياد ١٧٦
حزب الحصن الحصين للسيد صدر الدين ١٧٩
ترجمة السيد شمس الدين محمد بن السيد صدر الدين علي ١٨٠
ترجمة السيد شمس الدين عبد الكريم بن السيد صالح عبد الرزاق ١٨١
ترجمة السيد سراج الدين الرفاعي ١٨٣
قول السيد سراج الدين في عدم الاعتراض على أولياء الله تعالى، وخصوصاً
الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ١٨٧

أدعية السيد سراج الدين ١٩٠
ترجمة الشيخ عمر الحمصي المخزومي ١٩٥
ترجمة السيد إسماعيل الكيال ١٩٥
ترجمة السيد علي أبي الحسن الحريري الرفاعي ١٩٦
ترجمة السيد محمد الحديدي الرفاعي ١٩٨
ترجمة السيد رجب الرفاعي ابن السيد شمس الدين محمد الكبير ١٩٨
ترجمة السيد أبي بكر الكبير الصيادي ٢٠٢
ترجمة السيد حسين برهان الدين ٢٠٩
ترجمة السيد طالب أبي بكر بن السيد حسين برهان الدين ٢١٤
حزب السيد حسين برهان الدين ٢٢١
ترجمة السيد علي الخزام بن السيد حسين برهان الدين ٢٢٢
ترجمة السيد حسن وادي الصيادي ٢٢٥
ترجمة السيد محمد مهدي الصيادي «الرَّوَّاس» ٢٢٩
صيغة عجيبة مجربة عند أهلها للفتح والوصول للسيد الرَّوَّاس ٢٣١
وصيغة أخرى له سماها: «التوجه المحمدي» ٢٣٣
وصيغة أخرى له ٢٣٤
وله ـ أيضاً ـ صيغة أخرى ٢٣٤
وله ورد يقرأه بعد صلاة الصبح كل يوم ٢٣٥
ذكر بعض رجال طريقة السيد أحمد الكبير الرفاعي ٢٤٠
ذكر الشيخ الإمام عز الدين أحمد الفاروثي ٢٤٠
ترجمة السيد أحمد البدوي الحسيني ٢٤١
ذكر الشيخ عبد المجيد تلميذ السيد أحمد البدوي ٢٤٩
ذكر الشيخ عبد الوهاب الجوهري، تلميذ السيد أحمد البدوي ٢٤٩
ذكر الشيخ أحمد بن علوان اليمني، تلميذ السيد أحمد البدوي ٢٤٩
ذكر الإمام الشيخ أبي الحسن الشاذلي ٢٥٠

ذكر الشيخ أبي الفتح الواسطي، تلميذ الإمام الكبير السيد أحمد الرفاعي ٢٥١
ذكر الشيخ عبد العزيز بن أحمد الدميري المعروف بالدِّيْريني ٢٥٢
الكلام حول ما جاء عن سماع بعض الصحابة والصالحين كلام الله تعالى واختلاف أحوالهم في ذلك ٢٥٥ـ٢٥٦
التدبر في كلام الله تعالى وثمرته ٢٥٧
ذكر الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر، تلميذ الشيخ أبي الفتح الواسطي ٢٥٩
ذكر الشيخ علي المليجي، تلميذ الشيخ أبي السعود ٢٦١
ذكر الشيخ عبد الله الملتاجي، شيخ الإمام عبد العزيز الديريني ٢٦٢
ذكر الشيخ عبد السلام القليبي ٢٦٣
ذكر الشيخ أحمد بن جلال الحنفي اللاري ٢٦٣ـ٢٦٤
ذكر الشيخ عبد الرحمن القرشي المصري ٢٦٤
ذكر الشيخ السيد أبي بكر العيدروس ٢٦٥
سند العيدروس في الطريقة الرفاعية ٢٦٥
ترجمة شيخ الإسلام شمس الدين الجَزَري ٢٦٧
ترجمة الإمام السيوطي ٢٦٧
ترجمة الإمام عبد الوهاب الشعراني ٢٧٩
ترجمة الشيخ علي أبي علوك الشهرزوري البغدادي ٢٨٢
ترجمة الشيخ أحمد الترمانيني ٢٨٣
ترجمة الشيخ الحاج محمد وفا ٢٨٣
ذكر رجال دون ترجمتهم لبسوا الخرقة الأحمدية ٢٨٥
الباب العاشر في ذكر بركة التشبث بأذياله الفاخرة، وفيه ذكر جماعة من إخوانه ساداتنا الأولياء أهل السرائر الطاهرة ٢٨٨
بحث في التوسل والوسيلة، وخصوصاً بآل بيت النبوة ٢٨٨
قول الشريف العيدروس ناقلاً عن الشيخ أحمد الزاهد: يكون محبوه ـ أي السيد أحمد ـ ومريدوه وإخوانه كلُّهم مرادين ٢٩٠

قول في التمسك بذيل الإمام الرفاعي ٢٩٢
ذكر اجتماع سيدنا الإمام الرفاعي مع سيدنا الخضر، وإعطائه للحضرة الرفاعية طاقية ملونة فيها نحو من ثمانين قطعة ملونة، إشارة إلى أن الله خلقه أعلى مقاماً من سائر المشايخ، وأن رتبة مشيخته جامعة لسائر رتبهم، وإشارة إلى أن عسكر فقراءه أكثر من فقرائهم، وأنه أُجيز لهم أن يلبسوا أي شيء أرادوه من الخرق على أي لون أرادوه، وهذا الشيء خاص بهم دون غيرهم ٢٩٥
استجابة دعاء الإمام الرفاعي ٢٩٥ـ٢٩٦
بركة التوسل به إلى الله تعالى، وهي مجربة ٢٩٦
ذكر التوسل بآباء السيد الكبير الرفاعي وقول الإمام الخطيب في ذلك ٢٩٧
ذكر الإمام أبي سعيد، الحسن البصري ٣٠٦
ترجمة الإمام داود الطائي ٣١٠
ترجمة الإمام الجنيد ٣١٨
ترجمة الإمام السيد عبد القادر الجِيْلاني ٣٢٨
ترجمة الإمام السيد إبراهيم الحسيني الدُّسوقي ٣٣٧
ترجمة الشيخ أبي النجيب عبد القاهر السُّهْرَوَرْدِي ٣٤٢
المحتوى العام ٣٥٣

* * *

وقلتُ بنشأةِ وَجْد، وصدقِ عهد:

مَنْ كانَ عبداً لِقَومٍ فلْيُوَفِّ بِهِمْ ... شَرْطَ العبوديةِ الخَلصاءِ بالأدبِ

ويَشْتَغِلْ بِهِمْ عَنْ شأنِ غيرِهم ... ولو تمزَّقَ بين الكَدِّ والنَّصَبِ

ما أعجبَ البعضَ في دعوىٰ الهوى زَلَقُوا ... وقد تمادوْا وجاسُوا الحيِّ بالكَذِبِ!

الحُبُّ مِنْ شَرْطِهِ بَذْلُ الفؤادِ بهِ ... فأينَ أنتَ مِنَ الأعراضِ والنَّشَبِ ؟

الحُبُّ يأخُذُ أهليه ويدفَعُهُمْ ... عن كُلِّ إبنِ تقيٍّ صالحٍ وأبِ

الحُبُّ لا شركَ فيهِ واحدٌ أبداً ... عن الإضافاتِ قَدُّ الحَبْلِ والنَّسَبِ

للإمام السيد الرَّوَّاس

* * *

وقلتُ أبرز عَلماً، وأَرْمز حِكَماً:

لِلقَلْبِ مِنْ حُكْمِ الهوى ... نحوَ الحبيبِ بَوَاعِثُ

ولَهُ بِطَارِقَةِ الخَفَا ... مِمَّا يُعاني عابِثُ

يَمْضِي على عهدِ الحبيـ ... ـبِ ولَنْ يُغَاثَ النَّاكِثُ

عَهْدُ المُوَلَّهِ دِينُهُ ... لَم يَلْفِتَنْهُ نافِثُ

وبكُلِّ عَصْرٍ خيرُ مَنْ ... يَرْعَى العُهُودَ الوارِثُ

للسيد الرَّوَّاس

* * *

وقلتُ عن رَنَّةٍ أزَلِيَّة ، في غَوْصَةٍ أبدِيَّة :

تِهْ غَرَاماً فَلِلْغَرام رِجَالُ … وٱبْكِ ما شئتَ يومَ قومُكَ شالوا
وتَمَلْمَلْ يومَ الوداعِ كئيباً … رُبَّما عهدَهُم عليك أطالوا
وتَجَرَّدْ عن طَوْرِ كَوْنِكَ فيهم … إنَّما هذهِ البرايا ظِلالُ
وٱحْكِمِ الوُدَّ بالهُيَام دَوَاماً … ما بأَمْرِ الهُيَامِ قِيلٌ وقالُ
طَهِّرِ القلبَ إنْ أردتَ هَوَاهم … رُبَّ قوْلٍ تَرُدُّهُ الأفعالُ
لا تكُنْ في الغرامِ رَبَّ لِسَانٍ … دُونَ قلبٍ فَلِلْهَوىٰ أهوالُ
إنَّ في العاشقينَ مِنَّا رِجَالاً … هم رجالٌ شَكْلاً ومعنىً جِبالُ
صارعتْهُمْ أحوالُهم فاستقرُّوا … بِثَبَاتٍ وزالتِ الأحوالُ
حَقِّقِ الذَّوْقَ وٱتْبَعِ الإثْرَ وٱخْلِصْ … وتَمكَّنْ فَلِلْوَغَى أبطالُ
هذهِ عِتْرَةُ الإمامِ الرِّفَاعِي … وهو مولىً عن النبيِّ مِثَالُ
علَّمَتْنَا أحوالُه سِيرَةَ الصِّدْ … قِ عِيَاناً ونِعْمَتِ الأحوالُ!
سيِّدُ الأولياءِ قُطْبُ رَحَاهُمْ … والذي سَحَّ من يديْهِ النَّوَالُ
كَمْ أفاضَ الرَّحمنُ فيهِ شُؤوناً … ضُرِبَتْ في أخبارِها الأمثالُ
عَرَّفَتْنَا أخلاقُه سِيرَةَ الشَّا … رِعِ ذَوْقاً يا نِعْمَ تلكَ الخِصَالُ!
إنَّ أهلَ القُلُوبِ في كُلِّ فَجٍّ … هُمْ عليهِ حتى القِيَامِ عِيَالُ

للإمام السيد الرَّوَّاس